
KÖPRÜLÜ KÜT.
126

۱۲۶

الحمد لله الذى نزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصّله سورا وسوّره آيات وميّز بينهن بفصول وغايات وما هى الا صفات مبتدأ مبتدع وسمات منشأ مخترع فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شئ سواه بالحدوث عن العدم انشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذى عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان فى كل مكان افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصدّ للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط فى المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم فى كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق لاعب ان لم يمض الحجة حدّه فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على خير من اوحى اليه حبيب الله ابى القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذى اللواء المرفوع فى بنى لوى وذى الفرع المنيف فى عبد مناف بن قصى المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبى الامى المكتوب فى التورية والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة

طبقات

طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذى تباينت فيه الرتب وتحاكّت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما فى العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان فيها مباحث للفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحديهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقايقها باحداقهم عناة فى يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املاء العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوادح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذى لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذى علم كما ذكر الجاحظ فى كتاب نظم القرآن فالفقيه وان برز على الاقران فى علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا فى صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصرى اوعظ والنحوى وان كان انحى من سيبويه واللغوى وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق الا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعانى وعلم البيان وتمهل فى ارتيادهما آونة وتعب فى التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة فى معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا فى علم الاعراب مقدما فى حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقّادها يقظان النفس درّاكا للمحة وان لطف شأنها منتبها على الرمزة وان خفى مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع فى مداحضه ومزالقه ولقد رأيت اخواننا فى الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الىّ فى تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا فى الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الىّ مقترحين ان املى عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع

بعلماء الدين وعلماء العدل والتوحيد ● والذي حداني الى الاستعفاء مع علمي انهم
طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان
من رثاثة احواله ● وركاكة رجاله ● وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان
تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان ● فامليت عليهم مسئلة في الفواتح
وطائفة من الكلام في حقايق سورة البقرة ● وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال
والجواب طويل الذيول والاذناب ● وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا
العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ● ومثالا يحتذونه ● فلما صمم العزم على معاودة
جوار الله ● والاناخة بحرم الله ● فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من
فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى
ايناسه ● حراصا على اقتباسه ● فهز ما رأيت من عطفي ● وحرك الساكن من نشاطي
فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية ● من الدوحة الحسنية ● الامير الشريف
الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده ● وهو
النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم ● اعطش الناس
كبدا ● والهبهم حشى ● واوفاهم رغبة ● حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي
عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاده بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة
علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض ● فقلت قد ضاقت علي المستعفي الحيل ●
وعيت به العلل ● ورأيتني قد اخذت مني السن ● وتقعقع الشن ● وناهزت العشر
التي سمتها العرب دقاقة الرقاب ● فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير
من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ● ففرغ منه في مقدار مدة خلافة
ابي بكر الصديق رضي الله عنه ● وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة ● وما هي
الا آية من آيات هذا البيت المحرم ● وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم ● اسأل
الله تعالى ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ● ونورا لي على الصراط يسعى بين
يدي وبيميني ● ونعم المسؤل

سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل
مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها
على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي
ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى
في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء
والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية
ومنهم من مذهبه على العكس

بسم الله الرحمن الرحيم

قراء المدينة والبصرة
والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور
وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب
ابي حنيفة رضي الله عنه ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة و
الكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي رضي الله عنه

واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن
ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك
مائة واربع عشرة آية من كتاب الله **فان قلت** بم تعلقت الباء **قلت** بمحذوف تقديره بسم الله
اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقرؤ كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات
كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان
مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى
فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين
وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم
فريق نحسد الانس الطعاما **فان قلت** لم قدرت المحذوف متأخرا **قلت** لان الاهم من الفعل
والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى
فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل
كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله تعالى
بسم الله مجريها ومرسيها **فان قلت** فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم
الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم **فان قلت** ما معنى تعلق اسم الله
بالقراءة **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على
معنى ان المؤمن لما اعتقد ان الفعل لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر
اسم الله لقوله عليه الصلوة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا
كلا فعل جعل فعله مفعولا بسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات
في قوله تعالى تنبت بالدهن على معنى متبركا بسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين
معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن **فان قلت** فكيف قال الله تعالى
متبركا باسم الله اقرأ **قلت** هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك
الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون
باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه **فان قلت** من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف
واحد ان يبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف
وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر **قلت** اما اللام فللفصل بينها
وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة
بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن
اذ كان دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم عن كل لكنة وبشاعة
ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم
من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه
وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي
وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز
من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبر قشر النخلة الاعلى **فان قلت** لم حذفت الالف في

الخط واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي
عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضاً من طرح الالف وعن عمر بن
عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال
معاذ الاله ان تكون كظبية • ونظيره الناس اصله الاناس قال • ان المنايا يطلعن • على
الاناس الآمنينا • فحذفت الهمزة وعوضت منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله
بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق
او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على
عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود
بالحق ولم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر
في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك
تصفه ولا تصف به ولا تقول شيء اله كما تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل
كريم خير وايضاً فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات
بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت
معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعداً معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة
قولهم أله اذا تحير ومن اخواته وله ودله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك
ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل
النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى
ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابراً عن كابر والرحمن فعلان من رحم
كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم
وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا
ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضباً ومما
طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس
في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي
فقال أليس ذاك اسمه الشقدف فقلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة
المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والسماك والصعق لم يستعمل في غير الله
عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول
شاعرهم فيه • وانت غيث الورى لا زلت رحمانا • فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت فكيف
تقول الله رحمن اتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وسكران
فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه
بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على
فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التأنيث
للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فان
قلت ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على

ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم
بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه
فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى
الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول
جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها
ولطف الحمد لله الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها
تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة
وهو بالقلب واللسان والجوارح قال • افادتكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا •
والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر
ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على
موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل
الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه
والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي
هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها
العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكراً وكفراً وعجباً وما اشبه ذلك ومنها
سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها
معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء
للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاماً قال سلام رفع السلام
الثاني للدلالة على ان ابراهيم عليه السلام حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال
على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمداً ولذلك قيل اياك
نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان
قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه
الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال
والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري رحمه الله الحمد لله
بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال
والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل
الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث
جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن رب العالمين
الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني
رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفاً
بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد
بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي
وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله

كأنه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم
به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان
قلت هو اسم غير صفة وانما يجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما هو في حكمها من
الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية وهي الدلالة على معنى العلم الرحمن الرحيم مالك
يوم الدين قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه
ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ ابو هريرة مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو
نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله
لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء
ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة * ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان
قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى
مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك
الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية
فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون غير
حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك
الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك
زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم
الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب
الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي
اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته
ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر
كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله
الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما
هو اهله اياك نعبد واياك نستعين ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من
الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا
محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش
وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا
الشواب فشيء شاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله
تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة
وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء
قال طفيل الغنوي * فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره
والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة
وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع للدلالة مولى اعظم النعم فكان حقيقا
باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا

يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن
الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات * تطاول
ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد * وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الارمد *
وذلك من نبأ جاءني * وخبرته عن ابي الاسود * وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم
فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع
وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص
به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم
بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك
المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة
لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا
تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب
به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة
على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان
قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة
به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل
كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه
بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون اهدنا الصراط المستقيم هدى اصله
ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي
الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه ومعنى طلب
الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة
الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله
ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما
سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر
وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش
وهي الثابتة في الامام ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل
والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط
المستقيم وهو في حكم تكرار العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين
انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا
قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير
والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط
المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم

فلان فيكون ذلك ابلغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل
لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم
الافضل فجعلته علما فى الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان
هو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون
واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته
واشتملت عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم
الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من
غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان
وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو
لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد
امر على اللئيم يسبنى ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس فى غير اذن
الابهام الذى يأبى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهى قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير فى عليهم
والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون
هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام
من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده
نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اى فرق بين عليهم الاولى وعليهم الثانية
قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت
لم دخلت لا فى ولا الضالين قلت لما فى غير من معنى النفى كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين
وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا
لا ضارب وعن عمر وعلى رضى الله عنهما انهما قرءا وغير الضالين وقرأ ايوب السختيانى ولا
الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين
ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمى به الفعل الذى هو استجب
كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التى هى امهل واسرع واقبل وعن
ابن عباس رضى الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال
افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد
الله ما بيننا بعدا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقننى جبريل آمين عند فراغى من قراءة فاتحة
الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت فى المصاحف وعن
الحسن لا يقولها الامام لانه الداعى وعن ابى حنيفة رضى الله عنه مثله والمشهور عنه
وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن الشافعى رضى الله عنه يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه

وسلم انه قال لابى بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل فى التورية والانجيل والقرآن مثلها
قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته
وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب
حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعها الله تعالى
فيرفع بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهى مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه اعلم ان الالفاظ التى
يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم يسمى به
ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت فى هذه التسمية
لطيفة وهى ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهى حروف وحدان والاسامى عدد
حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا فى التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا
المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانها ما
لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم
كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت
الفا ونظرت وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل
شئ من تأثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقى على الحاسب اجناسا
مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية
ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا
زعمت انها حروف كما وقع فى عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها
اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين فى
تسمية كثير من الاسماء التى لا يقدح اشكال فى اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين
الحرف فى معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس
على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما
دل على معنى فى غيره وهذا كما ترى دال على معنى فى نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك
با تا وبالتفخيم كقولك با ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه
والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم انى عثرت من جانب الخليل على نص فى ذلك قال
سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التى فى لك
والباء التى فى ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول
كه به وذكر ابو على فى كتاب الحجة فى ياسين وامالة يا انهم قالوا يا زيد فى النداء فاما لوا وان
كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذى
هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اى قبيل هى من
الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هى اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما
من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس
ببناء انها لو بنيت لحذى بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها

بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما اخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقالت
هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت
فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة
ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر
فان قلت قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند
الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها
وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها
في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب
نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف
ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل
وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها ان يفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما
واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب
والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي: يذكرني حاميم والرمح
شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم. فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب
من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية ان تجيء بالقول
بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت
سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال آخر تنادوا بالرحيل غدا
وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت
زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من
قرأ صاد وقاف ونون بمفتوحات قلت الوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم
يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز
سيبويه مثل ذلك في حاميم وطاسين وياسين لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم
قرأ ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضألين فان قلت
هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن
على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح وقال الآخر
فذاك امانة الله الثريد قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك
لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل
اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى
ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى
بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال
انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما
آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد

لافعلن والواو الاخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك
لافعلن فثم هي بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف
لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد
جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها
غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت
هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت
ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما
استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في اخره ساكنان من المبنيات فعوملت
تارة معاملة الان واخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل
ما سوغت في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف
القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب
المبين انا جعلناه واما قوله عليه الصلوة والسلام حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر
والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ
خاصة قلت كأن المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة
التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا فان قلت فما
بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما
كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب
كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة
في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها
وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما
هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة
عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة
اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه
في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف
لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه
والوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ
وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم
وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر
الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان يأتوا بمثله
بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في
اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن
النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج

من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء الا لأنه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول ولمناصره على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبًا في أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول منقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجاب بان له محملا سوى ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه بالجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب على الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسمية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السور كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقوله صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها

الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر **فان قلت** فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور **قلت** لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره **فان قلت** فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت صاد وقاف ونون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف **قلت** هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك **فان قلت** فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها **قلت** اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود **فان قلت** فما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض **قلت** هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وصاد وقاف ونون ثلاثتها لم تعد هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية **فان قلت** فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية **قلت** كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف **فان قلت** ما حكمها

في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقفاً لتمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم يجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلاً الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعدودة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمقتضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول في ذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال تعالى ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئاً احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحاً لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني

نبئت نعمى على الهجران عاتبة ٭ سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري

فان قلت اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب الم قلت ان جعلت الم اسماً للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانياً والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستأهل ان يسمى كتاباً كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبراً ثانياً او بدلاً على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اي فان كون الامر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال

لا يربه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احداً لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتاباً آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبراً ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى

هدى للمتقين الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال الله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلاً فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض ويضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلاً ومريضاً وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً اي صائراً الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضاً فقد جعل ذلك سلماً الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه

لايتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنبي الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال
والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع
لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه
ويجوز ان ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة
ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم
مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد
اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف
نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها
وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم
اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده
ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل
مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال
في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر
بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم
تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من
نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية
ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف
ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز
في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون الذين اما موصول بالمتقين
على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين
يؤمنون واما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فان كان
موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما **فان قلت**
ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين او مسرودة مع المتقين [illegible] فائدتها ام
جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله تعالى الجارية عليه تمجيدا **قلت** يحتمل ان ترد
على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك
السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر
الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم
تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام
والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا
يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار ساير العبادات واستتباعها
ومن ثمة اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها
والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين

العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل
ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين
يجتنبون المعاصي ويحتمل ان يكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب و
اقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على ساير ما يدخل تحت حقيقة هذا
الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وامننيه غيري ثم يقال امنه
اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر
واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت
ذا امن به اي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به
او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون
غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني
لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد عليه السلم كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما امن
مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية **فان قلت** فما المراد بالغيب ان جعلته صلة
وان جعلته حالا **قلت** ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب
الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن
من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة
التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل
واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه
نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك
نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد
وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة **فان قلت** ما الايمان الصحيح **قلت** ان يعتقد
الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق
ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها
وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها
والمحافظة كما قال عز وعلا الذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون
من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا
قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه
المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر
لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها
وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة
لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا
سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة
من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك

في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه
ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد
واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل ان يضاف
الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير
المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال
بالتصدق به وجاز ان تراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي
الصلوة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل
منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه
نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تأملت والذين يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون فان قلت والذين يؤمنون اهم
غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو
الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب قلت يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من
عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار
بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري
حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه اخرون فزعموا
ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجساد ولمكان التوالد والتناسل
واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع
اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف
عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك
الصفات وهذه فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهم يدخلون في جملة المتقين
ام لا قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة
على الفريقين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه
قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل اليك
ان عني به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم
فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم هو
ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب قلت
المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود
على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغايب فيقال انا وانت فعلنا
وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظرا جعل كان كله
قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم

يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خاطب
به فلان هو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي
لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك و
ما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل
الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن
ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم
بانتفاء الشك والشبهة عنه والاخرة تأنيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار
بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها
بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرأ ابو حية النميري يؤقنون بالهمز
جعل الضمة في جار الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان الى
موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان كان
الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء
بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين
فاختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين
بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة
المتقين المنطوية تحتها خصايصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا
يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء عقايدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله و
يعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب
عن وجهه اولئك اهل للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل
ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد
ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستيناف
يجيء تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان
وتارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف
باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان
يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره قلت نعم على
ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله
وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه
من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب
تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء
في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال
من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية
مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه

من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل
فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي
هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي وابي الطير المربة بالضحى
على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة
ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو
فقد روي عنه فيها روايتان واولئك هم المفلحون وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت
لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن
غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما
الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف
الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة
وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل
وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة
المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى
التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة
كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي
اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم
الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من
فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز من قائل التنبيه على اختصاص المتقين
بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل
بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك
عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم يسبق به كلمته
اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز
بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم
للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في
الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى ان الذين كفروا سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لا
يؤمنون لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده
وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار
الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار
الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين
وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت
الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما
على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما

اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة اضدادهم
كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف
وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان
مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد
وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون
للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين
الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما
يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء
للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وأانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع
به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا
مختصم اخوه وابن عمه او يكون أانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء
خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا
خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور
فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع
المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل
السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة
وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى
هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة
النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد
الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين
وقرئ أانذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط
الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه
والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية
الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين
على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني مدغما نحو قوله الضالين
وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها
ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة
رأس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون
قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم الختم
والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا
يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا

البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فإن قلت ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار قلت لا ختم ولا تغشية ثمة على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال: «ختم الإله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر» «وإذا أراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصق نافر» فإن قلت فلم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه أو علمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين إن الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي ألا ترى إلى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز أن تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء إذا أطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وإنما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدرة ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا إلى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فإسناده إلى الفاعل حقيقة وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار وأهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الأمير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال

إذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر إلا أن الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الألطاف المحصلة ولا المقربة إن أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختيارا طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم يبق طريق إلا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعارا بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة فإن قلت اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى أيهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فإن قلت أي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة وحين استجد للأسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله: «كلوا في بعض بطنكم تعفوا» يفعلون ذلك إذا أمن اللبس فإذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع فلمح الأصل يدل عليه في قوله وفي آذاننا وقر وأن تقدر مضافا محذوفا أي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن أبي عبلة وعلى أسماعهم فإن قلت هلا منع أبا عمرو والكسائي من إمالة أبصارهم ما فيه من حروف الاستعلاء وهو الصاد قلت لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك أعون شيء على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لأنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لأنه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا لأنه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وإن لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من

الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناس وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن جنا لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول المتروكة تقول في وزن قه إفعل وليس معك إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن يكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال إن جعلت اللام للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فإن قلت كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات إنما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فإن قلت لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لأن القوم كانوا يهودا وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثا إلى خبث وكفرا إلى كفر وأيضا فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه في قطريه وأحاطوا

بأوله وآخره وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام فإن قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قلت القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها فإن قلت فلم جاء الإيمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الأول قلت يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما فإن قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية وأن يراد الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده

يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع إذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر فإن قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة إن الحليم وذا الإسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت فيه وجوه أحدها أن يقال كان صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار صورة صنيع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم والثاني أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم والثالث أن يذكر الله ويراد الرسول لأنه خليفته في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه ومصداقه قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ومن يطع الرسول فقد أطاع الله والرابع أن يكون من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون

المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه وتعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون كلاما مستأنفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم

ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان ومعناه ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم تقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصرة واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا والقوم كفرة وانما خصص الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص وبمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم وبركت الابل

ومن قولهم كذبا لو حشيا اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف
متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العايرة
بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف
على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه
لا تفسدوا في الارض والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه
الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن
لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية
والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طي حرب الفساد وكان فساد
المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم
واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى
الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا
اقدم على ما هذه عاقبته قالوا انما نحن مصلحون انما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق
زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين
خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد الا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على
تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله تعالى اليس ذلك بقادر
ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم
واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما
والذي ابكى واضحك والذي امات واحيى والذي امره الامر رد الله ما ادعوه من الانتظام
في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في
كلتا الكلمتين الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون
انهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد
والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان
من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى
من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل
ما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه
قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه
زعموا مطية الكذب واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس وما في كما يجوز ان يكون كافة مثلها
في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله ومن معه
وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم وابناء جنسهم اي
كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المؤمنون كانهم
الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل قالوا انؤمن كما آمن

السفهاء

السفهاء الا انهم هم السفهاء والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار
بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه ويجوز ان يكون
للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه
فان قلت لم سفهوهم واشتركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر
وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان من عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان
سفيها ولانهم كانوا في رياسة وبسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موالي
كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه
ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد
توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم
ولكن لا يعلمون فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان
امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب
الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي
مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم
من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه
وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا مساق
هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم
والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء
بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم
ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ
بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار
الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله
الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي وقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه
سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه
خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي ومراوقي
وقرا ابو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا واذا خلوا الى شياطينهم وخلوت بفلان واليه اذا
انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك
ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان
يعبث به ومعناه انهم اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول
احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل
سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم
تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا
جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم

فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان
قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم فى ادعاء حدوث الايمان
منهم ونشأه من قبلهم لا فى ادعاء انهم اوحديون فى الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك
اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقايدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم
يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد
والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار الذين
مثلهم فى التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة
اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر
والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من
ذلك فهو رايج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق قوله
انما نحن مستهزؤن بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على
اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشئ
المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشئ تاكيد لثباته او بدل منه لان
من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم
فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء
السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان
عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزأن على مكانى وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف الله
يستهزئ بهم فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب
العبث والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى
استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذى يرميه
هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا
شاهد لذلك وقد كثر التهكم فى كلام الله تعالى بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم
والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك بها الضاحكون ويجوز
ان يراد به ما مر فى يخادعون من انه يجرى عليهم احكام المسلمين فى الظاهر وهو مبطن بادخار
ما يراد بهم وقيل سمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت
هو استيناف فى غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء
الابلغ الذى ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له فى مقابلته لما ينزل بهم من النكال
ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا
يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون
طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا
بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون فى كل
عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون فى اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول فى

شانهم واستشعار حذر من ان تنزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى
قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم فى طغيانهم من مد الجيش وامده اذا
زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج
والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان فى الغى وامده اذا واصله بالوساوس
حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد فى العمر والاملاء
والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة
نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذى بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت
فكيف جاز ان يوليهم الله مددا فى الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم
يمدونهم فى الغى قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله تعالى الطافه التى يمنحها المؤمنين
وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح
والنور فى قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند الى الله تعالى لانه مسبب عن فعله بهم
بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه
واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد فى الطغيان بالامهال
وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا
الى الله ما اسند الى الشيطان ولكن المعنى لصحيح ما طابقه اللفظ وشهد بصحته والا كان
منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد فى
مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليما من القادح فاذا
لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن
فى تفسيره فى ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة
الحد فى العتو وقرأ زيد بن على رض فى طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان
فان قلت اى نكتة فى اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادى فى الضلالة مما
اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله برئ منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء
الله ما اشركنا ونفيا لتوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان
الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذى ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة
ويقلعها ويدفع فى صدر من يلحد فى صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق
الغى ولم يقيده بالاضافة فى قوله واخوانهم يمدونهم فى الغى يعمهون والعمه مثل العمى الا ان
العمى عام فى البصر والرأى والعمه فى الرأى خاصة وهو التحير والتردد الذى لا يدرى اين
يتوجه ومنه قوله اعمى الهدى بالجاهلين العمه اى الذين لا رأى لهم ولا دراية بالطرق و
سلك ارضا عمهاء لا منار بها اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ومعنى اشتراء الضلالة
بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل
واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر
عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بنى اسرائيل
تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف

اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل هو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين والربح الفضل عن رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن اذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه فما ام الردين وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد اذا حردت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في

معرض

معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثمة حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون وانما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت وقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقد في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه اخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والاطافة وقيل للعام

حوله لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم
والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام
مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب
عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت
ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد
الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاما مستأنفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره
اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم
او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى
المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد نارا لانه في معنى الجمع
واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت
فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب
سماوي ريح او مطر فقد اطفأها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون
المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار
الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى
قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا
بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفأها الله وخيب امانيهم
فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج
على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت فهلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما
اضاءت ما حوله قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله
بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا و
طمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور
وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها
شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم
للباطل صولة ثم يضمحل• ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت• ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح
والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا
استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله
بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل
له فهو ابلغ من الاذهاب وقرأ اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد
كقوله تركه ترك ظبي ظله• فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب
كقول عنترة• فتركته جزر السباع ينشنه• ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات
ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما
ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات

بسكون

بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل
المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير
متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم
بحال المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت
واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابدا الا حائر خابط في ظلمات الكفر قلت المراد ما
استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه
الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان
يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين
واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر
وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم
الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على
قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم بكم
عمي فهم لا يرجعون كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم
وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم
وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به
وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا• اصم عما ساءه سميع• اصم عن الشيء الذي لا اريده•
واسمع خلق الله حين اريد• فاصممت عمرا واعميته• عن الجود والفخر يوم الفخار فان
قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء
الا ان هذا في الصفات وذلك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات
والافعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان
قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا
لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى
ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه
لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير• لدى اسد شاكي السلاح مقذف• ومن ثمة ترى
المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام
ويصعد حتى يظن الجهول• بان له حاجة في السماء• ولبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله رجلا
ففيه غيث وليث مسبل مشبل• وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن الجملة لحذف المبتدأ
فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج
اسد علي وفي الحروب نعامة• فتخاء تنفر من صفير الصافر• ومعنى لا يرجعون انهم لا
يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم
بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا
يدرون ايتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه او كصيب من السماء
فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ثم ثنى

الله سبحانه فی شانهم بتمثیل اخر لیکون کشفا لحالهم بعد کشف وایضاحا عقب ایضاح
وکما یجب علی البلیغ فی مظان الاجمال والایجاز ان یجمل ویوجز فکذلک الواجب علیه فی
موارد التفصیل والاشباع ان یفصل ویشبع انشد الجاحظ یرمون بالخطب الطوال وتارة
وحی الملاحظ خیفة الرقبا وما ثنی من التمثیل فی التنزیل قوله وما یستوی الاعمی والبصیر
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما یستوی الاحیاء ولا الاموات الا تری
الی ذی الرمة کیف صنع فی قصیدته اذاک ام ممش بالوشی اکرعه اذاک ام خاضب بالسی مرتعه
فان قلت قد شبه المنافق فی التمثیل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الایمان بالاضاءة
وانقطاع انتفاعه باطفاء النار فماذا شبه فی التمثیل الثانی بالصیب وبالظلمات وبالرعد
وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل ان یقول شبه دین الاسلام بالصیب لان القلوب تحیی
به حیاة الارض بالمطر وما یتعلق به من شبه الکفار بالظلمات وما فیه من الوعد والوعید
بالرعد والبرق وما یصیب الکفرة من الافزاع والبلایا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق
والمعنی او کمثل ذوی صیب والمراد کمثل قوم اخذتهم السماء علی هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا
فان قلت هذا تشبیه اشیاء باشیاء فاین ذکر المشبهات وهلا صرح به کما فی قوله وما
یستوی الاعمی والبصیر والذین امنوا وعملوا الصالحات ولا المسیء وفی قول امریء القیس
کان قلوب الطیر رطبا ویابسا لدی وکرها العناب والحشف البالی قلت کما جاء ذلک صریحا
فقد جاء مطویا ذکره علی سنن الاستعارة کقوله تعالی وما یستوی البحران هذا عذب فرات
سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فیه شرکاء متشاکسون ورجلا سلما
لرجل والصحیح الذی علیه علماء البیان لا یتخطونه ان التمثیلین جمیعا من جملة التمثیلات
المرکبة دون المفرقة لا یتکلف لواحد واحد شیء یقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب
الجزل بیانه ان العرب تاخذ اشیاء فرادی معزولا بعضها من بعض لم یاخذ هذا بحجزة ذاک
فتشبهها بنظایرها کما فعل امرؤ القیس وجاء فی القران وتشبه کیفیة حاصلة من مجموع
اشیاء قد تضامت وتلاصقت حتی عادت شیئا واحدا باخری مثلها کقوله تعالی مثل الذین
حملوا التوریة الایة الغرض تشبیه حال الیهود فی جهلها بما معها من التوریة وایاتها الباهرة
بحال الحمار فی جهله بما یحمل من اسفار الحکمة وتساوی الحالین عنده من حمل اسفار الحکمة
وحمل ما سواها من الاوقار لا یشعر من ذلک الا بما یمر بدفیه من الکد والتعب وکقوله
واضرب لهم مثل الحیوة الدنیا کماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنیا کقلة
بقاء الخضر فاما ان یراد تشبیه الافراد بالافراد غیر منوط بعضها ببعض ومصیرة شیئا واحدا
فلا فکذلک لما وصف وقوع المنافقین فی ضلالتهم وما خبطوا فیه من الحیرة والدهشة شبهت
حیرتهم وشدة الامر علیهم بما یکابد من طفیت ناره بعد ایقادها فی ظلمة اللیل وکذلک من اخذته
السماء فی اللیلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذی کنت تقدره فی
المفرق من التشبیه من حذف المضاف وهو قولک او کمثل ذوی صیب هل تقدر مثله فی المرکب منه قلت
لولا طلب الراجع فی قوله یجعلون اصابعهم فی اذانهم ما یرجع الیه لکنت مستغنیا عن تقدیره
لانی اراعی الکیفیة المنتزعة من مجموع الکلام فلا علی اولی حرف التشبیه مفرد یتاتی التشبیه

به ام لم یله الا تری الی قوله انما مثل الحیوة الدنیا الایة کیف ولی الماء الکاف ولیس الغرض
تشبیه الدنیا بالماء ولا بمفرد اخر یتمحل لتقدیره ومما هو بین فی هذا قول لبید وما الناس الا
کالدیار واهلها بها یوم حلوها وغدوا بلاقع لم یشبه الناس بالدیار وانما شبه وجودهم
فی الدنیا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الدیار فیها وسرعة نهوضهم عنها وترکها خلاء
خاویة فان قلت ای التمثیلین ابلغ قلت الثانی لانه ادل علی فرط الحیرة وشدة الامر
وفظاعته ولذلک اخر وهم یتدرجون فی نحو هذا من الاهون الی الاغلظ فان قلت
لم عطف احد التمثیلین علی الاخر بحرف الشک قلت او فی اصلها لتساوی شیئین فصاعدا
فی الشک ثم اتسع فیها فاستعیرت للتساوی فی غیر الشک وذلک قولک جالس الحسن او
ابن سیرین ترید انهما سیان فی استصواب ان تجالسهما ومنه قوله تعالی ولا تطع منهم اثما
او کفورا ای الاثم والکفور متساویان فی وجوب عصیانهما فکذلک قوله او کصیب معناه
ان کیفیة قصة المنافقین مشبهة لکیفیتی هاتین القصتین وان القصتین سواء فی استقلال
کل واحدة منهما بوجه التمثیل فبایتهما مثلتهم فانت مصیب وان مثلتهما بهما جمیعا فکذلک
والصیب المطر الذی یصوب ای ینزل ویقع ویقال للسحاب صیب ایضا قال الشماخ واسحم
دان صادق الرعد صیب وتنکیر صیب لانه ارید نوع من المطر شدید هائل کما نکرت النار
فی التمثیل الاول وقری کصایب والصیب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج
مکفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة فی ذکره والصیب لا یکون الا من السماء
قلت الفائدة فیه انه جاء بالسماء معرفة فنفی ان یتصوب من سماء ای من افق واحد من بین
سائر الافاق لان کل افق من افاقها سماء کما ان کل طبقة من الطباق سماء فی قوله واوحی
فی کل سماء امرها والدلیل علیه قوله ومن بعد ارض بیننا وسماء والمعنی انه غمام مطبق
اخذ بافاق السماء کما جاء بصیب وفیه مبالغات من جهة الترکیب والبناء والتنکیر امد
ذلک بان جعله مطبقا وفیه ان السحاب من السماء ینحدر ومنها یاخذ ماءه لا کزعم من یزعم
انه یاخذه من البحر ویؤیده قوله تعالی وینزل من السماء من جبال فیها من برد فان قلت بم
ارتفع ظلمات قلت بالظرف علی الاتفاق لاعتماده علی موصوف والرعد الصوت الذی
یسمع من السحاب کان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الریح فتصوت عند ذلک
من الارتعاد والبرق الذی یلمع من السحاب من برق الشیء بریقا اذا لمع فان قلت قد جعل
الصیب مکانا للظلمات فلا یخلو ما ان یراد به السحاب او المطر فایهما ارید فما ظلماته قلت
اما ظلمات السحاب فاذا کان اسحم مطبقا فظلمات سحمته وتطبیقه مضمومة الیهما ظلمة
اللیل واما ظلمات المطر فظلمة تکاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع
ظلمة اللیل فان قلت کیف یکون المطر مکانا للرعد والبرق وانما مکانهما السحاب قلت
اذا کان فی اعلاه ومصبه وملتبسین فی الجملة فهما فیه الا تراک تقول فلان فی البلد
وما هو منه الا فی حیز یشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ کقول
البحتری یا عارضا متلفعا ببروده یختال بین بروقه ورعوده وکما قیل ظلمات قلت فیه
وجهان احدهما ان یراد العینان ولکنهما لما کانا مصدرین فی الاصل یقال رعدت السماء رعدا

وبرقت برقا رد على حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثانى ان يراد الحدث
كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل
فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير فى يجعلون الى اصحاب
الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه
وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه فى قوله يسقون من ورد البريص
عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله
يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا
قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم فى آذانهم ثم قال فكيف حالهم
مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم **فان قلت** رؤس الاصابع هو الذى
يجعل فى الاذن فهلا قيل اناملهم **قلت** هذا من الاتساعات فى اللغة التى لا يكاد الحاصر يحصرها
كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذى هو الى المرفق والذى
الى الرسغ وايضا ففى ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس فى ذكر الانامل **فان قلت** فالاصبع
الذى تسد به الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص **قلت** لان السبابة
فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها
بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة **فان قلت** فهلا ذكر بعض هذه الكنايات **قلت**
هى الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس فى ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من
الصواعق متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم فى آذانهم كقولك سقاه
من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب
اذا اصطكت اجرامه وهى نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا اتت عليه الا انها مع حدتها
سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة
اذا اهلكته فصعق اى مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى
صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء فى التصرف
واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك
وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ فى جذب ليس بقلبه لاستوائهما فى التصرف
وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الراوية او مصدرا
كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابى ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر
عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب
للحيوة والله محيط بالكافرين واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا
يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها يكاد البرق يخطف
ابصارهم والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى
وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف
بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن على يخطف من خطف وعن ابى يتخطف من قوله
ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث

كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر
على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما
يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة
فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفى وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء
الله لذهب بسمعهم وابصارهم ولو شاء الله لزاد فى قصيف الرعد فاصمهم او فى ضوء البرق
فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير
متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابى عبلة كلما ضاء
لهم والمشى جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعى فاذا ازداد فهو عدو **فان قلت** كيف
قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا **قلت** لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من
امكان المشى وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم
يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة
يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء فى شعر حبيب بن اوس هما اظلما حالى ثمت اجليا
ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء
العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقنعون
بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه قامت السوق اذا
ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان
يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء واراد لا يكادون يبرزون
المفعول الا فى الشئ المستغرب كنحو قوله فلو شئت ان ابكى دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان
نتخذ لهوا لو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بوميض البرق وقرأ ابن ابى عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم
ان الله على كل شئ قدير والشئ ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه فى ساقة الباب المترجم
بباب مجارى اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير الا ترى ان الشئ يقع على
كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشئ مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص
الخاص يجرى على الجسم والعرض والقديم يقول شئ لا كالاشياء اى معلوم لا كسائر المعلومات
وعلى المعدوم والمحال **فان قلت** كيف قيل على كل شئ قدير وفى الاشياء ما لا تعلق به كالمستحيل
وفعل قادر آخر **قلت** مشروط فى حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى
فى نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شئ مستقيم قدير ونظيره
فلان امير على الناس اى على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس
واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه **فان قلت** مم اشتقاق القدير **قلت** من التقدير لانه يوقع
فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين
والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة
مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور

عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع
كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما إن فلاناً من قصته كيت وكيت فقصصت عليه
ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة
في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك
نحوه فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال
من الغيبة إلى المواجهة هازاً من طبعه لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان
في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس
للقبول وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي
ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا
حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه وأما نداء القريب فله
أي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلاً له منزلة من بعد فإذا
نودي به القريب المفاطن فذاك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جداً فإن
قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به
وأبصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان
الله ومنازل المقربين هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على
استجابة دعوته والأذن لندائه وابتهاله وأي وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن
ذو والذي وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم
يفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى
يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أي والاسم التابع له صفته كقولك
يا زيد الظريف إلا أن أياً لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج
من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة
وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضاً
مما يستحقه أي من الإضافة فإن قلت لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر
في غيره قلت لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة لأن كل ما نادى الله
له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم
الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن
يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا
بالآكد الأبلغ فإن قلت لا يخلو الأمر بالعبادة من أن يكون متوجهاً إلى المؤمنين والكافرين
جميعاً أو إلى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف
أمروا بما هم ملتبسون به وهل هو إلا كقول القائل فلوأني فعلت كنت كمن يسأله وهو قائم
أن يقوما وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة
المؤمنين ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا
بد لها منه وهو الإقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما

وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر حيث لم ينفعل إلا به وكان من لوازمه
على أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فإن
قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولاً شيئين معاً الأمر بالعبادة والأمر بازديادها قلت
الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئاً آخر فإن قلت ربكم ما المراد منه قلت كان المشركون
معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فإن خصوا بالخطاب فالمراد منه اسم
يشترك فيه رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أرباباً وكان قوله الذي
خلقكم صفة موضحة مميزة وإن كان الخطاب للفرق جميعاً فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي
خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة
إلا أن الأول أوضح وأصح والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل إذا
قدرها وسواها بالمقياس وقرأ أبو عمرو خلقكم بالإدغام وقرأ أبو السميفع خلق من قبلكم
وفي قراءة زيد بن علي الذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها مع إشكالها أن يقال أقحم
الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً كما أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا
لكم تيماً الثاني بين الأول وما أضيف إليه وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف
إليه في لا أبا لك ولعل للترجي أو الإشفاق تقول لعل زيداً يكرمني ولعله يهينني وقال
الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعل الساعة قريب ألا ترى إلى قوله والذين آمنوا مشفقون
منها وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ولكن لأنه من كريم رحيم إذا أطمع
فعل ما يطمع فيه لا محالة يجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال إن
لعل بمعنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك وأيضاً فمن ديدن
الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون
أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو
يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم
لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك
الملوك ذي العز والكبرياء أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد
كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم
فإن قلت فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لأن
قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لأن الرجاء لا يجوز على
عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضاً ولكن لعل
واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لأن الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف
وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة في أقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين و
وضع في أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن
يتقوا لترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين أن
يفعل وأن لا يفعل ومصداقه قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وإنما يبلو ويختبر
من يخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار فإن قلت كما خلق

المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم
قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا
فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم
قلت ليست التقوى غير العبادة حتى تؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى
امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على غايات العبادة
كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل
خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرايط الكتب لم يقع من نفسه
ذلك الموقع الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزماتها
حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن
من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مستقرهم ومكانهم الذي لا بد لهم منه
وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة
والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة
بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار
رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا متسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة
يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان
شيئا من هذه المخلوقات كلها لا تقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من
خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو
عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح
والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا
وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون
ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض
مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء
كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع
جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض
ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا
وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا
فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه
جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ
الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء
الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها
لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة
وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب

ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به
ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل
وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق
لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق
كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب
رزقا قلت ان كان من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا
لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار
قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة
بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي
مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله
كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة
على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول
به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق
بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا لله اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد
وان لا يجعل له ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم
لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي
هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا
له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى
قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم
باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت
لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة
على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم
واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد
ابن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم
وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض
الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزل لا تدفعون عنه وهكذا كانت
العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور
وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ
فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام
لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل

او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية
ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من
اشرك فقد كابر عقله وغطى ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على
اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة مع كون القرآن معجزة وارادهم
كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يجربوا
انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ
التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان
التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم
ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وايات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى
سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا
حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة
ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة
واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في
هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما
فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى
ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة
التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان سميت بسورة المدينة وهي حائطها لانها
طائفة من القرآن محدودة ومحوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم
واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان سميت بالسورة التي هي الرتبة
قال النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور
بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في نفسها مرتبة طوال واوساط و
قصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها
قطعة وطائفة من القرآن كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت
ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل
الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة
السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس
اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا
واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز
لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه
قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم
جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة

اعتقد

اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه
ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل
عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل سبب
تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم
الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله
والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله
حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب
وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ
الكتب ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك
على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان
والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله
تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله
ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى
المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط
به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل
من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى
رسول الله ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا
جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في
التحدي من ان يقال لهم ليات واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم
لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى
دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها
لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا
كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر
واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول
من قال لعدوه وقد راه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل
في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس
ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلم تنلك غيره ومن دون
الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة
من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم
بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها
وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في
معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي

من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة وإرخاء العنان والإشعار بأن شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الإنسانية والأنفة أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم إحالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وإن علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداء كم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وأن الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثاً غير قولهم الله يشهد أنا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على أنفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة أو ادعوا من دون الله شهداءكم يعني أن الله شاهدكم لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم والجن والإنس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى لأنه القادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الإنس والجن الآية

فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين

لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فإذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم أنه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على إثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزاً والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله **فإن قلت** انتفاء إتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء بإذا الذي للوجوب دون إن الذي للشك **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكماً به **فإن قلت** لم عبر عن الإتيان بالفعل وأي فائدة في تركه إليه **قلت** لأنه فعل من الأفعال تقول أتيت فلاناً فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصاراً ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه ألا ترى أن الرجل يقول ضربت زيداً في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وأفعالاً فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما أبنته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله **فإن قلت** ولن تفعلوا ما محلها **قلت** لا محل لها لأنها جملة اعتراضية **فإن قلت** ما حقيقة لن في باب النفي **قلت** لا ولن أختان في نفي المستقبل إلا أن في لن توكيداً وتشديداً تقول لصاحبك لا أقيم غداً فإن أنكر عليك قلت لن أقيم غداً كما تفعل في أنا مقيم وإني مقيم وهي عند الخليل في إحدى الروايتين عنه أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نوناً وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل **فإن قلت** من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة

قلت لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه أكثف عدداً من الذابين عنه فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة **فإن قلت** ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله **قلت** إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث إنه من نتائجه لأن من اتقى ترك المعاندة ونظيره أن يقول الملك لحشمه إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فأطيعوني واتبعوا أمري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته مشيعاً ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها والوقود ما يرفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقوداً عالياً ثم قال والوقود أكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط أي ليست حيوته إلا به فكأن نفس السليط حيوته **فإن قلت** صلة الذي والتي يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة **قلت** لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم ناراً وقودها الناس والحجارة **فإن قلت** فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة **قلت** تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولاً **فإن قلت** ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة **قلت** معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولاً بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبأنها لإفراط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها **فإن قلت** أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة **قلت** بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا أنفسكم وأهليكم ناراً فأنذرتكم ناراً تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم ناراً وقودها الشياطين كما أن لكفرة الإنس ناراً وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب **فإن قلت** لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقوداً **قلت** لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله أنداداً وعبدوها من دونه قال الله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله إنكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها

محماة فى نار جهنم ابلاغا فى ايلامهم واغراقا فى تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين
جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها فى نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هى حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب
عما هو المعنى الصحيح المشهود له بمعانى التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم
وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به
متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون من عادته عز وعلا فى كتابه ان يذكر الترغيب
مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف
ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين
التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصى وحموها من الاحباط بالكفر
والكبائر بالثواب فان قلت من المأمور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال عليه السلام بشر المشائين الى المساجد فى الظلم بالنور
التام يوم القيمة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مأمور به وهذا الوجه احسن واجزل
لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان
قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهى يصح عطفه عليه قلت ليس الذى اعتمد
بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهى يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو
جملة وصف ثواب المؤمنين فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب
بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا
كما تقول يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى اسد باحسانى اليهم وفى قراءة
زيد بن على رض وبشر على لفظ المبنى للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور
المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرنى بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى
عتق اولهم لانه هو الذى اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرنى اخبرنى عتقوا
جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه
واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ
المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه
قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء
وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتينى والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل
العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اى فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد
وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان
يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس
وان يراد بعضه لا الى الواحد لان وزانه فى تناول الجمعية فى الجنس وزان المفرد فى تناول
الجنسية والجمعية فى جمل الجنس لا فى وحدانه فان قلت ما المراد بهذا المجموع مع اللام
قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة فى الدين على حسب حال المؤمن فى مواجب التكليف

والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقى جنة سحقا
اى نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التى هى المرة
من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من
الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف فى ذلك والذى يقول انها مخلوقة يستدل
بسكنى ادم وحواء الجنة وبمجيئها فى القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبى
والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار
الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل
طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط فى استحقاق الثواب بالايمان والعمل
الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجدهما من
فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل
الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز فى العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله
عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده
احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت
ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان
اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جرى الانهار
من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار
الجنة تجرى فى غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار
فى خلالها مطردة ولولا ان الماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنات
والرياض وان كانت آنق شئ واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية
والنشاط حتى يجرى فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت
كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حيوة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار
الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على
سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر
مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى الى الانهار من
الاسناد المجازى كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات
وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول
لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التى فى
علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس
شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه الاية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ
محذوف او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار
تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها
اشباه ثمار جنات الدنيا اى اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت

ما معنى من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة
موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من اى ثمرة كانت من تفاحها او رمانها
او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق
قد ابتدأ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان
فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره
ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ
من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع
من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد
انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل
هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه
في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها
وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته فان قلت الى م
يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما اى بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى
المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاى غرض تتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما
بال ثمر الجنة لم تكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا
رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد
وتقدم له معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا
افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار
الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا
يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى
لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق
الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده
ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر
للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق
بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي
الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم و
يستدعي تبجحهم في كل اوان وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال
كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا
ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه
من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها
ثم يؤتى بالاخرى فيقول هو الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف

وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي
بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك
والتفسير الاول هو هو فان قلت كيف موقع واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك
فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا
اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة
للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما
لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع
وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما تأخذن من اعراق السوء
والمناصب الردية والمناشي المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان
قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن
وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان
تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات
وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به
اطهرة اى فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست
في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين
ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله
تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس الا انعم صباحا ايها
الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت
باوجال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون
انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا وما يضل به الا الفاسقين سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل
العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس
بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع
الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به
مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذن
الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية
الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان
بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال
احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب
واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم تستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل
استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه
محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه وليبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل
على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق

الذي لا تحوم الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل
على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان
حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا
عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين
في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور
واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم
قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد من
جرادة واضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ
البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة
وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما
لا تغبى استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له
متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع
الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن
وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما
يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما
يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت
هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا
فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد
في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف
والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي
اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل
مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه
حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من
يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي
رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال
وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت
الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني
فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة
ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل
واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه
واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن
بسبت في اناء من الورد وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي
بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل

اعتماده

اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته
شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتأكيد كالتي في قوله
فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا انتصب بعوضة
فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما
حذف في تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام
لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد
ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب
ما دينار وديناران والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد وحقارة شأنها بما لا شيء اصغر
منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ او بما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده
بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد ألمّ به قوله تعالى
ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ
العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب
في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف
بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين
مجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال
بعضه البعوض وانشد لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه
بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك
الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت
فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو
فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد
عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شيء فقال فلان
بخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل
فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين
ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي
بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او
عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما
الشوكة وتجاوزها في القلة وهو نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المؤمن
من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة
واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي
النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد

ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما
رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحادة الا تحركها فاذا سكنت
فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة
تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل
في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في
الزمان الاول واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل
توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب
وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه وتفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان لكونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين
به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد
بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء وماذا فيه
وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين
اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته
وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول
مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما
رأيت خيرا اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رأيت خيرا اي رأيت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسئلونك
ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت
الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها
يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان للباري مثل صفة
المريد منا التي هي القصد وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته
لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير
في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت
عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن
اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او
على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير
والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به
كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى
نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فان قلت
لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس
كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين
يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين

كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ان الكرام كثير في البلاد
وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما
ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار انه دخل
على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه
فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه
وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون
والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج
عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا
ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن
في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن
والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة
لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من
بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون
النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من
حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه
قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى
ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن
ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه
قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم
تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش والعهد
الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق
منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار
جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر
وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ
الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا
ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل
لعيسى صلوات الله عليه ساانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريته اياهم من الايات وما
انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنعه
للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف انزل بأسه ونقمته بالذين
غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله
عليهما وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا تسفكوا
دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود

العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية ادم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك
وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه
انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز
ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من اياته وكتبه
وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل
قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض
فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد
الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به
بالمصدر كانه مأمور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد يقال شأنت شانه اي قصدت
قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح و
عقابها بثوابها كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون
معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى
الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان
قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل
مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر
والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته
في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم
قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار
حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية
وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد
علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من
الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال
فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام
الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا
الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في
اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم
فان قلت بعض القصة ماض وبعضه مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان
يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا
قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة وباولها واخرها
فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه
صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن

لانكار

لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان
اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت
قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا
ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم
جمادا وانما يقال ميت فيما تصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة
ميتا واية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان
لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في
القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان
العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ
واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور
تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا
متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها مشتملة
على ايات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان يشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين
جميعا لان ما عدده ايات وهي مع كونها ايات من اعظم النعم هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم
اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجايب الصنع
الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله
على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة
البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش
والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي تصح ان ينتفع بها
ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع
بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت
ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز
ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول
الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم
قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير
قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد
فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في
فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء
في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن و
تقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا
مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم
فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة

قلت ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي
في الوقت كقوله ثم كان من الذين امنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترض
لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها قصدا
اخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلت لا لان جرم الارض
تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت
المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون واذ نصب باضمار
اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل في جمع شمال
والحاق التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما
قولك في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف
غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته فان قلت
فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما
يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك
وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان ادم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي
انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال و
يجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت
استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم
ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان
يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير
فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار الله او من
جهة اللوح اذ ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا
على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة
وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول
اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه
من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال
اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن
من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا
بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي
عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم ادم الاسماء
كلها واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس
من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر

وعاذر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف
اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام
كقوله واشتعل الرأس فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وان الاصل وعلم ادم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات
لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء
لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى
تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه
بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية
ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات
العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين
يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن
يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا
فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما
انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون
الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم ادم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله
عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء
وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة
لادم وابوا يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة
اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة
كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة
مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل
منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم
فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك
الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين السكنى من السكون
لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا
وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما
اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض
الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة
واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة
وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن

ابى عمرو وانه كرههما وقال يقرأ بهما برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية
الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما الضمير في
عنها للشجرة اى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن
هذه مثلها فى قوله وما فعلته عن امرى وقوله يهنون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة
بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عنى ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر
كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة فى عنها
وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت
وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها
فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع
ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل
قام عند الباب فنادى وروى انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى دخلت
به وهم لا يشعرون وقلنا اهبطوا قيل اهبطوا خطاب لادم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح
انه لادم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس
كلهم والدليل عليه قوله قالا اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع
هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادى والتباغى
وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض ولكم فى الارض مستقر موضع استقرار او
استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت فتلقى ادم من ربه كلمات
معنى تلقى الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب ادم ورفع
الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا
ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر
الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فى
الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكنى جنتك
قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعى انت الى الجنة قال نعم فتاب عليه انه هو التواب الرحيم
واكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن
والسنة لذلك وقد ذكرها فى قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول
قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا
قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم منى هدى فان قلت ما جواب الشرط
الاول قلت الشرط الثانى مع جوابه كقولك ان جئتنى فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما
يأتينكم منى هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا
باياتنا فى مقابلة قوله فمن تبع هداى فان قلت فلم جئ بكلمة الشك واتيان الهدى كائن

لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال
الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من
العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التى اهبط بها
ادم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها
من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغى و
العصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة
باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التى هى اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما
جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته
فى اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها
ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدى على لغة هذيل فلا خوف بالفتح يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى
التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه فى لسانهم
صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابرهيم واسمعيل غير منصرف لوجود العلمية والعجمة
وقرئ اسرائل واسرائل وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها
ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على ابائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه
ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك
زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به فى التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد
جميعا يقال اوفيت بعهدى اى بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك
اى بما عاهدتك عليه ومعنى اوفوا بعهدى واوفوا بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى والطاعة
لى كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياى فارهبون فلا تنقضوا
عهدى وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد فى افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ
اوف بالتشديد اى ابالغ فى الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان
يريد بقوله واوفوا بعهدى ما عاهدوا عليه من الايمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه
قوله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به اول من كفر به او اول فوج
او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اى كل واحد منا
وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا
المبشرين بزمان من اوحى اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه
اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به
يعنى من اشرك به من اهل مكة اى ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا فى التورية موصوفا
مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير فى به لما معكم لانهم اذا كفروا بما
يصدقه فقد كفروا به ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون والاشتراء استعارة

للاستبدال لقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا وقوله فاني
شريت الحلم بعدك بالجهل يعني لا تستبدلوا باياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن
القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه
فاستبدلوها وهو بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه
حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون
اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع وكان
ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا ولا تلبسوا الحق بالباطل الباء التي في بالباطل
ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته كان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس
منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة
كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه
وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع
اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت
لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد
كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التورية ما ليس منها
وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك ويكتبوه على خلاف ما هو
عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون
وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين
وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد
لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلي
مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين اتامرون
الناس بالبر الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر
لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر
من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا
على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم
بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت
مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم او فيها الوعيد
على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح
ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان
العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على
حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين
لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب
والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات

يسال

لِيَسْأَل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او
واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم
وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته
وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل
لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء
الى الله تعالى في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي
امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من
قولك كبر علي هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل
قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله
يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون
بيتيقنون واما من لا يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه
كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنايع اجرة زائدة على
مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ
مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه
الخشعة الرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا
لينته يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واني فضلتكم
نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله تعالى
باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها
شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول
به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ ولا
تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار
الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين
العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي
تروحي اجدر ان تقيلي اي مكانا اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري مجرى
المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا
من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك
قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا
تقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل

للفاعل وهو الله عز وجل ونصبا للشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباهم الانبياء يشفعون
لهم فايسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي
نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل
للعصاة فان قلت الضمير في لا تقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير
المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم
تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا و
لو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس
الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس واذ نجيناكم من آل فرعون اصل
آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك
واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم
وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد
جاء موسى الكليم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا
ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم
عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يريد قبحهما ومعنى
سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون
قول الذين كفروا من قبل وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ
عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على
يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء
واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت
فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا بمعنى فصّلنا يقال فرق بين الشيئين وفرّق بين الاشياء لان المسالك
كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا
يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد
فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى
اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم
فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على
الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه
لا تشكون فيه واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل لما دخل بنو اسرائيل
مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه
التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها

بالليالي وقرئ وعدنا لان الله وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد
مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم
الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم واذ آتينا
موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق
والباطل يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله
تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا و
ضياء وذكرى او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات
او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه
وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه
هو التواب الرحيم حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا
وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره و
قريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا
ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد
طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون
وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار
من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا
غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم
من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى
فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في
قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا
من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم
فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا
من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة
والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم
بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل
في الغباوة والبلادة وامثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره
بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك
وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله قيل
القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من
قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت
بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل
الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما

جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى رادّهم القول وعرّفهم ان رؤيته ما لا يجوز عليه
ان يكون في جهة محال وان من استجاز الرؤية على الله فقد جعله من جملة الاجسام والاعراض
فرادّوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجّوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلّط الله عليهم
الصعقة كما سلّط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة .
فاخذتكم الصاعقة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم
وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسّها فخرّوا صعقين ميتين يوما
وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر
انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وقرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة
ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت ونعمة الله بعد ما كفرتموها
اذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظلّلنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم
المنّ والسلوى وجعلنا الغمام تظلّلكم وذلك في التيه سخّر الله لهم السحاب تسير بسيرهم تظلّهم
من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المنّ
وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب
فتحشر عليهم السلوى وهو السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا من طيبات ما رزقناكم على
ارادة القول وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا
فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث
شئتم رغدا وادخلوا الباب سجّدا القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها
بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبّة التي كانوا يصلّون اليها وهم لم يدخلوا بيت
المقدس في حياة موسى عليه السلم امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا
وقيل السجود ان ينحنوا ويتطأمنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب
ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحّفين على اوراكهم وقولوا حطّة نغفر لكم خطاياكم
حطّة فعلة من الحطّ كالجلسة والركبة وهو خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطّة او امرك
حطّة والاصل النصب بمعنى حطّ عنا ذنوبنا حطّة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله
صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل
وقيل معناه امرنا حطّة اي ان نحطّ في هذه القرية ونستقرّ فيها فان قلت هل يجوز ان
تنصب حطّة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود
ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ تغفر لكم على ارادة البناء للمفعول
بالتاء والياء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة
ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اي
وضعوا مكان حطّة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى
قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو
لفظ الحطّة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو
قالوا مكان حطّة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان

حطّة

حطّة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطّا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا
عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء
بما كانوا يفسقون وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم
وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء و
روي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى
موسى لقومه فقلنا عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر
واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله موسى وكان حجرا
مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى
السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه
آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع
عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففرّ به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا
الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال
له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة
وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما
نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه
متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلّمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام
وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع
على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت منه اثنتا
عشرة عينا الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا
في فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين و
بفتحها وهما لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا
على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المنّ والسلوى ومن ماء العيون
وقيل الماء تنبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل ويشرب ولا تعثوا في الارض مفسدين
والعثيّ اشدّ الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه
واذ قلتم يا موسى لن نصبر كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة
وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المنّ والسلوى فان
قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف
ولا يتبدّل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدّة يداوم عليها كل يوم لا يبدّلها قيل لا يأكل
فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدّل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب
واحد لانهما معا من طعام اهل التلذّذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد
الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك فادع لنا
ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ومعنى يخرج
لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي يأكلها

الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وفومها وقثائها بالضم والفوم الحنطة
ومنه فوموا لنا اى اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قرأة ابن مسعود رضى الله عنه وثومها
وهو للعدس والبصل اوفق قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير الذى هو اقرب
منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو دانى المحل
وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة
والعلو وقرأ زهير الفرقبى ادناء بالهمزة من الدناءة اهبطوا مصرا فان لكم ما
سألتم وقرئ اهبطوا بالضم اى انحدروا عليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل
به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهى اثنا عشر
فرسخا فى ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف
والتأنيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد
فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفى مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش
اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب وضربت عليهم
الذلة والمسكنة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون فى القبة
من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه
فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم
خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباؤ بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان
حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته اى صاروا احقاء بغضبه ذلك بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة
والمسكنة والحلاقة بالغضب اى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود
شعياء وزكرياء ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق
فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوه بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا
فى الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا
من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ على رضى الله عنهم ويقتلون
بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب ارتكابهم انواع المعاصى
واعتدائهم حدود الله فى كل شئ مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم
فى السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم
واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل
الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطأة القلوب
وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل فى اليهودية
وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة
قال نصرانة لم تحنف والياء فى نصرانى للمبالغة كالتى فى احمرى سموا لانهم نصروا المسيح
والصابئين وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية
وعبدوا الملائكة من آمن بالله واليوم الآخر من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا

ودخل فى ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فلهم اجرهم الذى يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن
قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف
عليه فخبر ان فى الوجه الاول الجملة كما هى وفى الثانى فلهم والفاء لتضمن معنى الشرط
واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما فى التورية ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق
وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة
فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال
لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا
عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم
توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم
للتوبة لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك فى المعاصى او بالخبط والضلال فى فترة من الرسل
وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا ولقد علمتم الذين
اعتدوا منكم فى السبت السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم
اعتدوا فيه اى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك
ان الله تعالى ابتلاهم فما كان يبقى حوت فى البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى
تفرق كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم
فحفروا احياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم
الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين خبران اى كونوا
جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعنى المسخة نكالا عبرة تنكل
من اعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من
الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من
الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة
لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم
عن الاعتداء من صالحى قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان
تذبحوا بقرة كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه فطرحوه على باب مدينة
ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله
قالوا اتتخذنا هزؤا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ فى مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين
وهزءا بسكون الزاء نحو كفؤا وكفءا وقرأ حفص بضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ
من واد واحد قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى وفى قرأة عبد الله سل لنا ربك ما هى سؤال عن حالها وصفتها
وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة
الشأن الخارجة عما عليه البقر قال انه يقول انها بقرة لا فارض والفارض المسنة وقد فرضت
فروضا قال خفاف بن ندبة لعمرى لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل

وكأنها سميت فارضا لانها فرضت سنها اى قطعتها وبلغت آخرها ولا بكر والبكر الفتية عوان
بين ذلك والعوان النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين
فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه فى معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر
من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر
قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار فى الكلام كما جعلوا فعل نايبا عن افعال
جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له
ما احسن ذلك وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة فى هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله فيها
خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد
والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك وتلك والذى حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها و
جمعها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع فافعلوا ما تؤمرون
اى تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم
تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال فى التوكيد اصفر فاقع
وورس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحى واخضر ناضر ومدهام
واورق خطبانى وارمك ردانى فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء
قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل
واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها
فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واى فائدة فى ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان
اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكانه قيل شديد الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك
مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها تسر الناظرين
والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا
صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصرى صفراء فاقع لونها سوداء شديدة
السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سواد الابل سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله جمالات صفر
وقال الاعشى تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هى مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا
بيانا لوصفها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن
شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان
يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدأ فقال ان قلت لك
بقطع الشجرة سالتنى باى نوع منها ابدأ وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطى فلانا
شاة سالتنى اضائن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء
ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعنى وفى الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شيء
لم يحرم فحرم من اجل مسألته ان البقر تشابه علينا اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثير فاشتبه علينا وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها فى الشين

وتشابهت ومتشابهة ومتشبهة وقرأ محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد
وانا ان شاء الله لمهتدون جاء فى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اى لو لم
يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفى علينا من امر
القاتل قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث لا ذلول صفة لبقرة
بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هى من النواضح التى يسنى عليها
لسقى الحروث ولا الاولى للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير
وتسقى على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ ابو عبد الرحمن
السلمى لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اى حيث هى وهو نفى لذلها ولان توصف به فيقال هى
ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اى فيهم او حيالهم وقرئ تسقى بضم التاء
من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله او
معبر الظهر ينبى عن وليته ما حج ربه فى الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له كذا
اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان لاشية فيها لا لمعة فى نقبتها من لون آخر
سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا
وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشى القوائم قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة
وصف البقرة وما بقى اشكال فى امرها فذبحوها اى فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف
كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم
لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهى سؤالاتهم وما
كان ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف
الفضيحة فى ظهور القاتل وروى انه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة
وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر
واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك
بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التى تناولها
الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات ذبحها المخصوصة
فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل
الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها
ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد
التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم فيها
لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اى يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم
على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح فى نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا
عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه
مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو فى معنى المضى قلت قد حكى ما كان مستقبلا فى وقت
التدارء كما حكى الحاضر فى قوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وهذه الجملة اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير فى اضربوه اما ان يرجع الى النفس

والتذكير على تأويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون بعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى وروي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم اياته ودلائله بمعنى انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم **فان قلت** هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها **قلت** في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكان الاداء الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة **فان قلت** فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها **قلت** كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استيناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه

ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة **فان قلت** لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب **قلت** لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام الفارقة ومنها قوله تعالى وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منه الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا وان منها لما يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الياء من خشية الله والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وما الله بغافل عما تعملون وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود الذين آمنوا قالوا قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من صفة محمد او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان

ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية
الا امانى وان هم الا يظنون الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم و
لا يؤاخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار
لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على
التقليد قال اعرابى لابن دأب فى شىء حدث به اهذا شىء رويته ام شىء تمنيته اى اختلقته
وقيل الا ما يقرؤن من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة والاشتقاق من منى اذا قدر لان
المتمنى يقدر فى نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارى يقدر ان كلمة كذا بعد
كلمة كذا والا امانى من الاستثناء المنقطع وقرئ امانى بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا
بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم فى الضلال سواء
لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامى ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من
العلم فويل للذين يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن
ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا
قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون من الرشى وقالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودة اى اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون
مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل أتخذتم عند الله
عهدا فلن يخلف الله عهده فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام اما ان يكون معادلة بمعنى اى الامرين
كائن على سبيل التقرير للعلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون منقطعة بلى من كسب
سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلى اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله
لن تمسنا النار اى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات
يعنى كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص
عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل فى الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسأل
رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدرى ما الخطيئة انظر فى المصحف
فكل اية نهى الله فيها عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهى الخطيئة المحيطة واذ
اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى
والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة لا تعبدون اخبار فى معنى النهى
كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهى لانه كأنه
سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابى لا تعبدوا ولا بد
من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر
وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بنى اسرائيل اجراء له مجرى
القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع
كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان

لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا كانه قيل اخذنا ميثاق بنى
اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو
حسن فى نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة
الالتفات اى توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم
وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية واذ اخذنا ميثاقكم لا
تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم لا تفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل
نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم
بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا
شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم
واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعنى انكم قوم آخرون
غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذى
خرجت به وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم
والعدوان بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون
بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اى تتعاونون
عليهم وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم
واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون
ببعض الكتاب اى بالفداء وتكفرون ببعض اى بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا
حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا
ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت
كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيى
ان نذل حلفاءنا فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا والخزى قتل بنى قريظة
واسرهم واجلاء بنى النضير وقيل الجزية ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله
بغافل عما تعملون وانما رد من فعل ذلك منهم الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ
تردون وتعملون بالتاء والياء اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم
احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الاخرة ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل
واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم
استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون الكتاب التورية آتاه اياها جملة واحدة ويقال قفاه
اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعنى وارسلنا على اثره الكثير من الرسل
كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمن وشعيا وارميا
وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع
ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة

قلت لم لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت
في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وايدناه ومنه آجد بالجيم اذا قواه يقال
الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما
تقول حاتم الجود ورجل صدق فوصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص
والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل
بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره
والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم
عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز
ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه
على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان
الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم
بعد لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه
السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا قلوبنا غلف
بل لعنهم الله بكفرهم غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها
ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول
الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر
الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي يكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا
ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان يكون
القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن
مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين ولما جاءهم كتاب
من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا لمخالفه وقرئ مصدقا على الحال
فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصفت النكرة تخصص فصح انتصاب
الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف هو نحو كذبوا به
واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون
على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد
نعته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم
كالسين في استعجب واستسخر او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما
عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين
اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد

ويجوز

ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما
انزل الله بغيا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم و
المخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة
اشتروا ان ينزل اي لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله
الذي هو الوحي على من يشاء من عباده وتقتضي حكمته ارساله فباؤا بغضب على غضب فصاروا
احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد
قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم وللكافرين عذاب مهين
واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا
مقيد بالتوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو
الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة
فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء
مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء ولقد جاءكم موسى بالبينات
ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون
العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع
الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك
فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم
سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه
والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله يأكلون
في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة
عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانكم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تأمرك وكذلك
اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له قل
ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة
والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار
ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين
في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط
ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا
افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقى الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد
من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان
بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم بما
اسلفوا من موجبات النار كالكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان

وقوله ولن يتمنوه ابداً من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان
قلت ما ادريك انهم لن يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان
ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولى المطاعن فى الاسلام اكثر من الذر وليس احد منهم نقل
ذلك فان قلت التمنى من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا
قلت ليس التمنى من افعال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا اذا قاله قالوا تمنى
وليت كلمة التمنى ومحال ان يقع التحدى بما فى الضمائر والقلوب ولو كان التمنى بالقلوب وتمنوا
لقالوا قد تمنينا الموت فى قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا
انهم لا يصدقون قلت كم حكى عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف
كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ومما لا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا
فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمنى من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا
صادقين فى قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال
ان يكون كاذباً لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم
احرص الناس هو من وجد بمعنى علم المتعدى الى مفعولين فى قولهم وجدت زيداً ذا الحفاظ
ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد حيوة مخصوصة
وهى الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابى على الحيوة ومن الذين اشركوا
يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون
ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم
يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان
يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين
اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم
فاذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقاً باعظم التوبيخ فان قلت
لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار
لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم
عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زه هزار سال وقيل ومن الذين
اشركوا كلام مبتدأ اى ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له
مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير فى
وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل
الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهماً وان يعمر
موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان
لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو
حكاية لودادتهم ولو بمعنى التمنى وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله
يود احدهم كقوله حلف بالله ليفعلن قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله
مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين روى ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك

خاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحى فقال جبرئيل فقال ذاك
عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مراراً واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاماً مسكيناً فدفع عنه جبرئيل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اى حق تقتلونه وقيل امره الله ان
يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا وروى انه كان لعمر رضى الله عنه ارض باعلى المدينة و
كان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا
لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لانى شاك فى دينى وانما ادخل عليكم لازداد
بصيرة فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره فى كتبكم ثم سألوا عن جبرئيل فقالوا ذاك عدونا
يطلع محمداً على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجئ بالخصب والسلام فقال
لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو
لجبرئيل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدواً لاحدهما
كان عدواً للآخر ومن كان عدواً لهما كان عدواً لله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحى
فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رايتنى فى دين الله بعد
ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة
وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل
ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله والضمير فى نزله للقرآن ونحو
هذا الاضمار اعنى اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته
كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شئ من صفاته على قلبك اى حفظه اياك
وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبى قلت
جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولى من كان عدواً لجبرئيل
فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان
احدهما ان عادى جبرئيل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتاباً مصدقاً للكتب
بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه فى انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم
والثانى ان عاداه احد فالسبب فى عداوته انه نزل عليك الكتاب مصدقاً لكتابهم وموافقاً
له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له
كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه من كان عدواً لله وملائكته ورسله و
جبرئيل وميكائيل افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير
فى الوصف ينزل منزلة التغاير فى الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل
وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جنى العرب اذا نطقت بالاعجمى
خلطت فيه فان الله عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم
لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفراً فما بال الملائكة وهم اشرف
والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العذاب ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر
بها الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى

وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون
للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا
بالآيات البينات وكلما عاهدوا عهدا وقرأ ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقون
بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة
وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق
منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدوا رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة نبذه والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم
وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء
فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون كتاب الله يعني
التورية لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون بها
نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه
كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه
وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه و
قلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان
ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني اتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت
تقرأها على ملك سليمن اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون
السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب
يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمن عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم
الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمن ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس
والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمن تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمن من
اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه
يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا
اي واتبعوا ما انزل وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما
هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه
لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى
قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرأ الحسن على الملكين
بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان من احد حتى يقولا
وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار
من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد

اي فيتعلم الناس منهما من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا
في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك
والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعليم الفلسفة التي
لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا لمن اشتريه ولقد علم هؤلاء اليهود ان من اشتريه اي
استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به
انفسهم اي ما باعوها وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد
ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما
اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا
وقرأ طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسره مع الهمزة والمر بالتشديد
على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم
بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى
احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزأ من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله
ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو
كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم آمنوا واتقوا ولو انهم
آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين
لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه
وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية
في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستمرارها كما عدل عن النصب
الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت هلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء
من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن
ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله يا ايها
الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه
ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول
المؤمنين افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا
بما في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ
وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا
بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع
ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع
ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا
الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود

حيث قالوا سمعنا وعصينا أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تأكيداً عليهم ترك تلك الكلمة وروى ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب أليم ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيراً ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها روي أنهم طعنوا في النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وننسخ بضم النون من أنسخ وننسأها وقرئ ننسها وننسّها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية أو ننسكها ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها الأمر بنسخها وهو أن يأمر جبرئيل بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها وإذهابها لا الى بدل وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى أن كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معاً أو من إزالة أحدهما الى بدل أو غير بدل نأت بآية خير منها للعباد أو بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فهو يملك أموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله ألم تعلم أراد أن يوصيهم بالثقة به بما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم مما اقترحته آباء اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالاً عليهم كقولهم اجعل لنا الهاً أرنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالإيمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق روي فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا وهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً فقال عمار كيف نقض العهد فيكم فقالوا شديد

قال فاني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخواناً ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبتما خيراً وأفلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند أنفسهم قلت فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بود على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق وإما أن يتعلق بحسداً أي حسداً متبالغاً منبعثاً من أصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بأمره الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لأنفسكم من خير من حسنة صلوة أو صدقة أو غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى الضمير في وقالوا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله وأمناً من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هوداً أو نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هوداً على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين فيها وقرأ أبي بن كعب الا من كان يهودياً أو نصرانياً فان قلت لم قيل تلك أمانيهم وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة قلت أشير بها الى الأماني المذكورة وهي أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفاراً وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه يريد أن أمانيهم جميعاً في البطلان مثل أمنيتهم هذه والأمنية أفعولة من التمني مثل الأضحوكة والأعجوبة قل هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى أحضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من أسلم وجهه لله من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فله أجره الذي يستوجبه فان قلت من أسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز أن يكون بلى رداً لقولهم ثم يقع من أسلم كلاماً مبتدأ ويكون من متضمناً لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلاً لفعل محذوف أي بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاماً معطوفاً على يدخلها من أسلم

وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء يصح
ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق
اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ان ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء
وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم
والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر
بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة
في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الذين لا
يعلمون مثل قولهم قال الجهلة الذين لا علم لهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم
قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك
من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود
فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل
وقالت النصارى نحوه وكفروا بموسى والتورية فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب
الذي استحقه وعن الحسن البصري حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع
مساجد الله ان يذكر فيها اسمه ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما
منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع أن ولك ان تنصبه
مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله
مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس
ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت كيف قيل
مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت
لا بأس بان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم
ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن
شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما
اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك
المانعون ما كان لهم ان يدخلوها ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال
التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا
المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان
لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها
الا خائفين وروي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال
قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان
وقرأ عبد الله خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة

ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من
الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله لهم في الدنيا خزي
ولهم في الآخرة عذاب عظيم خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية
ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها
ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل
قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي
جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس
فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان
التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان
ان الله واسع واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن
ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم
فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء
والذكر ولم يرد الصلوة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا
القبلة وقالوا اتخذ الله ولدا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن
الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض
هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع
شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد
ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض
ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون
لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت
هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا بديع السموات والارض يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك
بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي
بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة
الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون من كان التامة
اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثمة كما لا قول في قوله اذا قالت
الانساع للبطن الحق والمعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت
الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا
يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من
القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا
على انه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقالت
الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله
هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا وعتوا او تأتينا آية جحودا لان يكون

مما آتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت
قلوبهم أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله أتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون
لقوم ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها
إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان وهذه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لأنه كان يغتم ويضيق صدره لإصرارهم
وتصميمهم على الكفر ولا تسئل ولا نسألك عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت
وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على
النهي روي أنه قال عليه السلام ليت شعري ما فعل أبواي فنهي عن السؤال عن أحوال الكفرة
والاهتمام بأعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان
سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن
يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يا مستخبر لا
تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الأولى
قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة أبي وما تسأل ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا
إقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم في الإسلام فحكى الله تعالى كلامهم
ولذلك قال قل إن هدى الله هو الهدى على طريقة إجابتهم عن قولهم يعني أن هدى الله الذي
هو الإسلام هو الهدى بالحق والذي يصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى
وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى ألا ترى إلى قوله ولئن اتبعت أهواءهم
أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم من الدين المعلوم صحته بالبراهين
الصحيحة ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك
يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فأولئك هم الخاسرون حيث اشتروا
الضلالة بالهدى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم
ينصرون وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات اختبره بأوامره ونواهيه واختبار الله عبده
مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون
منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن عباس إبراهيم
ربه رفع إبراهيم ونصب ربه والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن
أم لا فإن قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به إضمار
قبل الذكر قلت الإضمار قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه إبراهيم فأما ابتلى إبراهيم ربه أو
ابتلى ربه إبراهيم فليس واحد منهما بإضمار قبل الذكر أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل
الضمير ذكرا ظاهرا وأما الثاني فإبراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه إبراهيم
فإن الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل إلى صحته والمستكن في فأتمهن في أحد

القراءتين

القراءتين لإبراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان
ونحوه وإبراهيم الذي وفى وفي الأخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا و
يعضده ما روي عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد
آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فإن قلت ما العامل في إذ
قلت إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلى أو وإذ ابتلاه كيت وكيت وإما قال إني جاعلك فإن قلت
فما موضع قال قلت هو على الأول استئناف كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات
فقيل قال إني جاعلك للناس إماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز أن يكون
بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع
قواعده والإسلام قبل ذلك في قوله إذ قال له ربه أسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس
الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان
والاستحداد والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقيل ابتلاه من شرائع الإسلام
بثلاثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات
وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك
الحج كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكواكب والقمر
والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والإمام اسم من يؤتم به على زنة الإمام كالإزار
لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم قال ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل
بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا قال لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون
أي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه وإنما ينال من كان عادلا بريئا
من الظلم وقالوا في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه
وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يفتي
سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه وحمل المال إليه والخروج معه على اللص
المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابني
بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول
في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة
لا يكون الظالم إماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة
فإذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم وإذ جعلنا
البيت والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار
يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم وأمنا وموضع
أمن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج
وقرئ مثابات لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى على إرادة القول أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة
تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى [illegible]

لفضله بالصلوة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعا ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه انه سال المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي للطائفين بان طهراه او ان طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين والركع السجود المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك **فان قلت** لم خص ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه **قلت** قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتداء متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه ثم اضطره فالزه الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك **فان قلت** فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة **قلت** في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي تدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله انما سأل الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر

ويجوز

ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطأ يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملئكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا قبلك هذا البيت بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبرئيل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني وكان اسمعيل يناوله الحجارة ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا **فان قلت** هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين **قلت** في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشأن المبين ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم **فان قلت** لم خصا ذريتهما بالدعاء **قلت** لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا مناسكنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او وعرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغاير او استتابا لذريتهما انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا عليه الصلوة والسلام قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب

القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر ارقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين بيان لخطاء رأي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ووصى بها ابرهيم بنيه وقرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن الا وانتم مسلمون معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلوته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه

الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات في الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال عليه السلام ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة ابن مسعود وقرأ ابي واله ابرهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفدينا بالابينا الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بأوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا بل ملة ابرهيم

بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل
بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى
اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين
باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا
حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي
اتباع ابرهيم وهو على الشرك قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم قولوا
خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل
وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته
والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة
يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون لا نؤمن ببعض
ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه
فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد
لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين
آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل
فان امنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مساويا
له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير
مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا
هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك
ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان لا يكون الباء
صلة ويكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان
بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ ابي بالذي
آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا في شقاق
اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا في طلب الحق في شيء او فان تولوا عن الشهادة والدخول
في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انجز
وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر
الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل
وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك
وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر
مؤكد منتصب عن قوله امنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة
من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل
فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير
لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم

قولوا امنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا
او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على
طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن
من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن
من صبغة الله وقوله ونحن له عابدون عطف على امنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان
صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم
واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه
والقول ما قالت حذام قل اتحاجوننا في الله وقرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى
اتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد
لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا
وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك ولا يختص به عجمي دون
عربي اذا كان اهلا للكرامة لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه
العبرة وكما ان لكم اعمالا لا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن
له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا
ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا
لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في
اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكم الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية
على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون
والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة قل انتم اعلم ام الله يعني ان
الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا
مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها
وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم
لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم
منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته
ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله
براءة من الله ورسوله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس الخفاف الاحلام وهم
اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على
الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن
الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار عن قولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان
مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من
توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش

السفهاء ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي بيت المقدس قل لله المشرق
والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم
وهو ما توجب الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك
جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط
الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام
وانطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه
الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل
والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت
بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه
اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من
بعض لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا روي ان الامم يوم القيمة يجحدون
تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد
صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار
الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم
قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه
قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل
لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون
الرسول شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا
وقدمت اخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم
بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد
وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا
لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب ان تستقبلها الجهة التي كنت
عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على
الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته
يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض
وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس
وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت
قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال

لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا
حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله
والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز
التابع من الناكص كما قال الله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم
به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت
لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان
يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في
اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي
ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم
ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل
من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة وعن ابن عباس لما وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا
فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج
انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم
على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها
لنعلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرأ ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي
لكبيرة بالرفع ووجهها ان يكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان
هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما
نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك في السماء تردد
وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه
ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم
ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك قبلة فلنعطينك
ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون
سمت بيت المقدس ترضيها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت
مشيئة الله وحكمته فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره شطر
المسجد الحرام نحوه قال واظعن بالقوم شطر الملوك وقرأ ابي تلقاء المسجد الحرام وعن البراء بن
عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه
الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى
الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة
واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين
وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته
لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل

على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
اى التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان فى بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه
يصلى الى القبلتين وما الله بغافل عما يعملون قرئ بالياء والتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل آية ما تبعوا قبلتك ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل
برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة
تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما فى كتبهم من نعتك انك على الحق
وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا
ان تكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة
وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعنى انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون فى شان القبلة لا
يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع
الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه
لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته فى عناده ولئن اتبعت اهواءهم من
بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة
حاله المعلومة عنده فى قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى
ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم
الفاحش وفى ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفضاع بحال من يترك الدليل بعد انارته
ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق **فان قلت** كيف قال وما انت بتابع قبلتهم
ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة **قلت** كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق
فكانتا بحكم الاتحاد فى البطلان قبلة واحدة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله
صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون
ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضى الله عنه انه سأل عبد الله بن
سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست
اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الاضمار وان لم يسبق
له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار
بانه لشهرته وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله
كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام **فان قلت** لم اختص
الابناء **قلت** لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقال فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين
قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف
اى هو الحق او مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان ان تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق
الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذى فى قوله ليكتمون الحق اى هذا الذى
يكتمونه هو الحق من ربك وان تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعنى ان الحق ما
ثبت انه من الله كالذى انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذى عليه اهل الكتاب فهو الباطل

فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك **قلت** يجوز ان يكون خبرا بعد
خبر وان يكون حالا وقرأ على رضى الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اى يكتمون
الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين فى كتمانهم الحق مع علمهم او فى انه
من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفى قراءة ابى ولكل قبلة هو موليها
هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اى الله موليها اياه وقرئ ولكل
وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك
لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد وليها
والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها
غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منهم يا امة محمد وجهة اى
جهة يصلى اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا
يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون فاستبقوا الفاضلات
من الجهات وهى الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت
بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضرى
المسجد الحرام ان الله على كل شئ قدير ومن حيث خرجت ومن اى بلد خرجت للسفر فول وجهك
شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المأمور به للحق من ربك وما الله بغافل عما
تعملون وقرئ يعملون بالياء والتاء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام و
حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة وهذا التكرير لتأكيد امر
القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى
الفصل بينه وبين البدا فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم
ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون
حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى
دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء **فان قلت** اى حجة كانت
تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين **قلت**
كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور فى نعته فى التورية **فان قلت**
كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين **قلت** لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى
لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه الى الكعبة التى هى قبلة ابرهيم واسمعيل
ابى العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك
ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن على رضى الله عنه الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه
ووقف على حجة ثم استأنف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لا يضرونكم
واخشونى فلا تخالفوا امرى وما رأيته مصلحة لكم ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون
ومتعلق اللام محذوف ومعناه ولاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم امرتكم بذلك
او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشونى لاوفقكم ولاتم نعمتى عليكم وقيل هو معطوف
على لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت

على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم فى الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اى كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائى يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم فى حيوتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله يعرض رزقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت فى حجم الذرة وقيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات بشئ قليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروى انه طفى سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هى قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل فى قوله بشئ ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم فى كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شئ او على الخوف بمعنى وشئ من نقص الاموال والخطاب فى وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعى الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اى رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهى العلامة اى من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة

فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف **فان قلت** كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما **قلت** كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا فى الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح فى ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف فى السعى فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك وكقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا هو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابى حنيفة رضى الله عنه انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شئ عليه وعند مالك والشافعى رضى الله عنهما هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وقرئ ومن تطوع بمعنى ومن يتطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفى قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا فى التورية من البينات من الايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس فى الكتاب فى التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين الا الذين تابوا واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم وبينوا ما بينه الله فى كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدى بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يعنى الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرا الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة والناس **فان قلت** ما معنى قوله والناس اجمعين وفى الناس المسلم والكافر **قلت** اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها فى اللعنة وقيل فى النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار اى لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد لا اله الا هو اله واحد فرد فى الالوهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفى غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى بجميع النعم اصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية

نعرف بها صدقك فنزلت ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان
كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس
بالذى ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض
بعد موتها وبث فيها من كل دابة فان قلت وبث فيها عطف على نزل ام احيا قلت الظاهر
انه عطف على نزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على نزل فاتصل
به وصارا جميعا كالشئ الواحد فكانه قيل وما انزل فى الارض من ماء وبث فيها من كل دابة
ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة به لانهم ينمون
بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح فى مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفى احوالها
حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب
المسخر بين السماء والارض سخر للرياح تقلبه فى الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لايات لقوم
يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن
النبى صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ
والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا امثالا
من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم
واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون
لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اى كما يحب الله على انه مصدر من المبنى للمفعول
وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اى يسوون بينه وبينهم فى محبتهم
لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
والذين امنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون
عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم
وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
او يأكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب
ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب الذين ظلموا اشارة الى متخذى الانداد اى ولو
يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شئ من العقاب
والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان
منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف
الجواب كما فى قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو
ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اى ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على
البناء للمفعول واذ فى المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا بدل من اذ يرون العذاب اى تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد
الاول على البناء للفاعل والثانى على البناء للمفعول اى تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا
العذاب الواو للحال اى تبرؤا فى حال رؤيتهم العذاب وتقطعت بهم الاسباب عطف على تبرأ
والاسباب الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع

والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا
منا لو فى معنى التمنى ولذلك اجيب بالفاء الذى يجاب به التمنى كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ
منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اى ندامات وحسرات
ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان
اعمالهم وما هم بخارجين من النار هم بمنزلته فى قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة فى دلالته
على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا
مفعول كلوا او حال مما فى الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان
فتدخلوا فى حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما فى الارض
ليس بمأكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت
الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة
من الخطو والخطوة ما بين قدمى الخاطى وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع
خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا
خفاء به انما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اى لا يأمركم بخير قط
انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد فى القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد
فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا
حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان
آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول
امرتنى نفسى بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه
ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى
ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على
طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا
الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا
واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم الواو
للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا
يهتدون للصواب ومثل الذين كفروا لا بد من مضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء او ومثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق والمعنى ومثل داعيهم
الى الايمان فى انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوى الصوت من غير القاء اذهان
ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت
بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعى كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم
الاصلخ الذى لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم
للحروف وقيل معناه ومثلهم فى اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التى لا تسمع الا

ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل «فانعق بضأنك يا جرير فانما * منتك نفسك في الخلاء ضلالا» واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم بكم عمي فهم لا يعقلون صم هم صم وهو رفع على الذم يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليها ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعادونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لا يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله

فمعناه فما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القران بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا ليس البر البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من امن بالله على تأويل حذف المضاف اي بر من امن او يتأول البر بمعنى ذي البر او كما قالت «فانما هي اقبال وادبار» وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القران لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القران على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذا الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الاية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن واخرج

والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رضي الله عنهم ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال الله عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة

جميلة

جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القران اي لكم في القران حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين فمن بدله

فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه
وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون
غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف
من موص فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع
والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية او اثما او تعمدا
للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع
فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل
بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان
الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم
لعلكم تتقون اياما معدودات لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها
او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه
السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم
شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل
فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه
في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء
والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء
وثلاثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان
وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم
نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل
كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا
ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة فمن كان منكم مريضا
او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل
الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح
للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر
فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان
وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع
المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه
الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي رضي الله عنه لا يفطر حتى
يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي
عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في
قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضى
كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل

فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة
بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤمر على عددها
فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين
لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل
العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه
فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق
اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه
بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى
يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت
الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو
معنى يطيقونه والثاني يتكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز
وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا
معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار
الفدية فهو خير له فالتطوع او الخير خير له وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع
الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم
ان كنتم تعلمون شهر رمضان الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف
اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة
الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت
الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة
شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا
اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض
الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما
جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان
فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال كما اعطى الطاسي حذيما اراد ابن
حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله
كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتداء محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان
او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن
ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى
الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر
كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان
وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس
وبينات من الهدى والفرقان نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات

واضحات مكشوفات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اى حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء فى فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج فى الدين وامركم بالحنيفية السمحة التى لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر فى السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين ولتكملوا العدة الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص فى اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فانى قريب تمثيل لحاله فى سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعى اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذا دعونى لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلى العشاء الاخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضى الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انى اعتذر الى الله واليك من نفسى هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك

يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اى احل الله وقرا عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شىء من ذلك فان قلت لم كنى عنه هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لمستم النساء دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدى الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدى اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم فى مباشرتهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم وعفا عنكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت فى اللوح من الولد بالمباشرة اى لا تباشروهن لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهى عن العزل لانه فى الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو داود فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثانى ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التى هى ابلغ من التشبيه وادخل فى الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان تدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج عن ان يكون استعارة فان قلت كيف التبس على عدى بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتى فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لى الابيض من الاسود فلما اصبحت

عدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا
وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك
عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته
وانشدتني لبعض البدويات لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط
شاربه فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من
الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود
فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل و
النهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة
لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم اذن الا الحقيقة وهي غير مراده قلت اما من
لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح
عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب
الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على
جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد
يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
فالان باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك
اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد
فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص
به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد
جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت
حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق
فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي
هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن
الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله
محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز
ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب
كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى
الحكام ولا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا
بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس
بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا

فان

فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا
ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى الحكام الى
على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق
وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ
يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم
الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ و
يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا تكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت
بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن
ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا
فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ
سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول
الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه
قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز
لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها
انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد
لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم
في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما
ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله
ثم قال واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون اي وباشروا الامور من وجوهها
التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان
جميع افعال الله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى
لا يسال عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون وقاتلوا
في سبيل الله المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين
يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا
المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس
من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا
مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما
صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من
قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش و
يصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم قتال الذين
يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا ان الله لا يحب

المعتدين بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين
بينكم وبينهم عهداً او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث
وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ
لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم
اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد
من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء
الكافرين اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض
الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن
التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعاً على النفس من قتل
بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك
انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد
واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم
اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم
فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان وقال فان تقتلونا
نقتلكم فان انتهوا فان الله غفور رحيم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصاً ليس للشيطان
فيه نصيب فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة
المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين
غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلماً للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد
انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم الشهر الحرام بالشهر
الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم
لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر
بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات
قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان
تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن
اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله و
لا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين الباء في بايديكم مزيدة مثلها في
اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم
وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده
اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف
في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك
الغزو الذي هو تقوية للعدو وروى ان رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس

القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا صحبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا
واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا
واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى
ابو علي في الحلبيات التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان
التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة
والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك
فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين
كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام
الحج ان تقف المطايا على خرقا واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي
لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روى ذلك عن علي وابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفراً كما قال محمد حجة كوفية وعمرة
كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة حلالاً وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء
من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا
امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع
جميعاً الا ان تقول الامر باتمامهما امر باداءهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة
والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا
ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روى انه قيل يا رسول الله العمرة
واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت
فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه
ان رجلاً قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعاً فقال هديت لسنة
نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج
ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار
ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل
كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من
الصلوة والدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فادخلهما معاً بمنزلة
قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تأمره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود
والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان
احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين
احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان
احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك
الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده
وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة رضي الله عنه كل منع عندنا

من عدو وكان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما
منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل
فما استيسر من الهدى فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى
جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدى وقرئ من الهدى بالتشديد جمع هدية كمطية ومطى
يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر
من الهدى من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدى المحصر قلت اذا كان
حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة رضي الله عنه يبعث به ويجعل للمبعوث على يد يوم
امار وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا وعندهما في ايام النحر فما استيسر
رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم حتى
يبلغ الهدى محله الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى الذي بعثتموه الى الحرم
بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب
ابي حنيفة رضي الله عنه فان قلت فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر
قلت كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة
اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه
وهو القمل او الجراحة ففدية من صيام فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلاثة ايام او
صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال
احلق راسك وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول
في نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق
ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرا الحسن او نسك بالتخفيف فاذا
امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع
بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع
بتقربه بالحج وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما
استيسر من الهدى وهو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رضي الله عنه ويأكل منه وعند
الشافعي رضي الله عنه يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز
ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فمن لم يجد الهدى فعليه صيام ثلاثة ايام
في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب
ابي حنيفة رضي الله عنه والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى
هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يصام الا بعد الاحرام بالحج
تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي
حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على
محل ثلاثة ايام كانه قيل فصيام ثلاثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما تلك عشرة

فان

فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد يجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن
او ابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم
الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط
به من جهتين فيتاكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد اخر وفيه
زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك
اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدى
وفي قراءة ابي فصيام ثلاثة ايام متتابعات ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام
ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام
عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن
والمتمتع من اهل الافاق فدمهما دم نسك يأكلون منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم
الذي هو وجوب الهدى او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت
فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة يقصر فيها
الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهيكم عنه في الحج وغيره
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى الحج
اشهر معلومات اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال و
ذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم
النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت
فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي
في غيرها وعند ابي حنيفة رضي الله عنه ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران
وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة اشهر معلومات
وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد
عشرون سنة او اكثر وانما راه في ساعة منها فان قلت فما وجه مذهب مالك وهو مروي
عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر
فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن
الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت
الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة
الى اخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات على
خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او
بتقليد الهدى وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه
يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب
والتنابز بالالقاب ولا جدال في الحج ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما
امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة

والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والاخير بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشرى فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكرى في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا فاذا افضتم من عرفات دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث قلت لا يخلو التأنيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك

لانها وصفت لابرهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبرئيل حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان يكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء عند المشعر الحرام والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها واذكروه كما هديكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احديهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناسي بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا

في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من ابائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين ربنا اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الاخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما لهذا الداعي في الاخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الاخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به يعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الاخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تأخروا فان قلت اليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل اثما ومنهم من جعل المتأخر اثما فورد القرأن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم على المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه

شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه اثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون ليعاقبكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الاخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى هو اشد الخصوم خصومة واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج منكم احد عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون

كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله ابن سلام انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرأ من التورية في صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروي ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون الا ان يأتيهم الله اتيان الله اتيان امره وبأسه كقوله امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل من الغمام جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب ونعمة الله آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت كم استفهامية او خبرية قلت يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زين للذين كفروا الحيوة الدنيا المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا

ويدل

ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او وهم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم فان قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول اوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس انه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه بالحق ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كأن قائلا قال كيف

كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما
اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين امنوا معه الى الغاية التى قال
الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك
ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفى هذه الغاية دليل على تناهى الامر
فى الشدة وتماديه فى العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم
واذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية فى الشدة التى لا مطمح وراءها الا ان نصر
الله قريب على ارادة القول يعنى فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ
حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه فى معنى
الحال كقولك شربت الابل حتى يجئ البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية يسئلونك
ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل و
ما تفعلوا من خير فان الله به عليم فان قلت كيف طابق الجواب السؤال فى قوله قل ما انفقتم
وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم
من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة
لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزلت وعن السدى هى منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هى فى التطوع كتب
عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على
وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هى اقبال وادبار كأنه فى نفسه كراهة
لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اى وهو مكروه لكم
وقرأ السلمى بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه
على سبيل المجاز كأنهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته
امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه
وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك يسئلونك
عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج
اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
ابن جحش على سرية فى جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن
عبد الله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة
الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد استحل
محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل
توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى سألك الكفار او المسلمون عن القتال فى الشهر الحرام

وقتال

وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفى قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين
استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اى اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن
القتال فى الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا
فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد
عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام و
كفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته
السرية من القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك
والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء فى به ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا
ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل
الجنة اى يقاتلونكم كى يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه
ان ظفرت بى فلا تبق على وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه
الى دينهم ويطاوعهم على ردة اليه فيمت وهو كافر فيمت على الردة فاولئك حبطت
اعمالهم فى الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لما يفوتهم باحداث
الردة مما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الاخرة
وبها احتج الشافعى رضى الله عنه على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت وعند ابى حنيفة رضى
الله عنه انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل
الله روى ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمى ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم
فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم عن قتادة هؤلاء خيار
هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب يسئلونك
عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس نزلت فى الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن
ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال ثم ان
عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن
ابن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد
ابن ابى وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه
انصارى بلحى بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم
بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر
انتهينا يا رب وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن
عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلاء لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعى فيه
لم تتبعنى وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف
بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذى لم يطبخ فان طبخ حتى

ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شرب ما دون السكر اذا
لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال
احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول
منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا
لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من
خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال
يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او
من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال
اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني اي يفعلون بي ما يفعل الياسر بالميسور فان قلت كيف صفة
الميسر قلت كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها
ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم
لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان
وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة
وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها
فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له
قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى
الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر
انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين اللعبتين
المشؤمتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن
ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما
اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر
والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل الى مطاعمهم
ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي
قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه
كثيرة ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون العفو نقيض
الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو مني تستديمي
مودتي ويقال للارض السهلة العفو وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من
ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال
هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله
يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والاخرة اما ان يتعلق
بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو اصلح لكم كما بينت

لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما
منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في
الاخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما ان
يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون
ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا
اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم
وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم
خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فاخوانكم هم اخوانكم في الدين
ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من
المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه
ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم
يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم
بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان
يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلفهم الا ما تتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد
مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تزوجوهن او ولا
تتزوجوهن والمشركات الحربيات والاية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا
لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها
ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا نخلو فقال ويحك
ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستأمره
فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد
مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم
وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين يدعون
الى النار اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين
الا المناصبة والقتال والله يدعوا الى الجنة يعني واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى
الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على
غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة
بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن
المحيض المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى
اي المحيض شيء تستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء في المحيض

فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم
يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس
فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول
الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك ساير اهل البيت وان استأثرنا
بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم
باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون
بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء
خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن
الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عايشة ان عبد الله بن عمر سألها هل
يباشر الرجل امرأته وهي حايض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى
زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حايض قال
لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص
من هذا عن عايشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك ولا تقربوهن حتى يطهرن
وقرئ تطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن
ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القرائتين مما يجب العمل
فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض
لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى ان لا يقربها حتى تطهر وتتطهر
فيجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله
من المأتي الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من
ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين
الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة
الحايض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم مواضع حرث
لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور
وقوله فأتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فأتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها
من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان
يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله
فأتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها
في كلام الله اداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم
ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها
كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت
وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه و
قيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي واتقوا الله فلا تجترؤا على المناهي واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم

بترك القبايح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت
موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتي الذي
امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض
الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتي الذي يتعلق
به هذا الغرض فان قلت ما بال يسئلونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا
قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف
لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف
الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق
والسؤال عن كذا وعن كذا ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين
الناس والله سميع عليم العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما
تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا
منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني
عرضة للوائم ومعنى الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم
او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني
فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا
لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر
عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم
اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم
تعلقت اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا و
يجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من
اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي
ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله
معرضا لايمانكم فتبتذلوا بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف
مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها ولان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق
به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام و
غيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط
الذي لا يعتد به من الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان
يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب
لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم

سمعتك تحلف في المسجد الحرام لا تنكر ذلك وكلّه قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدّي بمن وهو معدّى بعلى قلت قد ضمّن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابرهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطئ ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤ فان فاؤ في الاشهر بدليل قرأة عبد الله فان فاؤ فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان فاؤ وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاؤ وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصّل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة فكانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما

زاده

٦٥

زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصيل في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فان قلت فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضايعة لا يضاجعهن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القروء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب ثلثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرأ الزهري ثلثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حايض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظايم وبعولتهن احق بردهن والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة مصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق برجعتهن وفي قرأة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها قلت المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا

لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضادتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من
الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات
الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه
والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت
ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة والله
عزيز حكيم درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة
بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم
اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم
يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين
اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك
ودواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون
بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي
علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اي برجعة
او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل
العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة و
اصحابه الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها
فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل
الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا بأس بارسال الثلاث لحديث العجلاني
الذي لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ولا يحل
لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن
شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره
الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم
سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها
وهو اول خلع كان في الاسلام **فان قلت** لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا ان قلت
للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا
باخذين منهن ولا بمؤتيهن **قلت** يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره
للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام
لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون مما
آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصداق الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان
ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها
فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت

فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فيما
افتدت به فيما فدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر
مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها
في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر
لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها
فان كان منه كره له ان يأخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما
من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا
النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان
يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن فان طلقها
الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها
مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى
تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني
فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه
الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة بن عائشة رضي الله عنها ان امرأة رفاعة جاءت
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير
تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان
ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله
ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر
فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع
الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا
ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال لئن اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها
فان قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل **قلت** ذهب سفيان والاوزاعي
وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما
ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل
له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه
لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا
ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله
يبينها لقوم يعلمون ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان
لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هاهنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ
والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما
في الغد وانما يظن ظنا واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن
منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي
ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية

وقال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده وتتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصل ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير مدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتورية وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة

وان قصائدي لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح

وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بينهم بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر **فان قلت** لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به **قلت** يجوز ان يكون لرسول الله ولكل احد ونحوه ذلك خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الآثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه والوالدات يرضعن اولادهن حولين يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما لمن اراد ان يتم الرضاعة

وقرأ ابن عباس ان يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل **فان قلت** كيف اتصل لمن اراد بما قبله **قلت** هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق **فان قلت** فما بال الوالدات مأمورات بان يرضعن اولادهن **قلت** اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا من الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم **فان قلت** لم قيل المولود له دون الوالد **قلت** ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمأمون بن الرشيد

فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللآباء ابناء

فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر واختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول له بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذ منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده

ولا تفرط فيما ينبغي له ولا يدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها
او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد **فان قلت** كيف قيل بولدها وبولده **قلت** لما
نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها
ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى
وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه
ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار
وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند
ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من يرثه من
عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي
نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجب عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن
له مال اجبرت الام على ارضاعها وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث
منا فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين ونقصا
وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لم يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال
وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي
وقرئ فان اراد وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم استرضع منقول من ارضع
يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة
واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء
عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما
عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم
الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده
ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من
الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو
ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من هنيء ما يكون
لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامروا بايتائه
ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم
امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس
المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون
بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين
يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون
بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى عن ابي الاسود الدؤلي
انه كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة
لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن

اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا
الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول
صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان
لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة
المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع
والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح
والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء فيما عرضتم به هو
ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي
امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت
فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروي ابن
المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في
عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت
غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو
متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فان قلت**
اي فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له
والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك
لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه
اماله الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما تريده او اكننتم في
انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين
علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون
عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم **فان قلت** اين المستدرك
بقوله ولكن لا تواعدوهن سرا **قلت** هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره
علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح
الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن
او تابدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا
قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا **فان قلت** بم يتعلق حرف الاستثناء **قلت**
بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن
الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من
سرا لاداته الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان
يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا
يعني من غير رفث وافحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في

الستر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيي من المجاهرة به
وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة
النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان
العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة
النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي من لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله
يعني ما كتب وفرض من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه
ولا تعزموا عليه واعلموا ان الله غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة
عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن
فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول
بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة
والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله
فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثم ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من
ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل المهر
عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره
مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر
لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها
مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند
اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لساير المطلقات ولا تجب
متاعا تأكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروة
حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون
الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان
يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى الا ان يعفون يريد
المطلقات فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت
الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن
والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله والذي
بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف
المهر وتقول المرأة ما رأني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو
الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها
المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة والاول لظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا
فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها

استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا
على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل
لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا
له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها
علي فكرهت رده قيل فلم تبعث بالصداق قال فاين الفضل ولا تنسوا الفضل بينكم ان
الله بما تعملون بصير والفضل التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض وتمروا
ولا تستقصوا وقرأ الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب
تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرأ ابو حيوة وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر
الواو حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم
للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ
الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمن بن داود حتى توارت
بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املها
عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة
العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة
يكون التخصيص لصلوتين احدهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف
الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم
وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصليها بالهاجرة ولم يكن صلوة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي
النهار وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر
من ثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على
المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم
والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود
وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يلتفت
او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف
من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او ركبانا وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل
اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال
المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب
ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال الخوف فاذكروا الله كما علمكم ما لم
تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما
احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فمن قرأ وصية
بالرفع فوصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون

اهل وصية لازواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت
سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب
عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرأ ابي متاع لازواجهم متاعا وروى عنه فمتاع
لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي
متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا
ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او
حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان
يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن
وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه
على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة
واصحابه لا سكنى لهن فان خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب
من معروف مما ليس بمنكر شرعا **فان قلت** كيف نسخت الاية المتقدمة المتأخرة **قلت**
قد يكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع
قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف عم
المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها
وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري
انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع
نفقة العدة كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم
الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام
جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه
وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه
واصابعه تعجبا مما رأى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم
الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل
على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير
الوف متألفون جمع آلف كقاعد وقعود **فان قلت** ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا **قلت**
معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر
الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء
ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على
الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في

سبيل الله ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لذو فضل على الناس
حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او
لذو فضل على الناس حيث احيى اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث
والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وقاتلوا
في سبيل الله واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو
من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب
به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله فيضاعفه له اضعافا
كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط
يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون
فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملاء من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع
او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله انهض للقتال معنا اميرا نصدر في
تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي
انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب
وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون
بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا
قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال وخبر عسيتم الا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى
هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم
ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون و
اراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على
الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا وما لنا الا نقاتل في
سبيل الله واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم
اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة
وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال
وترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت
وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة
في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون
منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشما لاها رخمانا رخيما
بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا
قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال انى كيف ومن
اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له **فان قلت** ما الفرق بين الواوين في ونحن
احق ولم يؤت **قلت** الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتها

معًا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوى بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروى ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحى اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملاء العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه والله يؤتي ملكه من يشاء اى الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ال موسى وال هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين التابوت صندوق التورية وكان موسى عليه السلم اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك اية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودع فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة وكذلك ابدلت من تاء التانيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فان قلت من ال موسى وال هرون قلت الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب فكان اولاد يعقوب الهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى

وهارون

وهرون والال مقحم لتفخيم شانهما فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روى انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجرى الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال لما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلى به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت مما استثنى قوله الا من اغترف غرفة بيده قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اى فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف كانه قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما جاوزه هو والذين امنوا معه يعني القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين قال الذين يظنون الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق من عاد وكانت بيضته فيها ثلاثمائة رطل ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب

في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت كان
ايشي ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى
الغنم فاوحى الى شمويل ان داود بن ايشي هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء
وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا
جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروى انه
حسده واراد قتله ثم تاب وآتيه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها
وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء
من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا ان الله يدفع بعض الناس
ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت
مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعم الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين
على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم
الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض تلك آيات الله نتلوها عليك يعني القصص
التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية
التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يدي صبي بالحق باليقين الذي لا
يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير
ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت
قصتها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على
بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان
كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله
من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى
ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد
تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم
لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف
او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه
المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء
قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال
للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال
فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة
ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره
ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد
نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه
وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم

الجزء الثالث

من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد
ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت لم خص
موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة
ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان
هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل
بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم
هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل
غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا
من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من
كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد
من الخذلان والعصمة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال
الوعيد به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون
فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم
اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في
حط الواجبات لان الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد
والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان
ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على
اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع
العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي لا يأخذه نعاس
ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى
انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه
ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس
فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي
فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لملكوته وكبريائه وان
احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات لان فيهم
العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته
الا بما شاء الا بما علم وسع كرسيه السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن
مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض

لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش **ولا يؤده** ولا يثقله ولا يشق عليه **حفظهما** حفظ السموات والارض **وهو العلي** الشان **العظيم** الملك والقدرة **فان قلت** كيف ترتبت الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف **قلت** ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره **فان قلت** لم فضلت هذه الاية حتى ورد في فضلها ما ورد ومنه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الاية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القران فقال لهم اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي **قلت** لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من ساير الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة **لا اكراه في الدين** اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار **قد تبين الرشد من الغي** قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله** فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله **فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم** فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا

في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما **الله ولي الذين امنوا** اي ارادوا ان يؤمنوا **يخرجهم من الظلمات الى النور** يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان **والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة **الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه** تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به **ان اتيه الله الملك** متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان اتيه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان اتيه الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان اتيه الله الملك **فان قلت** كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر **قلت** فيه قولان اتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده **اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين** اذ قال نصب بحاج او بدل من ان اتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفي عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم الكافر وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت **او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه** او كالذي معناه او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل

هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم وقوله انى يحيى
اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه
بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد او بعض يوم بنا
على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس
يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا و
شرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية
او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير
بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم
يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة
عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ ابي لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر
الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما
في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ
طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك اية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه
وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ يهذها هذا عن ظهر
قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التورية ظاهرا احد قبل
عزير فذلك كونه اية وقيل رجع الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث
قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام وهي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم
كيف ننشرها ثم نكسوها لحما كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا
وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب فلما تبين له وفاعل تبين مضمر تقديره
فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه كما في قوله ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى
وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله
قيل اعلم **فان قلت** فان كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله **قلت** كان الكلام بعد
البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال
بلى ارني بصرني **فان قلت** كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا **قلت**
ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي ومعناه بلى
امنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال
وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك
بخلاف العلم الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك **فان قلت**
بم تعلقت اللام في ليطمئن **قلت** بمحذوف تقديره ولكن سالت ذلك ارادة طمانينة القلب قال
فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها
بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد
وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالج وقرأ ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها

وتشديد

وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن
من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق
اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة
اجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا واعلم ان
الله عزيز حكيم ياتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن **فان
قلت** ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها **قلت** ليتاملها ويعرف اشكالها و
هيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال ياتينك
سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها
ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل
ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا
ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى راسها وقرئ جزءا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه
انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة لا بد من حذف
مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما
كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل
ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف
كانها ماثلة بين عيني الناظر **فان قلت** كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود **قلت**
بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة
فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير **فان قلت** هلا
قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر **قلت** هذا لما
قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف
لمن يشاء والله واسع عليم اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال
المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له
وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرءا اسدى الي صنيعة وذكرنيها
مرة لبخيل وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم
الالاء احلى من المن وهو امر من الالاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه
ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق
كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا **فان قلت** اي فرق
بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم **قلت** الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط و
ضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق
الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل

اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الاخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرا سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله كمثل جنة وهو البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون الهمزة في ايود للانكار

ووقع له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الارض من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت هلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تاموا وقرا ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتاممه سواء في معنى قصده ولستم باخذيه وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد الا ان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبايع اغمض ولا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرا الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرا قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه الشيطان يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة منه

لذنوبكم وكفارة لها وفضلاً وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثواباً عليه في الآخرة
والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله العالم العامل ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا
قرأ الاعمش وخيراً كثيراً تنكير تعظيم كأنه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب
يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق وما
انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في
معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو يجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون
الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من
انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي ما في نعما
نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئاً ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم
فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن
عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً وصدقة الفريضة
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي
التهمة حتى اذا كان ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى
به كان اظهاره افضل ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير قرئ بالنون مرفوعاً
عطفاً على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدإ محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة من
فعل وفاعل مبتدأة ومجزوماً عطفاً على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر
بالياء مرفوعاً والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعاً ومجزوماً والفعل للصدقات
وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيراً لكم وان نكفر عنكم
ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن
والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن
الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا
من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم
بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله
ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وما
وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون يوف اليكم ثوابه اضعافاً مضاعفة
فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء
بنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا
يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناساً من المسلمين كانت لهم اصهار في
في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم
وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة
رضي الله عنه صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره للفقراء الذين احصروا في

سبيل الله الجار متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع
آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدإ اي صدقاتكم للفقراء والذين احصروا في سبيل الله هم الذين
احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضرباً في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة
وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا
في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون
في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى
وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على اصحاب الصفة فرأى فقرهم
وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم
عليه راضياً لما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين
من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال لا يسألون
الناس الحافاً وما تنفقوا من خير فان الله به عليم والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا
يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف ومعناه
انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعاً كقوله على لاحب
لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً
وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعمون الاوقات والاحوال
بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم
يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين
الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس
نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً و
بدرهم سراً وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة
كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الذين يأكلون الربوا الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم
كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيهاً بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من
قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس اي المصروع وتخبط الشيطان من
زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط
العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضاً من زعماتهم
وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص
واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس
قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق
بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين
تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة
الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم
حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بانهم قالوا بسبب قولهم انما البيع

مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان
يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا
يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق
المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا
به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس
يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما
سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة
وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي و
لانها في معنى الوعظ وقرأ ابي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك
المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق
به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي
الحديث ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان
بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم
بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من
قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة
طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي
العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان
وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاعلموا
بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع
لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فايقنوا وهو دليل لقرأة العامة فان قلت هلا قيل بحرب
الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله
ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من
الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان
منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا
للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم
من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم
ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ
فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب
نظرته على طريق النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره

على

على الامر يعني فسامحه بالنظرة وياسره بها الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة
ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا
برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل
اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل
يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه
وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ترجعون على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء
على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ ابي تصيرون وعن ابن عباس انها آخر
آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل
ثلاث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه اذا داين بعضكم
بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك
قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين
مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال
داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب
ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال
فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت
بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد والدياس ورجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية
وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب
وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وعنه اشهد ان الله
اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية وليكتب بينكم كاتب بالعدل
متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما
يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا
بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا ياب كاتب
ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله
كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع
الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق
بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته بان يكتب
فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل
عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق
ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو
المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهي

تملي عليه وليتق الله ربه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة
وشيا بالتشديد فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف
او ضعيفا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي
به او خرس فليملل وليه بالعدل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او
وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير
مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان
يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام
عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا يجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن
سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض
على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل
وامراتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص
ممن ترضون من الشهداء ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى
ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على
انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان
الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب
منزلة الاخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار
فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل
الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد
وهما لغتان وفتذاكر وقرأ حمزة ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد
كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احديهما على البناء للمفعول والتانيث ومن
بدع التفاسير فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل
التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه
القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا ان تكتبوه كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة
المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب
لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا
او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا
او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة
الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط عند الله اعدل من القسط واقوم
للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى الا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان
قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان
يكونا مبنيين من اقام واقسط وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط
واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما الا ان تكون تجارة حاضرة

تديرونها بينكم فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين
فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال
ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد
فليس عليكم جناح الا تكتبوها فلا باس ان لا تكتبوا لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين
وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة
والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب بني اسد
هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا
تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع
من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على
ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن
الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد ولا يضار يحتمل
البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر
وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة
الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان لا يعجلا عن
مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن
ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم
الله والله بكل شيء عليم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه وان كنتم على سفر ولم تجدوا
كاتبا على سفر مسافرين وقرأ ابن عباس وابي كتابا وقال ابن عباس رايت ان وجدت الكاتب
ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن مقبوضة
فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف و
فرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن
رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في
السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد
الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد
وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد
من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم
بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه وقرأ ابي فان اومن اي امنه
الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد
الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه
منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة
وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال
او ياء فتقول الذي يتمن او الذيتمن وعن عاصم انه قرأ الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا
على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة

وأنزرعا مني وكذلك رُؤيا في رؤيا ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبره والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر من افعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بها لنهلكن ثم بكى حتى يسمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على هو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فالمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف وان كان مبتداء كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع

كقوله وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق بين احد من رسله يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون لا يكلف الله نفسا الا وسعها الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال ولما كان الشر مما يشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم يكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطاء ان فرطنا منا فان قلت النسيان والخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان او لانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطاء مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطاء والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه ولا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل النفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق في هذه التشديد والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله لا تحمل علينا

اضرًا واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولى امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التى عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبى قبلى وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن على رضى الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة قال من ههنا والذى لا اله غيره رمى الذى انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التى تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهى مائتان آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهى قراءة عاصم واما فتحها فهى حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهى همزة وصل لا تثبت فى درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم فى حكم الوقف والسكون والهمزة فى حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به فى باب الوقف وذلك قولك هذا ابرهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين فى حال الوقف موجبا للتحريك لحرك الميمان فى الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين فى ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكنين انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هى حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هى بمقبولة والتورية والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم فى اوزان العرب فان قلت

لم قيل نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اى لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم وانزل الفرقان فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التى ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم ان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء فى العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم اى صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اى اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا فى الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اى اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذى لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما فى المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة فى كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض فى ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة فى ايقانه فاما الذين فى قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب ان يؤولوه التأويل الذى يشتهونه وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به اى لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا فى العلم اى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون فى العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه

ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا
به اى بالمتشابه كل من عند ربنا اى كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من
متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا
الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين
وقرأ عبد الله ان تأويله الا عند الله وقرأ ابى ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا لا تبلنا
ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ
لطفت بنا وهب لنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا
بالتاء والياء ورفع القلوب انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اى
يجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل
ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافى خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله
والميعاد الموعد ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود
النار قرأ على رضى الله عنه لن تغنى بسكون الياء وهذا من الجد فى استثقال الحركة على حروف
اللين من قوله من الله مثله فى قوله ان الظن لا يغنى من الحق شيئا والمعنى لن تغنى عنهم من رحمة الله
او من طاعة الله شيئا اى بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد
اى لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اى بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفى معناه قوله
تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى اهل وقودها
والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب
الدأب مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله
والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز
ان ينتصب محل الكاف بلن تغنى او بالوقود اى لن تغنى عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد
بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم
وان فلانا المحارف كدأب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم ما فعلوا وفعل
بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس
المهاد هم مشركوا مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبى الامى الذى بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال
بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر فى سوق بنى قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل
ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل فقالوا لا يغرنك
انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن
الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
[illegible] قولى لك سيغلبون فان قلت اى فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى
القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم هو اخبار بمعنى

سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذى يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة
بالياء الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال اد اليهم هذا القول الذى
هو قولى لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية الخطاب لمشركى قريش فى فئتين التقتا
يوم بدر فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين
مثلى عدد المشركين قريبا من الفين او مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله
اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم
بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى
فئتكم الكافرة او مثلى انفسهم فان قلت فهذا مناقض لقوله فى سورة الانفال ويقللكم فى
اعينهم قلت قللوا اولا فى اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا
فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى
فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم تارة و
تكثيرهم اخرى فى اعينهم ابلغ فى القدرة واظهار الاية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين
على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين فى قوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكانوا
الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول
بالياء والتاء اى يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل
من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير فى التقتا رأى العين يعنى رؤية
ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره من يشاء كما
ايد اهل بدر بتكثيرهم فى عين العدو ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار زين للناس المزين
هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل
عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لا
لا نعلم احدا اذم لها من خالقها حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله
عنده حسن المآب جعل الاعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة محروصا
على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة
عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات
ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا فى النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره
بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح
طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملاء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة
الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية
عن لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة
وهى العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية

ذلك المذكور متاع الحيوة قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله للذين اتقوا عند ربهم
جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي
رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به
ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير
بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات
الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر
صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها
وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة
بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون اول الليل حتى اذا
كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام
شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من اياته الناطقة
بالتوحيد كسورة الاخلاص واية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك
اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق
والاجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم
وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال
دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم الالباس
كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت
جاءني زيد وهند راكبا لتميزه بالذكورة او على المدح فان قلت أليس من حق المنتصب على المدح
ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معاشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب
قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي الى نسوة
عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله
قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف
فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت
نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عاملا
فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه
عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله
والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه
او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط على
انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان
لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله اخر الحكيم الذي لا يعدل

عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه
ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج
الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر
على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة
مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدتها ان قوله
لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد
اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين
وفيه ان من ذهب الى التشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض
الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني
بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى
فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل
واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد
فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله
الاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال
من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة
واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله
الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة
ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه
قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية
والعدل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر
بايات الله فان الله سريع الحساب الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى و
اختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا
محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا
من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا بجور لله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف
وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا
واستتباع كل فريق ناسا يطأون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة
محمد حيث امن بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من امن بموسى
ومنهم من امن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع
التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد
قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا
والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله
فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده
لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين

القويم الذي ثبت عندكم صحته كما ثبت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا هو دفع
للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة
ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا
معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي
العرب ااسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل
اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف
طريقا الا سلكته هل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وجل فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف
عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف
اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه و
بين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد
عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم
حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا فانما عليك البلاغ والله
بصير بالعباد وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة و
تنبه على طريق الهدى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين
يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
وما لهم من ناصرين قرا الحسن يقتلون النبيين وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرا عبد
الله وقاتلوا وقرا ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء و
قتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن
ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل
قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنوا اسرائيل ثلاثة
واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا
قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة
والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها
معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء
فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية
ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم
يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال على ملة
ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل
نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القران لانهم قد علموا انه كتاب الله
لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب

وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه
ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا
الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم
يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا
فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التولي والاعراض بانهم
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في
الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
من ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو
استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا
به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل
الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار
وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة انفس تريد
ثلاثة اناسي قل اللهم الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص
هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع
همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك
من الملك وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء
قدير وتنزع ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان
الاخران خاصان بعضان من الكل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة
وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك
فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق
عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة
كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره
فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان
مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة
فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى
وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان
قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير
الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك
على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة

هو خير كله كايتاء الملك ونزعه تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من شاء من عباده هو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الاية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية وقيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضي الله يعلمه الله ولم يخف عليه ويعلم ما في السموات وما في الارض وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهو ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن مواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو امن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم

حين

حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع ما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان يكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه فاذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا انه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملؤوا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون وتحبكم ويحبكم من حبه يحبه قال احب ابا ثروان من حب تمره واعلم ان الرفق بالجار ارفق والله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية آل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من فاهث وفاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم
اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم
يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها
واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول
جدة عيسى صلوات الله عليه وسلامه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة عمران على
اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه
ان موسى يقرن بابرهيم كثيرا في الذكر **فان قلت** كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر
من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادريك ان عمران هذا هو ابو مريم
البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون **قلت** كفى بكفالة زكريا دليلا
على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج
زكرياء بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد الى
ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت
اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من
سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا
يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي
انهم كانوا ينذرون هذا النذر اذا بلغ الغلام يخير بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي
محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنيت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق
ذكرا فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى
لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تأويل الحبلة او النفس او النسمة **فان قلت**
كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى **قلت**
الاصل وضعته انثى وانما انث لتأنيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم
في ما كانت امك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تأويل الحبلة
او النسمة فهو ظاهر كأنه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى **فان قلت** فلم قالت
اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول **قلت** قالته تحسرا على ما رأت من خيبة
رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك
نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم
بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء
الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة
بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعتِ على خطاب
الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ
وضعتُ بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها **فان قلت**
فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى **قلت** هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من
التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبتها واللام

فيها للعهد واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم **فان قلت**
علام عطف قوله واني سميتها مريم **قلت** هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان
معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم **فان قلت** فلم ذكرت تسميتها مريم لربها **قلت**
لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون
فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعه طلب الاعاذة لها و
لولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين
يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه
ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من
كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه
تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من
التخييل قول ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة
المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا
وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن
فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به
ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان
تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت لفتها في
خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت
بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا
لا حتى نقترع فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم وارتفع قلم زكريا
فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى
فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها
فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل
الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه
اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن
وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها
وكفلها زكرياء وقرئ وكفلها زكرياء بوزن وعملها وكفلها زكرياء بتشديد الفاء ونصب
زكرياء والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وتؤيدها قراءة
ابي واكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر
في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعوا بذلك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكرياء كافلا
لها كلما دخل عليها زكرياء المحراب قيل بنى لها زكرياء عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة يصعد
اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج

غلق عليها سبعة وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان
تجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا من اين
لك هذا الرزق الذى لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا
سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى
وهو في المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضى الله عنها
رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو
مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك هذا قالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذى جعلك شبيهة
بسيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب والحسن والحسين
وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله
يرزق من يشاء من جملة كلام مريم او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك دعا زكريا ربه
قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في
ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها
رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت
عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة
العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجميع انك سميع الدعاء مجيبه فنادته
الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب وقرئ فناديه الملائكة وقيل ناداه جبرئيل وانما قيل
الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بيحيى بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة
القول او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء
من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان
عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله وسيدا مصدقا بعيسى مؤمنا به
قيل هو اول من آمن به وسمى عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن من غير
سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمى الكتاب كلمة كما قيل الجويدة
لقصيدته والسيد الذى يسود اى يفوقهم في الشرف وكان يحيى فايقا لقومه وفايقا للناس كلهم
في انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا والحصور الذى لا يقرب النساء حصرا
لنفسه اى منعا لها من الشهوات وقيل هو الذى لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب
مربح بالكأس نادمنى لا بالحصور ولا فيها بسآر فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روى
انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال لما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا من
الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن
الصالحين قال رب انى يكون لى غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغنى الكبر
وامرأتى عاقر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفنى وكانت له تسع وتسعون
سنة ولامرأته ثمان وتسعون قال كذلك الله يفعل ما يشاء اى يفعل الله ما يشاء من الافعال

العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ
وخبر اى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة
للعادات قال رب اجعل لى آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال
آيتك الا تكلم الناس الا يقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام الا رمزا وانما خص تكليم الناس
ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله
ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى فى ايام عجزك عن تكليم الناس
وهى من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر
الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذى طلب
الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر
واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد
او رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن
وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسل ورسول وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم و
خدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا
بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشى من حين تزول الشمس
الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر
واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه
قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمى كلاما ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم روى انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام
او ارهاصا لنبوة عيسى ان الله اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة
السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قذفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء
العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء يا مريم اقنتى لربك واسجدى
امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعى
مع الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك مع المصلين اى فى الجماعة او وانظمى نفسك فى جملة
المصلين وكونى معهم فى عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم ويحتمل ان يكون فى زمانها من كان
يقوم ويسجد فى صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من
لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبإ زكريا ويحيى ومريم وعيسى من انباء الغيب نوحيه
اليك يعنى ان ذلك من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم
يكفل مريم وما كنت لديهم فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك
نفى استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من
اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى فلم يبق الا المشاهدة وهى فى غاية الاستبعاد والاستحالة
فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحى مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب
الغربى وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهى قداحهم
التى طرحوها فى النهر مقترعين وقيل هى الاقلام التى كانوا يكتبون بها التورية اختاروها للقرعة

تبركا بها اذ يختصمون في شانها وتنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت
بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون
اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا
والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين المسيح لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا
اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت
اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان
الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى ابن
مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها
انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت
لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه
ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة
يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها
حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات
وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس
وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة
والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا
عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام
الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ
فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبرئيل بمعنى يا سيدي قالت رب انى
يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم
اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ونعلمه عطف على يبشرك او وجيها او على يخلق او كلام
مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات
المتقدمة وقوله قد جئتكم ولما بين يدي يأبى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان
احدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت
رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق
فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسول
عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني
اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر
على الاستيناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا باذن الله فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ
عبد الله فانفخها قال كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش وابرئ الاكمه

والابرص

والابرص واحي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في
ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي
حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم الاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه
الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه
خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته
الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه
احيى سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا
فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ولاحل رد على قوله باية من ربكم اي
جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم
باية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل
والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا
صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين
يدي من التوراة او الله عز وجل او موسى صلى الله عليه وسلم لان ذكر التوراة دل عليه
ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة
رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه
وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف
جعل هذا القول آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول
كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله
جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء
والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ
عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعوني فيما ادعوكم
اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه
كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية على ان الله ربي وربكم
وما بينهما اعتراض فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله فلما علم منهم الكفر
علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة
كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء
اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه قال الحواريون نحن انصار الله انصار دينه و
رسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن و
نظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح وفي وزنه الحوالي وهو كثير
الحيلة آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان
الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع
الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لامهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل

مع امة محمد لانهم شهداء على الناس ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من بنى اسرائيل
ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه
على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب
من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله يا عيسى ظرف لخير الماكرين او لمكر الله انى متوفيك اى
مستوفى اجلك ومعناه انى عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك
حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى الى سمائى ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين كفروا
من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالى على فلان اذا
استوفيته وقيل مميتك فى وقتك بعد النزول بالسماء ورافعك الان وقيل متوفى نفسك بالنوم
من قوله والتى لم تمت فى منامها ورافعك انت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت فى السماء
آمن مقرب وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة فى اكثر الاحوال
بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه فى اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون
الذين كفروا وكذبوا عليه من اليهود ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون تفسير
الحكم قوله فاعذبهم فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والاخرة وما لهم من
ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين وقرئ
فنوفيهم بالنون ذلك نتلوه عليك من الايات ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو
مبتداء خبره نتلوه ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى
الذى ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر تفسيره نتلوه والذكر
الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى
عند الله كمثل آدم ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة
لما له شبه عيسى بآدم فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم بغير اب
وام قلت هو مثيله فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة
مشاركة فى بعض الاوصاف ولانه شبه به فى انه وجد موجودا خارجا عن العادة المستمرة
وهما فى ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير
اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب
مما استغرب به وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب
له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى
اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى
لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن اى
انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر
مبتدأ محذوف اى هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس فلا تكن من الممترين نهيه عن
الامتراء وجل رسول الله ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة
وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه فى عيسى من بعد ما جاءك من العلم
اى من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا والمراد المجئ بالراى والعزم كما تقول تعال نفكر

فى هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منى
ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ثم نتباهل
بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه و
ابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم
استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا روى انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع
وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر
النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط
فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم
عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا
للحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال
اسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها
فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا
ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما
للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فانى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك
على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الف فى صفر والف
فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك
قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل
الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن
عايشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرجل من شعر اسود
فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم على ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه
وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك اكد فى الدلالة على
ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه
لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته
هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب
وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن
فى الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقايق وقدمهم فى الذكر على
الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليوذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها
وفيه دليل لا شئ اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلم وفيه برهان واضح على صحة
نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان
هذا لهو القصص الحق ان هذا الذى قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك
الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما
فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت لم جاز

دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره قل يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء حاججتم ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هو آانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ثم اعلمهم بانه بريء من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون وما يعود وبال

الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقرئ تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تكتسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وجه النهار اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل الكتاب وعلماء الا لامر تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذاك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم

ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير ان يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ
بمعنى الأن يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه
دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم
عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان
هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا
حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اى ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعنى ما
يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا
لمن تبع دينكم كأنه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم
ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا ومن اهل الكتاب من ان تأمنه
بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك عن ابن عباس من ان تأمنه
بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه
ومن ان تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل
المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة
عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا
عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل
وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء وقرئ دمت بكسر الدال من دام
يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لم يؤده اى تركهم اداء الحقوق بانهم قالوا
بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل اى لا يتطرق علينا عتاب وذم فى شأن الاميين
يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا
على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود
رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم
وجدوا ذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما
من شئ فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن
عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب فى الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال
فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا فى ذلك بأس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا فى الاميين
سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ان ذلك فى كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله
يحب المتقين بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الاميين اى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من
اوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير فى بعهده راجع الى
من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله فى ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه
فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله
قلت اجل لانهم اذا اوفوا بالعهود وفوا اول شئ بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم فى كتابهم

من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله فى ترك الخيانة لاتقوه فى ترك الكذب
على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من اوفى بعهد الله واتقاه
فان الله يحبه ويدخل فى ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال
السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع
الضمير وعن ابن عباس نزلت فى عبد الله بن سلام وبحيراء الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب
ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق
لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا اولئك
لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت فى ابى رافع ولبابة بن
ابى الحقيق وحيى بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم و
اخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف فى سنة اصابتهم
ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم
فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير
صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذى نعت لنا ففرح ومارهم وعن
الاشعث بن قيس نزلت فى كانت بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالى فقال من حلف على يمين يستحق
بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة فى السوق
فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها فى اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوى رجوع
الضمير فى بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا
ينظر الى فلان تريد نفى اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثنى عليهم فان قلت اى فرق
بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية
لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد
والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا
عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيى بن اخطب وغيرهم
يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوون
بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة
همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير
فى لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم
بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه
المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم
وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون به فى التوراة هكذا

وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم الحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجبا ان يكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا ينفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون تقرؤن وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرسون من التدرس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسون على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وقرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على يقول وفيه وجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني ان يجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في لا يأمركم وايأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايأمركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا

ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احديها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار قال فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم عليه الصلوة والسلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو ولان الباغين

هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة
والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل و
ادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وانتصب
طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان
فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في امنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا
من الله بقدر نبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه الاية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من
مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل
فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالاخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا
تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على
وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا
في عبادتها ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن
يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع
وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم
على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم بعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءهم
الشواهد من القران وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله
عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل
نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح
ابن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت
فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان امنوا كقوله تعالى
فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان يكون الواو للحال
باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي القوم الظالمين لا يلطف
بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين
تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله
غفور رحيم قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي
من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم توبته ان الذين كفروا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتورية
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقران او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل
مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم

ميثاقه

ميثاقه وفتنهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل اية تنزل وقيل نزلت في الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان
اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه
مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر
لان الذي لا يقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين
الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم واولئك هم
الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو
افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين فان قلت فلم قيل في احدى الايتين
لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط
والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدا
وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق
الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على
الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة
القلوب وركون الدين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع
الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت
على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك
الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها
الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرا
الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فان قلت كيف
موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية
ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب
زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا
ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي الحسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا
كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الاخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ
فلن يقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملء ومل الارض
بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله
وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله
انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما
نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها يا رسول الله حيث
اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح واني ارى ان تجعلها
في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان

بينها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا
وجد في نفسه فقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله
قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء
يوم فتحت مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخيار ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت
خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرا عبد
الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال
وما تنفقوا من شيء ومن في من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث
تكرهونه فان الله به عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات
او كل انواع الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية
والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة
رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث و
الواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام
على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه
احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل
وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل
من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك
غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود
وتكذيبهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم
واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا
لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من
بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب
شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس وما عدد
الله من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم
قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو
ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما
يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة
البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى
على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ذلك
من بعد ما لزمتهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من
انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم

وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم
حنيفا وما كان من المشركين وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن
معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم
الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ومن
تبعه ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز
وجل يدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا
للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم
بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان
قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة واول من بناه ابرهيم
ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته قوم من العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن
ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء
والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل
هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت
فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان
الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي بمكة وهي علم للبلد الحرام
ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من
الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد
وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا
الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي
الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكه فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي
تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف
عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان
التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين
لانه قبلتهم ومتعبدهم فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا مقام ابرهيم
عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان
احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله و
نبوة ابرهيم عليه الصلوة والسلام من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان
امة قانتا والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها
الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام
آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية
ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة
والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل

فيه آيات بينات مقام ابرهيم وآمن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير
كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلام حبب الي من
دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر
المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده
عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله
ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث
المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام
ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى
قولك فيه آية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه
قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر
فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل
حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى
غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه
ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من
حولهم وذلك بدعوة ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ
الى الحرم لم يطلب وعن عمر لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند
ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا
انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه عليه السلم
الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود
مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ
مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة
البدر يدخلون الجنة بغير حساب شفع كل واحد منهم سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة
البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه
جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان
الله غني عن العالمين من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن
الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على
قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له
ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع فقيل له في ذلك فقال ان كان
لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير
في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى اليه فهو سبيله وفي هذا الكلام انواع من التوكيد و
التشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس

لا ينفكون عن اداءه والخروج عن عهدته ومنها انه اذا ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع
اليه سبيلا وفيه ضربان من التوكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني
ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله
ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة
متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان
ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان
لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل
فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود
فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج
فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل وقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه
ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم
البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه
وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها الا نفقت وعن
عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نظروا وقرئ حج البيت بالكسر قل
يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون الواو للحال والمعنى لم
تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم
عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن
سبيل الله من آمن قرأ الحسن تصدون من اصد عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل
الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه و
يمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان
بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها
اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال
قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم
ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها و
نحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود
العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا
ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم
امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل عما تعملون وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال يا ايها
الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قيل مر شاس
ابن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من
الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا هد

الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا
من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان
يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك
وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم
فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم
الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فما كان يوما اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون وانتم
تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين
يتطرق اليكم الكفر والحال ان ايات الله وهي القران المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول عليه
السلام غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهتكم ومن يعتصم
بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم
فقد هدي الى صراط مستقيم فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت
كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله
متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق
تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله
ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان
يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا يأخذه في الله
لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته
حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن الا وانتم مسلمون معناه
ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء
العدو ولا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال
التي شرطت عليه في وقت الاتيان واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة
الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا قولهم اعتصمت بحبله
يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان
مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه
بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم ووثوقكم
به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه
لقول النبي صلى الله عليه وسلم القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة
الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا
ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين
في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق
ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع

الحق والتمسك بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين
متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله
وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت العداوة وتطاولت الحروب مائة
وعشرين سنة الى ان اطفاء الله وذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من
الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى
الحفرة وهو منها كما قال شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها
بالتذكير والتأنيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا
والشفاة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت
لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في
النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين
الله لكم اياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة يدعون الى
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب
الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف
الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين
ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه
عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا
امة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون واولئك هم المفلحون
هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر
من خير الناس قال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه
من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه
وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار
احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان
الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع
للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب
كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت
قد اختلف فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده
فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم
لم يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي
عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد
في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شرط الوجوب

قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد الآلة
وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت
يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما
ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد
اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد فاما
الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت
فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين
وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان قلت
هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره
واجبان عليه فبترك احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم
تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول
ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل
يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال
والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله
كقوله والصلوة الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد
ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الامة
وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود
بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل
نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور
بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت
صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات
الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم
اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم
به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة
والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة هم الخوارج
ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء
وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برأيك
ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك
قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان
بارضكم منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار
حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله

في نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة
الله قلت موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها
ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق
والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرم او
يزيد في عذاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من
الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحكم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها ولله ما في السموات
وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس كان عبارة عن وجود الشيء
في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله
تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم
الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر كلام مستأنف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم
يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا
بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب
او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب
مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على
دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ
الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر
مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر
لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون
لهم نصر من احد لا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي
بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر
يبالي به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان
قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم
الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه
في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر
وعدا مطلقا كانه قال ثم شأنهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون
منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا تستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال
بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت
جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون
فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان
عليهم اعظم من الاخبار بتوليهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون

ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب
كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عاطف ضربت
عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس بحبل من الله في محل النصب على
الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام
الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل
الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى
الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب
البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه
ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك اشارة الى ما ذكر
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم
الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم
لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب
المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم
اموال الناس بالباطل ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل
وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب
امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله
كنتم خير امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين
اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القران في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما
يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عنى صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها
وعن ابن عباس اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا
الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم
وقرا هذه الاية وقرأ يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون
وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله
لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن
الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم
كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها
والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به واثر
الفور على التراخي واولئك الموصوفون بما وصفوا به من الصالحين من جملة الصالحين
الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين
المسلمين وما تفعلوا من خير فلن تكفروه لما وصف الله بالشكر في قوله والله شكور حليم
في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدى الى مفعولين وشكر وكفر
لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكانه قيل

فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا ولن يكفروه بالياء والتاء والله عليم
بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته
الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات
كما قالت ليلى الاخيلية ولم تغلب الخصم الالد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر
فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها ان الصر في صفة
الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة
والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث ان يكون
من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي
الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم
والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي
حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا في
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه
لاجله وشبهه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن
سخط اشد وابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا من قلة جدواه وضياعه بالحرث
الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت
هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل
اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ
تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم
ولكن انفسهم يظلمون ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب
الحرث الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب
ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها هم ولا يجوز ان
يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه
بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه
وسلم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز
تعلقه بلا تتخذوا وببطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم
خبالا يقال الا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا الوك نصحا
ولا الوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا
عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره
اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم
لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم

للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم
بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات
الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون
ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يالونكم صفة
البطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد
بينا فكلام مبتدأ واحسن منه وابلغ ان تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذ
بطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء
خبره اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم
صلته والواو في وتؤمنون واو الحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم
تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من
كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يالمون كما
تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان و
الابهام قال الحارث بن الحرث فاقتل قوما لياما اذلة يعضون من غيظ رؤس الاباهم
قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ
زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار
ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون
منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها فان قلت
فكيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه
من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم
وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه
قل لهم يا محمد ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من
ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان
يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء
والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك
بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها الحسنة الرخاء والخصب
والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم
حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت
كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان
المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان

تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه لا يضركم كيدهم شيئا
كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان
ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح
الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد
قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما تعملون
من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما
يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ غدوت واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة و
هو غدوه الى احد من حجرة عائشة روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا
منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم
فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب
لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها
خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم
بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته
فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والوحي يأتيه وقالوا يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها
حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف
من شوال فمشى على رجليه وجعل يصف اصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا
خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد
الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين
تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد
اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه
قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلسك وموضع حكمك والله
سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما
اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف
وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله
بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري
وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان
باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس اضمروا

ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة. اقول لها اذا جشأت وجاشت. مكانك تحمدي او تستريحي حتى قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله **فان قلت** ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا **قلت** معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم اية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله فليتوكل المؤمنون امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرتم او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقول لهم يوم احد **فان قلت** كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم ينزل فيهم الملائكة **قلت** قال لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن بمعنى بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رحمه الله الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل

خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله الهاء لان يمدكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لاكبت واري عدوا وهو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله تعالى لقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم من وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع

يتصامّون ويتعامون عن آيات الله مخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون
على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب على الذنب الصغير من يشاء يا ايها
الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون نهي عن الربوا مع
توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق
بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون كان ابو حنيفة رضي الله عنه يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله
المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من
تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله عليه السلام ومن تأمل هذه
الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى
في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على الفطن العارف من دقة مسلك التقوى
وصعوبة اصابته رضى الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بلا واو وقرأ الباقون بالواو ويعضده قراءة
ابي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما تستحقان به
عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء
والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه و
ابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله تعالى بطائنها من
استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض
اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة
والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالين ما قدروا عليه من قليل او كثير كما يحكى عن بعض
السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب
او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا
حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او حبس فانه لا يدع
الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان
في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين
والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه
كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا
وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي
غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد
يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابي عيينة انه رواه للرشيد
وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا
من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان يكون
اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون

اشارة

اشارة الى هؤلاء والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة
الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدأ واولئك خبره اذا فعلوا فاحشة فعلة متزايدة
القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم
النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا
الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه
فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف
لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين
الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل
باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث
عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى
انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم
يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة
مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن
يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم
قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون
ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر
عقله وعاند ربه اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ونعم اجر العاملين قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف
بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول
المبطلون وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف
اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب و
انتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن
الحسن يقول الله يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها
باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة
لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة
والجنات قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يريد
ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من
قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح
لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم
والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا
وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون
قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين

ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية لقلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان واعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وقرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المسلمين قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتداء والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب ° فيوما علينا ويوما لنا ° ويوما نساء ويوما نسر ° وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك لقد خبنا اذا وخسرنا والمداولة مثل المعاودة قال ° يرد المياه فلا يزال مداولا ° في الناس بين تمثل وسماع ° يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين امنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه فعلنا ذلك كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان

لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو اثارهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون ان يشهدوا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهداء ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى موتة وقيل له ردكم الله ° لكنني اسأل الرحمن مغفرة ° وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا ° او طعنة بيدي حران مجهزة ° بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا ° حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ° ارشدك الله من غاز وقد رشدا ° وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب ابن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله

فانكفأ وجعل رسول

حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بابائنا
وامهاتنا اتانا الخبر بانك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروى انه لما صرخ الصارخ
وقال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين
لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا
قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك
مما يقول به هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين
انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد
بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان
اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة
الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افائن مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار
ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان
خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه
وسلم لا للانقلاب عنه **فان قلت** لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل **قلت** لكونه مجوزا
عند المخاطبين **فان قلت** اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس **قلت** هذا
مما يختص بالعلماء منهم وذوى البصيرة الا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل
العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك
اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من
الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا يعنى لا يضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزى
الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم الشاكرين لانهم شكروا
نعمة الاسلام فيما فعلوا وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله المعنى ان موت الانفس محال
ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغى لاحد ان يقدم عليه الا ان يأذن الله له
تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من الله وهو على
معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع
وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثانى ذكر ما صنع
الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة
وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم
لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته
منها اى من ثوابها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزى الجزاء المبهم الشاكرين الذين
شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ من الجهاد وقرئ يؤته وسيجزى بالياء فيهما وكأين من نبي

قاتل معه ربيون كثير قرئ قاتل وقتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي
ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول عن
سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث
فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب فما وهنوا لما اصابهم وقرئ فما
وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما
استكانوا والله يحب الصابرين وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن
والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن
مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حتى ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي
في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وما كان قولهم الا هذا القول وهو
اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء
بالاستغفار منها مقدما على تثبيت الاقدام في مواطن الحروب والنصرة على العدو ليكون
طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا
من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين وخص
ثواب الاخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا
والله يريد الاخرة يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين قال على رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى
اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا
يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه
واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي
ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار
وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شئ ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى
لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله موليكم اى ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته
وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقى قرئ بالنون والياء في
قلوب الذين كفروا الرعب والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف
يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض
الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم اى
كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله
باشراكها حجة **فان قلت** كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك **قلت**
لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجة
وانما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ومأويهم النار وبئس
مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في

الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا وعدهم الله النصر بشرط الصبر
والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد
قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما
رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام
الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم
فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا
والمسلمون على آثارهم يحسونهم اي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلتم والفشل الجبن وضعف
الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون
العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا
الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح
دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن
صبركم على المصايب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم
من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم
في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان
قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان
يكون صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او
باضمار اذكروا الاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال اصعد في الجبل واصعد في الارض
يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاول قراءة
ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم
ولا تلوون على احد وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ولا يلوون
بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله
الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم
كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي
فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بغم بسبب غم اذ غممتموه رسول الله بعصيانكم
له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم والقتل والجرح وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا على ما فاتكم
ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا
تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم
للرسول اي فاصابكم في الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما
غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم
ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا

ما اصابكم من غلبة العدو ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله الامن على
المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس
ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل
تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف
فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان
لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن
ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه كقولك رأيت
راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة
او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة
طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم
الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل
في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به
وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق
تأكيد ليظنون كما تقول هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك
حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل
الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول
الله يسألونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب
قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر
والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون
لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين
وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان
الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله و
لاوليائه وانهم الغالبون ما قتلنا ههنا لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في
هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل يعني من علم الله منه
انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم
في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون
ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم
الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وانما
ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما
يحرضهم على القتال فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا
من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله
ابن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان

الله تعالى قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من
قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرّز بالتشديد وضم
البناء وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور وليمتحن
ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل
ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة
قلت قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين
او استيناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع
ما هو مسألة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك
جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال و
يقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استينافا ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان
الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك
منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما
دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة
وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا
هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة
وقيل ذكرتهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا
على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير
ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة
يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال
الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس والنسب
اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا غزى جمع غاز كعاف وعفى كقوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف
الزاي على حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو
على حكاية الحال الماضية كقوله هل يضربون في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل الله
ذلك حسرة في قلوبهم قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم
على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا ولا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق
بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان
قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم
ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقادهم
فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وعلا كقوله يجعل
صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل
عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان

مخالفتهم فيما يعتقدون ويقولون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت
رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء
وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه طعنة او ضربة وها انا اذا اموت
كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء على
الذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن
متم او قتلتم لالى الله تحشرون لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله
تحشرون كذبا للكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو مات بالمدينة لما مات
ونهيا للمسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن القتال ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك
بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون
من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء
اي يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع
اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم
الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد والدلالة
على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه
على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا
امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك
حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما
للشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم و
لما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه
اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم
وعن ابي هريرة ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان
سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل
عليهم استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فقطعت الراي على شيء
بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا
الله لا انت ولا من تشاور معه وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك
عليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله كما نصركم
يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم
وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن
اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله
مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من المعصية
ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون وليخص المؤمنون ربهم
بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه

وما كان لنبي ان يغل يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله عليه السلام هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت فان قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسبت ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من تبعته مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأويه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي أو هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم

الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلوات الرحمن عليه وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه رؤساء مضر وبنو هاشم الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلوا عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان يكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ انى هذا من اين هذا كقوله تعالى انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء يوم بدر من اساراه قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير هو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فباذن الله فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم قتالا ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن لهم غم للآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا

القتال وجحدوا القدرة عليه رأسًا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي
انخزل مع حلفائه فقيل له انخزلت فقال لذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثير سواد المجاهدين وان
لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف
بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف
وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثروا سوادهم ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم
لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطاء رأيكم وزللكم
عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله كان
في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم
قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن
عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل
هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية
للمشركين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف
منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في
افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لافواههم والله اعلم
بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم
والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة
بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في اعرابه وجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين
نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا
من الضمير في افواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجل اخوانهم
من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا
وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا ما قتلوا لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من القعود و
وافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه قل
ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع
الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب
الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه
مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا
القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل
يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال ويجوز ان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد
يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم
صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم
لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين
وقوله فادرؤا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت
فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء

الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله
او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا
امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول قلت
هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما
وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم
مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون
ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما
آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم
من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما
اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتأكل من ثمارها
وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون بالذين باخوانهم المجاهدين الذين
لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد
تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون
بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون
بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم آمنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم
مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة
والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير
فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو
بيان لقوله الا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم
يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة و
الفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد
الله والله لا يضيع الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم
واتقوا اجر عظيم الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح
روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب
اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج
عليه السلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه
القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت
ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن
الزبير قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا روي ان ابا سفيان نادى
عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلوة والسلام

ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب فى قلبه فبدا له ان يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراى اتوكم فى دياركم وقراركم ولم يفلت منكم احد الا شريدا افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابى سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هى الكلمة التى قالها ابرهيم عليه السلام حين القى فى النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثمانى ليال وكان معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام يرجع المستكن فى فزادهم قلت الى المقول الذى هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابى بكر بايمان هذه الامة لرجح به وقالوا حسبنا الله محسبنا الله اى كافينا يقال احسبه الشئ اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته تكون فى معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهى السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح فى التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفى ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة

ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اى قول ابليس يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت فالام يرجع الضمير فى فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولى وسارعوا الى ما يامركم به ان كنتم مؤمنين يعنى ان الايمان يقتضى ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا الله ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد الرغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن شان الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعنى انهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة اى نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا فى الآخرة فاى فائدة فى ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعى الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا فى الكفر تنبيها على تماديهم فى الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس شيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم الذين كفروا فيمن قرا بالتاء نصب وانما نملى لهم خير لانفسهم بدل منه اى ولا تحسبن انما نملى للكافرين خير لهم وان مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها فى قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى الامام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الامام فى خط المصاحف فان قلت كيف صح مجئ البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه فى حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان وما فى حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة

قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما **فان قلت** كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم **قلت** هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شئ منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه **فان قلت** كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب **قلت** لما كان في علم الله المحيط بكل شئ انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة **فان قلت** فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة **قلت** معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق من المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من ماز بمعنى ميز **فان قلت** لمن الخطاب في انتم **قلت** للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم عنكم بالوحي اليّ نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الاخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقايدكم وشاهدا بضمايركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فامنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شئ وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ

بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والله بما تعملون خبير وقرئ بما يعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق سنكتب ما قالوا في صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب **فان قلت** كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب ما قالوا وهلا قيل ولقد كتبنا **قلت** ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى انه لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول ذوقوا عذاب الحريق ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك بما قدمت ايديكم ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب **فان قلت** فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم فكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب **قلت** معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء

منهم ويثيب المحسن الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان
تأكله النار عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الاية
الخاصة وهي ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم
كان يتقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وافتراء
على الله تعالى لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه آية ومعجزة فهو
اذن وسائر الايات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين سائر الايات قل قد جاءكم رسل
من قبلي بالبينات وبالذي قلتم وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي
اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم ايضا بهذه التي اقترحوها فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
ان الايمان يلزمكم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى
قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه
كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات
والزبر في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور
وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود كل نفس ذائقة
الموت وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين
مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به وانما توفون اجوركم يوم
القيمة قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعتكم
ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما
يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران قلت كلمة التوفية تزيل
هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض
الاجور فمن زحزح عن النار الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
وادخل الجنة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء
النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به
عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة
على حقوق الله وحقوق العباد وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور شبه الدنيا بالمتاع الذي
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس
الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع
بلاغ لتبلون في اموالكم وانفسكم خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا على احتمال ما سيلقون
من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق
من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر
والجرح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما
يقع فيها من الافات ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة

من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين
ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير وان تصبروا وتتقوا فان ذلك فان الصبر والتقوى من
عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون
يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الضمير للكتاب
اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن
فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون فنبذوا الميثاق وتأكيده
عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه
جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق
للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لانفسهم
واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل
بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم
بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو
كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من
العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا
يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في
الكتاب لتفسدن في الارض لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحد
المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا
تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن
فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء
في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم
الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد
ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا
لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي
رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه
واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم
اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم
يفعلوا من اتباع دين ابرهيم عليه السلام حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على
دينه وقيل انهم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا
اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون

بما اقوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم وتستحمدون
اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من يأتي
بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس
فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لادلة واضحة على الصانع و
عظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار
ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ
عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا
حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رأيت عن النبي صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت
ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي ثم الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة
هل لك ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك
قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من
القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع
يديه وجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي
فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا
اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات
والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن
علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء
ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين
سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك
في مدتك فقال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت
الا من ذاك الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يذكرون الله دائبا على اي حال
كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة
ابن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما
قال الله يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال
على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان
لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي رضي الله عنه في اضجاع المريض على جنبه
كما في اللحد وعند ابي حنيفة رضي الله عنه انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على
جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون
في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها
وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبريائه

سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى
الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما
رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا و
خالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر
وقيل الفكر تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب
بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على
يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر
في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في
محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة
عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك واجتناب معصيتك ووجوب طاعتك
ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى
ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض
او فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما
خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي
اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير
حكمة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه
في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين من انصار
اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها
تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك
وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد
وان يقال سمعت كلام فلان وقوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان فان قلت اي فائدة
في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي
لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي
اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل
او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك
فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال
دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى
انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعوا الى الله ادع الى سبيل
ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم
والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا
تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة

والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادى للايمان وهو الرسول و
قوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اى ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا
على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو
الثواب وقيل النصرة على الاعداء **فان قلت** كيف دعوا الله بانجاز وعده والله لا يخلف الميعاد
قلت طلبا للتوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو من باب اللجاء الى الله تعالى
والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك
التذلل لربهم والتضرع اليه واللجاء الذى هو سيماء العبودية فاستجاب لهم ربهم يقال استجاب
له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب انى لا اضيع عمل عامل قرئ بالفتح على حذف الباء
وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد منكم من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض
اى يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اى من اصله او كانه منه لفرط
اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء
مع الرجال فيما وعد الله عبادة العاملين وروى ان ام سلمة قالت يا رسول الله انى اسمع الله
يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم تفصيل لعمل
العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة
وهى المهاجرة من اوطانهم فارين الى الله بدينهم واضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها
ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا فى سبيلى من اجله وبسببه يريد سبيل الدين
وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم
بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثانى للمفعول وقتلوا وقاتلوا على
بنائهما للفاعل لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند
الله والله عنده حسن الثواب ثوابا فى موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله
لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم فى معنى لاثيبنهم وعنده مثل اى يختص به وبقدرته وفضله
لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندى ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن
بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال و
اعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الانابة من احتمال المشاق فى دين الله والصبر على صعوبة
تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل
بالجهل والغباوة وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه
الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات
ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه
بين يدى الدعاء لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد اى لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ
الدنيا ولا يغررك ظاهر ما ترى من تبسطهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد يتكسبون ويتجرون و
يتدهقنون وعن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود روى ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون
ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا

من الجوع والجهد **فان قلت** كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به **قلت**
فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشئ فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا
فكانه قيل لا يغرنكم والثانى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد
عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين
ولا تطع المكذبين وهذا فى النهى نظير قوله فى الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين امنوا
آمنوا وقد جعل النهى فى الظاهر للتقلب وهو فى المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب
لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع
قليل خبر مبتدأ محذوف اى ذلك متاع قليل وهو التقلب فى البلاد اراد قلته فى جنب ما فاتهم
من نعيم الآخرة او فى جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل فى نفسه لانقضائه
وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يدخل احدكم
اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ساء ما مهدوا لانفسهم لكن
الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل
ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات
له نزلا فانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى
مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار
مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن
القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله عن مجاهد نزلت فى
عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل فى اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين
من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى
ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع و
نظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى
هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان
لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم
من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن فى معنى الجمع لا يشترون بآيات
الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اى
ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه فى قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته
ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه فى كل شئ فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان
يراد انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد يا ايها الذين امنوا اصبروا على الدين وتكاليفه
وصابروا اعداء الله فى الجهاد اى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم
وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته
ورابطوا واقيموا على الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو وقال الله تعالى
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط

يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة
واتقوا الله لعلكم تفلحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطى بكل
آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة
صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس
واحدة يا بنى آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم **فان قلت** علام
عطف قوله وخلق منها زوجها **قلت** فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس
واحدة انشأها وابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من
نفس واحدة هذه صفتها وهو انه انشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعها
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء نوعى جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هى بيان
وتفصيل لكيفية خلقهم والثانى ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب فى يا ايها الناس للذين بعث
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه
وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر **فان قلت**
الذى يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها
ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذى ذكره موجبا للتقوى وداعيا
اليها **قلت** لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شئ
ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدى الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه
يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه فى كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها
او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهى ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب
عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذى وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب
على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعانى السورة وقرئ وخالق
منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق واتقوا الله
الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا تساءلون به تتساءلون فادغمت التاء فى
السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية اى يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله
وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تسألون غيركم بالله وبالرحم
فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون
به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين واما على واتقوا
الله والارحام او ان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن
مسعود تساءلون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل
متصل كاسمه والجار والمجرور كشئ واحد فكانا فى قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد
شديدى الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب
تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رأيتك
وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة

بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فما بك والايام من عجب والرفع على انه مبتدأ
خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل
به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا
الله الذى خلقكم واتقوا الذى تناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله
الذى تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وعلا اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها
منه بمكان كما قال الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سألك بالله فاعطه
واذا سألك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روى عن ابن عباس رضى الله
عنهما الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت
منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك
ان يضع ولده فى الحلال الم تسمع قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام واول صلته
ان تختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب
الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله وآتوا اليتامى اموالهم
اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة
وقيل اليتم فى الاناسى من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الامهات **فان قلت** كيف جمع اليتيم
وهو فعيل كمريض على يتامى **قلت** فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادى
الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجرى اليتيم
مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع
على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا
مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم
ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يتيم ابى طالب اما على القياس واما حكاية للحال التى كان عليها صغيرا ناشئا فى حجر عمه توضيعا
واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعنى انه اذا احتلم لم
تجر عليه احكام الصغار **فان قلت** فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم **قلت** اما ان
يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة
السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تأتى اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة
واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى
الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ
ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هى
فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا
الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ
بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه و
يطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله فقال النبى
صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه

ثبت الاجر كيف يمحى الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام ويبقى الوزر على والده ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من
المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال
اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه
التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة * فيا كرم السكن الذين تحملوا
عن الدار والمستخلف المتبدل * اراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي
رديا ويأخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وليس هذا بتبدل انما هو
تبديل الا ان يكارم صديقا فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تأكلوا اموالهم
الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم
واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل
مال اليتيم وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين
عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم
احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر انه كان حوبا كبيرا
والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا
عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب يحوب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب
والحاب القول والقال والطرد والطرد وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من
النساء ولما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم
الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان
تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم
ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات
لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان
يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم
يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم
من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها
فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب
لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم الا تقسطوا في يتامى النساء
فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب
كما قيل ايامى والاصل ايايم ويتايم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا
يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في
اية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه
قوله تعالى او ما ملكت ايمانهم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف
لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف يقول
فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات

لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذي اطلق
للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع
قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق
له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة
ولو افردت لم يكن له معنى فان قلت فلم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو
في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة
او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم
ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى
تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق
ان يأخذ الناكحون من اراد نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين في تلك الاعداد
وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابرهيم وثلث وربع على القصر من
ثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة
فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم
العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة
او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا
توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت
منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرأ ابن ابي عبلة
من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا
من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي
ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا تعولوا الا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رضي الله عنه انه فسر الا
تعولوا الا يكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم
اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود
الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤس المجتهدين
حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا وقد روي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا
وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في
كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة
طريقة الكنايات فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت ليس
كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري
بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة
الى تزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير
الشافعي رضي الله عنه من حيث المعنى الذي قصده وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وفي

حديث ابن شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال
على تخفيف صدقاتهن وصُدْقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صُدْقة بوزن غرفة وقرئ
صُدُقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صُدْقة كقولك في ظُلْمة ظُلُمة نحلة
فعلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث
ابى بكر رضى الله عنه انى كنت نحلتك جذاذ عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر
لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن
مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس
بالاعطاء او من الصدقات اى منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله اى عطية
من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل
كذا اى يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول له ويجوز ان يكون حالا من
الصدقات اى دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون
مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك
اى تعظمه فان طبن لكم عن شئ منه نفسا الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل
عن شئ من ذلك كما قال الله تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة
من افواه العرب ما روى عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان
ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن
لم تخل بالمعنى هو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها
لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت
عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم
فكلوه هنيئا مريئا فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب
عنه نفسا وعن الشعبى ان رجلا اتى مع امرأته شريحا فى عطية اعطتها اياه وهى تطلب ان ترجع
فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه
لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكى ان رجلا من آل ابى
معيط اعطته امرأته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته
الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتنى طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التى
بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضى الله عنه انه كتب الى قضاته ان النساء
يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة
غير مكرهة لا يقضى به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به فى الآخرة وروى ان ناسا كانوا
يتأثمون ان يرجع احدهم فى شئ مما ساق الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير
اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى
هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شئ منه ولم يقل فان طبن لكم عنها

بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعى لا يجوز
تبرعها ما لم تلد وتقم فى بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد
فيكون متنا ولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصداق واحدة
منها فصاعدا الهنئ والمرئ صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه
وقيل الهنئ ما يلذه الآكل والمرئ ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ فى مجراه وقيل لمدخل
الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المرئ لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر
اى اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اى كلوه وهو هنئ مرئ وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ
هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيما مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه
عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل
الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى
ولا يدى لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم
لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء فى اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل
الله لكم قياما اى تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها فى انفسها قيامكم وانتعاشكم
وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشئ
ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان
اترك ما لا يحاسبنى الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها
لولاها لتمندل بى بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا قال لئن ادنتنى من الدنيا
لقد صانتنى عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج احدكم كان اول
ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها
مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا
يأكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبى رجل
او امرأة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغى ويفسده وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم
ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت فى غزاتى جعلت لك حظا
وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك وبارك الله فيك وكل ما سكنت
اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه
لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم
اموالهم واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم
منهم رشدا اى هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم
لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل والايناس الاستيضاح
فاستعير للتبيين واختلف فى الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابى حنيفة واصحابه ان
يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى تستبين حاله فيما يجئ منه والرشد التهدى الى وجوه التصرف
وعن ابن عباس الصلاح فى العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعى الابتلاء ان تتبع

أحواله وتصرفه في الأخذ والإعطاء وبتبصر مخائله وميله إلى الدين والرشد الصلاح في الدين لأن الفسق مفسدة للمال فإن قلت فإن لم يؤنس منه رشد إلى حد البلوغ قلت عند أبي حنيفة رضي الله عنه ينتظر إلى خمس وعشرين سنة لأن مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فإن زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع إليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس وعند أصحابه لا يدفع إليه أبداً إلا بإيناس الرشد فإن قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعاً من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة أو طرفاً من الرشد ومخيلة من مخائله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فإن قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى إلى فادفعوا إليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي يقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جواباً للشرط الأول الذي هو إذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فإن أحستم بمعنى أحسستم قال أحسن به فهن إليه شوس وقرئ رشداً بفتحتين ورشداً بضمتين **ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف** إسرافاً وبداراً مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في إنفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنياً وبين أن يكون فقيراً فالغني يستعفف من أكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقاً على اليتيم وإبقاء على ماله والفقير يأكل قوتاً مقدراً محتاطاً في تقديره على وجه الأجرة أو استقراضاً على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على أن للوصي حقاً لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال له إن في حجري يتيماً أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالاً ولا واق مالك بماله قال أفأضربه قال مما كنت ضارباً منه ولدك وعن ابن عباس أن ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن إبله قال إن كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع أيديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن إبراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فإذا أيسر أدى وعن سعيد بن جبير إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه وإن أعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وإذا أيسرت قضيت واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة **فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم** بأن تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل في

الأمانة

الأمانة وبراءة الساحة ألا ترى أنه إذا لم يشهد فادعي عليه صدق مع اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق إلا بالبينة فكان في الإشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم يقم البينة **وكفى بالله حسيباً** أي كافياً بالشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسباً فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً** الأقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيباً مفروضاً نصب على الاختصاص بمعنى أعني نصيباً مفروضاً مقطوعاً واجباً لا بد لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة روي أن أوس بن صامت الأنصاري ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله قد جعل لهن نصيباً ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم **وإذا حضر القسمة** أي قسمة التركة **أولوا القربى** ممن لا يرث **واليتامى والمساكين فارزقوهم منه** الضمير لما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تأديباً من غير أن يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قسم ميراث أبيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار أحداً إلا أعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو الوجوب وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير أن ناساً يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس **وقولوا لهم قولاً معروفاً** والقول المعروف أن يلفظوا لهم القول ويقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا إليهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروا ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فإذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة إلى الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولاً معروفاً كانوا يقولون لهم بورك فيكم **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً** لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً وشفقتهم عليهم وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز أن يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون إلى المريض فيقولون إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئاً فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم ويخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم

على أولاد أنفسهم لو كانوا، ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمراً للورثة بالشفقة على الذين
يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وأن يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم
بقوا خلفهم ضايعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فإن قلت ما معنى
وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا
أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافاً وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم
وكاسبهم كما قال القائل لقد زاد الحيوة إلي حباً * بناتي إنهن من الضعاف * أحاذر أن يرين
البوس بعدي * وأن يشربن رنقاً بعد صاف * وقرئ ضعفاء وضعافى نحو سكارى وسكارى
والقول السديد من الأوصياء أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب
الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين إلى المريض أن يقولوا له إذا أراد
الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسعد إنك أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة
رضي الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع وأن الربع أفضل
من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم أن يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين إن الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلماً ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته إنما يأكلون في بطونهم
ناراً ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى
يأكلون ناراً يأكلون ما يجر إلى النار فكأنه نار في الحقيقة وروي أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم
القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال
اليتيم في الدنيا وسيصلون وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيراً
ناراً من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد إليكم ويأمركم في أولادكم في شأن ميراثهم
بما هو العدل والمصلحة وهذا إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين فإن قلت هلا قيل
للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله
كما ضوعف حظه لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قصد إلى بيان فضل الذكر و
قولك للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثى وما كان قصداً إلى بيان فضله
كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون
الإناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى
في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون فإن قلت فإن حظ الأنثيين
الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان قلت أريد حال الاجتماع لا الانفراد أي إذا اجتمع
الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال
كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه أتبعه حكم الانفراد
وهو قوله فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم
فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فإن كن نساء فإن كانت البنات
أو المولودات نساء خلصاً ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز أن
يكون خبراً ثانياً لكان وأن يكون صفة للنساء أي نساء زائدات على اثنتين وإن كانت

واحدة وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى فلها النصف وقرئ
واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله فإن كن نساء وقرئ زيد بن
ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك
هو الميت فإن قلت قوله للذكر مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر
من الأولاد لا لبيان حظ الأنثيين فكيف صح أن يردف قوله فإن كن نساء وهو لبيان
حظ الإناث قلت وإن كان مسوقاً لبيان حظ الذكر إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ
الأنثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق للأمرين جميعاً فلذلك صح أن يقال فإن كن نساء
فإن قلت هل يصح أن يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة
تفسيراً لهما على أن كان تامة قلت لا أبعد ذلك فإن قلت فلم قيل فإن كن نساء ولم
يقل وإن كانت امرأة قلت لأن الغرض ثمة خلوصهن إناثاً لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من
اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وبين انفرادهن وأريد ههنا أن
يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فإن قلت فقد ذكر حكم
البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين
في حال الانفراد فما حكمهما وما باله قلت أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما
منزلة الجماعة لقوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر
مكشوف وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم أن قوله للذكر
مثل حظ الأنثيين قد دل على أن حكم الأنثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع
الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الأنثيين قيل فإن كن نساء
فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما
للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت
وقيل إن البنتين أمس رحماً بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم يروا
أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحماً منهما وقيل إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت
أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها
أيضاً مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولأبويه الضمير للميت لكل واحد منهما
السدس مما ترك إن كان له ولد ولكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا
البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السدسان
لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فإن قلت فهلا قيل ولكل واحد من
أبويه السدس وأي فائدة في ذكر الأبوين أولاً ثم في الإبدال منهما قلت لأن في الإبدال
والتفصيل بعد الإجمال تأكيداً وتشديداً كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس
مبتدأ وخبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس
بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والأنثى ويختلف حكم الأب في
ذلك فإن كان ذكراً اقتصر بالأب على السدس وإن كان أنثى عصب مع إعطاء السدس فإن لم
يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن قلت قد بين حكم الأبوين في الإرث مع الولد

ثم حكمها مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واى فائدة فى قوله وورثه
ابواه **قلت** معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك لانه
اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقى بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث
ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين
فان قلت ما العلة فى ان كان لها ثلث ما بقى دون ثلث المال **قلت** فيه وجهان احدهما
ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية فى قسمة ما وراءه
والثانى ان الاب اقوى فى الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب
فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها
الا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقى للاب
حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين
فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون
مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوى فى الحجب الاثنان فصاعدا
الا عند ابن عباس وعنه انهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الام **فان قلت** فكيف
صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية **قلت** الاخوة تفيد معنى الجمعية
المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع فى افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على
الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر
فى قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث
كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصى بها وقرئ يوصى
بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا او دين **فان قلت** ما معنى او
قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس
الحسن او ابن سيرين **فان قلت** لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها فى الشريعة
قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث فى كونها مأخوذة من غير عوض كان اخراجها
مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف
الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة
الى اخراجها مع الدين ولذلك جئ بكلمة او للتسوية بينهما فى الوجوب ثم اكد ذلك ورغب
فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تدرون من انفع لكم
من ابائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم او من لم يوص يعنى ان من اوصى ببعض
ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك
الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا
الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا فى الصورة الا انه فان فهو فى الحقيقة
الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان اجلا الا انه باق فهو فى الحقيقة الاقرب الادنى
وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه فى الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك
الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون فى الدنيا ايهم

اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم
لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج
وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما فى النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شئ من
هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان
يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة من الله نصبت نصب المصدر المؤكد
اى فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما فى كل ما فرض وقسم من المواريث
وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
من بعد وصية يوصين بها او دين فان كان لهن ولد منكم او من غيركم ولهن الربع مما تركتم
ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين
جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة
سواء فى الربع والثمن وان كان رجل يعنى الميت يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل
واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها او
دين ويورث من ورث اى يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اى وان كان رجل
موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير فى يورث وقرئ يورث
ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به **فان قلت** ما
الكلالة **قلت** ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا
والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن
كلالة كما تقول ما صمت عن عى وما كف عن جبن والكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال
وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فاليت لا ارثى لها من كلالة فاستعيرت للقرابة
من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للمورث
او الوارث فبمعنى ذى كلالة كما تقول فلان من قرابتى تريد من ذوى قرابتى ويجوز ان يكون
صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق **فان قلت** فان جعلتها اسما للقرابة فى الاية فعلام
تنصبها **قلت** على انها مفعول له اى يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها **فان**
قلت فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه **قلت** الرجل حينئذ هو الوارث
لا الموروث **فان قلت** فالضمير فى قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ **قلت** الى
الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما **فان قلت** اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما
فى حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل يبقى هذه الفائدة قائمة فى هذا الوجه
قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت
بين الذكر والانثى وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه
برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله منه برئ الكلالة
ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير
هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابى وله اخ او اخت
من الام وقراءة سعد بن ابى وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة

فههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال
فعلم ههنا انما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة
للام فالا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد
العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة
على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن
قتادة كره الله الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي
بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله
فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث
فما دونه بزيادة على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسراف في الوصية
وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله والله عليم بمن جار او عدل في وصيته
حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت في يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث
فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما علمت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان
التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله
قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له
على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح
كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها تلك حدود الله تلك اشارة الى الاحكام
التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرايع كالحدود المضروبة
الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين من خلد في ... والانبياء
وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا
على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير
من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها واللاتي ياتين الفاحشة
من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ياتين الفاحشة يرهقنها يقال اتى الفاحشة
وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود ياتين بالفاحشة والفاحشة الزنا
لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت فخلدوهن
محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى
الزانية والزاني الاية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب
والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد ان يحدن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج
من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح
وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت
والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل حتى يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن
ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت

او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان ياتيانها منكم يريد الزاني والزانية
فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا
الحال فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما فاقطعوا التوبيخ والمذمة فان
التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد
بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهددهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام
فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ
واللذان بتشديد النون واللذان بالهمزة وتشديد النون انما التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران
واجب على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان
ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد
من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل
حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو
الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل ان ينزل
به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه
وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن
موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم
ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى
من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود
المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من
قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله
انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد
الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران
كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار ولا الذين يموتون
عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين
ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الاخرة فكما ان المائت على الكفر
قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان
التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله
عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون
السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام هم الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار
لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان
تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن
العالمين وقوله من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا من ترك الصلوة

متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال
الكافر فلانه لا يجترئ على ذلك الا كل مصمت يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان
الرجل اذا مات له قريب عن امرأة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل
احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اى ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث
وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى
ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم يكن من حاجته
حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها
به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء
الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اى الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن ثم عذرتم في طلب
الخلع وتدل عليه قراءة ابى الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها
ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امرأة فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابى
قلابة وابن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا
حتى تفتدى منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحد وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل
لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن
فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس
وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك
ولكن للنظر في اسباب الصلاح وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا
فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض
واخذن منكم ميثاقا غليظا وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته
ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان
اردتم استبدال زوج الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة
لانها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي
الله عنه اقام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند
الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة
اوقية فقامت اليه امرأة فقالت يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم
احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه
علي حتى ترد علي امرأة ليست من اعلم الناس والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو
بريء منه لانه يبهت عند ذلك اى يتحير وانتصب بهتانا على الحال اى باهتين وآثمين او على انه
مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعدت عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة
كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اى بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته و
عظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج

وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف
انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروءتهم
ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة
في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم
النساء على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة
مبينة من بانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع
على انه في موضع الحال وآتيتم احديهن بوصل همزة احديهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت
تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت بالنصب عطفا على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اى لا يحل لكم
ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اى فرق بين تعديته ذهب بالباء وبينها بالهمزة
قلت اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب
فكالازالة فان قلت الا ان ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف
او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن
لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة فان قلت من اى وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء
للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه
خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم قلت كما استثنى
غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا
يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق
بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط حرمت
عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت يعني
حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم
نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير
تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من
الرضاعة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا
وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة
قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد
لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته
لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم
النسب الا في مسئلتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج
اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع
والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء
الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم

من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم من نسائكم متعلق
بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها
فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن
وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون
الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع
احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا ترى انك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت
وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول
الله من خديجة وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا
يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول
اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء
لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم
امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا بأس ان يتزوج ابنتها
ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق
هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن
عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قرؤا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن
عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت
عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام
الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا
وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما فان
قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن
او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم
حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان
تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله
عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هو
كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية
واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها
فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال
اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها
لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر
الى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق

الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم
لا يقع الا بالجماع وحده وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين
فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان
تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين
والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن
عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او
ما ملكت ايمانكم فرجح علي رضي الله عنه التحريم وعثمان رضي الله عنه التحليل الا ما قد
سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء
القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن
احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت
ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات
وفي معناه قول الفرزدق، وذات حليل انكحتها رماحنا، حلال لمن يبني بها لم تطلق، كتاب الله عليكم
مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت
علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم
تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل وروى عن
اليماني كتب الله على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ احل لكم على البناء للمفعول
فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا باموالكم مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة
ان يكونوا ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين
لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة
اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال
المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو
النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا
مما وراء والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني
فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن
فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع اليه لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور
باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه
على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن اجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة
حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد
اي فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما
حكيما فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا
به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او

اسبوعاً بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه
لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه
النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي
محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته
وقال اللهم انى اتوب اليك من قولى بالمتعة وقولى في الصرف ومن لم يستطع منكم طولا ان
ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات الطول الفضل يقال لفلان
على فلان طول اى زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال لقد زادني حبا لنفسي انني
بغيض الى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم ما حلى منه بطائل اى بشيء يعتد به مما له فضل وخطر
ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه نقصان والمعنى ومن لم يستطع
زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم
فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رضي الله عنه
واما ابو حنيفة رضي الله عنه فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الاية
بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية
وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية
وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه
على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر مع علمنا انه
ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل **فان قلت** لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح
الحرة **قلت** لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها
ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة
من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اى من فتيات المسلمين لا من فتيات غيرهم وهم المخالفون
في الدين **فان قلت** فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم **قلت** معناه ان الله اعلم بتفاضل
ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة
ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا
فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه
بعضكم من بعض انما انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر
عبدا الا برجحان فيه فانكحوهن باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج
به لقول ابي حنيفة رضي الله عنه ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي
لا عقدهم وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء
الى الاقتضاء واللز **فان قلت** الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم
لا اليهن فلم قيل وآتوهن **قلت** لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن
اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف غير

مسافحات ولا متخذات اخدان والاخدان الاخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح و
لا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على
المحصنات اى الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرؤ عنها العذاب ولا رجم
عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم
الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة و
ضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المأثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها
فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء وصبركم عن نكاح الاماء متعففين
خير لكم والله غفور رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك
البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين
كما زيدت في لا ابا لك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم
من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وان يهديكم مناهج من كان
قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم
ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله
عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد
الذين ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد
والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل
المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله
قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ
والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال
نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق
الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء
فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف
على فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس و
خلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان آيات في سورة
النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد
ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة و
الخيانة والغصب والقمار وعقود الربوا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ
تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن
اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض
صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق
اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب

والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي رضي الله عنه تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهيكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطاء ولا اقتصاصا وقرئ عِدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونَصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويُصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم قال ... ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافة فيهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء وندخلكم مدخلا كريما ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي

نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موال لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رضي الله عنه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك بما فضل الله بعضهم على بعض والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة رضي الله عنه والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا من اموالهم وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا

بالنساء خيراً او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن
الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما
حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اى حافظات للغيب بالامر الذى يحفظ حق الله وامانة الله
وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت
حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن
فى المضاجع واضربوهن نشوزها ونشوصها ان تعصى زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج
فى المضاجع فى المراقد اى لا تداخلوهن تحت اللحف وهى كناية عن الجماع وقيل ان يوليها ظهره
فى المضجع وقيل فى المضاجع فى بيوتهن التى تبتن فيها اى لا تبايتوهن وقرئ فى المضجع وفى
المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن فى النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن فى
المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع
واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضرباً
غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظماً ويجتنب الوجه وعن النبى صلى الله عليه وسلم علق
سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابى بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير
ابن العوام فاذا غضب على احدينا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات
ولولا بنوها حولها لخبطتها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً فازيلوا عنهن التعرض
بالاذى والتوبيخ والتجنى والمعنى وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن
الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان علياً كبيراً فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم
اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصارى رفع سوطه ليضرب
غلاماً له فبصر به رسول الله فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط
واعتق الغلام او ان الله كان علياً كبيراً وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم
تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجنى عليكم اذا رجع وان خفتم شقاق بينهما
اصله شقاقاً بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار
واصله بل مكر فى الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقاً والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك
صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء فابعثوا
حكماً من اهله وحكماً من اهلها رجلاً مقنعاً رضاً يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما
كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن
اليهم نفوس الزوجين وتبرز اليهم ما فى ضمايرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة
وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت
هل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رأيا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك
الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما
وعن عبيدة السلمانى شهدت علياً رضى الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد
فيام من الناس فاخرج هؤلاء حكماً وهؤلاء حكماً فقال على للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما
ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال على كذبت

والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لى وعلى
وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبى ما قضى الحكمان جاز والالف فى ان يريدا
اصلاحاً ضمير الحكمين وفى يوفق الله بينهما للزوجين اى ان قصدا اصلاح ذات البين
وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك فى وساطتهما واوقع الله بطيب
نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى فى نفوسهما المودة والرحمة
وقيل الضميران للحكمين اى ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله
بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم
المراد وقيل الضميران للزوجين اى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما
الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقاً وبالبغضاء مودة ان الله
كان عليماً خبيراً يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما فى الارض
جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً و
بالوالدين احساناً واحسنوا بهما احساناً وبذى القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من
اخ او عم او غيرهما واليتامى والمساكين والجار ذى القربى الذى قرب جواره والجار
الجنب الذى جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الاجنبى وانشد لبلعاء بن قيس
لا يجتوينا مجاور ابداً ذو رحم او مجاور جنب وقرئ والجار ذا القربى نصباً على الاختصاص
كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيهاً على عظم حقه لادلائه بحقى الجوار
والقربى والصاحب بالجنب هو الذى صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقاً فى سفر واما جاراً
ملاصقاً واما شريكاً فى تعلم علم او حرفة واما قاعداً الى جنبك فى مجلس او مسجد او غير ذلك
من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة
الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف
وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً والمختال التياه الجهول الذى
يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجنب
بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً بدل من قوله من كان مختالاً فخوراً او نصب
على الذم ويجوز ان يكون رفعاً عليه وان يكون مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون
ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين
وبضمتين اى يبخلون بذات ايديهم وبما فى ايدى غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتاً
للسخاء ممن وجد وفى امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره وان امرءاً ضنت يداه
على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل ولقد رأينا ممن بلى بداء البخل من اذا طرق سمعه ان
احداً جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه فى رأسه كانما نهب
رحله وكسرت خزانته ضجراً من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون
رجالاً من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر و
لا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر

الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته عليه وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد ان الله لا يظلم مثقال ذرة الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان تك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الاية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من ضعف واضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى

يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كازكى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الرنون وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال **فان قلت** كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها **قلت** كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين **فان قلت** يصح صلوته على الجنابة لعذر السفر **قلت** اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد **فان قلت** ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم **قلت** الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه **فان قلت** فما يصنع

بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصعيد
الذي لا تراب عليه **قلت** قالوا ان من لابتداء الغاية **فان قلت** قولهم لابتداء الغاية
قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب
الا معنى التبعيض **قلت** هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا
كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم آثر ان يكون
ميسرا غير معسر **فان قلت** كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين
وبين المجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة
سبب لوجوب الغسل **قلت** اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء
في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة
لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه
التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه
او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين وهين و
الغيط بمعنى الغائط الم تر الى الذين من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم
او بمعنى الم تنظر اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون
الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون
ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم
ضلالتهم بل يحبون ان يضلهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله
اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم
فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستبشروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا
فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من
الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم
وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما
اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا
ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين
هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش اكدح • اي
فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه
ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها و
ذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم
الرجم بوضعهم الحد بدله **فان قلت** كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه
قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه
فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع
هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره

والمعنيان

والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة
تخفيف كلمة ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا قولهم غير مسمع حال
من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا
عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا
على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع
جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب
ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعولا اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك
لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا
اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة
عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول
الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به
التوقير والاكرام ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون
بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا **فان**
قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا
قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء
ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم
نطقوا به وقرئ انظرنا من الانظار وهو الامهال ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا و
اسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا
لهم **قلت** الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك
خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم
عن الطافه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم
بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم نصيبه اي
عديم التشكي او الا قليلا منهم قد امنوا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا
مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب
وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها
والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها
على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى
قدام ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها
حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم
ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات
الشام يريد اجلاء بني النضير او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت **فان قلت** لمن الراجع
في قوله او نلعنهم **قلت** للوجوه ان اريد به الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من

قبل ان نطمس وجوهاً قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم او نخزيهم
بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان
وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة ولان
الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم
او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل
لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا
بد ان يقع احد الامرين ان لم تؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب
منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعاً موجهين الى
قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد
بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار
لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله ومن يشرك بالله
فقد افترى اثماً عظيماً ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الم تر الى الذين يزكون انفسهم
اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او
نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على
هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه
بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة التقوى
والطاعة والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني
لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذاباً
لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه
او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية
غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين
عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون فتيلا اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم
انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم
هو اعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى به
وكفى بزعمهم هذا اثماً مبيناً من بين سائر آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله
والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع
جماعة من اليهود يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب
وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا
ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان

نحن

انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن
الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا
افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيراً وصف
اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة
غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة للانكار ان يكون لهم نصيب
من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون الناس اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احداً
مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير
والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
اذاً لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباق نظيره من القرآن ويجوز
ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيباً من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين
وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احداً مما يملكون شيئاً وقرأ ابن مسعود
فاذاً لا يؤتوا على اعمال اذاً عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل
فلا يؤتون الناس نقيراً اذاً ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله بل يحسدون
رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من
النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة الزام
لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم
وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وآتيناهم ملكاً عظيماً وعن ابن عباس
الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمن وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم
له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم فمن اليهود من
آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً وانكره
مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من انكر نبوته
او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ان
الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ابدلناهم
اياها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة
الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلوداً
بيضاء كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله
اي ادامك على عزك وزادك فيه ان الله كان عزيزاً لا يمتنع عليه شيء مما يريد بالمجرمين
حكيماً لا يعذب الا بعدل من يستحقه والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً
ظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك
وهو ما كان فيناناً لا جوب فيه ودائماً لا تنسخه الشمس وسجسجاً لا حر فيه ولا برد
وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التقوء تحت ذلك الظل وفي

قرأه عبد الله سيدخلهم بالياء ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل الخطاب عام لكل واحد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن
عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم
الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع اليه المفتاح وقال لو علمت انه رسول
الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية
والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت و
آذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله ان السدانة في اولاد
عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان
الله كان سميعا بصيرا ما اما ان تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة
موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف
اي نعما يعظكم به ذاك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح
النون يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم لما امر الولاة
باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم
والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون
على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين
لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن
تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم
وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم
قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني
فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء
الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم
في شيء فان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة
وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان
امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل
وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة وانما
يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولو الامر عند الله ورسوله
واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد الى الكتاب والسنة خير لكم و
اصلح واحسن تأويلا واحسن عاقبة وقيل احسن تأويلا من تأويلكم الم تر الى الذين يزعمون انهم
آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت روي ان بشرا المنافق خاصم

يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم
انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم
الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه
فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه
ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله
فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت
الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية به او جعل اختيار التحاكم على غير
رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرأ عباس
ابن فضل ان يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا
وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة
واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما
حذف اللام وقع واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول
اهل مكة تعالى بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح
اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا و
لا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم
ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما
اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك
ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين
لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون
بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل
والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به اولئك الذين يعلم الله
ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة
والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار
فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله قولا بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم
مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد
بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل
والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم
الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف
او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا
بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا

قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه
وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة
لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا
من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته
وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله
ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله
وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين
من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص واستغفر لهم
الرسول وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله
ومستغفرا لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم
وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره
وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك لا يؤمنون معناه فوربك
كقوله فوربك لنسئلنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم
ولا يؤمنون جواب القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت
يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
انه لقول رسول كريم حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل
اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم مما قضيت من حكمك
وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا تسليما وينقادوا و
يذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته
سلم نفسه واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل
وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك
فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك
كان قد اشار الى الزبير براي فيه السعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه
وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال
الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله
هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا
مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه فقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين
الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني
الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن
ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت

في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا
والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اخلوا اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني
اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه
الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا
بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع
رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن
الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه
واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا
لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما في
ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته
ولهديناهم صراطا مستقيما ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ومن يطع الله و
الرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
الصديق يقولون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه
وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب المؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد
الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما
احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب
حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط
في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما
وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة
شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين
وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت
فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه
واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة ذلك الفضل من الله ذلك مبتدا والفضل
صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي
المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم
وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه
بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده هو يوفقهم على حسب احوالهم يا ايها الذين امنوا
خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف
كانه جعل الحذر الته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو
ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا ثبات او انفروا جميعا فانفروا اذا نفرتم الى العدو اما ثبات

جماعات متفرقة سرية بعد سرية وأما جميعاً اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا
بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء وان منكم لمن ليبطئن اللام في لمن للابتداء
بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم
بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقاً ومعنى
ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن
بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ على وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز
ان يكون منقولاً من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا
ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة
من قتل او هزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيداً ولئن اصابكم فضل من الله
من فتح او غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله
لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي
هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً والمعنى كأن لم يتقدم له
معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون
لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسداً
لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكماً بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفاً على
كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعاً ويجوز ان يكون
خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيماً
يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامه
فالذين يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق
ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد فالذين يبيعون هم
المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت
قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل
الله ظافراً او مظفوراً به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله وما لكم لا
تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا
اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً
والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجروراً عطفاً على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين
ومنصوباً على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في
كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون
هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين
يلقون منهم الاذى الشديد فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج
الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله

صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل
مكة عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر
الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت
تسجيلاً بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاماً لآبائهم وامهاتهم
ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالاً
لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم
في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز
ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة
يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما
يقال الآباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف
للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل
كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف
ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت
نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين
ظلموا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا
اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً رغب الله المؤمنين ترغيباً وشجعهم تشجيعاً
باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل
الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين
اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية كفوا ايديكم
اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة و
كانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكاً في الدين
ولا رغبة عنه ولكن نفوراً عن الاخطار بالارواح وخوفاً من الموت كخشية الله من اضافة
المصدر الى المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على
الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل
خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على
الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية
مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما
عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالاً عن ضمير
الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية
وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة
عن الفاعل حالاً منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولك جد جده فتزعم
ان معناه يخشون الناس كخشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله

ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهالا الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا ينقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قائلها وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انها تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فيعلمون ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن نفسك فمن عندك لانك السبب فيها بما كسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج من طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يأمر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى

ان يعبد غير الله وما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا او مهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشاني حمد الله وثناء عليه ولو نصبت حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فاذا برزوا من عندك بيت طائفة خرجت طائفة منهم وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فلا تحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم لا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم وكفى بالله وكيلا فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج افلا يتدبرون القرآن تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسئلنهم اجمعين فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه منهم الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله واولي الامر على

امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ
الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر فوضوه اليهم وكانوا
كان لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل
كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر على السرايا مظنونا غير معلوم الصحة
فيذيعونه فيعود ذلك وبالا عليهم ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم وقالوا نسكت
حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه من الرسول واولى
الامر اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال اذاع به
فى الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ
من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله كما صحوا باذل من الادم دبرت صفحاته وغاربه
والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير
لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر
الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر فى الاى قبلها تثبطهم عن القتال واظهار حرم الطاعة
واضمارهم خلافها قال فقاتل فى سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك
غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك
كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد
رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على
احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهى ولا نكلف بالنون وكسر
اللام اى لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك فى شانهم الا التحريض
فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا
لابى سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا فى عام مخصب
فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة يكن
له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها الشفاعة الحسنة هى التى روعى بها
حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغى بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة و
كانت فى امر جائز لا فى حد من حدود الله ولا فى حق من الحقوق والسيئة ما كانت بخلاف ذلك
وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت
ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ولا اتكلم فيما بقى منها ومن الشفاعة الحسنة هى الدعوة للمسلم
لانها فى معنى الشفاعة الى الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب
استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وكان
الله على كل شىء مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشىء قال الزبير بن عبد المطلب
وذى ضغن كففت الطعن عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموأل ألى الفضل ام على اذا
حوسبت انى على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم
بتحية فحيوا باحسن منها الاحسن منها ان يقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام

عليكم وان يزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة
الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى واين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لى فضلا
فرددت عليك مثله او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله
لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة
وتركها وعن ابى يوسف رح من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعى
السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين
فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد
السلام فى الخطبة وقراءة القران جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة
وعن ابى يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام
والعارى من غير عذر فى حمام او غيره وذكر الطحاوى ان المستحب رد السلام على الطهارة
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امراته
ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب
الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابى حنيفة لا يجهر بالرد
يعنى الجهر الكثير وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
اى وعليكم ما قلتم فانهم كانوا يقولون السام عليكم وروى لا تبدأ اليهودى بالسلام واذا
بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها
استغفار وعن الشعبى انه قال لنصرانى سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال
اليس فى رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء فى ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت
الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروى ذلك عن النخعى وعن ابى حنيفة رضى الله عنه لا تبدأه
بسلام فى كتاب ولا غيره وعن ابى يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام
على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه فى دنياه ان الله كان على كل شىء حسيبا
اى يحاسبكم على كل شىء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو لا اله الا هو اما خبر للمبتدا
واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه اى
ليحشرنكم اليه والقيمة والقيام كالطلابة والطلاب وهى قيامهم من القبور او قيامهم للحساب
قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا
صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه
ووجه قبحه الذى هو كونه كذبا واخبارا عن الشىء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب
الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غنى عنه الا انه يجهل غناه
او هو جاهل لقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب فى اخباره ولا يبالى بايهما
نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب
فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا انى صادق

في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا تجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزهاً
عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فما لكم في المنافقين فئتين فئتين نصب على الحال كقولك
ما لك قائماً روي أن قوماً من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج
إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا
بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا
قوماً هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله إنا على دينك وما أخرجنا إلا
اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم أحد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين أغاروا على السرح وقتلوا يساراً وقيل هم قوم
أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقاً
ظاهراً وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله أركسهم أي ردهم في
حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله
أو أركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم أتريدون أن تهدوا
أن تجعلوا من جملة المهتدين من أضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك
أو خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله
فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم
شرعاً واحداً فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وإن آمنوا حتى
يظاهروا إيمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة
ليس بعدها بداء ولا تعرب فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا
منهم ولياً ولا نصيراً فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم
حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وإن بذلوا لكم الولاية
والنصرة فلا تقبلوا منهم إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من
قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون إلى قوم ينتهون إليهم ويتصلون بهم وعن أبي عبيدة
هو من الانتساب وصلت إلى فلان واتصلت به إذا انتميت إليه وقيل الانتساب لا أثر له
في منع القتال فقد قاتل رسول الله ومن معه من هو من أنسابهم والقوم هم الأسلميون وكان
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن
عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار
مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح أو جاؤكم لا يخلو من أن
يكون معطوفاً على صفة قوم كأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين
عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو
الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم
السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر أن كفهم
عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الإيقاع بهم فإن قلت كل واحد

من

من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق إزالة التعرض الاتصال بالمعاهدين
أو الاتصال بالمكافين لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت أن يكون
العطف على صفة قوم ويكون قوله فإن اعتزلوكم تقريراً لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم
بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام وفي قراءة
أبي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير أو ووجهه أن يكون جاؤكم بياناً
ليصلون أو بدلاً أو استئنافاً أو صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال
بإضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم
وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على أو جاؤكم قوماً حصرت صدورهم وقيل هو بيان
لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض أن يقاتلوكم
أو يقاتلوا قومهم عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم
فإن قلت كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم إلا
لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين
مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فإن اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم فإن لم يتعرضوا لكم وألقوا إليكم السلم أي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون
اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ستجدون
آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة
أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى
الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا فيها قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه و
كانوا شراً فيها من كل عدو فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً حجة واضحة لظهور
عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطاً ظاهراً حيث أذنا
لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي أن
يغل وما كان لنا أن نعود أن يقتل مؤمناً ابتداء من غير قصاص إلا خطأ إلا على وجه الخطأ
فإن قلت بم انتصب خطأ قلت بأنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا
للخطأ وحده ويجوز أن يكون حالاً بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ وأن يكون
صفة للمصدر إلا قتلاً خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء
البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافراً فيصيب مسلماً أو يرمي شخصاً على أنه
كافر فإذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي أن عياش بن
أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر خوفاً من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع
فخرج أبو جهل ومعه الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في
الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك
حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث

هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقيل هما على امه فحلفت لا اجل
كنافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر
باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله فقال قتلته ولم اشعر باسلامه
فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق
والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللوم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير
لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة
عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة
كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت
وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما
اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها
من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ودية مسلمة الى اهله
مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء
يقضى منها الدين وينفذ الوصية واذا لم يبق وارثا فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام
الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه
انه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة
الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود
يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن
ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من يجب الرقبة
والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم يكن
له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية
ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وقرأ ابي الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق الا ان يصدقوا وما محله
قلت تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل ويجب الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها
النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من
اهله بمعنى الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة من قوم
كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله
الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل
يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه
كافرا مثلهم وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين
فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام
فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا

قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه وكان الله عليما
حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له
عذابا عظيما هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ
ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان
كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ
والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا
اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك
في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن
ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن
هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا
تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا
في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه
التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع
واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر
قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر
تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله
يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى
الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلام وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي
هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك
واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته
باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر
ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق
غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية
على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال
يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون
عرض الحياة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك
التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة تغنمونها تغنيكم عن قتل رجل
يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في
الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع
على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم و
ان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر

الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما وقوله فتبينوا تكريرا للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف من لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد فيرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صنعة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما فان قلت قد ذكر الله المفضلين درجة والمفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت بم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما

على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ان الذين توفاهم الملائكة توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الاية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة

التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء و
الولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء
بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع
قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار
من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا وسعة مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم
والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته
وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم
والمذهب وقرئ مرغما ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ
يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد
ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ يدركه
الموت بالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان
الله غفورا رحيما فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت
جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب وروي
في قصة ضمرة بن جندب انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه
لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول
الله فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما
طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة
او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت
في طريقه فاجره واقع على الله واذا ضربتم في الارض الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة
السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام
على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن في يوم
قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر وعند الشافعي ادنى مدة السفر اربعة برد
مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر
والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي رضي الله عنه وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه اتم في السفر وعن عايشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت
وافطرت فقال احسنت يا عايشة وما عاب علي وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند
ابي حنيفة رضي الله عنه القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه
صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عايشة رضي الله عنها اول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت فما تصنع بقوله
فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم
ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا

من

من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر
ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم ليس
فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما تكره
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة
في حال الخوف عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التي كان يحضرها
والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك
فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون
من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه
فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة
ان يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم
تقف هذه بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف هذه بازاء العدو
وتأتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة
بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلوة لان الامام
يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية
ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم وبعضده ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا
فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
وقرئ وامتعاتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت جعل
الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ
وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم
ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم ميلة واحدة
فيشدون عليكم شدة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا
اسلحتكم وخذوا حذركم ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم
من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان
قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر
من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم
ويخذله وينصرهم عليه ليقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد
من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال
الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين
على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها
وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج

إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها
على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي في إيجابه الصلوة على المحارب
في حال المسابقة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء
وأما عند أبي حنيفة رضي الله عنه فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن وقيل معناه فإذا
قضيتم صلوة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين داعين بالنصرة والتأييد في كافة
أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه
والالتجاء إليه فإذا اطمأننتم فإذا أقمتم فأقيموا الصلوة فأتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا
ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله
إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون أي ليس ما تكابدون
من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم
ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم
بالصبر لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب
العظيم في الآخرة وقرأ الأعرج أن تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا
تألمون وقوله فإنهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فإنهم ييلمون كما تيلمون وروي أن هذا
في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم
ولا ينهاكم إلا لما هو عالم به مما يصلحكم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب
دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق
حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود
فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل
هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب
اليهودي وقيل هم أن يقطع يده فنزلت وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا
بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله بما أراك الله بما عرفك وأوحى به إليك وعن
عمر رضي الله عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه وكن
ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن
والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبراء يعني لا تخاصم
اليهود لأجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي إن الله كان غفورا رحيما
ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون
أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع
إليهم فإن قلت لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت
لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الإثم والثاني أنه
جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا يخاصم لخائن قط ولا يجادل عنه إن الله لا يحب

لا يخاصم مخاصمه

من كان خوانا أثيما فإن قلت لم قيل خوانا أثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من
طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وقيل
إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق
فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده
في أول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من
الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى
بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم إن كانوا
مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح
إذ يبيتون يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة
أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته فإن قلت كيف سمى التدبير قولا
وإنما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول
الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته وتوركه الذنب على اليهودي وكان الله بما يعملون
محيطا ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة أم من
يكون عليهم وكيلا ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع
أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز أن يكون
أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه في
الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه أي عن طعمة وكيلا
حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل
طعمة بقتادة واليهودي أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا
من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وهذا
بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ليلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه أو لقومه لما فرط
منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه أي لا يتعداه ضرره
إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة صغيرة
أو إثما كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا لأنه
بكسب الإثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الأمرين وقرأ معاذ بن جبل ومن يكسب
بكسر الكاف والسين المشددة وأصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته أي عصمته
وألطافه وما أوحى إليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر أن يضلوك
عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم فقد روي أن
ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون إلا أنفسهم لأن وباله عليهم وما يضرونك
من شيء لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وعلمك
ما لم تكن تعلم من خفيات الأمور وضمائر القلوب أو من أمور الدين والشرائع ويجوز أن يراد
بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم إلى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من

بنجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك
ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور
بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع
بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو
في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن
النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر
او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير
في كثير من نجواهم هو هذا بعينه او ما سمعته يقول ان الانسان لفي خسر هو هذا بعينه و
شرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي
به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات **فان قلت** كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل
ذلك **قلت** قد ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الامر به في زمرة الخيرين
كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم و
يجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي
هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة
الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول
في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى
نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم و
ساءت مصيرا وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه
الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد
ضل ضلالا بعيدا تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ
من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك
بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله و
لا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى
حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه ان يدعون
من دونه الا اناثا وهي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا
ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل
المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثى جمع انيث او اناث ووثنا واثنا بالتخفيف
والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت
عائشة رضي الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا
مريدا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه الله و
قال لاتخذن من عبادك ولعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين
لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض

[Right margin notes:]
والمعنى بدلا من نجواهم بتقدير المضاف او من هم بدونه لانه لا يستثنى
كما يقال فعلت على زيد ومحته ضربا واكرمته فيقول نعم ما فعلت بقولك فعلت عن جميع الافعال
قال بعضهم هذا منسوخ باية السيف لكنها في حق المرتد
يعني ان هذه الاية ذكرت قبل ذلك في هذه السورة مرة اخرى والفائدة في تكرارها التأكيد
قوله وقلب الواو الفا اي همزة في قراءة انثا وثنا جمع وثن
قوله جامعا بين لعنة الله اي طرده

له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعين الى النار ولأضلنهم
ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ولأمنينهم الاماني الباطلة من
طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها
بالشفاعة ونحو ذلك وتبكيتهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت
خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء
العين للحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم
واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شرى الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان
الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان
عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه
لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث يعدهم
ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد
الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا
توكيد ثالث بليغ **فان قلت** ما فائدة هذه التوكيدات **قلت** معارضة مواعيد الشيطان
الكاذبة وامانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار
ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان
ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا
يظلمون نقيرا في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا بأماني
اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب
معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن
ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى
خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا
العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل
كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت
قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا
منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن
ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله
وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد
ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا
وعملوا الصالحات عقيب قوله وقوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله
الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله هو الفائز ومن ساء عمله هو الهالك

بيّن الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الاذان ولا تلقى اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في ومن يعمل فان قلت كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الاخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع الثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم حنيفا حال من المتبع او من ابرهيم كقوله بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابرهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخالّ وهو الذي يخالّك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخلّ وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى

عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين من الولدان مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وان تقوموا لليتامى بالقسط مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخائله وامارته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما فلا بأس بهما في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة اراد ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة

شر من النشوز وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار
الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه
والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم
لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان
كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز
والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان و
التقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني ادم وامرأته
من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال لها ما لك قالت حمدت الله
على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك
فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين
النساء ولو حرصتم ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة
ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه
الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد
الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك
يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب
بالغ من الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة و
التعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي
من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب
مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من
غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع
منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست
بذات بعل ولا مطلقة قال هي لا ايمة ولا ذات بعل او تطليق او صلف او بين ذلك تعليق وفي قراءة
ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احدهما جاء يوم القيامة و
احد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمال فقالت يا عائشة الى كل ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر
مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول
فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ في بيت الاخرى
فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما
وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم وان يتفرقا
اي وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا من سعته
يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة وكان الله

واسعا حكيما والواسع الغني المقتدر ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا والكتاب
اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا الله بان اتقوا او يكون ان المفسرة لان التوصية
في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض عطف على اتقوا لان
المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله
وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه
غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم من الامم
السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم
بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملئكة والثقلين من يعبده ويوحده ويتقيه
وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا حميدا مستحقا لان يحمد لكثرة
نعمه وان لم يحمده احد منهم ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا وتكرير
قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه
لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم
ايها الناس ويأت باخرين ويوجد انشاء اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير الانس وكان
الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا
غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله
عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بناس اخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت
ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء
فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا
والاخرة فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا
لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب
الدنيا والاخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط وكان الله سميعا بصيرا يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله
تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
ولو كانت الشهادة على انفسكم او ابائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين
ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت
هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان
كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على ابائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره
من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه
طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما اي بالنظر لهما وارادة
مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه تعالى انظر لعباده من كل
ناظر فان قلت لم ثني الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او

فقيراً في معنى ان يكن احد هذين **قلت** قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنياً او فقيراً لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغنى وجنس الفقير كأنه قيل فالله اولى بجنس الغنى والفقير اى بالاغنياء والفقراء وفى قراءة ابى فالله اولى بهم وهى شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غنى او فقير على كان التامة فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ ان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيراً وبمجازاتكم عليه يا ايها الذين امنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذى انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروى انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابنى كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقاً آمنوا اخلاصاً **فان قلت** كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذى انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل **قلت** كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايماناً به لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايماناً وهذا الذى اراد عز وجل فى قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً اولئك هم الكافرون حقاً **فان قلت** لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل **قلت** لان القرآن نزل مفرقاً منجماً فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشىء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعاً ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً نفى للغفران والهداية وهى اللطف على سبيل المبالغة التى تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفى ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت

على الردة وكان الايمان اهون شىء عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا نرى الفاسق الذى يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين بان لهم عذاباً اليماً الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين وضع بشر مكان اخبر تهكماً بهم والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً يريد لاوليائه الذين كتب لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذاً مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً ان اذا سمعتم هى ان المخففة من المثقلة والمعنى انه اذا سمعتم اى نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنزل او فى موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزؤن به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه فكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذاً مثل الاحبار فى الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعنى القاعدين والمقعود عليهم **فان قلت** الضمير فى قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع **قلت** الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها **فان قلت** لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم فى وقت الخوض **قلت** لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضى بالكفر كافر **فان قلت** فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين **قلت** لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون بكم اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اى ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا فى الغنيمة وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المسلمين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا فى قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبنا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان فان قلت الحطيئة الم اك جاركم ويكون بينى

وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت
تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء
حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنى ولمظة من الدنيا يصيبونها
ان المنافقين يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو
خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والاموال
فى الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار فى الاخرة ولم يخلهم فى العاجل من فضيحة واحلال
باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه
وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى
نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى فى سكران اى يقومون متثاقلين متقاعسين
كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراؤن الناس يقصدون بصلوتهم الرياء
والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين
عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة
من تكلف ما ليس فى قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا
فى الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالى لم تسمع منه تهليلة
ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد
بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراآة وهى مفاعلة من الرؤية قلت فيه وجهان احدهما
ان المرائى يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثانى ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال
راءى الناس بمعنى راءهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد رأت
المرأة المرآة الرجل اذا امسكتها ليرى وجهه وتدل عليه قراءة ابن ابى اسحق يرؤنهم بهمزة مشددة
مثل يرعونهم اى يبصرونهم اعمالهم ويراؤنهم كذلك مذبذبين بين ذلك اما حال نحو قوله
ولا يذكرون عن واو يراؤن اى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين
ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب
الذى يذب عن كلا الجانبين اى يذاد ويدفع فلا يقر فى جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان
الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس فى الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس
مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم وبمعنى يتذبذبون كما جاء
صلصل وتصلصل بمعنى وفى مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابى جعفر مدبدبين بالدال
غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة فى دبة وتارة فى دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة
والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين
الى هؤلاء فيكونوا من المؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين
لا تتشبهوا بالمنافقين فى اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء اتريدون ان
تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة يعنى ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن

صعصعة

صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر
يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن ان المنافقين فى الدرك الاسفل
من النار ولن تجد لهم نصيرا الدرك الاسفل الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع دركات
سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك
لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله
فى الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم الا الذين تابوا واصلحوا
ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم فى حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون
المخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب
المؤمنين ورفقاؤهم فى الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه
ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو فى الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر
واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر
ومنه قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضى الله عنه من المنافق فقال
الذى يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا
تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على الناس زمان وهو مقروع فيه
فاصبح قد عمم وقلد واعطى سيفا يعنى الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفى
به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم
وهو الغنى الذى لا يجوز عليه شئ من ذلك وانما هو امر اوجب الحكمة ان يعاقب المسئ
فان قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله
شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان
قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة فى خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا
مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم امن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما
على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
وكان الله سميعا عليما الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر
المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد
وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اى ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء
ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول
ما جاءنى زيد الا عمرو بمعنى ما جاءنى الا عمرو ومنه لا يعلم من فى السموات والارض الغيب
الا الله ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد
بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه
والافضل عنده والادخل فى الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا
للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا فى باب الخير وسيطا والدليل
على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا

اى يعفون عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله ان الذين يكفرون
بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله
ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ومعنى اتخاذهم بين ذلك
سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها
وابتغ بين ذلك سبيلا اى طريقا وسطا فى القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه
لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اى هم الكاملون فى الكفر
وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين
فى الكفر او صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم فان قلت كيف جاز
دخول بين على احد وهو يقتضى شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام فى الواحد المذكر والمؤنث
وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بنى فلان والا بنات
فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء
اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما معناه ان ايتاءها كائن لا محالة و
ان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا
من السماء روى ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا
الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك
على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكى يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد
سألوا موسى اكبر من ذلك جواب لشرط مقدر معناه فان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم فى ايام موسى وهم النقباء السبعون
لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم فى التعنت فقالوا ارنا الله جهرة عيانا
بمعنى ارناه نره جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا
لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سأل ابرهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى
فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء
ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى يتاب عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم و
السيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم
ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت واخذنا منهم
ميثاقا غليظا وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا فى السبت وقد
اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه
تعدوا وقرئ لا تعدوا ولا تعدّوا بادغام التاء فى الدال فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا

يؤمنون

يؤمنون الا قليلا فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد
قلت اما ان يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق
بقوله حرمنا عليهم كما ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم واما
التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من
الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذى تعلقت به الباء
ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم
بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد
وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله
خلق قلوبنا غلفا اى فى اكنة لا يتوصل اليها شئ من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها
الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة
من قبوله وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم
ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد
ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت ما معنى المجئ بالكفر معطوفا على ما فيه
ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله
بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم
فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم
بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم
وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم
وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء
له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم
الذى ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم
رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز
العليم الذى جعل لكم الارض مهدا وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روى ان رهطا من
اليهود سبّوه وسبّوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى و
والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه
الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل و
يصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا
ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقى شبهه
على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح
قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان

صاحبنا فان عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقوله وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن به قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي رضي الله عنه لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا يخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا يخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا

يشهد على اليهود انهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم يريد من امن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا واتينا داود زبورا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم عليك من قبل ورسل وكلم الله موسى تكليما وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب انهما قرءا وكلم الله

بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب
الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما فان قلت كيف يكون للناس
على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة
والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرفوا انهم رسل الله
الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل
والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرايع
فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله
بعلمه وقرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك
فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك
واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون ولكن الله
يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى
شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما يثبت الدعاوي بالبينات
والملائكة يشهدون وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابو
لو قالوا بم نعلم ان الملائكة يشهدون بذلك قلت يجابون بانه علم بشهادة الله لانه
لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته
لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة
التي قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه
على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة
لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله
وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا
عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة و
الملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الا ترى الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة
بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة
حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي
او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر
لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لا يلطف بهم فيسلكون
الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة الا طريقها وكان ذلك على الله يسيرا
اي لا صارف له عنه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم
وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما فآمنوا خيرا لكم و
كذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث

علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا وأتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث
وهو الايمان والتوحيد يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته
حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها
ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول
الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت وقيل
لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة
وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة
المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها الى
مريم اوصلها اليها وحصلها فيها فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم
انما الله اله واحد ثلاثة خبر مبتدأ محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر
واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم
الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره
الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة
وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح
لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت
انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وعلا من حيث انه رسوله
وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء
وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له
ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي
سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه
عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء
انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه
الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة
المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين
حول العرش كجبرئيل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله
ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي
غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة
العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كأنه
قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة
بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل
وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره لا شبهة في انه قصد بالبحر

ذي الامواج ما هو فوق خاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرأ علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير
وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال
واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى
فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى
بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو
اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته
على معنى العبادة كقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه
بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية
او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا
العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة
المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على
الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا
قرئ فسنحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين
والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه
ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل
عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما
الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في
جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى اجور
العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا
البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه و
يصدقه من الكتاب المعجز فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل
في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى
توفيقهم وتثبيتهم يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت
فلها نصف ما ترك روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق
مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت
وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي
فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا
النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه
على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس وبالاخت
التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال

للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها
وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد
اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب
نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى
بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب
اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل بحكم انتفاء
الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء
الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا
فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية
والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة
اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من
كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا و
كانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة يبين
الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي
من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة
الانعام يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل
ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله
التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات
ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل
حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده
والبهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم
فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من نحو قوله حرمت عليكم
الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء و
بقر الوحش ونحوها كأنهم ارادوا مما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم
الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم
اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود
وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كأنه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد
وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة
والحرم جمع حرام وهو المحرم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا

الهدي ولا القلائد الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من
مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام
والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به
الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة و
هي ما قلد به الهدي من نعل وعروة مزادة او لحاء شجر او غيره ولا آمين البيت الحرام وامّوا المسجد
الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان
يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في شهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض
للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات
القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها
اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكائيل كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى
عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها
فضلا ان تحلوها قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء
مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو
الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا
ان تتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة
فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون
جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت لقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك
انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا
نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان
المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم
الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج
تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره
عليهم كانه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وهو بدل من كسر
الهمزة على الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم شنآن قوم ان
صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين
تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي
الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء
واول المفعولين على القرائتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق
بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم
بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي
قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله و
المؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم ٥

وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على
الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم بكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه
العفو والانتصار واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير كان اهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد
وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي
رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي
خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر
حتى ماتت والمتردية والتي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة والتي نطحتها
اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو
يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن
ابي عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت
لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم يعظمونها بذلك ويتقربون
به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه
وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام
وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا
او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وبعضها امرني
ربي وبعضها غفل فان خرج الامر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها
عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو
الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق الاشارة الى الاستقسام او
الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان
استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي
استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه
طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او
نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يحيلونها
عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل
به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب
فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله الآن ابيض
مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان
يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه
وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان
الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال
الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا
الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك

اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذ كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم
او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين
القياس واصول الاجتهاد وأتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم
منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم
باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا
نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا بمعنى اخترته لكم من بين الاديان
وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه امتكم امة واحدة
فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به
معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها
في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور
رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات في السؤال معنى القول
فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية
لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان
صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم
كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المأكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم
الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد
وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف
او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد
والنمر والعقاب والصقر والباز والشاهين مكلبين تعلمونهن والمكلب مؤدب الجوارح و
مضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه
من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع
يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي
هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم
فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من يعلم
الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب تعلمونهن حال ثانية او استئناف
وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية
واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن
غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب
لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره
بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف
وافعل وفعل يشتركان كثيرا فكلوا مما امسكن عليكم والامساك على صاحبه ان لا يأكل
منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه وعن علي رض

اذا اكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب
بالضرب ولم يشترطوا في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك
الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم واذا اكل الكلب
ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واذكروا
اسم الله عليه قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته
او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله واتقوا الله ان الله سريع الحساب
اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم طعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو
ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه
استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ
الشافعي رض وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة
التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه رضي الله عنهم وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند
ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن
كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل
الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه
قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر الله ويذبح فلا بأس وقال ابو ثور وان امره
بذلك في الصحة فلا بأس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما
عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا
آتيتموهن اجورهن المحصنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم
والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء
الكتابيات فعند ابي حنيفة رضي الله عنه هن كالمسلمات وخالفه الشافعي رضي الله عنه
وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول
لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص
لهم يومئذ محصنين اعفاء غير مسافحين ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر
والانثى ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم فقد حبط عمله وهو في
الآخرة من الخاسرين يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى
او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اذا قمتم الى الصلوة كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز
ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له
وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان
لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدر على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا
علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك

لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز
الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذى
هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان
من توجه الى الشئ وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان
قلت ظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت
يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة وعن النبى صلى الله عليه
وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل صلوة
فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعنى بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا
للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول
الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما
فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها فى الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل
فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول
العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا فى كلتا الحالين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام
الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله
الى اخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله قوله الى المرافق والى الكعبين لا
دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها فى الغسل واخذ زفر
وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا
برؤسكم المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه
وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعى
باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ما روى انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس وارجلكم بالنصب
فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها فى حكم المسح قلت
الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف
المذموم المنهى عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى
صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح
لم تضرب له غاية فى الشريعة وعن على رضى الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فرأى فى
وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها
دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم واعقابهم بيض
تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفى رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر انه رأى رجلا
يتوضأ فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة لان

تقطعا احب الى من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر
العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وروى عن الشعبى نزل القرآن بالمسح
والغسل سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين
وقرئ فاطهروا اى فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفى قراءة عبد الله فاموا صعيدا ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج فى باب الطهارة حتى لا يرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم
بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهى نعمة الاسلام وميثاقه
الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور وميثاقه
الذى واثقكم به اى عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم
رسول الله على السمع والطاعة فى حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا
واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة فى بيعة الرضوان يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله
شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء
مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان
تعتدوا فحذف مع ان ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على ملئ فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ
شنان بالسكون ونظيره فى المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا
العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا مما فى قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا
يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك اعدلوا هو
اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على
ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر
لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اى العدل اقرب الى التقوى فادخل فى
مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار
الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين
هم اولياؤه واحباؤه وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم
بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اى شئ وعده لهم فقيل لهم
مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد
مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التى هى لهم مغفرة كما وقع تركنا
على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا
القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت و
يوم القيمة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول
الى الثواب والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم روى ان المشركين رأوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى صلوة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان فى غزوة

ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبرئيل بصلوة الخوف وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحا عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاة يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه يقال بسط الله لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها وقال الله اني معكم اني ناصركم ومعينكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل فيأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا فمن كفر بعد ذلك منكم بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فقد ضل سواء السبيل فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست

قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال لحظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال تطلع اي هذه عادتهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك على خائنة منهم على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين بعث على محاقتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به اخذنا من النصارى ميثاقهم من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير واخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصار الشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض يا اهل الكتاب خطاب لليهود قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب من نحو صفة رسول الله ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم تكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز يهدي به الله من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قولهم ان الله هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم مؤد اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم

قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله
ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير فمن يملك من الله شيئا
فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه دلالة على ان
المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت
بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق
عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى على يده
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح
كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن
ابناء الله ويقولوا قرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم
الملك اليوم قل فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون
بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار الا اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من
جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباؤه لما عصيتموه ولما عاقبكم
بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب
من يشاء وهم العصاة ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع
وحذف لظهوره او ما ورد الرسول لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره او لا يقدر
فيكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم وعلى فترة متعلق بجاءكم
اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا ما
جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم بشير ونذير
والله على كل شيء قدير وقيل كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وستون سنة وقيل
ستمائة وقيل اربعمائة ونيف وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي و
بين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى
الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه
ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم
من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون
ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي
القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له
بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحو ذلك
من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة الارض المقدسة
ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن

وقيل

وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك و
كان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين التي كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط
في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة
جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر
وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في
دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فتنقلبوا خاسرين فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا
والآخرة قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا
منها فانا داخلون الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر
الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون الله و
يخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان يكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
تقديره من الذين يخافونهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما ادخلوا
عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين انعم الله عليهما
بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم
غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهد له وكذلك انعم الله عليهما
كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة
او يخوفهم وعيد الله بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله
من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان
قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم
وقيل من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى
في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا
ما داموا فيها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول
وما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون يحتمل ان لا يقصدوا
حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا
اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء
وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا
بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجوههما
قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم
في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لما عصوه وتمردوا عليه
وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون قال رب اني لا
املك لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة
القلب التي بمثلها يستجلب الرحمة ويستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو
بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة
وذكر في اعراب اخي وجوه ان
فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد نفسه او على الضمير

فى لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير فى نفسى وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور
الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه الرجلان المذكوران قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق
ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم فلم
يذكر الا النبى المعصوم الذى لا شبهة فى امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم
تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يواخينى على دينى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو فى معنى الدعاء عليهم
ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من
صحبتهم كقوله ونجنى من القوم الظالمين قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا
يدخلونها ولا يملكونها فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله التى كتب الله لكم قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة
عليهم والثانى ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد
روى ان موسى سار بمن بقى من بنى اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء
الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبى الله وان الله امره بقتال
الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين واخرجهم وصار الشام كله
لبنى اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا فى التيه و
نشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل فى الظرف اما محرمة واما
يتيهون ومعنى يتيهون فى الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التى
يتاه فيها روى انهم لبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا سئموا
وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل
يضئ لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب
كالظفر يطول بطوله فان قلت فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون
قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك
مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه فان
قلت هل كان معهم فى التيه موسى وهرون قلت اختلف فى ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه
كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان روحا
لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لابرهيم وملائكة العذاب وروى ان هرون مات فى التيه ومات
موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء فى التيه بغتة الا
كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل
انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم واتل عليهم نبأ ابنى آدم هما ابنا آدم لصلبه
قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل
واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من
بنى اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب

الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون
رسول الله ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما و
لم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين اذ قربا نصب بالنبأ اى قصتهم
وحديثهم فى ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت
على تقدير حذف المضاف والقربان اسم لما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان
الحلوان اسم لما يحلى اى يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال
الاصمعى تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله
انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه
هو الذى حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس
التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التى هى السبب
فى القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل
طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه
بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت فقال انى اسمع الله يقول انما يتقبل
الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله
رب العالمين قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا
من الله لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره انى اريد ان تبوء باثمى و
اثمك فتكون من اصحاب النار ان تحتمل اثم قتلى لك لو قتلتك واثم قتلك لى فان قلت كيف
يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمى على الاتساع فى الكلام كما
تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل
غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم على ان البادى
عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو
عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافأة
واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا
فى شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت هو مقدر
فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال انى اريد ان تبوء بمثل اثمى لو بسطت اليك يدى وقيل باثمى
باثم قتلى واثمك الذى من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه
وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك
جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد
بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل
والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت الى يدك ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا
يفعل ما يكتسب به هذا الوصف ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفى فطوعت له نفسه قتل اخيه
فقتله فاصبح من الخاسرين فوسعت له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت
وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى

الاقدام عليه فطاوعته ولم يمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتله
وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم
فبعث الله غرابا يبحث في الارض روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله
تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح
وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه
ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم
عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي ان آدم مكث
بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح
ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان
سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز كيف يواري سوأة اخيه عورة اخيه وما لا
يجوز ان ينكشف من جسده والسوءة الفضيحة لقبحها قال يا لقوم للسوءة السوآء اي للفضيحة
العظيمة فكنى بها عنها قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاواري
بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب
للتخفيف فاصبح من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من
عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من اجل ذلك
بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله واهل خباء
صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا آجله كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من
ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته
وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من ان جني ذلك القتل الكتب وجره كتبنا على بني اسرائيل
ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب ونشاؤه من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد
يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك
بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة
فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس
لا وجه الا قصاص او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل
قطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ومن استنقذها
من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فان قلت كيف شبه الواحد
بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله
وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذن
بين الواحد والجميع في ذلك فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس و
احيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان
المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك
الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس
جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارأيت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان تكون

قوله وله اي كلمة له وهي الاولى ليست بزيادة ح

قوله القول الحق ان لا بالفتح اذا اضيفت اليه قول قائل شيره ح

كانه كان فاعله مانيه جنايته ثم عم فيما فيه جنايته اولا ح

قال الراغب ان الناس لما كانوا كجسم واحد نسبة احدهم اليه كنسبة عضو الجسم الواحد اليه فما شاء من ايذاء بعض جسم كان كالشاكي في ايذاء كلهم كما ان الكل في ايذاء بعض جسم كالشاكي في اهلاك كله فصار قتل الواحد كقتل الناس ح

قوله فيثبطه الفتور المفرش او فيثبط الفعل المفرض ح

قوله وعن مجاهد عطف على قوله لان كل انسان الى آخره لانه جواب آخر عن السؤال المتقدم عليه ح

لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت
واحدا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض بعد ما كتبنا
عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون
في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة
ويفسدون في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد
نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد
وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين
فاوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد
اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض
وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا
القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد يصلب حيا ويطعن حتى
يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم
يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات
في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد
الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو
بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة ذلك لهم خزي ذل وفضيحة في الدنيا
ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور
رحيم استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ
المال فالى الاولياء ان شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان
الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون
الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل
به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم
الا كل ذي لب الى الله واسل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه
ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم ليفتدوا به ليجعلوه فدية
لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت
تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر ان فان
قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت هو نحو قوله فاني وقيار
بها لغريب او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون
الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فان قلت فبم ينصب المفعول معه قلت
بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض يريدون ان يخرجوا

قوله ذلك اشارة الى المذكور من الكتاب والمجيء ح

قوله بعد متعلق بمسرفون وكلمة ثم ينبغي ان تحمل على الاستبعاد لان الافادة احسن من الاعادة ح

قوله انه مفعول مطلق لغضب لفعل في معنى نصره ح

قوله عرينة بالضم اسم قبيلة والعرنيون قوم غاروا على السرح ح

لانه اخراج عن هذا الحكم لا عن ثبوت القصاص او استرداد الاموال ونحو ذلك ولان المرتفع بالتوبة انما يكون حقوق الله لا حقوق العباد ح

قوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل اي الناس لا يعلمون مقدار ما قدر لهم فكيف حالهم فالعاقل يتقرب الى الله تعالى ح

قوله هو نحو قوله فاني وقيار فالعطف بعد تمام الخبر او على رجوع الضمير الى كل واحد ح

من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قرأ أبو واقد أن يخرجوا بضم الياء من أخرج
ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس
يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوماً يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين
منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفراهم
وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عم رسول الله وهو بين أظهر أعضاده من قريش
وأنضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الأمة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل
الدنيا وبرفعه إلى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية والسارق والسارقة
رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة
أي حكمهما ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا أيديهما ودخول الفاء لتضمنهما
معنى الشرط والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط
وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن زيداً فاضربه
أحسن من زيد فاضربه أيديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف إليه
عن تثنية المضاف وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات
فاقطعوا أيمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب
والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار
وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله
عزيز حكيم جزاء ونكالاً مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته و
أصلح أمره بالتفصي عن التبعات فإن الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة وأما القطع
فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه إن الله غفور
رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل
شيء قدير من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد
الحربي إذا سرق بالتوبة ليكون أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه ولا يسقطه عن المؤمن
لأن في إقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم في القصاص حياة فإن قلت لم قدم التعذيب
على المغفرة قلت لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة يا أيها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وقرئ لا يُحزنك بضم الياء
ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهاره بما يلوح منهم
من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع
فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعاً فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم
وتهافتهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبأفواههم متعلق
بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون أي ومن اليهود قوم سماعون
للكذب ويجوز أن يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين
أو للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الأحبار ويفتعلونه من الكذب على
الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم

آخرين لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا
عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة أي قابلون من الأحبار ومن أولئك
المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك وقيل سماعون إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل و
التغيير سماعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيوناً
ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون
الكلم من بعد مواضعه يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير
مواضع بعد أن كان ذا موضع يقولون إن أوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه
واعلموا أنه الحق واعملوا به وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد بخلافه فاحذروا وإياكم وإياه
فهو الباطل والضلال وروي أن شريفاً من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم
في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا
وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم
ابن صوريا فقال هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم
وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكماً فقال له رسول الله أنشدك الله الذي
لا إله إلا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم
كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود
فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي
العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب
مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتوناً وخذلانه فلن تملك له من الله شيئاً فلن تستطيع
له من لطف الله وتوفيقه شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر أن يمنحهم من ألطافه
ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع إن الذين لا
يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم لهم في الدنيا خزي
ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت السحت كل ما لا يحل كسبه وهو
من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال ويمحق الله الربا والربا باب منه وقرئ
السحْت بالتخفيف والتثقيل والسَّحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسَّحَت بفتحتين
والسِّحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على الأحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم
في بني إسرائيل إذا أتى أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه و
لا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي أن عاملاً قدم من عمله فجاءه قومه فقدم
إليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال أعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى
سماعون للكذب أكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم أنبته السحت فالنار أولى
به فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيراً

اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلفاء بان يعادوه ويضاروه فامّنه الله سربه وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت اما ان ينتصب حالا من التورية وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان لا يكون له محل ويكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره فان قلت لم انثت التورية قلت لكونها نظيرة لموماة ودوكاة ونحوها في كلام العرب فان قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في الحديث والقديم وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم حفظه من التورية اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما الف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حكم الرجم وارغامهم انوفهم واباؤه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها

وامضائها

وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذا في اهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص في مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف فيه المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل هو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب في العفو ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء فان قلت فاين المفعول الاول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لانه اذا قفي به على اثره فقد قفي به اياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان

صح عنه فلانه اعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا
عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال هدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على
الحال لقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة
آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام فان قلت فان نظمت هدى و
موعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة
حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ وليحكم
على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة ابي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان
ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل
الانجيل وقيل ان عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التورية من الاحكام لان الانجيل
مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله
فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه
وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية وانزلنا اليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه من الكتاب فان قلت اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا
اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن
والثاني تعريف الجنس لانه عنى جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما
يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء
سوى القرآن ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات
وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هومن عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل والحفاظ في كل بلد لو
حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمأزوا رادين ومنكرين فاحكم
بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن
كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس
شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون
عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرايع من قبلنا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن
اراد ليبلوكم فيما آتيكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين انها مصالح
قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته
الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها
الى الله مرجعكم جميعا استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم و
مفرطكم في العمل فان قلت وان احكم بينهم بما انزل الله معطوف على ماذا قلت على
الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر
لانه فعل كسائر الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم

ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه
ويستزلوك وذلك ان سعد بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود و
انا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم
اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان
يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم
موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها
وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واسترافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام
ما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام
كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى البعضية
فكذلك اذا صرح بالبعض وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه
يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه
وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين
القتلى وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا
نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة
الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله وعن الحسن هو
عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم
الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء
والياء وقرأ السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط
الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله وعن الصفة في الناس رجلان رجل
اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة افحكم الجاهلية على
ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم
ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اللام في
قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون
فانهم هم الذين يتبينون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم
وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض
اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم و
لموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه منهم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله
وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم
اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي انه قال له

ابو موسى الاشعري لاقوام بالبصرة الا بر فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري ان يكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين امنوا قرئ بالنصب عطفا على ان ياتي وبالرفع على انه كلام مبتدأ اي ويقول الذين امنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بلا واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قرئ من يرتد ومن يرتدد وهو في الامام بدالين وهو من الكائنات التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبره في اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى

محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك ابن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف ياتي الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم فاما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة السفهاء شيئا وهم الفرقة المتفعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم بالشهداء وصعقاتهم التي اين فيها صعقات موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة فان قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان يكون

الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين
لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون
انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة
لائم قط وان تكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم
اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا
يرعهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدلهم في انكارهم وصلابتهم
في امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكيرها نكتتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط
من لوم احد من اللوام ذلك فضل الله وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة
والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه من يشاء ممن يعلم ان له لطفا والله
واسع كثير الفواضل والالطاف عليم بمن هو من اهلها انما وليكم الله ورسوله والذين
امنوا عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله
ورسوله والذين امنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت
جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على
طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع
ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين امنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد
الله انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ما محله قلت الرفع
على البدل من الذين امنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من
الذين امنوا نفاقا او واطأت قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون
الواو فيه للحال اي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا
واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وانها
نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا
في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي
رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا
واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان
تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التاخير
وهم في الصلوة لا يؤخروه الى الفراغ منها ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب
الله هم الغالبون فان حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون
ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم
ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله
واعتضد بمن لا يغالب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث
قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم
هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنئان

والمنابذة

والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا
للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار
بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها
ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يابى موالاة اعداء الدين واذا ناديتم الى الصلوة
اتخذوها هزوا ولعبا الضمير للصلوة وللمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا
سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة
وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل
على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده ذلك بانهم قوم لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم
من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله
وما انزل الينا وما انزل من قبل قرا الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى
هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون فان قلت
علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان امنا بمعنى
وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون
منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير
حذف المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا
الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون
منا الا الايمان مع انكم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل
وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير
الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود
فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا
حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم
فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف
يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف
اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة
وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف
قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على
قولك هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر
وقرئ مثوبة ومثلهما مشورة ومشورة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت
في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم
في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب
فقيل لهم من لعنه شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد

الطاغوت عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة أبيّ وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود من عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفاً على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذُر وفطُن للبليغ في الحذر والفطنة قال

أبني لبينى إن أمكم أمة وإن أباكم عبد

وعبُد بوزن حطم وعبيد وعبُد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد وأصله وعبدة فحذف التاء للإضافة أو هو كخدم في جمع خادم وعبّد وعباد وأعبد وعُبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعبُد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبوداً من دون الله كقولك أمر إذا صار أميراً وعبدِ الطاغوت بالجر عطفاً على من لعنه الله **فإن قلت** كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت **قلت** فيه وجهان أحدهما أنه خذلهم حتى عبدوها والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً وقيل الطاغوت العجل لأنه معبود من دون الله ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه أطاعوا الكهنة وكل من أطاع أحداً في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي أنها لما نزلت كان المسلمون يعيّرون اليهود ويقولون يا إخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم أولئك الملعونون الممسوخون شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله وفيه مبالغة ليست في قولك أولئك شر وأضل لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الإيمان نفاقاً فأخبره الله بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريباً للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم فكان رسول الله متوقعة لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أي قالوا ذلك وهذه حالهم وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون الإثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الإثم والعدوان الظلم وقيل الإثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم إلى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لأن كل عامل لا يسمى صانعاً ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالاً من المواقع ولعمري إن هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن

ابن عباس رضي الله عنهما هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه كأنهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزلاً لقالوا ما أبسط يده بالنوال لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يداً في قوله إذ أصبحت بيد الشمال زمامها ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبث به **فإن قلت** قد صح أن قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت أيديهم ومن حقه أن يطابق ما تقدمه وإلا تنافر الكلام وزل عن سننه **قلت** يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم ونحوه بيت الأشتر

بقيت وفري وانحرفت عن العلى

ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة يغللون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره أي قطعه لأن السب أصله القطع **فإن قلت** لم جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد **قلت** المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلاً إلى بخلهم ونكداً إلى نكدهم أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار وسوء الأحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم **فإن قلت** لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة **قلت** ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعاً فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي أن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم طغياناً وكفراً تمادياً في الجحود وكفراً بآيات الله وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة فكلمهم أبداً مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث

الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون في الارض فسادا ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم والله لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به واتقوا وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم سيئاتهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود واين الاطناب ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليهم من ربهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون للايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوء عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع

المسبب وتعضده قوله عليه الصلوة والسلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك من الناس عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما تنتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فان قلت ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فان قلت فلو قيل والصابئين وايا كم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فان قلت كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان

أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الإيمان
واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فإن قلت فما محل من آمن قلت إما الرفع على الابتداء
وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن وأما النصب
على البدل من اسم إن وما عطف عليه أو من المعطوف عليه فإن قلت فأين الراجع إلى
اسم إن قلت محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون
بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت
لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفي قراءة
أبي والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وأرسلنا إليهم رسلا
ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا
والراجع محذوف أي رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من
من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فإن قلت أين جواب الشرط فإن قوله فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت
أخي أخاك أكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما
جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم
فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا قلت جيء بيقتلون على حكاية الحال
الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها وحسبوا ألا تكون
فتنة وقرئ ألا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي المخففة من المثقلة أصله أنه لا
تكون فخففت أن وحذف ضمير الشأن فإن قلت كيف دخل فعل الحسبان على أن التي هي للتحقيق
قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فإن قلت فأين مفعولا حسب قلت
سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو
إسرائيل أنهم لا تصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين
وصموا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم
عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا
بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته
بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني البراغيث
أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا
إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم لم يفرق عيسى عليه
السلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى إنه من يشرك بالله
في عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين
أي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه ومأواه النار وما للظالمين من
أنصار وما للظالمين من أنصار من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على
عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك

ورافعين

ورافعين من مقداره أو من قول عيسى على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم
عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله لقد كفر الذين
قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب أليم من في قوله وما من إله إلا إله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي
الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما من إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية
لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله
فاجتنبوا الرجس من الأوثان فإن قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم قلت في إقامة الظاهر
مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة
أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا بهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من
النصارى خاصة عذاب أليم أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب
تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن
تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية
أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا
الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء إن
تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول أي ما هو
إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها إن أبرأ الله
الأبرص وأحيى الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد
موسى وإن خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وأمه صديقة أي وما
أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين
أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر
الأنبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح
ببعدهما عما نسبا إليه في قوله كانا يأكلان الطعام لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام
وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وأعصاب وأخلاط
وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام
انظر كيف نبين لهم الآيات أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم ثم انظر أنى
يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم
انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني أنه بين لهم الآيات بيانا عجبا وأن إعراضهم عنها
أعجب منه قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ما لا يملك هو عيسى أي
شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال
ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ولأن كل ما يستطيعه
البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع
على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون
قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق بأتعبدون أي

أي تشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز
والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك إلا
وهو حي قادر قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم
غلوا غير الحق أي غلوا باطلا لأن الغلو في الدين غلوان حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن
أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد وغلو باطل
وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع
ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وأضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله
عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان
داود وعيسى ابن مريم نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الإنجيل على لسان عيسى وقيل
إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر
أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا
من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم
امرأة ولا صبي ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان
سبب المسخ إلا لأجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا
لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم
مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في باب إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم
به كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا
الباب فإن قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل
أن الله عز وجل أمر بالتناهي فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء لأن في التناهي حسما للفساد
فكان تركه على عكسه فإن قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت
معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله كما
ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز أن يراد لا ينتهون ولا يمتنعون
عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع
منه وتركه ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا هم منافقوا أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين
ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون أن سخط
الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى
موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولو
كانوا يؤمنون إيمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن موالاة المشركين
كفى بها دليلا على نفاقهم وأن إيمانهم ليس بإيمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في
كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين أولياء
كما لم يوالهم المسلمون لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون

وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع وصف الله شكيمة اليهود وصعوبة
إجابتهم إلى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام وجعل
اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على
الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ولعمري
إنهم لكذلك وأشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله وعلل
سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا أي علماء
وعبادا وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه
دليل بين على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك
علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كان في راهب والبراءة من الكبر وإن كانت في
نصراني ووصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي
أنه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يغرونه
عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب إليها فقرأها
إلى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه إلى قوله هل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي
وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا فإن قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا قلت
بعداوة ومودة على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها وأن
مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجودا وأسهلها
حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة
والمودة بالأشد والأقرب فإن قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع قلت معناه تمتلئ
من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه
فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من إقامة المسبب مقام السبب
أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من
الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فإن قلت أي فرق بين من ومن في
قوله مما عرفوا من الحق قلت الأولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من
معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل
معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله وقرؤوا
القرآن وأحاطوا بالسنة وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول يقولون ربنا آمنا المراد
به إنشاء الإيمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع أمة محمد الذين هم شهداء على
سائر الأمم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل
كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة
الصالحين وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك وأرادوا وما لنا لا نؤمن بالله
وحده لأنهم كانوا مثلثين وذلك ليس بإيمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير

مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل في الحال
الاولى والثانية قلت العامل ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اى شئ حصل لنا غير
مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا
ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم
لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على
معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع
بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين فاثابهم الله
بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا و
كذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قال الحسن فاثابهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد و
اخلاص من قولك هذا قول فلان اى اعتقاده وما يذهب اليه يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى ولا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع
التحريم او ولا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام
في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين
وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا
ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام
واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل
وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا
هذه الاية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد
السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير
ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل
الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه
انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قال
نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه
ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما
وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ان
الله لا يحب المعتدين ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول
الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن
تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله
اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا طيبا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله
تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به

يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو
في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت
عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل
يحلف على الشئ يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروى ان الحسن سئل عن لغو اليمين
وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال قل لست بماخوذ بلغو تقوله
اذا لم تعمد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف
فكفارته اطعام عشرة مساكين فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة
اى تسترها من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله
ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم
ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل مسكين وقرا جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي
اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون
بسكون الراء واما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رايت معدي كرب تشبيها
للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة
واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن
ابن عمر رضي الله عنهما ازار وقميص ورداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان
ابيضان وقرا سعيد بن المسيب واليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا
كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت
ما محل الكاف قلت الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم
الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة
واصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل فان قلت ما معنى او
قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب
فمن لم يجد احدها فصيام ثلاثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود
رضي الله عنهما فصيام ثلاثة ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان
ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا
بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع
العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند
ابي حنيفة واصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يعص الحانث واحفظوا ايمانكم فبروا
فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه
على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها و
لا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه
لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر

والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة اكد تحريم
الخمر والميسر وجوها منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله
عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان
ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا ياتى منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب
ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة
ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادى والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر
وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلوة وقوله فهل انتم منتهون
من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلى عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه
الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت الام يرجع
الضمير فى قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما
او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع
الانصاب والازلام اولا ثم افردهما آخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم
عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر
والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه
لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله فى علم الغيب وبين من شرب خمرا او قامر ثم افردهما
بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلوة اختصاص للصلوة من
بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا
وكونوا حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز
ان يراد واحذروا ما عليكم فى الخمر والميسر او فى ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا
انما على رسولنا البلاغ المبين فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم لان الرسول ما
كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه ليس على
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا رفع الجناح عن المؤمنين فى اى شىء طعموه
من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وعملوا
الصالحات وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على
التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصى واحسنوا اعمالهم او
احسنوا الى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر فنزلت يعنى
ان المؤمنين لا جناح عليهم فى اى شىء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا و
آمنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم
فى الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت
ان ذلك امر مباح فيقول ليس على احد جناح فى المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا
تريد ان زيدا تقى مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل والله يحب المحسنين يا ايها الذين

امنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت فى عام الحديبية ابتلاهم
الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيستمكنون من صيده
اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله
وهو غائب منتظر فى الآخرة فيتقى الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى بعد ذلك
فله عذاب اليم فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى
التقليل والتصغير فى قوله بشىء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام
التى تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه
بما ابتلى به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف بثباتهم عند ما هو اشد
منه وقرأ ابرهيم يناله بالياء يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم
متعمدا حرم محرمون جمع حرام كردح فى جمع رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او
عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه
ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو
مخطئ فان قلت فمحظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا فى الآية
قلت لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل
عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل
فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله
منه وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى فى
الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد فى الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء
ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابى حنيفة قيمة الصيد يقوم
حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدى تخير بين ان يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين
ان يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام
عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به
وعند محمد والشافعى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير فى النعم عدل الى قول ابى حنيفة
فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا
بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشترى بها هديا او طعاما او يصوم
كما خير الله فى الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى احد وجوه التخيير لان
من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير
الذى فى الآية بين ان يجزى بالهدى او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة
بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اى الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب
وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم تخير بين الاطعام والصوم
ففيه نبو عما فى الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير
بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ
فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزى مثل

ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيداً ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ
محمد بن مقاتل فجزاء مثلَ ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاءً مثلَ ما قتل وقرأ الحسن من النعْم
بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم
حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى
النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبياً وهو محرم فسأل
عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير
المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال
الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم
اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هدياً بالغ الكعبة هدياً
حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل
فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالاً عن الضمير في به ووصف هدياً
ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق
به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي في الحرم او كفارة طعام مساكين فان قلت
بم يرفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل او الواجب عليه
كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاءً او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارةُ
طعامِ مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كأنه قيل او كفارة من طعام مساكين
كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما
وحد لانه واقع موقع التبيين واكتفى بالواحد الدال على الجنس او عدل ذلك صياماً
وقرئ او عِدل ذلك صياماً بكسر العين والفرق بينهما ان عَدل الشيء ما عادله من
غير جنسه كالصوم والاطعام وعِدله ما عدل به في المقدار ومنه عِدلا الحمل لان كل واحد
منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به
كالذبح ونحوه ونحوهما الحَمل والحِمل وذلك اشارة الى الطعام وصياماً تمييز للعدل كقولك
لي مثله رجلاً والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى الحكمين
ليذوق وبال امره متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة
هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله
عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذاً وبيلاً ثقيلاً والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا
يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين
بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول
النهي عنه فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو
ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في
الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن
وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر

وانه لم يذكر الكفارة احل لكم صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما
يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو
السمك وحده عند ابي حنيفة رحمه الله وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية
عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعاً لكم وللسيارة مفعول له اي احل لكم تمتيعاً
لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان
قوله متاعاً لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه
تمتيعاً لتنائكم يأكلونه طرياً ولسيارتكم يتزودونه قديداً كما تزود موسى عليه السلام في
مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي اليه
تحشرون وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات
كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد
وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم
اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه
وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله
فان قلت ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد اخذ ابو حنيفة بالمفهوم
من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم
لانهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم
حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دِمتم بكسر الدال فيمن
يقول دام يدام جعل الله الكعبة البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح
كما يجيء الصفة كذلك قياماً للناس انتعاشاً لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضاً الى
اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم
وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاماً واحداً لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر
الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان اختصاصه من بين الاشهر
باقامة موسم الحج فيه شأناً قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم والهدي والقلائد
والمقلد منه خصوصاً وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك
اشارة الى جعل الكعبة قياماً للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره
لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم لتعلموا ان الله يعلم
كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم اعلموا ان الله شديد العقاب
لمن انتهك محارمه وان الله غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ
تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت
عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث البون بين الخبيث والطيب بعيد عند
الله وان كان قريباً عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان

ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الاية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة كما قيل وقد زعموا ان سعدا كثيرة ولا ترى من سعد وفاء ولا نصرا لا يدهمنك من دهمائهم عدد فان جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة لاشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مسألته ثلاث مرات فقال عليه السلام ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته قد سألها قوم من قبلكم فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهو لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا

اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو في قوله اولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الاية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر منهم للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم فيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل ذوا عدل منكم من اقاربكم او آخران من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في

حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم
مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع يزيد بن عدي وتميم بن اوس وكانا نصرانيين
تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وامرهما
ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة
من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز
كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفا عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه
من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر فيقسمان بالله ان
ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى
ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين
وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد
والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله
عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى
ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امر
الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على طرح
حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من
يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا انا اذا لمن
الاثمين وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله
عاد الولى فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط
العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة
العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد
كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان يكون اللام
للجنس وان تقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفا في النطق بالصدق وناهية
عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر فان اطلع على انهما
استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الاثمين فاخران
فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم
ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة
الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما ۵
الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين
والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل

ومن

ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من اخران ويجوز ان يرتفعا باستحق
اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال و
قرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية
التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على
المدح وقرأ الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه
لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما اختانا فحلفا فلما ظهر
كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشرى فان
قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابي
وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة
ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان
الحكم ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ادنى ان يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة ۵
بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكرر ايمان شهود اخرين بعد ايمانهم
فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واتقوا الله واسمعوا سمع اجابة وقبول
والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا
انك انت علام الغيوب يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو بدل الاشتمال
كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ
كما يفعل بغيرهم او ينتصب باضمار اذكروا او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا
منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا
اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد
فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بم اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال
توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم
اظهارا للتشكي واللجاء الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم
واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله
ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على
كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو
عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه
واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون
ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه
علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر
التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا
وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد راوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين
وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف
باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء

أو هو صفة لاسمان اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل
من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر
على ايديهم من الايات العظام فكذبوهم سموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم
آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذ بعضهم
وامه الهين اذ ايدتك قويتك وقوى ايدتك على فعلتك بروح القدس بالكلام الذي
يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الاثام والدليل عليه قوله
تكلم الناس في المهد وكهلا وفي المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان
في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبرئيل عليه السلام ايد به لتثبيت الحجة
فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير
ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ
الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية و
الانجيل والتورية والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس
الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها
صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها
ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه
والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني تخرجهم من القبور وبعثهم قيل اخرج سام بن
نوح ورجلين وامرأة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين
كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله
وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد
يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اين ما امسى بات واذ اوحيت
الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا
مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع
ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان
نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة
الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا
زيد بن عمرو والدليل عليه قوله اجار بن عمرو كانى خمر لان الترخيم لا يكون الا في
المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما
وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن
ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله
عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا
تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الايات
فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقوى

هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف
يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه
ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين
لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين
عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعويهم للايمان
والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا و
قوئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب قال عيسى ابن مريم
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت عنه
الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي تكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن
ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا
سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثني ويرثني لاولنا واخرنا وآية
منك وارزقنا وانت خير الرازقين لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا
من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمقدمين منا
والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتأنيث بمعنى الامة والجماعة قال الله اني منزلها
عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين عذابا بمعنى تعذيبا
والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء وروي ان
عيسى لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم
اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا
يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك
فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان
البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى
الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة كلوا مما سألتم واشكروا
يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى
فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله
فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت
عيدا الى يوم القيمة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد
علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم

معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فيقل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما تعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكي بعده الكلام من غير ان يوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل تم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته **فان قلت** فكيف يصنع **قلت** يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لاياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب **فان قلت** المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم **قلت** ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان قال عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوما ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي **فان قلت** ما معنى قوله يوم ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم في الاخرة فليست الاخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة **قلت** معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم واخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ فكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه

واما عيسى فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه **فان قلت** في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن **قلت** ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك جعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلنا كم ازواجا اجعل الالهة الها واحدا **فان قلت** لم افرد النور **قلت** للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار **فان قلت** علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون **قلت** اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه **فان قلت** فما معنى ثم **قلت** استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح ايات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون اجل القيمة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت **فان قلت** المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده **قلت** لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك **فان قلت** الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم **قلت** اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم وهو الله في السموات وفي الارض في السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او وهو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية فيها او وهو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيها لا يخفى عليه منه شيء كان ذاته فيها **فان قلت** كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم **قلت** ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو

يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب
وما يأتيهم من آية من آيات ربهم من في من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض
وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم
للعواقب فقد كذبوا بالحق مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد
كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم
في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن انباء الشيء الذي
كانوا به يستهزؤن وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شيء استهزؤا و
سيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم
القيمة وعند ظهور الاسلام وعلو كلمته الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم
في الارض ما لم نمكن لكم مكن له في الارض جعل له مكانا ونحوه ارض له ومنه قوله انا
مكنا له في الارض او لم نمكن لهم واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم
والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة
في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا وارسلنا السماء عليهم مدرارا والسماء المظلة
لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر والمدرار المغزار وجعلنا الانهار
تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين فان قلت فاي
فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا
ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف
عقباها ولو نزلنا عليك كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم
على الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو
انزلنا ملكا لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا
عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من هلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول
الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا
ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء
الامر وعدم الانظار وجعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من
نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا
انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه
رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في
اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ما
يلبسون ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة

الانسان

الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو
ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس
الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم
بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرأ الزهري وللبّسنا عليهم ما يلبّسون
بالتشديد ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام عما كان يلقى من قومه
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤن
به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان
عاقبة المكذبين فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل
النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين
واما قوله قل سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها
من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح
قل لمن ما في السموات والارض قل لله لمن ما في السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير
لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه
الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم
مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على
خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فيجازيكم على شرككم وقوله الذين خسروا
انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم
فهم لا يؤمنون فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر بالعكس قلت
معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على لله
ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان
قل اغير الله اتخذ وليا اولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار
في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تأمروني
اعبد آلله اذن لكم فاطر السموات والارض وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع
على المدح وقرأ الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني
اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم
وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع
كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن
يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرأ
الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى
الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا
يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر قل اني
امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا

اول المسلمين وكقوله موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن وقيل لى لا تكونن
من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب
يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين ومن يصرف عنه العذاب
يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهى النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت
اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد
من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه فى ذلك اليوم
فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف
لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به
اى من يصرف الله عنه ذلك اليوم اى هوله فقد رحمه وتنصره هذه القراءة قراءة ابى من
يصرف الله عنه وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا كاشف
له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى وصحة فهو على كل شئ قدير فكان
قادرا على ادامته وازالته وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فوق عباده تصوير
للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون قل اى شئ اكبر شهادة الشئ
اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم
ولذلك صح ان يقال فى الله عز وجل لا كالاشياء لانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولم يصح
جسم لا كالاجسام واراد اى شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم
قل الله شهيد بينى وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ
شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد بينى وبينكم وان يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب
لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شئ شهادة شهيد له
واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اى لانذركم
به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن
سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم ائنكم لتشهدون ان
مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم قل انما هو اله
واحد واننى برئ مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعنى اليهود والنصارى يعرفونه
يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت فى الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم
بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة
اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب
الجاحدين فهم لا يؤمنون به ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح
الظالمون جمعوا بين امرين متناقضين تكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة
البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها
وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب
وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم جميعا
ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذى هو ادخل

فى التخويف ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقوله
الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء
فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم و
لا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم فى وقت
التوبيخ ليفقدوهم فى الساعة التى علقوا الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ثم
لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذى
لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه و
الحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم تكن جوابهم الا ان قالوا فسمى فتنة
لانه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا
كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ
ربنا بالنصب على النداء انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وغاب
عنهم ما كانوا يفترونه اى يفترون الالهية والشفاعة فان قلت كيف يصح ان يكذبوا
حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق
بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك
وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا
انا على خطاء فى معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم فى الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف
لافصح الكلام الى ما هو عى والحام لان المعنى الذى ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم
عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادرى ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شئ الا انهم هم الكاذبون
بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم فى الآخرة بكذبهم فى الدنيا ومنهم من
يستمع اليك حين تتلو القرآن روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا ابا قتيلة
ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته يعنى الكعبة ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان انى لاراه حقا
فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا والاكنة
على القلوب والوقر فى الآذان مثل فى نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته
ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم
كانهم مجبولون عليه او هى حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفى آذاننا وقر ومن بيننا و
بينك حجاب وقرأ طلحة وقرا بكسر الواو وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك
يجادلونك يقول الذين كفروا هى حتى التى تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك
يقول الذين ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز ان يكون الجارة ويكون اذا جاؤك فى محل
الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى

انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان
هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية
في التكذيب وهم ينهون عنه وهم ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم
عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون الا انفسهم وما
يشعرون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون
انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب
وارادوا برسول الله سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح
ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا
الملامة او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره
ولو ترى لرأيت امرا شنيعا اذ وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا
هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته
وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم
ابتدأوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب
ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز
ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين
فيدخل تحت حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون
كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل
ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو
رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال ان رزقني الله مالا كافأتك
على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب على اضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا
لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل من الناس من قبائحهم
وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون
على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل
هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي
وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا
لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة
ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين
قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقفوا
على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل
وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال لهم ربهم اذا

وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا
يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل
بها وقد حقق الكلام فيه في موضع اخر حتى اذا جاءتهم الساعة وحتى غاية لكذبوا لا
لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة
فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها
جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد
قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة و
انتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة قالوا يا
حسرتنا على ما فرطنا فيها الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة
او للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في
جنب الله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال
على الظهور كما الف الكسب بالايدي الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء
مثلا القوم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون
جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة
المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عباس
ولدار الآخرة وقرئ تعقلون بالتاء والياء قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة
الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشان ليحزنك الذي
يقولون قرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب فانهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله
كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق
بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك
وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود آيات الله
والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما
اهانوني ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك
بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم
بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك
وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل
يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله
ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة
فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة
على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك
ولكنهم اهانوني فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم حتى اتاهم نصرنا ولا
مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين كان
يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك
لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض منفذا
تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء فتأتيهم منها
بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه
لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا
يقترحون الآيات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل
دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون
ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض والسلم في السماء هو الاتيان بالآية كأنه قيل لو استطعت
النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها و
حذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين
يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص
على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع
الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى
من القبور يوم القيامة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان
يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم
الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون
بفتح الياء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية نزل
بمعنى انزل وقرئ ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية
غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله صلى
الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا
منهم تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه
عن انزالها وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم مكتوبة ارزاقها
وآجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب
في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم
الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض
كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر
قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال

وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا
طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك
زيادة التعميم والاحاطة كأنه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر
قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل
امرها فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة
سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها
وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شأن وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك
دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كأنه قيل وما
دابة وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا بآياتنا
قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون
صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خابطون في ظلمات الكفر
هم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشإ الله يضلله
اي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط
مستقيم ان يلطف به لان اللطف يجدي عليه قل ارأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل
له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا كنت كأنك تقول
ارأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارأيتكم
ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون ان
كنتم صادقين بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون
الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه
اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما
تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم
وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله
تدعون كأنه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار
به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة
لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه
ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء البأساء والضراء البؤس والضر وقيل
البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا
اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون
عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما
كانوا يعملون معناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء
بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم
التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ

به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة
المزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه
اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر
من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون
متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا آخرهم لم يترك منهم احد قد استوصلت
شافتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل
النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم
ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم من اله غير الله
يأتيكم به اي يأتيكم بذاك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه انظر
كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون يعرضون عن الايات بعد ظهورها قل ارايتكم ان اتيكم
عذاب الله بغتة او جهرة لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته
قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك
هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم
ليتلهى بهم ويقترح عليهم الايات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة فمن آمن واصلح
ما يجب اصلاحه مما كلف فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم
العذاب بما كانوا يفسقون جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد بهم من الالام ومنه
قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا راتهم من مكان
بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول
لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي اي لا ادعي ما يستبعد من العقول ان يكون لبشر من ملك
خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس
خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس بعد الالهية
منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله
لكثير من البشر وهو النبوة قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان
يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية
او الملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا
يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان قلت اعلم الغيب ما محله
من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه
قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم
من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين
يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم
بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب
لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث

ان

ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر
ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى
يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور
فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي
ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره
بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون
دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه
يصلون صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه
والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب
وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك
وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا
قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال
له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي
ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان
يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام
عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من
امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم
واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة
وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار
الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم
لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من
حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى
واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان
جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون
بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين
فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم
على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ليقولوا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتلينا
بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء الذين من الله عليهم من

بثبنا اى انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون
والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم
بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك
خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتنانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول
مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين اى الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان
وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام
عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام
اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول
لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم انه من عمل منكم سوء بجهالة
ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف كأن الرحمة
استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال اى
عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدى الى الضرر
فى العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير
ومنه قول الشاعر على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثانى
انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شئ حتى يعلم حاله
وكيفيته وقيل انها نزلت فى عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة
وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين قرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع
السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر
وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل ايات القرآن ونلخصها
فى صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول
وهو الذى يخاف اذا سمع ذكر القيمة ومن دخل فى الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده و
لتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل قل انى
نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله صرفت وزجرت بما ركب فى من ادلة العقل
وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف
بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اى لا اجرى فى طريقتكم التى
سلكتموها فى دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا
فى الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت اذا وما انا من المهتدين
اى ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى فى شئ يعنى انكم كذلك ولما نفى ان يكون
الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل انى على بينة من ربى ومعنى قوله انى على بينة
من ربى وكذبتم به انى من معرفة ربى وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق
وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان
ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك
وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب

الذى استعجلوه فى قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله فى تأخير عذابكم
يقضى الحق اى القضاء الحق فى كل ما يقضى من التأخير والتعجيل فى اقسامه وهو خير الفاصلين
اى القاضين وقرئ يقص الحق اى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره قل لو
ان عندى اى فى قدرتى وامكانى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم
بالظالمين وبما يجب فى الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربى على حجة من جهة ربى
وهى القرآن وكذبتم به اى بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان او القرآن فان قلت
بم انتصب الحق قلت انه صفة لمصدر يقضى اى يقضى القضاء الحق ويجوز ان يكون
مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اى يصنع الحق ويدبره وفى قراءة عبد الله
يقضى بالحق فان قلت لم اسقطت الباء فى الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها
فى اللفظ لالتقاء الساكنين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر
وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى
كتاب مبين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما فى المخازن
المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه
هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن و
يعلم فتحها هو المتوصل الى ما فى المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح
وقيل هى جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل
فى حكمها كانه قيل وما يسقط من شئ من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا فى كتاب مبين
كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا فى كتاب مبين واحد والكتاب
المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان
يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا فى كتاب مبين كقولك
لا رجل منهم ولا امرأة الا فى الدار وهو الذى يتوفيكم بالليل الخطاب للكفرة اى انتم
منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الاثام فيه ثم يبعثكم فيه
ثم يبعثكم من القبور فى شان ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار
ومن اجله كقولك فيم دعوتنى فتقول امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذى سماه وضربه لبعث
الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما
كنتم تعملون فى ليلكم ونهاركم وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة
حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابى حاتم السجستانى انه كان يكتب عن الاصمعى
كل شئ يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال
ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غنى بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها
قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه
موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها فى صحائف تعرض على رؤس الاشهاد فى موقف
القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء حتى اذا جاء احدكم الموت توفته

رسلنا وهم لا يفرطون اى استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت
الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم فى كل يوم
مرتين وقرئ توفيه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتشديد
والتخفيف والتفريط التوانى والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اى لا ينقصون مما
امروا به او لا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اى الى حكمه وجزائه موليهم مالكهم الذى
يلى عليهم امورهم الحق العدل الذى لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه
وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك
الحمد لله الحق قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية ظلمات البر والبحر
مجاز عن مخاوفهما واهوالهما فقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اى اشتدت
ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف فى البر والغرق فى البحر
بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها لئن انجيتنا
على ارادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتشديد والتخفيف و
انجينا وخفية بالضم والكسر لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم
انتم تشركون قل هو القادر هو الذى عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح
الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل
اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون او
يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم انشب
القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا فى ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى
اذا التبست نفضت لها يدى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث
على امتى عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطانى ذلك وسألته ان لا يجعل باسهم
بينهم فمنعنى واخبرنى جبرئيل ان فناء امتى بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من
فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم
او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الاية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة
والضمير فى قوله وكذب به قومك راجع الى العذاب وهو الحق اى لا بد ان ينزل بهم
قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر
لكل نبأ لكل شىء ينبأ به يعنى انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت
استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير فى به للقرآن وسوف تعلمون واذا رأيت
الذين يخوضون فى اياتنا فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى انديتهم يفعلون
ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره فلا بأس ان تجالسهم
حينئذ واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وان شغلك
بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهى

وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهى قبح مجالسة
المستهزئين لانها مما ينكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك
عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم
شىء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون
بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون يجتنبون الخوض حياء
او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اى يذكرونهم ارادة ان يثبتوا
على تقواهم ويزدادوها وروى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن
لم نستطع ان نجلس فى المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى
قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اى تذكيرا او رفعا على ولكن
عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شىء كقولك ما فى الدار من احد ولكن
زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم
الحيوة الدنيا اى دينهم الذى كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة
الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو
واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب
ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذى كلفوه ودعوا اليه
وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم
عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل
الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله
ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اى بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال
المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال وابسالى بنى بغير جرم ومنه هذا عليك بسل اى حرام
محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسل الرجل اذا اشتد
عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها
وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادى يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر
وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما
فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين
دينهم لعبا ولهوا الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدينا الله قيل
نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعو
انعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا
راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذى استهوته الشياطين
كالذى ذهبت به مردة الجن والغيلان فى الارض فى المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة
لا يدرى كيف يصنع له اى لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يدعوه

الطريق المستقيم او سمّى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعاً للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبنى على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوى الانسان والغيلان تستولى عليه كقوله كالذى يتخبطه الشيطان فشبّه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وما وراءه ضلال وغىّ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف فى قوله كالذى استهوته قلت النصب على الحال من الضمير فى نردّ على اعقابنا اى انكص مشبهين من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت عليه وامرنا لنسلم لرب العالمين فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفاً على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام فى لنسلم قلت هى تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا وارداً فى شان ابى بكر فكيف قيل للرسول قل اندعوا قلت للاتحاد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصاً بينه و بين الصديق وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موقع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اى للاسلام ولاقامة الصلوة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير قوله الحق مبتداء ويوم يقول خبره مقدماً عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائماً بالحق والحكمة وحين يقول لشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق والحكمة اى لا يكون شيئاً من السموات والارض وساير المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دلّ عليه قوله بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناماً آلهة انى اريك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى آزر اسم ابى ابرهيم وفى كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتى كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفى شعر بعض المحدثين ادعى باسماء نبزاً فى قبائلها كان اسماء اضحت بعض اسمائى او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أأزراً تتخذ اصناماً آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام

وزاى ساكنة وزاء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازراً على الانكار ثم قال اتتخذ اصناماً آلهة تثبيتاً لذلك وتقريراً وهو داخل فى حكم الانكار لانه كالبيان فلما جن عليه الليل عطف على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نرى ابرهيم جملة معترضة بين المعطوف و المعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعنى الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونرى حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطاء فى دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤدّ الى ان شيئاً منها لا يصح ان يكون الهاً لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثاً احدثها وصانعاً صنعها ومدبراً دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وساير احوالها هذا ربى قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة فلما افل قال لا احب الافلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام فلما رأى القمر بازغاً مبتدئاً فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين لئن لم يهدنى ربى تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الهاً وهو نظير الكواكب فى الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضاً مع خصومه فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين اى للذى دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدنى ربى وقوله يا قوم انى برئ مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير فى قوله هذا ربى والاشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شئ واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الرب عن شبهة التأنيث الا تراهم قالوا فى صفة الله علام الغيوب ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازاً عن علامة التأنيث وقرئ نرى ابرهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وكانوا حاجوه فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعنى الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربى شيئاً الا وقت مشية ربى شيئاً يخاف فحذف الوقت يعنى لا اخاف معبوداتكم فى وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى ان يصيبنى بمخوف من جهتها ان اصبت ذنباً استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمنى بكوكب او بشقة من الشمس

او القمر او بجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما اى ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله وكيف اخاف بتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه سلطانا اى حجة لان الاشراك لا يصح ان تكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف فأى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فأى الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون اى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك حجتنا اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها ووفقناه لها على قومه نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين وداود عطف على نوحا اى وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد الجنس والحكم والنبوة فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وذهب الانصار انها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبوتها في المصحف قل لا اسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس

تبدونها وتخفون كثيرا وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات متفرقة ليستمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود اى علمتم على لسان محمد مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التوراة ولم تعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اى انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم يلعبون في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير النفع والفوائد مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار وقرئ لينذر بالياء والتاء وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين فمن يلق في بطن القريات رحله فام القرى ملقى رحالي ومنتابي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون به بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وهم على صلاتهم يحافظون وخص الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلى الله

عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني
فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما
كذاب اليمامه مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما
انزل الله وهو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله فكان
اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما
نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الاية تعجب عبد الله من تفصيل
خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك
نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن
كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة
وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزؤن ولو ترى جوابه محذوف اي لرأيت امرا عظيما
اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان
يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله في غمرات الموت وغمرات الموت شدائده
وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا
ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون اخرجوا انفسكم هاتوا ارواحكم اخرجوها
الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق
من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق
ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى
انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها
من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله
غير الحق يجوز ان يريد وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريد الوقت
الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيمة والهون الهوان الشديد واضافة
العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه وكنتم عن اياته تستكبرون
فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه
وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء الله كما خلقناكم
اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم
في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه
لانفسكم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين
دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فردا بالتنوين
وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى **فان قلت** كما خلقناكم في اي محل هو **قلت** في محل
النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل خلقنا لكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم
كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التأويل
ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد
تقطع ما بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن

مجاهد

مجاهد اراد الشقين الذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من
النطف والبيض والحب والنوى ومخرج الميت هذه الاشياء الميتة من الحي من الحيوان
والنامي **فان قلت** كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من
الميت **قلت** عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع
الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين
من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله كيف يحيي الارض
بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي يحق له الربوبية فانى تؤفكون
فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح وجعل الليل سكنا الاصباح
مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افنى رياحا وبني رياح
تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمعي مسي ومصبح **فان قلت** فما
معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفري ليل عن بياض نهار
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه
الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار و
اسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال
الطائي واززق الفجر يبدو وقبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح
وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا
به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم
سموها المونسة والليل تطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان
يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث
فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان
على محل الليل **فان قلت** كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف
اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرو امس **قلت** ما هو في معنى المضي وانما
هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول
الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء
والخبر محذوف وتقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل
الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما
والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران
ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي
قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه
مشتبهات الطرق بالظلمات قد فصلنا الايات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس
واحدة فمستقر ومستودع من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا
ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى ولكم مستقر في الرحم ومستودع

فى الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بنى آدم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذى هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به بالماء نبات كل شئ نبت كل صنف من اصناف النامى يعنى ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصله من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشئ الدانى القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتى بالثمرة لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اى من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شئ اى واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدى بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وينعه وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن ان جعلت لله شركاء مفعولى جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التى للتبيين والمعنى اشركوهم فى عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل

نافع

نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اى اختلاقهم للافك يعنى وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله فى قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اى افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين فى المسيح وعزير وقول قريش فى الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة فى نادى القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اى اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطاء او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اى بديع شعره او هو بديع فى السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اى ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبدع السموات والارض وهى اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثانى ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شئ الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شئ والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اى ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شئ وكيل يعنى وهو مع تلك الصفات مالك لكل شئ من الارزاق والاجال رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله تعالى فى حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا فى ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان فى جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التى لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه

وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان
البصر نور العين الذي به يبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا
يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن
عمي عنه فعليها فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ
اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وكذلك نصرف الايات
وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست
نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى
قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست
اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها
بدارست اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان
يكون الفعل للايات وهو لاهلها اي دارس اهل الايات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس
اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية فان قلت
اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية
حقيقة وذلك ان الايات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا
القول بتصريف الايات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل ولنبينه
فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الايات لانها في معنى القرآن
كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي
هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب
ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن
المشركين لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان
يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله هو الحق مصدقا ولو شاء الله ما اشركوا
وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون
سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الالهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما
يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة
فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر وهو من اجل الطاعات فاذا
علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر
فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع
فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن
بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها
حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الالهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه

الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو وبمعناه يقال عدا فلان عدوا
وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله
وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة عملهم مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم
الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا
الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا ثم الى ربهم
مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وهو قادر عليها ولكنه
لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الايات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها واتيكم
بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الاية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون
بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين
كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم
لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم
يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال
امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن حذام وتقويها قراءة ابي
لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم
ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل
لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم
يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره
من الايات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول
مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل
في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم
اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول اياتنا
اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم
وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرأ
الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما
قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا باباءنا وحشرنا عليهم كل
شيء قبلا كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا
او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
مشية اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون
من حال قلوبهم عند نزول الايات او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون
الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الاية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا شياطين الانس والجن وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من
الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات

والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انهما مفعولان
كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شياطين
الانس اشد علي من شياطين الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان
الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء
على المعاصي ويموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم
وما يفترون ما فعلوا ذلك اي ما عادوك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان
يكفهم ولا يخليهم وشانهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي
عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع الضمير
في فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الذين لا
يؤمنون بالاخرة افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الاثام
افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم
ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل
بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه
ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من
المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود
اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان تكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه تعاضدت الادلة
على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خطاب لامته وتمت كلمة ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا و
عدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل
وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القرآن وان تطع
اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وان تطع اكثر الناس اضلوك لان الاكثر في غالب
الامر يتبعون هواهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق
فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله حرم
كذا واحل كذا ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وقرئ من يضل
بضم الياء اي يضله الله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين فكلوا مسبب
عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون
للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل
للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه
اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله وما لكم
الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم وقد بين لكم
ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على

تسمية

تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال
الضرورة وان كثيرا ليضلون وقرئ بفتح الياء وضمها اي يضلون فيحرمون ويحلون باهوائهم
وشهواتهم بغير علم من غير تعلق بشريعة ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم و
باطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت و
باطنه الصديقة في السر ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تاكلوا مما
لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي
يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه
في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله
عليه بنسيان او عمد قلت قد تاوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله
او فسقا اهل لغير الله به وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين
ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تاويل من تاوله بالميتة وان اطعتموهم
انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان
لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الاية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة
مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها مثل الذي هداه الله بعد
الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن
كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض
ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى
قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج
منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي
صفتها هذه وهي قوله فيها انهار كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اي زينه الشيطان او
الله عز وعلا على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل
قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم
هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على
قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذا
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم وما يشعرون واذا
جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله روي ان الوليد بن المغيرة قال
لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل
قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه
والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد
كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم حيث يجعل رسالاته كلام مستانف للانكار
عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه

منهم سيصيب الذين أجرموا من أكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم عند الله
وعذاب شديد في الدارين من الأسر والقتل وعذاب النار بما كانوا يمكرون فمن يرد الله أن
يهديه أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف يشرح صدره للإسلام يلطف به
حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد أن يضله أن يخذله
ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه ألطافه حتى يقسو
قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الإيمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد
حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كأنما يصعد في السماء كأنما يزاول أمرا غير
ممكن لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ
يصعد وأصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد وأصله يتصاعد ويصعد من صعد
ويصعد من أصعد كذلك يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض
ما يوصف به التوفيق من الطيب أو أراد الفعل المؤدي إلى الرجس وهو العذاب من الارتجاس
وهو الاضطراب على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته
الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على أنه حال مؤكدة
كقوله وهو الحق مصدقا قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم لقوم يذكرون دار السلام
دار الله يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم
في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم بما
كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف
أي واذكر يوم نحشرهم جميعا أو ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن أو ويوم نحشرهم وقلنا
يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم
الشياطين قد استكثرتم من الإنس أضللتم منهم كثيرا أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم
منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الأمير من الجنود واستكثر فلان من الأشياع وقال أولياؤهم
من الإنس الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض أي
انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها وانتفع الجن
بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم وقيل استمتاع الإنس
بالجن ما في قوله وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن وأن الرجل إذا نزل
واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالإنس اعتراف
الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم لهم وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا
يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى
والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم قال النار مثواكم خالدين فيها إلا
ما شاء الله أي تخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي
ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير
ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم ويكون من قول الموتور

الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب إليه أن ينفس عن خناقه أهلكني
الله إن نفست عنك إلا إذا شئت وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه
من التعنيف والتشديد فيكون قوله إلا إذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه
في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع إن ربك حكيم لا يفعل شيئا إلا بموجب الحكمة
عليم بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى
يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الإنس أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة
وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر
الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ ألم يأتكم رسل منكم واختلف في أن الجن هل بعث إليهم
رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يبعث إليهم رسول
من جنسهم لأنهم به آنس وله آلف وقال الآخرون الرسل من الإنس خاصة وإنما قيل رسل
منكم لأنه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان وقيل أراد رسل الرسل من الجن إليهم كقوله ولوا إلى قومهم منذرين وعن الكلبي
كانت الرسل قبل أن يبعث محمد يبعثون إلى الإنس ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
الجن والإنس قالوا شهدنا على أنفسنا حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله ألم يأتكم لأن
الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا
إقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها **فإن قلت** ما لهم مقرون
في هذه الآية جاحدون في قوله والله ما كنا مشركين **قلت** يتفاوت الأحوال والمواطن
في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض أو أريد شهادة أيديهم
وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم
أنهم كانوا كافرين **فإن قلت** لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم **قلت** الأولى
حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة
نظرهم لأنفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم
أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه
وإنما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم وأهلها غافلون ذلك إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وإنذارهم سوء
العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وأن لم يكن ربك مهلك القرى تعليل أي الأمر
ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن هي التي تنصب الأفعال
ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة على معنى لأن الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم ولك أن تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر
هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون
لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظلما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين
درجات منازل مما عملوا من جزاء أعمالهم وما ربك بغافل عما تعملون بساه عنه

يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغنى عن عباده وعن عبادتهم
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة
ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم اخرين من اولاد قوم
اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام ان ما توعدون لآت وما
انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ
التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا
على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التى انتم عليها يقال
للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اى اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه انى
عامل على مكانتى التى انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فانى ثابت على الاسلام
وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون فسوف تعلمون
اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهى التخلية
والتسجيل على المامور بانه لا يأتى منه الا الشر فكانه مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له
ان يتفصى عنه ويعمل بخلافه فان قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى اى و
علق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذى وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التى خلق الله هذه الدار لها
وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف فى المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد
والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا
هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لالهتهم
فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد فى نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للالهة واذا زكا ما جعلوه
للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غنى وانما ذاك لحبهم الهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرأ
فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكى لانه هو الذى ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر
على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اى قد زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا
شرع لهم تلك القسمة التى هى من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم فى القربة فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله اى لا يصل الى الوجوه التى كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان
والتصدق على المساكين وما كان لله فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسايك
عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فى ايثار الهتهم على الله وعملهم على
ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ومثل ذلك التزيين
وهو تزيين الشرك فى قسمة القربات بين الله تعالى والالهة او مثل ذلك التزيين البليغ الذى
علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل
اولادهم بالوأد او بنحرهم للالهة وكان الرجل يحلف فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما
لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذى هو شركاؤهم ونصب
قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذى هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين
كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر
قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء

والفصل

والفصل بينهما بغير الظرف فشىء لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا
كما سمج ورد زج القلوص ابى مزاده فكيف به فى الكلام المنثور فكيف به فى القران المعجز بحسن
نظمه وجزالته والذى حمله على ذلك ان رأى فى بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء
ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم فى اموالهم لوجد فى ذلك مندوحة
عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوه عليهم
ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذى
وجب عليهم ان يكونوا وقيل معناه وليوقعوهم فى دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت
ان كان التزيين من الشيطان فهى على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة
ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او ما فعل الشياطين
او السدنة التزيين او الارداء او اللبس وجميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة
فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم وقالوا هذه انعام وحرث حجر
لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوى فى الوصف
به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة
حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم
وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء
وانعام حرمت ظهورها هى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
فى الذبح وانما يذكرون عليها اسماء اصنامهم وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها
والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام
لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه
اى فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد
لان قولهم ذلك فى معنى الافتراء سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا كانوا يقولون فى اجنة البحائر والسوائب ما
ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث
وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما فى معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها فى راوية
الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اى ذو خالصة وتدل عليه قراءة
من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان
يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الاضافة
وفى مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما فى بطونها ميتة وقرئ وان تكن
بالتأنيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان تكن ميتة بالتأنيث والرفع على
كان التامة وتذكير الضمير فى قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكر او انثى
فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم اى جزاء وصفهم
الكذب على الله فى التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام

قد خسر الذين قتلوا أولادهم نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفهاً بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتّلوا بالتشديد وحرّموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها افتراء على الله قد ضلّوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشياً في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه والنخل والزرع مختلفاً اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكْله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه ومختلفاً حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره وقرئ ثُمُره بضمتين **فان قلت** ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه **قلت** لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكوة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجباً حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئاً الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا من الضأن اثنين ومن المعز اثنين زوجين اثنين من الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجاً وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كأساً بشرط ان يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرأ أبي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء قل الذكرين حرّم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرّم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين الهمزة في الذكرين للانكار والمراد

بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرّم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئاً من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرّمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكوراً او اناثاً او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرّمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرّمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرّمه ام كنتم شهداء اذ وصّاكم الله بهذا بل أكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرّم هذا الذي نحرّمه فتهكّم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً فنسب اليه تحريم ما لم يحرّم ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحّر البحائر وسيّب السوائب **فان قلت** كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه **قلت** قد وقع الفاصل بينهما اعتراضاً غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل منّ على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرّمها والاحتجاج على من حرّمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرّماً على طاعم يطعمه طعاماً محرّماً من المطاعم التي حرّمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرّم ميتة او دماً مسفوحاً اي مصبوباً سائلاً كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخّص في دم العروق بعد الذبح او لحم خنزير فانه رجس او فسقاً اهلّ لغير الله به او فسقاً عطف على المنصوب قبله سمّي ما اهلّ به لغير الله فسقاً لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهلّ صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولاً له من اهلّ اي اهلّ لغير الله به فسقاً **فان قلت** فعلام تعطف اهلّ والام يرجع الضمير في به على هذا القول **قلت** يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرّمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر ذو الظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم فلما ظلموا حرّم ذلك عليهم فعمّ التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرّم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرّم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا

أو ما اشتمل على الأمعاء أو ما اختلط بعظم وهو شحم الألية وقيل الحوايا عطف على شحومهما وأو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين ذلك جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب فإن كذبوك في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودًا وكرمًا فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لأهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم أي جاؤوا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وعلا ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن تكون له حجة إن تتبعون إلا الظن في قولكم هذا وإن أنتم إلا تخرصون تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم أجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضًا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فإن شهدوا فلا تشهد معهم فإن قلت كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرمًا ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدًا منهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقًا بالآيات موحدًا لله فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون

لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيف الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسًا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا تعال من الخاص الذي صار عامًا وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى أتل الذي حرمه ربكم أو بحرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في أن لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فإن قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلًا من ما حرم قلت وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله وبالوالدين إحسانًا لأن التقدير وأحسنوا بالوالدين وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا فإن قلت فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيمًا قلت أجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيمًا علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا بمعنى لأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطي أنه مستقيم فإن قلت إذا جعلت أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيًا عنه محرمًا كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر قلت لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعًا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا تقتلوا أولادكم من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسًا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فما ينبغي أن يزيد في القول

او ينقص كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به
لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان و
اصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي
مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل
الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وساير البدع والضلالات
فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام
وقرئ فتفرق بادغام التاء ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون وروى ابو وائل عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطا ثم قال سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن
شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس هذه الايات محكمات لم تنسخهن شيء
من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن
كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شيء في التورية فان قلت علام
عطف قوله ثم اتينا موسى الكتاب قلت على وصيكم به فان قلت كيف صح عطفه
عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها
كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم تنسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل
ذلكم وصيكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب وانزلنا
هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء
ربهم يؤمنون تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس
المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اي
تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي احسن
موسى من العلم والشرايع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم
وقرأ يحيى بن يعمر على الذي احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتداء كقراءة من قرأ
مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب
تماما اي تاما كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو
احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه
واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا كراهة ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
يريدون اهل التورية واهل الانجيل وان كنا عن دراستهم لغافلين هي ان المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء
ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم او تقولوا لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب
ووقايعها وخطبها واشعارها وامثالها على انا اميون وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء
فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ

الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم
بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد
ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل
سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون كقوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
ملائكة الموت او العذاب او يأتي ربك او يأتي كل آيات ربك بدليل قوله او يأتي بعض آيات
ربك تريد آيات القيمة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من
مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها
عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من
عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل لم تكن آمنت من قبل
صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى ان اشراط
الساعة اذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان
حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الايات او مقدمة ايمانها غير كاسبة
خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت في غير وقت الايمان وبين
النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جمع بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احديهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا
فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان تأتيهم الملائكة بالياء
والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو
بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه ان الذين فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود
والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة
وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة و
تفترق امتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض
وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما
لها لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة
باية السيف انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام
الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا
اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة
الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على
عقابهم قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان
من المشركين دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل

قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ
قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابرهيم
قل ان صلوتي ونسكي وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله
فصل لربك وانحر وقيل صلوتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما آتيه في حياتي
واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين لا شريك له خالصة لوجهه
وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام امته
قل اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي
ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما
قال قل افغير الله تامروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض جعلهم خلائف الارض لان محمدا عليه السلام
خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله
في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق
درجات ليبلوكم فيما آتيكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع
الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته
وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها
سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر
له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك كتاب خبر مبتدأ
محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك
حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان
الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه
منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه
واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فآمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم
فان قلت بم تعلق قوله لتنذر به قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي
لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان
صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته وذكرى للمؤمنين فان قلت فما
محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر
تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف
والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن
متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك ههنا اتبعوا ما انزل

اليكم من ربكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي
ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء
والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم
امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت
وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا
ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل علي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء
قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء
ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكيرا قليلا وما مزيدة لتوكيد
القلة وكم من قرية اهلكناها فجاءها اهلها باسنا بياتا مصدر واقع موقع
الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله او هم قائلون حال
معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين او قائلين فان قلت هل تقدر حذف
المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر حذف
مضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير
في فجاءها لقوله او هم قائلون فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما
بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال
لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان
الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا
لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا
او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى
قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه اردنا
اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة
لانهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل
وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا
كنا ظالمين فما كان دعويهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم
ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا
لانه لا يستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاءهم ربهم الا
اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم
وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم لكان ويجوز العكس
فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم
ومعناه فلنسئلن المرسل اليهم وهم الامم نسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونسأل المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم
الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت

فاذا كان عالماً بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم **قلت** معناه التوبيخ والتقريع
والتقرير اذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن
الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته
اي والوزن يوم نسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف
في كيفية الوزن فقيل يوزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تأكيداً
للحجة واظهاراً للنصفة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد
بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما
يثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم
العادل فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي
الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل
وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بما كانوا بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلماً كقوله
وظلموا بها ولقد مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً او مكناكم فيها واقدرناكم
على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب
وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف
قليلاً ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه
بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من
الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم **فان قلت** ما فائدة زيادتها **قلت** توكيد معنى
الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود
وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجاباً وحتمه حتماً لا بد لك
منه **فان قلت** لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه **قلت** للتوبيخ ولاظهار
معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم وانه خالف امر ربه معتقداً انه
غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب **فان قلت** كيف
يكون قوله انا خير منه جواباً لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا **قلت** قد استأنف
قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل
آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مأموراً
بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعداً ان يؤمر بما امر به قال فاهبط
منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين
المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين
من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغراً اذا اهنته و
في ضده قم راشداً وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من

تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى
الارض قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين **فان قلت** لم اجيب الى استنظاره
وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم **قلت** لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته
من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي
وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده قال فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي
لاقعدن لهم صراطك المستقيم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة
مع كونهم افضل منه ومن آدم انفساً ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف
على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما
فسدت بسببهم **فان قلت** بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا
تقول والله بزيد لامرن **قلت** تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله
لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن
وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفاً والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضاً لسعادة
الابد فكان جديراً بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد
الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام
الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول
انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم تبلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان
لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كأنه قيل بأي شيء
اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل
شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد في المعدة لاقعدن
لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه
على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم
ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه
فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له
بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ثم لآتينهم من الجهات الاربع
التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه
كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك **فان قلت**
كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة
قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية
في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط
فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه
انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافياً

عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرناه في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين مذؤما من ذأمه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤل واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقرئ هذي الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها فوسوس لهما الشيطان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسواس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظايم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى او تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوآتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم لكما اني لكما لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه

اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اي تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر وطفقا ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ ابو السماك وطفقا بالفتح يخصفان عليهما يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان يجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطاء حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروي انه قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة قال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الخطاب لآدم وحواء وابليس وبعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقطاع آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله

وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى
هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي
هو خير وذلك صفة للمبتدأ كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة
من ان يراد تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس المواري للسوأة لان
موارأة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدإ
محذوف اى وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قرأة عبد الله وابي ولباس التقوى
خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى
به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله
الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظم
النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوأة وخصف
الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة
والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان لا يمتحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم
بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال اى اخرجهما نازعا
لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا
تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله
وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس
وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة انا
جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اى خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم
واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت
علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يريكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان و
وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان تعطفه على اسم ان وان تكون الواو بمعنى
مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب اى
اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان
يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني
افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن
الحسن ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم
على الله وتصديقه قول الله واذا فعلوا فاحشة قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان فعل
القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله اتقولون على الله
ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط
وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة قل امر ربي بالقسط بالعدل وبما قام في

النفوس

النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم
اى اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود
او في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة
مبتغين بها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في
انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة
فريقا هدى وهم الذين اسلموا اى وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اى كلمة
الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصابه بفعل يفسره ما بعده
كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم اى ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون اى تولوهم بالطاعة
فيما امروهم به وهذا دليل على ان الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم
وتوليهم الشياطين دون الله يا بني آدم خذوا زينتكم اى ريشكم ولباس زينتكم عند كل
مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج
وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت
منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا
من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة
وكان بنو عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك
حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة
ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم
من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله
في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر
من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة
قال وما هي قال قوله عليه الصلوة والسلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط
كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده من الثياب وما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل
والمشارب ومعنى الاستفهام فيه انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة
وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم
لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل
هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان
الكفرة تبع لهم لقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب
على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي
الفواحش ما تفاحش قبحه اى تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن و
الاثم والبغي بغير الحق والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده

بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند
الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال
الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه يا بني آدم اما يأتينكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اما يأتينكم هي ان
الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة
فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن
اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بآياته فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم
حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها
الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من
الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله
وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى
اين الآلهة الذين تدعون قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ينتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه
وانهم لم يجدوه في العاقبة قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار
اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بآياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين
لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم كلما دخلت امة لعنت
اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا بمعنى تلاحقوا
واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة
والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا
فآتهم عذابا ضعفا مضاعفا من النار قال لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع
كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء والياء وقالت اولاهم لاخراهم فما كان
لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف فقد ثبت ان لا فضل
لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة
او من قول الله لهم جميعا ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء

ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما يصعد ارواح
المؤمنين وقيل لا ينزل عليهم البركة ولا يغاثون فتحنا ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد
ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء
على ان الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن
النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس
الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله تعالى احسن تشبيها
من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه
الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة
وقالوا الدليل اهدى من خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم
الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل
لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب
واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل
واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط
والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء
الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم
عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه لهم من جهنم مهاد
فراش ومن فوقهم غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة
عبد الله وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين
المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصفا لواصف من النعيم الخالد مع التعظيم
بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش
لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار من كان في قلبه غل
على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف
وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقالوا الحمد لله
الذي هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين
لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة
موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا
يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من
رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ونودوا ان تلكم
الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير
الشان والحديث او تكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة
اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ونادى اصحاب الجنة

اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن
مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا و
هم بالاخرة كافرون ان فى ان قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة
كالتى سبقت آنفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم
وشماتة باصحاب النار وزيادة فى غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن
بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله فينادى بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل
النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة
القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا
ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة ما وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول
كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا
مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذابا لهم فاطلق
لذلك وبينهما حجاب يعنى بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور فى قوله فضرب
بينهم بسور وعلى الاعراف على اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهى
اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من اخرهم دخولا
فى الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن
الله لهم فى دخول الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التى
اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او تعرفهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم
يدخلوها وهم يطمعون اى انظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ونادوا رجالا
من رؤس الكفرة ويقولون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى
اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا
وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة
وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون
وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا
لا يسبق عند الله الا بسبقه فى العمل ولا يتخلف عنه الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون فى
حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماهم
التى استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسئ عن اساءته ويزيد المحسن فى
احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم
فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتوبخوا وقرأ الاعمش واذا قلبت
ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة فان قلت
كيف لاءم هذا الكلام قوله لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تاويله ادخلوا الجنة

او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم
يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سأل عن حال اصحاب
الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعنى حالهم ان دخولهم الجنة استأخر عن دخول اهل
الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع
صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم
عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا من الماء فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله
فى حكم الافاضة ويجوز ان يراد والقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله
علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة فى امرهم كما يفعل
المضطر الممتحن قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم
الحيوة الدنيا منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام
على عينى ان تطعم الكرى فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من
الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه
ببالهم ولم يهتموا به وما كانوا باياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم عالمين
كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذى عوج
وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل
للتفضيل عليها هدى ورحمة لقوم يؤمنون وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما
ان على علم حال من مرفوعه هل ينظرون الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه
وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد
جاءت رسل ربنا بالحق اى تبين وصح انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون نرد جملة
معطوفة على الجملة التى قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او
هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل
آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن ابى اسحق او نرد بالنصب عطفا
على فيشفعوا او تكون او بمعنى حتى ان اى يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد
ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم
استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا يغشى الليل النهار وقرئ يغشى بالتشديد
اى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثانى قراءة حميد بن قيس
يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اى يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حتى
يلحقه وقراءة حميد والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بمشيئته وتصريفه وهو
متعلق بمسخرات اى خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك
امرا على التشبيه كانهن مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع
ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اى هو الذى خلق الاشياء كلها وهو

الذي يصرفها على حسب ارادته تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية نصب
على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل
اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان
الرجل قد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس
به وان كان الرجل ليصلي الصلوة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما
ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه السر فيكون علانية ابدا ولقد كان
المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك
ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا
وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين
ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح
في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون
قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول
وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين
كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم او الترحم
ولانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه
ذاك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تأنيث
الرحمة غير حقيقي وهو الذي يرسل الرياح بشرا وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه
اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا
جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول
كنفض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرى بفتح الباء
مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث
الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من
القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة
سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على
اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء
بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك مثل ذلك الاخراج
وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين
اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث
لا يخرج الا نكدا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي
لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا
لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته
وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف

الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا
بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا
بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكد باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه
وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن
مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه
وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل
واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك
مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون
ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد ارسلنا نوحا الى قومه
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم لقد ارسلنا
جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل
عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية
لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي
هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان
نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي صلى الله عليه وسلم
وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب
على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد
فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه
بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه
من دون الله واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال
الملأ من قومه الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء انا لنراك في
ضلال مبين في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب قال يا قوم ليس
بي ضلالة فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة
اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال
كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول من رب
العالمين استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته
ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن
الضلالة ابلغكم وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه
وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون
صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت
جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال انا الذي سمتني
امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من
الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى

الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسوله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحى الي بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ويعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم وليتقوا ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم فكذبوه فانجيناه والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله ضائق به صدرك والى عاد اخاهم هودا اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح و اخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وكذلك قال الملأ الذين كفروا من قومه فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين في سفاهة في خفة حلم و سخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا انه متمكن فيها غير منفك عنها قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم

به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم وزادكم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه اني فى اناء وضلع واضلاع وعنب واعناب فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجيء في قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فاتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر من ربكم رجس وغضب والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم ومحال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن

سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم
قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر
وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده
شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم
باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان
يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا
نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية «الا يا قيل ويحك قم فهينم» «لعل الله يسقينا غماما»
«فيسقي ارض عاد ان عادا» «قد امسوا ما يبينون الكلاما» فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون
من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن
سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه
فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا
ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضا
وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء
فانها اكثر من ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض
ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون فاتوا مكة فعبدوا الله فيها
حتى ماتوا **فان قلت** ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات
التكذيب بآيات الله **قلت** هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود
عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن
ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قرئ الى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتأويل الحي
او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل
سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام
الى وادي القرى قد جاءتكم بينة من ربكم آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه
البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة
من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة
وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا
وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل
وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم
في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته
فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض
وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم
الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية
تريدون قال تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا

فان

فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم
وسألوها الاستجابة فلم يجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة
في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء
والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق
لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله
وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع
اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء و
كانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها
ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري
اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع
الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب مواشيهم الى بطنه فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم
امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي
المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا
وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم
محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العذاب طلبوا
ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فذروها
تأكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارض ربها
فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب
اليم لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم
القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم
مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله
اعلم قال عاقر ناقة صالح قال عليه السلام اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم
قال قاتلك وقرأ ابو جعفر في رواية تأكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض
الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض
بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وتنحتون الجبال وقرأ الحسن وتنحتون بفتح
الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى اسيل حرة **فان قلت** علام
انتصب بيوتا **قلت** على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة
قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة

قميصاً وقلماً في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في
الشتاء فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من
قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم للذين استضعفوهم رؤساء الكفار واستذلوهم
ولمن آمن منهم بدل من للذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت
الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى
قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسراً لمن استضعف منهم
فدل ان استضعافهم كان مقصوراً على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن
الاستضعاف مقصوراً عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين اتعلمون ان
صالحاً مرسل من ربه شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله
فوق العرش قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون
فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جواباً عنه قلت سألوهم عن
العلم بارساله فجعلوا ارساله امراً معلوماً مكشوفاً مسلماً لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم
بارساله وبما ارسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام
في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم به كافرون
فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به رداً لما جعله المؤمنون معلوماً واخذوه مسلماً فعقروا
الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة
الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا
عن امتثاله غايتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها
تأكل في ارض الله او شأن ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر
ربهم كأن امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن
امري وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ائتنا بما تعدنا ارادوا من العذاب
وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوماً واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون
وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها
فاصبحوا في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس
جثم اي قعود لا حراك بهم ولا يتبسون بنبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط
وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا
الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله
قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحاً
كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله
ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه و
بحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين الظاهر انه كان مشاهداً لما جرى عليهم وانه تولى عنهم
بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت

فيكم وسعي ولم آل جهداً في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى
عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم
الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين
وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعاً فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفاً وخمسمائة دار وروي
انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون
الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى
بنفسه في التهلكة يا اخي قد نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون حكاية
حال ماضية ولوطاً اذ قال لقومه وارسلنا لوطاً واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطاً واذ بدل
بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتأتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم
بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله
عليه السلام سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة
معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موضع هذه الجملة قلت هي جملة
مستأنفة انكر عليهم اولاً بقوله اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها
او على انه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما
لم تسبقوا به انكم لتأتون الرجال بيان لقوله اتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتأتون
للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال من اتى المرأة اذا غشيها
شهوة من دون النساء مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير
داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة
كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة بل انتم قوم
مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى
اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في
باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم يعني ما اجابوه بما يكون جواباً عما كلمهم به لوط
عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر
كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين
من قريتهم ضجراً بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون
سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخاراً بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة
لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد فانجيناه واهله
ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطراً
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا و
التذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت
فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة
فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم

وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان فى الحرم فوقف له
الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت اى فرق بين
مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفى نوابغ الكلم حرى غير مطور
حرى ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم
ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة
من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم
نوعا من المطر عجيبا يعنى الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين والى مدين اخاهم
شعيبا كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل
والموازين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة
شاهدة بصحة نبوتى اوجبت عليكم الايمان بى والاخذ بما امركم به والانتهاء عما انهاكم
عنه فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم فان قلت ما كانت معجزته
قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعى
النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته
لم تذكر فى القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روى
من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد
ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع وغير ذلك من
الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف
قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما فى سورة هود قلت اريد بالكيل آلة
الكيل وهو المكيال او سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل
ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه
اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفى امثالهم تحسبها حمقاء وهى باخس وقيل اشياءهم
لانهم كانوا يبخسون الناس كل شئ فى مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه
كما يفعل امراء الحرمين وروى انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا
هى زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا ولا تفسدوا
فى الارض بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اى لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون
من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى
بل مكركم فى الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من
الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد فى الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى خير لكم فى الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس
ارغب فى متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والتسوية ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين
لى فى قولى ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولا تقتدوا بالشيطان فى قوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اى بكل منهاج من مناهج الدين والدليل
على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما

شذاذ الناس الذين يكونون فى القوم وليسوا من قبائلهم [illegible]

اى ساحة بخيل لا يأتيه احد وهو ما خوذ من قول العرب لا تطرقنا اى ساحتنا

الرهمة بالكسر المطرة الضعيفة الدائمة والجمع رهم ورهام وردت مرهمة

اى شئ كانت معجزته كما كانت معجزاتك

الدرع جمع الارقع وهو الشاة التى فيها سواد وبياض

وجه السؤال ان الانسب بالكيل الوزن لا الميزان وبالميزان المكيال لا الكيل

ادرهم عادة البعض فى قطع الدراهم المغشوشة وهم يفعلون هذه العادة مع امثالهم لكن كذلك

اى اضافة الاصلاح الى الارض بمعنى فى كاضافة مكر الليل والنهار

الامور المذكورة ثلاثة وذلكم للواحد فالاشارة الى المذكور [illegible] بما ذكر وهو واحد

عطف عليه النصب على الحال اى ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين لها عوجا
فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود
واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع فى شئ منها اوعدوه وصدوه فان قلت
الام يرجع الضمير فى من آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون
عنه فوضع الظاهر الذى هو سبيل الله موضع الضمير زيادة فى تقبيح امرهم ودلالة على عظم
ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا
كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا
عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس بانها سبيل معوجة
غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو
محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم اذ مفعول به غير ظرف اى
واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن
ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم
مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح
ولوط وكانوا قريبى العهد مما اصاب المؤتفكة وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به
وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بان
ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا
انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى
المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اى ليصبر المؤمنون
على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث
من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف قال الملاء الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا قال
او لو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون
لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا اى ليكونن
احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم فى الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام
بالعود فى الكفر فى قولهم او لتعودن فى ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير
فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا
على ضميره الذين دخلوا فى الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد
فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه
فقال ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه فى
جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما

حق جمع حذفت النون بالاضافة فهو باسكان الياء

فعلى هذا يكون الكلام تمثيلا ولا يكون سبيل الله من وضع الظاهر موضع المضمر ويكون الضمير فى به عائدا الى [illegible] توعدون [illegible] عطف عليه حالا [illegible] والاظهر [illegible] توعدون [illegible] المفعول المحذوف [illegible] على اعمال الفعل الاول [illegible]

المؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت اى انقلبت

قوله او هو عطف على قوله فاصبروا فتربصوا يعنى ان كان خطابا للكافرين فمعنى فاصبروا فتربصوا اذ ليس المراد امرهم بالصبر [illegible] على ما ذكر وان كان الخطاب للمؤمنين فالمراد [illegible] على ما ذكر

قوله ويجوز عطف على قوله وهذا وعيد للكافرين [illegible] ان يكون خطابا للكافرين بالتربص وان يكون خطابا للمؤمنين بالصبر وان يكون خطابا للفريقين

ليكونن تفسير قوله لنخرجنك

كالتعمد والعمل بالسهو اى النسيان

يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم في
الكفر قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا و
يكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اي هو
عالم بكل شيء ما كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف
تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا على
الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في
العود لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج من الحكمة اولو كنا الهمزة للاستفهام و
الواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا
وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم
على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان
احدهما ان يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في
الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب
حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له
ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى
والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم
يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى
كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه
فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما
جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قولهم انكم اذا
لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا
كانوا هم الخاسرين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كان لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين
وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا
واستؤصلوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستئناف
والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء
بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين الاسى شدة الحزن قال العجاج واتحلبت
عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على
قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم
في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم
يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة

وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والفقر والضراء بالضر
والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا
ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا
فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى
عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه
قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا
نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء
يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد
مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات
الا ان نأخذهم بالعذاب فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه
وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا اللام في القرى اشارة
الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى
الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا
فاخذناهم بما كانوا يكسبون بسوء كسبهم ويجوز ان تكون اللام في القرى للجنس فان قلت
ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها
ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين افامن
اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
ضحى البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتا او
هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان
يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا
كانه قيل ان يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتانا ضحى وضحيا وضحاء
والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرق وارتفع والفاء والواو في افامن واوامن
حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى
بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل
القرى الى قوله يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء
لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
بياتا وامنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ اوامن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون
بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله افامنوا مكر
الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون قلت هو تكرير لقوله افامن اهل القرى
ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في
خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع
ابن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك

يخاف البيات ازاد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون اذا قرئ اولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا المورثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى اولم نبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدى فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم نهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدأ وخبر وحال ويجوز ان تكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان تكون القرى ونقص خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من قبل بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشأن والحديث وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها

فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب اذا تغنى الحمام الورق هيجني ولو تغربت عنها ام عمار والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فان قلت كيف قال له فأت بها بعد قوله ان كنت جئت بآية قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فأتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة

قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون
قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم إن هذا لساحر عليم
أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل إليهم العصا حية
والآدم أبيض فإن قلت قد عزي هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملأ
وعزي ههنا إليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا أو قاله ابتداء
فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك
يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم يبلغه الخاصة العامة والدليل عليه
أنهم أجابوه في قولهم أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ
سحار أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط
وقولهم فماذا تأمرون من أمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون
من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم كأنه قيل فما
ذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه ومعنى أرجه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك
فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه بالهمزة وأرجه من أرجاه وجاء السحرة فرعون
قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين فإن قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت
هو على تقدير سائل سأل ما قالوا إذ جاؤه فأجيب بقوله قالوا إن لنا لأجرا أي جعلا على الغلبة
وقرئ أن لنا لأجرا على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر
والتنكير للتعظيم كقول العرب إن له لإبلا وإن له لغنما يقصدون الكثرة قال نعم وإنكم
لمن المقربين فإن قلت ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده
حرف الإيجاب كأنه قال إيجابا لقولهم إن لنا لأجرا نعم إن لكم أجرا وإنكم لمن المقربين أراد
أني لا أقتصر بكم على الثواب وحده وإن لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب
والتعظيم لأن المثاب إنما يتهنأ بما يصل إليه ويغتبط به إذا نال معه الكرامة والرفعة
وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروي أنه دعا برؤساء السحرة
ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا تطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون
أمرا من السماء فإنه لا طاقة لنا به وروي أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل
بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من
أهل نينوى وقيل قال فرعون لا تغالب موسى إلا بما هو منه يعني السحر قالوا يا موسى إما
أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما
يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل
أن يأخذوا في الصراع وقولهم وإما أن نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله
من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريفا لخبر أو تعريف الخبر وإقحام الفصل وقد سوغ
لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من
التأييد السماوي وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا فلما ألقوا سحروا أعين الناس أروها
بالحيل والشعوذة وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى

روي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب
بعضها بعضا واسترهبوهم وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم وجاؤوا
بسحر عظيم في باب السحر روي أنهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة وقيل جعلوا
فيها الزيبق وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ما موصولة أو
مصدرية بمعنى ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه أو إفكهم تسمية للمأفوك
بالإفك روي أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت
وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا
لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم أي فأثر
فيها من قولهم قاس وقيع وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وصاروا
أذلاء مبهوتين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وخروا
سجدا كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا عن قتادة كانوا
أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الإسلام ونشأ بين
المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا أنفسهم لله قال فرعون
آمنتم به على الإخبار أي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف
الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في
المدينة لتخرجوا منها أهلها إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن
تخرجوا منها إلى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوا
بني إسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان
وروي أن موسى قال للساحر الأكبر أتؤمن بي إن غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وإن
غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد أجمله ثم
فصله بقوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين وقرئ لأقطعن
بالتخفيف وكذلك لأصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل إن أول من قطع من خلاف وصلب
لفرعون قالوا إنا إلى ربنا منقلبون فيه أوجه أن يريدوا إنا لا نبالي بالموت لانقلابنا
إلى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك أو ننقلب إلى الله يوم الجزاء فيثيبنا
على شدائد القطع والصلب أو إنا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا أو
إنا لا محالة ميتون منقلبون إلى الله فما تقدر أن تفعل بنا إلا ما لا بد لنا منه وما تنقم
منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله أرادوا وما
تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان ومنه قوله ولا عيب فيهم
غير أن سيوفهم ربنا أفرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض
علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء إفراغا وعن بعض السلف إن أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوبا ثم
يقول قد مازحتك أي يغمره بالحياء والخجل أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام
وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا وصبروا كان ذلك
مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام وقال الملأ من قوم فرعون أتذر

موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم
ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا اليه ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك
او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه
اياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره وايذرك اي اتطلق
له ذلك او يكون مستأنفا اوحالا على معنى اتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك
بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرأ انس رضي الله عنه
ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والهتك اي عبادتك
وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في
الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها
تقربا اليه كما تعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا
ربكم قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون يعني سنعيد عليهم ما كنا محنا
به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما
كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا تتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث
المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر
بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم
فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل
من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم **فان قلت** لم اخليت هذه الجملة عن الواو و
ادخلت على التي قبلها **قلت** هي جملة مبتداة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها
من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يجوز
ان يكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة لقوله واورثنا الارض وان تكون للجنس فيتناول
ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه
ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن
القبط وان المشية متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود عطفا على الارض
قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ
واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدونه ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويمسونه
به من العذاب قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريح بما رمز اليه من البشارة
قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون
فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم
وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة
لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي
فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات بسني القحط والسنة
من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا

قال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في
امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا
على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لايات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع
خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في
ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية
فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها
ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من
ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولو
لا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك **فان
قلت** كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير
السيئة **قلت** لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع
الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهلا عددت ايام
الرخاء الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون اي سبب خيرهم وشرهم عند الله
وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا
يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله
وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم
الله في قوله النار يعرضون عليها الاية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيرهم عند الله
وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير وقالوا مهما
تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها
ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما تذهبن
بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري
ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما
تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين **فان قلت** ما محل مهما **قلت** الرفع بمعنى
ايما شيء تأتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران
في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى
الاية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه
الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها في غير موضعها و
يحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع
العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو
لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه **فان قلت** كيف
سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها **قلت** ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها
اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين

ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر
او سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون
شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا
يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا
في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم
وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان
الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا
لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة
من الكلاء والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم
وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل
منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوا التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام
الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا
ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار
القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير
السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه
وكان يأكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحاء فلا يرد منها
الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا
فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا
وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون
لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم
واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان
الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون
على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدر وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا
ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا
فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا
الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي
الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي
الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ
فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا
مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط
الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة
يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص الانفس والثمرات قال يا رب ان
عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي

اي المطر قال اذا سقط السماء بارض قوم

والترقوة مقدم الحلق في اعلى الصدر حيث ما يترقى فيه النفس

الطاعون جراحة مهلكة تبدو في باطن العنق

الموتان موت البهائم

جمع دباة جراد راجل

آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرأ الحسن والقمل بفتح
القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات
مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم
ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على
ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى
بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما
أسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة
او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا
بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم
ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفناه
عنهم فاجأوا النكث وبادروه لم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا
الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر
ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها القوم الذين كانوا
يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية
التي باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل كلمة ربك
الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون و
الحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من
قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا
على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له
الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا هذه الآية ومعنى خف طار
جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى
ونظيره من آيات ربه الكبرى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون
من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشأ جنات معروشات
او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ وما كانوا
يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس يغرسون
من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط
وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما احدثوه
بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة
البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما

وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء
بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم
فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت
تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر
موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه
كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها قالوا يا موسى اجعل لنا
الها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف فلذلك وقعت الجملة
بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال
قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم قال انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا
من الاية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم
ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم
اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه
على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من
عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا
من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة
وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم
الها وهو فضلكم على العالمين اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم بما فعل
دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا
به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة
غير الله واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام
السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استيناف لا محل له ويجوز ان
يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون
بالتخفيف وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة روي
ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند
الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين
وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من
فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم
اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل
امره الله بان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في
العشر وكلم فيها ولهذا اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا وميقات ربه ما

وقته

وقته له من الوقت وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وقال
موسى لاخيه هرون وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي
كن خليفتي فيهم واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح
من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه ولما جاء موسى
لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه
لميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه
ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه محفوظا في اللوح وروي ان موسى
كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب
له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ثاني
مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف
قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر
اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت
لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا
النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى
عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه
عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان جسما وعرضا في جهة و
ما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه
ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين
قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم
ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء
وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم
الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد
ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما
دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك
قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة
ارادوا ان يري موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية
على قياس فاسد فلذلك قال موسى رب ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في
نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان
الرسول امام امته فكان ما يخاطب به او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه
من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية
لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو
اعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين
وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا

تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي
حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل
ولن تراني تأكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك
في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه
ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم
كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك
من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا
في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين
يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب و
نمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد
بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه
فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله
دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق
وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه
قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء
اي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي قطعا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول
ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها
الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي
ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء
الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما
لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك
لست بمرئي ولا بمدرك بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي
ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه
من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه الاية وكيف ارجف الجبل
بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كلمة من نفيان ذلك مبالغة في اعظام
الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال وانا اول
المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا
هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول
ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه
بخلقه وتخوفوا شنع الورى وتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر
اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي
تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث

سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم
القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك
تلك الاية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له اية من تلك الايات فان
ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما
ظهرت له اية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما افاق
قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان
شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل
زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك
ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم
وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك
على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا وردءا ووزيرا
والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا
لكل شيء ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة
وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء
وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن
الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها عشرة اذرع وقوله من كل شيء
في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل
محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير
يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل
كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي
كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها
فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها
للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة
فعل اولي العزم من الرسل وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن
كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل
في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب
او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك
الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف
اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل
منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار
الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اورني كذا واوريته
ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرئ ساورثكم
وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ساصرف عن

الذين يتكبرون في الارض ساصرف عن اياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا
يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن
عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها
هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل
ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل اية موسى بان جمع لها
السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها
والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون
عن الايات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه
وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون
صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل اية من الايات
المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وان يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد
كقولهم السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان راى طريقا مستقيما اعرض
عنه وتركه وان راى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك
بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون ولقاء الاخرة يجوز ان يكون من اضافة
المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الاخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى
الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الاخرة واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا
جسدا له خوار من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى
عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا
منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل
واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه والثاني ان يراد
واتخذوه الها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي و
من حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب
والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم وانما كانت عواري في ايديهم
قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم
قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وعلا فاخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم
كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس
جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم
والهمزة من جار اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا انه لا يكلمهم ولا
يهديهم سبيلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه

على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبل
الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي
اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم
يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم و
حسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده
مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرأ ابو
السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم
في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في
اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وراوا انهم قد ضلوا
وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من
الخاسرين وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام
التائبين كما قال ادم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا ولما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا الاسف الشديد الغضب فلما اسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين قال بئسما
خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من
السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل
عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او
حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم
قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني
قلت معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة
له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة
البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من
بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة
اعجلتم امر ربكم يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره
ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو
انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ اخره و
لم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري
قال لهم حين اخرج لهم العجل فقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات
وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى
الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل
غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه
جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع
فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل

كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ برأس اخيه اي بشعر رأسه يجره اليه بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف قال ابن ام قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني يعني اني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني واستضعفوني ولم يبق الا ان يقتلوني فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا يشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقدني واحدا من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة فطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والاخرة ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية وكذلك نجزي المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الاخرة وذلة في الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤ بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن عداهم عظم جناياتهم اولا ثم اردفها بعظم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر برأس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفي غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها

اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون ولك ضربت واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ومنا الذي اختير الرجال سماحة وقيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تناموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امره ربه ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنى موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوه في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما يرى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك واستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى فتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا واثبت واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد كانك هدهد وقرأ ابو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا واملناها او حركنا اليك واملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اعذب من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما

رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاصٍ
الا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون فساكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل
للذين يكونون في آخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع اياتنا و
كتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي يوحى اليه كتابا مختصا
به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الامي الذي يجدونه يجد نعته اولئك الذين يتبعونه
من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة
والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث
ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا
والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
والاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته
نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرايعهم من الاشياء
الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت و
عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما
ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة
وقرئ آصارهم على الجمع فالذين امنوا به وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو
وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير الضرب دون الحد لانه منع من معاودة
القبيح الا ترى الى تسمية الحد والحد هو المنع ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه
اولئك هم المفلحون والنور القرآن فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل
مع جبرئيل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا
به ويجوز ان يتعلق باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته و
بما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت
كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه
ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى
كفرهم بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم باياتنا
يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول الله وما جاء به
كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل
الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله التي
وسعت كل شيء قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول
الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن
وجميعا نصب على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض

ما محله قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح
ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله
لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله
الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان
لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ
وكلمته على الافراد وهي القرآن او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة
التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم
لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة يمنى واتبعوه لعلكم تهتدون ارادة ان
تهتدوا فان قلت هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن
المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من
مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية
لنفسه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون هم المؤمنون الثابتون من بني اسرائيل
لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حين اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة
رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة
ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي
صلى الله عليه وسلم وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا و
كانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين
اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين
وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبرئيل
ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرئيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا
محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ
مني السلام فرد محمد صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن
نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون
فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم
فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صالحا وكم عليهم شيئا من يهدي
بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا
معذورين وهذا من بيان الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه
وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر
ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة
وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض
لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا امما كقولك اثنتي عشرة

قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد
يعقوب عليه السلام **فان قلت** مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل
اثني عشر سبطا **قلت** لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة و
كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل
وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة
العدد وكل واحدة تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة
عينا قد علم كل اناس مشربهم فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال
العجاج وكيف غربي دالج تبجسا **فان قلت** هلا قيل فضرب فانبجست **قلت** لعدم الالباس
وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع
الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله
اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير
نحو رخال وثناء وتؤام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل
من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه
ظليلا عليهم في التيه وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وكلوا على
ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا
منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا
يظلمون واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس **فان قلت** كيف اختلفت العبارة ههنا
وفي سورة البقرة **قلت** لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض
بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا منها لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت
سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة
على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته
وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو
لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد
المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد
واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم على البناء للمفعول
وسئلهم عن القرية وسل اليهود وقرئ واسئلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع
بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب
او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام
التي يراد بها التقرير في قولك أعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب
تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج

يعني رجلين من اهل المدن التي كانت حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون
في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم اذ يتجاوزون
حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون
ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات
الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا
اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون
وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي رضي الله عنه
لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار
عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا **فان قلت** اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من
الاعراب **قلت** اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل وسلهم عن
اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت
وبحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك
واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع
على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت
على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم
جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من
قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض
منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع
فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر
الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب
اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا ما ذكروا به يعني اهل القرية
فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء و
اخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر **فان
قلت** الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم أمن فريق الناجين ام المعذبين
الغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال
المنهي وان النهي لم يؤثر فيه سقط النهي عنه وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث
الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب
لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن ذلك الا سببا للتلهي بك واما
الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الاولين ولم
يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله
فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا

قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل
بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا تراهم
كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته
انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان
اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوا واختاروا السبت فابتلوا به
وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا
سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك
برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا
يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد
واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد
فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يروه عذب
اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا
وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من
اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال
المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود
عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا
ان للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت
القرود انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي
نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة
والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا
واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل
مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا
اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء
كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على وزن فيعل
بكسر الهمزة وفتحها وبيّس بوزن ريّس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها
وبيس على تخفيف بيّس كهين في هيّن وبائس على فاعل فلما عتوا عن ما نهوا عنه فلما
تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى
ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله
فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ واذ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان
وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل
القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن عليهم
والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيامة من يسومهم

سوء

سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله
بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم
في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين
آمنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك
الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع
وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا
له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم
والنقم لعلهم يرجعون لعلهم ينتبهون فينيبون فخلف من بعدهم خلف فخلف من بعد المذكورين
خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة بقيت
في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم
ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما
يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب
لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى
في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله
بما اخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر
يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون
عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له
الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما وانه لا يغفر
الا بالتوبة ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة
في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة وهو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن
دينار يأتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله شيئا
كل امرهم الى الطمع خيارهم فيه المداهنة هؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله
وتلا الاية والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون افلا تعقلون للذين
يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ وورثوا الكتاب والا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا
وافلا تعقلون بالتاء والياء فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق
قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه
ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه بما ليس
بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا
يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا يقولوا نهيا كأنه قيل الم يقل لهم لا يقولوا على الله
الا الحق فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يؤخذ عليهم لانه
تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب
واقاموا الصلوة فيه وجهان احدهما ان تكون مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع

اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب
كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان يكون
مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد
وينصره قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة
ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة
بين الكفر والايمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه
ظلة قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع
الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا
اشرف وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية
لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم
ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه
الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على
حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح و
فيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التورية
الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم
او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا
ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا
فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة
والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا
واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
شهدنا من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم
اخراجهم من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى
شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته
وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه
اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا
واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله
عز وجل انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا
او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذا قالت الانساع للبطن الحقي قالت له ريح الصبا
قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا
ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا
عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا

عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في
الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عنى
ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين
كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على
انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
والدليل على انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها و
اسلوبها وذلك قوله وسئلهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل
فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كان آباؤنا السبب
في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك نفصل الآيات ومثل
ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم
نفصلها وقرئ ذرياتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود نبأ الذي
آتيناه آياتنا فانسلخ منها وهو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم
ابن باعورا اوتي علم بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء
ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ
فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الغاوين الكافرين روي ان قومه
طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا
عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار
من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه مال الى الدنيا ورغب فيها
وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشية الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق
به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان
مشية الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشية والمراد ما هي تابعة له ومسببة
عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك
المشية باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام
على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها
وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك
غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج
منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين وكان حق الكلام ان يقال
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله
فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في
معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل
معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته
على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كانه قيل

كمثل الكلب ذليلاً دائم الذلة لاهثاً في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه
فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من
اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز
وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص قصص
بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته
وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقاناً بك وتزداد
الحجة لزوماً لهم ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا اي مثل القوم او ساء اصحاب
مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفاً
على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم
واما ان يكون كلاماً منقطعاً عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم
المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها من يهد
الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون هو المهتدي حمل على اللفظ فاولئك
هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا
يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها كثيراً من الجن والانس
هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى
معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من
آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم
لاغراقهم في الكفر وشدة شكايمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار
دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه
الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكاً عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة
ذرء النار ويقال لمن كان عريقاً في بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف
حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه
النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كانهم خلقوا للنار
اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام
عن الفقه والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر
منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله
الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس
وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون
ما كانوا يعملون واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء
الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا
ابيض الوجه يا نجي او ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا
يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء

شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشية القبائح وخلق
الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام
آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ولما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً فاخبر ان
كثيراً من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق و
به يعدلون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم
بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه عليه السلام ان من امتي قوماً
على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة
في الدين والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى
الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة
ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم
ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئاً بعد شيء ودرج القوم
اذا مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلاً قليلاً الى ما يهلكهم
ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع
انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطراً وجددوا معصية فيتدرجون في
المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان
منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل
في حكم السين ان كيدي متين سماه كيداً لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان
وفي الحقيقة خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون
وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم
فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح
ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدلان عليه
من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم
الشيء من اجناس لا يحصيها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة
والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى
ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم
قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من
كان التي فيها ضمير الشان **فان قلت** بم تعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون **قلت**
بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان
بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا
من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون قرئ ونذرهم بالياء والنون والرفع
على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفاً على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا
يهده احد ويذرهم يسئلونك عن الساعة قيل ان قوماً من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة
ان كنت نبياً فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها

وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيمة بالساعة
لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من
الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اى فعلان منه لان معناه اى وقت
واى فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جنى وابى ان يكون من
اين لانه زمان واين مكان وقرأ السلمى ايان بكسر الهمزة مرسيها ارساؤها او وقت
ارسائها اى اثباتها واقرارها فكل شئ ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى
السفينة والمرسى الانجر الذى ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت فى السموات و
الارض والمعنى متى يرسيها الله قل انما علمها عند ربى اى علم وقت ارسائها عنده قد استأثر
به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبى مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة
وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اى
لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها فى وقتها بغتة
لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها
ثقلت فى السموات والارض اى كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويود ان
يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها
واهوالها او لان كل شئ لا يطيقها ولا يقوم لها فهى ثقيلة فيها لا تأتيكم الا بغتة الا فجأة
على غفلة منكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه
يسئلونك كانك حفى عنها قل انما علمها عند الله كانك حفى عنها كانك عالم بها وحقيقته
كانك بليغ فى السؤال عنها لان من بالغ فى المسألة عن الشئ والتنقير عنه استحكم علمه فيه
ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل استيصاله
واحفى فى المسألة اذا الحف وحفى بفلان وتحفى به بالغ فى البر به وعن مجاهد استحفيت عنها
السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كانك حفى بها اى عالم بها بليغ فى العلم بها وقيل عنها
متعلق بيسألونك اى يسألونك عنها كانك حفى اى عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا
وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسئلونك عنها كانك حفى تتحفى بهم فتختصهم بتعليم
وقتها لاجل القرابة وتزوى علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله فى اخبارك
به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحى اليك وقيل كانك حفى بالسؤال
عنها تحبه وتؤثره يعنى انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى استأثر الله به
ولم يؤته احدا من خلقه **فان قلت** لم كرر يسئلونك وانما علمها عند الله **قلت** للتأكيد
ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفى عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق فى كتبهم لا يخلو
المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه
العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله هو اظهار
للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اى انا عبد ضعيف لا املك لنفسى اجتلاب
نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربى ومالكى من النفع لى والدفع عنى

ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ولو كنت اعلم الغيب لكانت
حالى على خلاف ما هى عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار
حتى لا يمسنى شئ منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى فى الحروب ورابحا وخاسرا فى التجارات
ومصيبا ومخطئا فى التدابير ان انا الا نذير وبشير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا
وما من شانى ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان
النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا
اى الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذى خلقكم من نفس واحدة وهى نفس آدم
وجعل منها زوجها وهى حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله
جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى
الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان
الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر ما انث فى قوله واحدة منها
زوجها ذهابا الى المعنى ليبين ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذى يسكن الى الانثى و
يتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى فلما تغشيها والتغشى كناية عن الجماع وكذلك
الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من
حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول فى ولدها ما
كان اخفه على كبدى حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا
ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعنى النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس
فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله افتمرونه
وافتمارونه ومعناه فوقع فى نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها
كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها الحمل دعوا الله ربهما لئن آتيتنا
صالحا لنكونن من الشاكرين دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذى هو الحقيق بان
يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ
وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير فى آتيتنا ولنكونن لهما ولكل
من يتناسل من ذريتهما فلما آتيهما ما طلباه من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء
اى جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما
آتيهما اى آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله تعالى فتعالى الله عما يشركون حيث جمع
الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتيهم الله تسميتهم اولادهم
بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مقام عبد الله وعبد الرحمن وعبد
الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم آل قصى الا ترى الى قوله فى قصة ام معبد فيا لقصى ما زوى الله عنكم
به من فخار لا يبارى وسودد ويراد هو الذى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجها
عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتيهما ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء
فيما آتيهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار

وجعل الضمير في يشركون لهما ولا عقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا
اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد ايشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون
ما لا يقدر على خلق شئ كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على خلق
شئ لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون
لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم
هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى
اي الى ما هو هدى ورشاد او الى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله
من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه
قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
ام صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح معهم **فان قلت** هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة
الاسمية موضع الفعلية **قلت** لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون الاصنام كقوله
واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم
لم يفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ان
الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان
يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا
امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم
اذان يسمعون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من
دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم
واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي
بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما
قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني برئ مما تشركون من
دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب
الذي اوحي الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين
من عباده وانبيائه ولا يخذلهم والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك
لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم
لا يدركون المرئي خذ العفو وامر بالعرف العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس
واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم
حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا قال خذ العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول

آية الزكوة فلما نزلت امر ان يأخذهم بها طوعا او كرها وامر بالعرف المعروف والجميل من الافعال
واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما
يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبرئيل فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد
ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق
رضي الله عنه امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم واما ينخسنك منه نخس بان
يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس
كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما
نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان
يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ان
الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم
في الغي طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال اذا
الم بك الخيال يطيف او هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين
وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة
بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان و
المام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد والحق واما اخوان الشياطين
الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم
وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون
عن اغوائهم حتى لا يبصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا
في كواثبها فان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويجوز الضمير
المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة
الذين اتقوا **فان قلت** لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد **قلت** المراد به الجنس
كقوله اولياؤهم الطاغوت واذا لم تأتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشئ بمعنى
جباه لنفسه اي جمعه كقوله اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه
العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا
يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى
الي من ربي فلست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر
من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون
ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون
في الصلوة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه
القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى
فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة

القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا
ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب
الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو
باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم
وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان
الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة
الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه و
له يسجدون ويختصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه
وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وهي [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال قل الانفال
لله والرسول النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل
والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا
على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال للسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او
ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم
ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم
وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا
سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال
الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم و
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم
حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص
واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى
صدري من المشركين هب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي
ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه
قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا
في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقسمه بين المسلمين على سواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين
وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام
نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال
فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت

معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول
امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله
وامر به رسوله ان تواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات
فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما
بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين
متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم
الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم
بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله
ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة
واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها
ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى
واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال
الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان
واللام في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله اشارة اليهم اي انما الكاملو الايمان
الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت
قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة
قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له و
تهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في
قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل
هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح
وهي لغة نحو وبق ووبق وفي قراءة عبد الله فرقت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا
ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت
لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان
وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرايض وشرايع فمن استكملها استكمل الايمان
ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى
غير ربهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
اولئك هم المؤمنون حقا جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين
اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون
ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله
حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله امؤمن انت قال الايمان ايمانان
فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة و
النار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا

ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة
فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا
يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه
وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابرهيم في قوله والذي اطمع
ان يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى لهم درجات شرف وكرامة
وعلو منزلة عند ربهم ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم
منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك من بيتك فيه وجهان
احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني
ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني
ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله اي الانفال استقرت لله
وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك
يريد بيته عليه السلام بالمدينة او المدينة لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها
به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه
وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان
عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفين وعمرو بن
العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد
لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيتها
عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت
مكة الا اصابها حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان
يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في
العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة
فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف
ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى
بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع لسوقهم يوما في السنة ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله
وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير
قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول
الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر
رضي الله عنه فاحسنا ثم قال سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى
عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما

المعازف الملاهي والعازف اللاهي وقد عزف عزفا وعزف الرياح اصواتها

امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت و
ربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما
دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها
الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك
حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا و
نساءنا وكان النبي صلى الله عليه يتخوف ان تكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو
دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد
امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا
هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر
عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله و
ابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم
وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء
فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال فان الله
وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان
فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين كانما يساقون الى
الموت وهم ينظرون بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا
الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط
فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار
الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد
وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اذ منصوب باضمار اذكروا انها لكم بدل
من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها
الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من
واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح اي تتمنون ان يكون
لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ويريد الله
ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة
من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين
والدابر الاخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال
يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم
واحوالكم والله عز وجل يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو

الكلمة والفوز في الدارين فشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون فان قلت بم تعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت أليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل أولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت بم تعلق اذ تستغيثون ربكم قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم اصله باني فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بألف من الملائكة فان قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبرئيل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم تقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبرئيل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويتقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على عينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فان قلت فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله الله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت ففيمن قرأ بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول للقول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم اي الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشيكم النعاس امنة منه بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما هو في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشيكم اي يغشيكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال

يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود

وقرئ امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيي حيوة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم

رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ
الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما
للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله
وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل
المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم
يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم
ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع
العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا
واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذي كان
بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير
في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن
القتال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا
الرعب فاضربوا اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم
مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم
والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله
اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب
اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا
ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح به عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون
به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي فيقول
اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا
فان الله ناصركم فانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق
اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا
للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل
المشيح غشيته وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب سواء الرأس فانفلقا واضربوا منهم
كل بنان والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب
اما واقع على مقتل او على غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله
سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم
قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقال لهم قولوا لهم قولي
سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله
ورسوله فان الله شديد العقاب ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب
العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم
والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام

عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة
لان هذا في خصم اي جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك
خطاب للرسول او لخطاب كل احد منكم وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم
الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه
كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو
بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر
موضع الضمير وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد
باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم
الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا
سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم جم كثير وانتم قليل فلا تفروا
فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم
وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين
وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهيهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم
يومئذ امارة عليه الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه
وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين
سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة
استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا
فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين
هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر
الكبائر فان قلت بم ينتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو او على الاستثناء من
المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن
متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل مكة
وقتلوا واسروا واقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من التراب فارمهم بها فقال
لما التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم وياسرونهم
فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم
تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء
النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت
ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما
بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم

فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه
لان اثرها الذي لا يطيقها البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة
وكانها لم توجد من الرسول صلى الله عليه وسلم اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله
رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين منه وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا
قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما
فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن و
محله الرفع اى الغرض ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم يعني ان الغرض
ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل
الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل
التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا
للضيف واوصلنا للرحم واكفنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا
وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا
جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اى فاهلكه وقيل ان تستفتحوا
خطاب للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغني عنكم
فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين
كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه وتعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ
ولن يغني بالياء للفصل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون
ولا تولوا قرئ بطرح احدى التائين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة
الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما
كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الضمير الى الامر بالطاعة
اى ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه
وانتم تسمعون اى تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا اى ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير
سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم
سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اى ان
شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من
جنس البهائم ثم جعلهم من شرها ولو علم الله فيهم في هؤلاء الصم البكم خيرا اى انتفاعا
باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا
لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان

مصعب

مصعب بن عمير وسويد بن حرملة وكانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه
ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن
اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده
فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد
بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال
ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال
لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيها قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلى
الله عليه وسلم والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي
فله ان يقطع صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرايع لان العلم حيوة كما ان الجهل
موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار
لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة كقوله
بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون يعني انه
يميته فيفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه
وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله و
رسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلب واخلاص الطاعة وقيل
معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف
امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله
تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء
والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل
معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه يحول بينه
وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على
الراء كالخب ثم نوى لو وقف على لغة من يقول مررت بعمر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين
اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون
جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب
الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر
تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا
ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة و
كذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره
قوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط اى لا بمذق مقول
فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب وتعضد المعنى الاخير
قراءة ابن مسعود لتصيبن الذين على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي

وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما
ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروى
ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي
او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله **فان قلت** كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة
في جواب الامر **قلت** لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا يطرحك فكذلك جاز لا
يطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم **فان قلت** فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم **قلت**
التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا يصيبنكم خاصة على ظلمكم لان
الظلم اقبح منكم من سائر الناس واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون اذ انتم نصبه على انه مفعول
به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل
الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين
مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر
ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان
هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون
فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا يا ايها الذين آمنوا لا
تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه
اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه
النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه
لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان
لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم
تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح
وحسن الحسن وروي ان نبي الله صلعم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح
كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان
ابن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل
على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله
ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزئك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان
رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده **فان قلت** وتخونوا
اجزم هو ام نصب **قلت** يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان

كقوله

كقوله ولا تكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة
جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله
ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي
اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من
اجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل
ماله وولده يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم
والله ذو الفضل العظيم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه و
الاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم
وآثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات
وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا
والآخرة واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك لما فتح الله عليه ذكره مكر
قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له
من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه
فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ
وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن
تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأي
يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على
جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد قوما
غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما
فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم
فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا
على رأي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا
يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له
اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه
فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك
او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا
براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات وعن
ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله
ويخفي الله ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ
تأثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب واذا تتلى عليهم
آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم لو نشاء لقلنا

مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة
والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا
بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان
يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان
يقهروا رسول الله وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين
سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس
بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو
القائل ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا
على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه
حقا لم يستوجب منكره عذابا وكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه
بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة من السماء وقوله هو الحق تهكم بمن يقول
على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل
وهو في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك اسجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت
وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب **فان قلت** ما فائدة قوله من السماء والامطار
لا يكون الا منها **قلت** كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب
فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا
بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا
به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم
امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا
له وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اللام لتأكيد
النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية
حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون
بالعذاب اذا هاجرت عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم وانما يصح هذا بعد
اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم
الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن
ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا
يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر
وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلعم من المستضعفين وما لهم الا يعذبهم
الله وهم يصدون عن المسجد الحرام واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم لا حظ لهم في ذلك وهم
معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع

اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباب ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين
ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة
وعبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة
او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة
مكائه واصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والتصدية
التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرأ الاعمش وما
كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه **فان قلت** ما وجه هذا الكلام **قلت**
هو من قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع
القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلوة وذلك انهم كانوا
يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون
وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلعم في صلوته يخلطون عليه فذوقوا العذاب عذاب
القتل والاسر يوم بدر بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة
قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من
كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر
وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استأجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق
عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله فسينفقونها اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله و
ان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها
تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل
ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم
يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه
على بعض اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا
يعني لفرط ازدحامهم فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون اولئك اشارة الى الفريق الخبيث
وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون
به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة
وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين كفروا
من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به
لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من

العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنت الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر
او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا
وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا
منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي
اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق
الادميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لا يلزمه قضاء العبادات المتروكة
في حال الردة وقبلها وفسروان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله تعالى
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل
عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله
بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله
بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير
يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا فاعلموا ان الله موليكم نعم المولى ونعم النصير وان
تولوا ولم ينتهوا فان الله موليكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته واعلموا انما
غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
ما موصولة ومن شيء بيانه وقيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف
تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه
قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس
فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غيره وا حد
من المقدرات كقولك ثابت وواجب وحق ولازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص
على واحد وقرئ خمسه بالسكون **فان قلت** كيف قسمة الخمس **قلت** عند ابي حنيفة انها كانت
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه
من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة
لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك
بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم
وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا
اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلثة اسهم لليتامى
والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى
وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين
وابن السبيل واما عند الشافعي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان
يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي
القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث
وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى
اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم **فان قلت** ما معنى ذكر الله

وعطفا

وعطفا الرسول وغيره عليه **قلت** يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه
القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم
خص من وجوه القرب الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال
الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى
يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب
بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل
ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس انه كان يقسم
على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلاثة و
كذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما
لكم ان يعطى فقيركم وتزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة
ابن سبيل غني ولا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه
كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه
انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن رضي الله عنه
في سهم رسول الله صلعم انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي
كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا
من الهجرة **فان قلت** بم تعلق قوله ان كنتم امنتم بالله **قلت** بمحذوف يدل عليه واعلموا
المعنى ان كنتم امنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم
واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة
لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا على عبدنا معطوف على بالله اي ان
كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله عبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان
يوم التقى الجمعان يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما
انزل عليه من الايات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر القليل
على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى
والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي
بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا
غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى **فان قلت** كلتاهما
فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديهما بالياء والثانية بالواو **قلت** القياس قلب الواو ياء
كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى
اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي
المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير
اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل

لانه خبر للمبتدأ **فان قلت** ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كان اسفل منهم **قلت** الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم فى مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التى اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهى خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ فى المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم فى القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم و يوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضى الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين فى الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ما وفقه الله وسبب له ليقضى متعلق بمحذوف اى ليقضى امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك و الحيوة للكفر والاسلام اى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الايات الغر المحجلة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام ومن حيى باظهار التضعيف وان الله لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوى مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله فى منامك قليلا اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى منامك فى رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه وكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن رضى الله عنه فى منامك فى عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب و فصاحته ولو اريكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم فى الامر فى الرأى وتفرقتم فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اى عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم ليقضى الله امرا

كان

كان مفعولا والى الله ترجع الامور واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعنى واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم فى اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا فى اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم فى اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور **فان قلت** الغرض فى تقليل الكفار فى اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض فى تقليل المؤمنين فى اعينهم **قلت** قد قللهم فى اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن فى حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأى العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم فى استيضاح الاية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا **فان قلت** باى طريق يبصرون الكثير قليلا **قلت** بان يستر الله بعضه عنهم بساتر او يحدث فى عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث فى اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك فقال ما لى لا ارى هذين الديكين اربعة يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار ترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما فى خطب امير المؤمنين فى ايام صفين وفى مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعانى وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل و ان تفاقم واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله فى حكم النهى وتدل على التقديرين قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب بالياء والجزم والريح الدولة شبهت فى نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله انتظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادى وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهى عن التنازع واختلاف الرأى نحو ما وقع لهم باحد لمخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابى سفين وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا فنشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين باعمالهم

وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله واذ زين
لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان
نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب
واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلعم ووسوس اليهم
انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما
تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن
كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي
بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب
لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث
ابن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين أتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون
ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك
سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي
الحديث ما رأى ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما رأى من نزول الرحمة
الا ما رأى يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت
لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب
كائن لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين
وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر
هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله
فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان
الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى
معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء
والتاء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله تع
والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبره وعن مجاهد ادبارهم استاههم ولكن الله كريم
يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان
عقوبة الزاني عندهم ان يصبر ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق
فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد في مكانه وقيل يضربون
ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا
عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت
معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او ويقال لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب
لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام
الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه

اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار
من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا
الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب الكاف في محل الرفع اي
دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه اي داوموا عليه
وواظبوا وكفروا تفسير لدأب آل فرعون ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى
يغيروا ما بانفسهم وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم
ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت
فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية
فيغيروها الى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة
الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم كفرة عبدة اصنام
فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا
حالهم الى اسوء مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع
لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم
زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا
ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم
بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلعم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح
وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف
الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة الذين عاهدت منهم
بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس
الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون
عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم
في الحرب فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية
فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ
ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر بذر
ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد
من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء
جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين
لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة
ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك
ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم

الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن
منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة
والجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين
على استواء في العلم او على العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا ولا يحسبن الذين
كفروا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم
عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحد من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان
المكسورة على طريقة الاستيناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ لا يعجزون بالتشديد وقرأ ابن
محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف
النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا
فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع
الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين
وقيل معناه لا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل
المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها
حمزة بنادرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من قتل المشركين واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله و
عن عكرمة هي الحصون ومن رباط الخيل والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز
ان يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن
ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله من رباط الخيل تخصيصا
للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث
ماله في الحصون فقال تشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في
الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون به وقرئ بالتخفيف
والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله
وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس
وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق
وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله
يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث
تأنيث نقيضها وهي الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع
وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى
فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى
الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله انه هو السميع العليم ولا
تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم

قال مجاهد يريد قريظة وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله قال
جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره
وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم انه عزيز حكيم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات
الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه
بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله
صلعم واتحدوا وانشدوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم
واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في
الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما
اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم
ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهم التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم
التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها و
تكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا
وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف
الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك من
المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الاية نزلت بالبيداء
في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت يا ايها النبي
حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا
الفا من الذين كفروا التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ
فيه حتى يشفي على الموت او ان يسميه حرضا ويقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا
فيه ليهيجه ويحركه منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص
يقال حركه وحرصه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من
المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتأييده ثم قال بانهم قوم
لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم
فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة
ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت
الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا
جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف
عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف
الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان
يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث

والمكث والفرق والفرق وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء
في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين
وكانوا متفاوتين في ذلك **فان قلت** لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر
منها مرتين قبل التخفيف وبعده **قلت** للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت
لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة
المائتين والالف الالفين ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وقرئ للنبي
على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم
اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي
هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام و
يقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان
هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه
اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك
واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ فدية منهم تقوى بها اصحابك وقال عمر
كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن
الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم
فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني و
من عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي
انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ
الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية
وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير
وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلعم فاذا هو وابو بكر
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت
فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ
لقوله كان الاثخان في القتل احب الي تريدون عرض الدنيا حطامها سمي عرضا لانه حدث
قليل اللبث تريد الفداء والله يريد الاخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام
بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الاخرة بجر الاخرة على
حذف المضاف او ابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله
يريد عرض الاخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنون
منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخذ ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم
يعجلون لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لولا حكم منه سبق اثباته

في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطاء وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان
استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل
الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم وافل لشوكتهم وقيل كتابه ان يحل
لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد
تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روي انهم
امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم
واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه **فان قلت** فما معنى الفاء **قلت** التسبيب
والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من
المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا
اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم و
تاب عليكم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى في ملكتكم كان ايديكم قابضة
عليهم وقرئ من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم
في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت
مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله
يجزيك واما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا طعام اهل بدر وخرج بالذهب
لذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني اخيك ابن ابي طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي
حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي
قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني
بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال مكة فانا انتظر المغفرة من ربي
وروي انه قدم على رسول الله صلعم مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى
حتى فرقه وامر العباس ان يأخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني
وارجو المغفرة وقرأ الحسن رضي الله عنه وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان يريدوا
خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين ابائهم فقد خانوا الله
من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رأيتم يوم بدر
فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء والله عليم حكيم
ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا
الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين اووهم
الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار اولئك بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم

بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات
حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث
ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضاً شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امراً
ويباشر عملاً وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد
فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدؤون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم
اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم
ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً ثم قال الا تفعلوه تكن
فتنة في الارض وفساد كبير اي ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم
بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم
وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين
ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً وقرئ كثير بالثاء
والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون
حقاً لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل
والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم
مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد و
هاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين
جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم
منهم تفضلاً منه وترغيباً واولوا الارحام اولوا القرابات بعضهم اولى ببعض اولى
بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم في كتاب الله
في حكمه وقسمته وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به
اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام ع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الانفال والبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر
حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته في الدنيا

سورة التوبة [illegible]

لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة
الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من
النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم
وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة و
انما هي سورة العذاب والله ما تركت احداً الا نالت منه فان قلت هلا صدرت بآية
التسمية كما في سائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان فقال ان رسول الله صلى

عليه وسلم اذا نزلت عليه السورة او الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا
وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها
فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال
ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب
في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً قيل فان النبي
صلى الله عليه وسلم قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم
ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ومن دعي الى الجزية
فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا
يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة
واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون
وهذا قول ظاهر لانهما معاً مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقيل اختلف اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما
فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة من الله
ورسوله براءة خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف
وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم من المشركين كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها
بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب
على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته
والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت
لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين
اولاً فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم
فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به
المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم
من العرب فنكثوا الا ناساً منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان
يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا
انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة
تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه علياً راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو
بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال
هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور وروي
ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرئيل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك
فارسل علياً فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم
فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم

وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتوليه ذلك عليا رضي الله عنه **فان قلت** الاشهر الاربعة ما هي **قلت** عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة **فان قلت** ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد نهى الله عن ذلك **قلت** قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء **فان قلت** اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية **قلت** تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت **فان قلت** لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس **قلت** لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وجعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر وحذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على

المنوي في بريء او على محل المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين **فان قلت** مما استثني قوله الا الذين عاهدتم **قلت** وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلكم لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم تضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله فانشد لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا وهم بيتونا بالحطم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال عليه الصلوة والسلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ ثم لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوا اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم فاذا انسلخ الاشهر الحرم انسلخ الشهر كقولهم اجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والغدر وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك مأمنه داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير

عذر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن رضي الله عنه هي محكمة الى يوم القيمة
وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي
محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول
وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين
ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم
قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى
يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام في معنى الاستنكار
والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال
ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك
ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم
نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا
لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف وان يظهروا
عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف
الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف
مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم
ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان
لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبريل
وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان
اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال
وله الجؤار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت الكلبها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق
ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لم يعقده الميثاق يرضونكم بافواههم
وتأبى قلوبهم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات
منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل
واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك
في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء
اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات
فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفين و
اطعمهم انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون
المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد واقاموا الصلوة و
اتوا الزكوة فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم على حذف المبتدأ كقوله فان لم تعلموا اباءهم
فاخوانكم ونفصل الايات لقوم يعلمون ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها
فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة
عليها وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر

فقاتلوا

فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا و
طغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من
الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر
وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام
طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده
وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا
يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله و
ان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على
الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا تكون يمينا
وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم
ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما
وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله
وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة
بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة
عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان يكون ومن صرح بها فهو لاحن
محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض
عليها على سبيل المبالغة قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج
الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه
وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى
القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم
بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها
ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير
موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية
منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فتقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان
قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون
احدا الا الله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم
مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال
قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم وتصحح نياتهم ان يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا و
يوليهم النصر والغلبة عليهم ويشفي صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس
هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول
الله صلعم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم

المكروه وقد حصّل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلعم
وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره
وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول
التوبة فى جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان
حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى
يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا فى سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اى بطانة
من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت
على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين
المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله
المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة
من دخل والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كقول القائل ما علم الله منى ما قيل فى يريد ما وجد ذلك
منى ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر
اولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون يعنى المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام
واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة
المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثانى ان
يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام
الذى هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقه طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا
يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو فى يعمروا
والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله و
بعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت
وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصى وكلما طافوا شوطا
سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل
المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق على رضى الله عنه يوبخ العباس
بقتال رسول الله صلعم وقطيعة الرحم واغلظ له فى القول فقال العباس تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت حبطت اعمالهم التى هى العمارة والحجابة
وفك العناة واذا هدم الكفر والكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك
بالمقارن والى ذلك اشار فى قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون
بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم فى حال واحد وذلك محال غير مستقيم انما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة وقرئ بالتوحيد اى
انما يستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها

وتنظيفها

وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم
بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول
الحديث وعن النبى صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان ناس من امتى يأتون المساجد
فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفى الحديث
الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى
ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى
فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام
اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضى الله عنه من اسرج
فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام فى ذلك المسجد ضوءه
فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لما علم
وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول صلعم لاشتمال كلمة الشهادة والاذان
والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شئ واحد غير منفك احدهما عن صاحبه
انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة و
ايتاء الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا
يتمالك ان لا يخشاها قلت هى الخشية والتقوى فى ابواب الدين وان لا يختار على
الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والآخر حق نفسه ان
يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفى
تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء
وحسم لاطماعهم فى الانتفاع باعمالهم التى استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها
بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم
دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى
وفى هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين فى ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون
عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة
والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن
آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابى وجزة السعدى وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة
المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة
وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروى ان المشركين قالوا لليهود نحن
سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل
ان عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست فى افضل من الهجرة اسقى
حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما ارانى الا تارك سقايتنا فقال عليه
السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا هم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة

عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم وقرئ
يَبْشُرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشّر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرّف وعن ابن
عباس هي في المهاجرين خاصة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا
الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين
كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم
فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا
وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه
أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت
في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله أي حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض
في الله أقرب الناس إليه وقرئ وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا
حتى يأتي الله بأمره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه
آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب
حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات
على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع
حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي
طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب
فطيره لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً
مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق
منهوي وامتناعه من الصرف لأنه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات
بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان
وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم
حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً
بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه
هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيراً في جميعها فبقي
أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت
فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً الذين حضروا فتح مكة منضماً إليهم ألفان من الطلقاء
وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير
فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل قائلها رسول الله صلعم وقيل أبو بكر وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالاً شديداً

وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا
حتى بلغ فلّهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل
ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجام دابته وأبو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه
الوحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة و
قال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيّتاً صح بالناس فنادى الأنصار فخذاً
فخذاً ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكرّوا عنقاً واحداً وهم يقولون لبيك لبيك
ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال
المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفاً من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة
فانهزموا قال العباس لكأني أنظر إلى رسول الله صلعم يركض خلفهم على بغلته وضاقت عليكم
الأرض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على
أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبساً بها لم أحلها
يعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعاً تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب
فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ثم أنزل الله سكينته رحمته التي
سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وأنزل جنوداً لم تروها يعني الملائكة وكانوا ثمانية
آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفاً وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي النساء
والذراري وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم
ثم يتوب الله أي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي أن ناساً منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله صلعم
على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا
وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن
عندي ما ترون إن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم قالوا
ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن هؤلاء جاؤوا
مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان بيده سبي
وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه
قالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا
فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس النجس مصدر يقال
نجس نجساً وقذر قذراً ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولأنهم
لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة
بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن
الحسن من صافح مشركاً توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نِجْس بكسر
النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل إنما المشركون جنس نجس أو ضرب
نجس وأكثر ما جاء تابعاً لرجس وهو تخفيف نَجِس نحو كَبْد في كَبِد فلا يقربوا المسجد الحرام
فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو

عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه
ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون
من دخول الحرم والمسجد الحرام وساير المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام
خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام
الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي
المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه
ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم
عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه
آخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش
فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن
عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب
واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنايم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا
عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله
عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا
الكتاب من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود
مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما
حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما
في التورية والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه
الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده حتى يعطوا الجزية
سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون
بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان تراد يد المعطي والاخذ فمعناه على
ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم
يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم
نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا
غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ واما على ارادة يد الاخذ
فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك
ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان
ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ
بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة
ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من
ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في

كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من
مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما
ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير
لا كسب له وعند الشافعي تؤخذ في اخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان
له كسب او لم يكن وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله عزير ابن
الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته
وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء
الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا
فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن
عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس
ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء
بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام
يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية
فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو
غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا
ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله
ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان
فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم
لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب
وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة
يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم
لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة
له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون قول الذين كفروا من قبل لا بد فيه من حذف
مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه
فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي
قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله
قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة
ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ
قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا
شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في
الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه

تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان
وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي
أليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن
فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه
ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما
امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص والانجيل والمسيح عليه السلم
انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة لا اله الا هو سبحانه عما يشركون سبحانه تنزيه
له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر
هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم
مأمورون مستعبدون مثلهم يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد عليه الصلوة والسلام بالتكذيب
بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى
من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم
او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت
الا زيدا قلت قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويأبى
الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله معنى اكل الاموال على
وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان
الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله يأكلن كل ليلة اكافا يريد علفا يشترى بثمن اكاف
ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا يأخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرايع
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يجوز ان يكون
اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ
البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون
غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من
يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل
نسخت الزكوة آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عنى بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك
فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز
مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال أليس بكنز قال ما ادي زكوته فليس بكنز وعن
ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته فهو الذي
ذكر الله وان كان على ظهر الارض فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ

قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك
صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان تفرض
الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه
ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف
وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية
لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع
لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة
فما زاد فهو كنز كلام في الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت
ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير
ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى
الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب كذلك
فان قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول واثمان
الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر
اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى
بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فان قلت ما معنى قوله يوم يحمى عليها وهلا
قيل يحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى
عليها اي توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم يحمى لم يعط هذا المعنى
فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور اصله
يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول
رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرأ تحمى
بالتاء وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء فان قلت لم خصت هذه الاعضاء قلت لانهم لم
يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند
الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام
ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب
يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زماننا هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون
ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا
اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه
ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم
هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ
وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم
وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون اي
وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين ان عدة الشهور عند الله اثنا

عشر شهرا في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في
اللوح يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع الا ان
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة
حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان
والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في
الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك
الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكان
العرب قد تمسكت به وراثة منهما فكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو
لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء
فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما
يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني
احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم
حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان
ذلك محرما في سائر الشهور وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة حال من الفاعل
والمفعول واعلموا ان الله مع المتقين ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها انما
النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما النسيء تأخير
حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم
محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص
الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص
الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر
ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من
غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم
عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء
محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطلقا في الجاهلية فكان يقوم على جمل
في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول
ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث
معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا
فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد
ويضل على ان الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نساه
اذا اخره يقال نساه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ
بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء

فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها
من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء
اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يلطف
بهم اي يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض تثاقلتم وبه قرأ الاعمش اي
تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها
وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة
بارضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت
فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعه ان تعمل فيه قلت ما دل عليه او ما في ما لكم
من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان
ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط
وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة ارضيتم
بالحيوة الدنيا من الاخرة بدل الاخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة فما متاع الحيوة الدنيا
في الاخرة في جنب الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم
ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا
الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين
وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا
يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه
من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن و
قيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله
جوابا للشرط قلت فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه
الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره
في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده
واسند الاخراج الى الكفار كما اسند اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا
باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة
وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه روي ان جبريل لما
امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون
اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة
ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بدل ثان قيل طلع المشركون
فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين
الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين
فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم

ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم سكينته ما القى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدأ وفيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم انفروا خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام كلثوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزلت فيه ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتله وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقالوا انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة لو كان عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفائح وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين عفا الله عنك

كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي عليه السلام ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا فهم في ريبهم يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم وقرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعده باضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الى زيد ولكن اساء اليه فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله صلعم لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله تعالى ولكن لانهم استأذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انهم اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلعم قامت عليهم الحجة ولم تبق معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه

كقولك ما زاد وكم خيراً الا خبالاً والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلاً لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زاد وكم شيئاً الا خبالاً والخبال الفساد والشر ولأوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعاً اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير ولأرقصوا من رقصت الناقة رقصاً اذا اسرعت وارقصتها قال والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولأوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الف قلت كانت الفتحة تكتب الفاً قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفاً وفتحتها الفاً اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله ابن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلاً ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكأنهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يقولوا يتبجحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لن يصيبنا قرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرأ طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رأيه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله الا ما

كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل قل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي هو يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه قل انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعاً او كرهاً نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعاً او كرهاً ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسأت الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيداً وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهو ان كثيراً كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل اخوك الذي ان قمت بالسيف عامداً لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافاً بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهباً هباء لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعاً وقوله طوعاً او كرهاً معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمى الالزام اكراهاً لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقاً عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم كنتم قوماً فاسقين تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرئ ان يقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم و نفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلوتهم ثواباً ولا يخشون بتركها عقاباً فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله

كتب

عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه ولا ينفقون الا وهم كارهون فان قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طايعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه فالمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون ملجأ مكانا يلجؤن اليه متحصنين به من رأس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرأ ابي بن كعب متدخلا لولوا اليه وقرئ لولوا اليه لالتجأوا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنايم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنايم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجأة اي وان لم يعطوا منها فاجأوا السخط ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا

لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله صلعم اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها جازك وعن سعيد ابن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل يبتاع الرقاب فيعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت هذه الاية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه اذن واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا

عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله
لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن
منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم
ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الابقاء عليكم
هو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له
وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب
والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاستغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو
اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا نحن اتيناه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى
فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك اي هو
اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم
وقرأ نافع بتخفيف الذال فان قلت لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام
قلت لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من
المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله
وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه
انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن ابي
عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان
قوله اذن خير لكم يدل عليه يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان
كانوا مؤمنين الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد
ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم
ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير
لانه لا تفاوت بين رضاء الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد و
اجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك الم يعلموا انه من يحادد الله
ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة
من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله
انه تأكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه
من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون كانوا يستهزءون
بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا
الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في
عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز ان
يكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في
قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة
منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون فان قلت

الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى
قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر
ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون
بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات
هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا
فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء
مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم
وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف
التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم
بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم
الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين
منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزءوا فلم نعذبهم في العاجل
نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلعم مستهزئين وقرأ
مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لان المسند
اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه
قيل ان ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة
بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اريد به نفي ان
يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم
ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات
والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله
ان المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن
كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين
حتى بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول كسلت لان المنافقين
وصفوا بالكسل في قوله تعالى فما ظنك بالفسق وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء
ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم
مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم
بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم

كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما
يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفاً من المسلمين وما يحذرونه ابداً من
الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم الكاف محلها رفع على
انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلته مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم و
خضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوباً ولا طلباً باضمار لم ار ونحوه
كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالاً واولاداً تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم
فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم والخلاق
النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب
اي اثبت وخضتم والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا
او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا
فخضتم كالذي خاضوا قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا
ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة وان
يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد
ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فيقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب و
يعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن
باستناده اليه عن تلك التقدمة اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم
الخاسرون نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين الم يأتهم نبأ
الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم
شعيب والمؤتفكات مداين قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وايتفاكهن انقلاب
احوالهن عن الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن
ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله السين مفيدة وجود
الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوماً تعني انك لا تفوتني
وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن وداً ولسوف يعطيك ربك سوف يؤتيهم اجورهم
ان الله عزيز غالب على كل قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلاً موضعه
على حسب الاستحقاق وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة عن الحسن قصوراً من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد في جنات عدن
وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما رواه ابو الدرداء عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على بال بشر لا يسكنها غير
ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في

الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك
كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة
اكبر اصناف الثواب برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت
وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع
نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة
المهديين المرضيين عنده ذلك هو الفوز العظيم ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان
اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزاً وروي ان الله عز وجل يقول لاهل
الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احداً من خلقك فيقول انا
اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط
عليكم ابداً يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعاً ولا تحابهم وكل من
وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن
منها وعن ابن مسعود ان لم تستطع بيدك فبلسانك فان لم تستطع فليكفهر في وجهه فان لم تستطع
فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرء منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود
عليهم اذا تعاطوا اسبابها يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر اقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع
من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لاخواننا
الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل
والله ان محمداً صادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر
فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق
فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته
وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهار
الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه
من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة
بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هما كذلك
اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال
اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا
ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا الا
ان اغناهم الله ورسوله من فضله وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله ذلك وذلك انهم
كانوا حين قدم رسول الله صلعم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون
الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلعم بديته اثني عشر الفاً فاستغنى
فان يتوبوا يك خيراً لهم هي الاية التي تاب عندها الجلاس وان يتولوا يعذبهم الله عذاباً اليماً
في الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله

لئن اتينا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتيهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم
معرضون روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني
مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر
ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرأه
كتاب رسول الله صلعم الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال
ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح
ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب
على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلعم فجاء بها الى ابي بكر
فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن
بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم
يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم و
ان الله علام الغيوب فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا
متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم
حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله
من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون
بالتشديد والم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجويهم ما اسروه من النفاق والعزم
على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية
وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا
من الضمير في سرهم ونجويهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين من المؤمنين في الصدقات ٥
المطوعين المتبرعين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن
ابن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف
فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلعم بارك الله لك فيما
اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا
وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال
بت ليلي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلعم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان
كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم فيسخرون منهم
سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب
اليم استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك

بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين سال عبد الله بن عبد الله
ابن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه
ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن
يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء
به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي رضي الله عنه لاصيحن
العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي **فان قلت** كيف خفي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم
من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الاية فبين
الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين **قلت** لم يخف
عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابرهيم
ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة والرأفة لطف
لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض فرح المخلفون الذين استأذنوا رسول الله
صلعم من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم و
نفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف
الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل
هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهضوا وانتصابه على انه مفعول له او حال
اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله تعريض
بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وازواجهم في سبيل
الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما
في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا
استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد
كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم مسرة احقاب تلقيت بعضها مساءة يوم اريها شبه الصاب
فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا
جزاء بما كانوا يكسبون معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ
الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا
لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة وانما قال
الى طائفة منهم لان منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم
يكن المخلفون كلهم منافقين واراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك للخروج يعني الى
غزوة بعد غزوة واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة ٥
عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين
فاقعدوا مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين

فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهى اكبرهن ثم ان قولك هى كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هى اكبر امرأة واول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ما قيل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله ابن ابى بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتؤنبنى وسأله ان يكفنه فى شعاره الذى يلى جلده ويصلى عليه فلما مات دعا ابنه حباب الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم الشيطان فلما هم بالصلوة عليه قال له عمر رضى الله عنه اتصلى على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلى عليه فجذبه جبرئيل فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلعم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لى فى رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واجابة له الى مسألته اياه فقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعى المروة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روى انه قال له اسألك ان تكفنه فى بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه فى قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روى انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيئا وانى اومل من الله ان يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فان قلت كيف جازت الصلوة عليه قلت لم يتقدم نهى عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما فى ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادرى ما هذه الصلوة الا انى اعلم ان رسول الله صلعم لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضى والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهى وقد اعيد قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون لان تجدد النزول له شان فى تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشئ الذى اهم صاحبه فهو يرجع اليه فى اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها فى قوله واذا انزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هى براءة لان فيها الامر

بالايمان

بالايمان والجهاد ان آمنوا هى ان المفسرة اولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر فى التخلف رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف من الشقاوة والهلاك لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم اى ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات يتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم المعذرون من عذر فى الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز فى العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذى يجتهد فى العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا فى التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طى على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنينى الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم فى العين ادغامها فى الطاء والزاى والصاد فى المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا فى العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الايمان وقرئ كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما فى السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالى على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت حال من الكاف فى اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل فى قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين فى التخلف الذين ليس لهم فى ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعرى واصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من

تفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار
والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول
له الذي هو حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استيناف كانه قيل ما بالهم استأذنوا
وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني
ان السبب في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله
قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما بالهم تولوا باكين فقيل
قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض
المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبأنا الله
من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم
واحوالهم وما في ضمايرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله
عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وسيرى الله عملكم
اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم
على حسب ذلك سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم
فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع
فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ
بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأويهم جهنم جزاء
بما كانوا يكسبون يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم يحلفون لكم لترضوا
عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان
الله لا يرضى عن القوم الفاسقين فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله
ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته واجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان
رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين
رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل
جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب
والسنة واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله واحق بجهل حدود الدين وما انزل
الله من الشرايع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله
عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه
وثوابه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل
وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده
ويتربص بكم الدواير دواير الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة
عليهم دايرة السوء دعاء معترض دعى عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وعلا وقالت اليهود
يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح

وهو

وهو ذم للدايرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها
والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد و
غطفان وتميم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله
وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم قربات
مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول
لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على
آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات
وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات و
صلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين
بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام
على رضاء الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ
قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم السابقون الاولون من المهاجرين هم
الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة
الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة
الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم
القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على والسابقون وعن عمر انه كان
يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو وصفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو
فقال ايتوني بأبي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤ
من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من
اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ
بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن
ثم قال عمر لقد كنت اراني رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء و
خبره رضي الله عنهم ومعناه رضي الله عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من
نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي
ساير المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة من الاعراب
منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة مردوا
على النفاق عطف على خبر المبتدأ جملة معطوفة على المبتدأ والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة
قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه
الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على
خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري
حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون

عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين و كانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم خلطوا عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم **فان قلت** قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به **قلت** كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم **فان قلت** كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم **قلت** اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت ان صلوتك وقرئ ان صلوتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات

وان

وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقرئ الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وان الله من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت **فان قلت** فما معنى قوله ويأخذ الصدقات **قلت** هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وآخرون مرجون لامر الله وقرئ مرجون ومرجاؤن من ارجيته وارجأته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة والذين اتخذوا مسجدا ضرارا في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلعم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلعم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم و معن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات

ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا
وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص
بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا لمن حارب الله ورسوله واعدادا
لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلعم
وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير
طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له
مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني
على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح
الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في
مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب
قلت محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف
معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل
قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة
الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون لا
تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلاثا والاربعاء والخميس
وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجد قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله صلعم عن المسجد
الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد
المدينة من اول يوم احق ان تقوم فيه من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون
انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال
عليه الصلوة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم
قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال
يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط
فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلعم
رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات
كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر
من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم
فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه
حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن

اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس
بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين قرئ اسس
بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة
واساس بنيانه بالفتح والكسر جمع اس واساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا واس بنيانه
والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه
خير ام من اسس على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق
الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة
التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى قوله في نار جهنم قلت لما
جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار
جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس
بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف
والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار
الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من
خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله
هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره
وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى
من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نونه الحقها بجعفر
وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤي الدخان يخرج
منه وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب
مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة
عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم
والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا
للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلوة بقومه لا
يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما
حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا
للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك
ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع
قلوبهم قطعا وتفرق فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية
فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة
تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع
بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان
تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرا الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن

طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع
بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم فى سبيله بالشرى
وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن رضى الله عنه
انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروى ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله
ابن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة
قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرؤها
فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد
يقاتلون فى سبيل الله فيه معنى الامر كقوله تجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ
فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثانى للمفعول وعلى العكس وعدا عليه حقا فى
التورية والانجيل والقرآن وعدا مصدر مؤكد اخبر بان هذا الوعد الذى وعد للمجاهدين
فى سبيله وعد ثابت قد اثبته فى التورية والانجيل كما اثبته فى القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده
من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم لان اخلاف الميعاد قبيح
لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم اليه فكيف بالغنى الذى لا يجوز عليه
قبيح قط ولا ترى ترغيبا فى الجهاد احسن منه وابلغ التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر
المؤمنين التائبون رفع على المدح اى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة
عبد الله وابى التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين
وجوز الزجاج ان يكون مبتدأ خبره محذوف اى التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا و
ان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير فى يقاتلون
ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة
الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن رضى الله عنه هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق
والعابدون الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون
شبهوا بذوى السياحة فى الارض فى امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون فى الارض
يطلبونه فى مظانه وقيل قال صلى الله عليه وسلم لعمه ابى طالب انت اعظم الناس على حقا واحسنهم
عندى يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتى فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل
لما افتتح مكة سال اى ابويه احدث به عهدا فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا
فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى
فنزلت وهذا اصح لان موت ابى طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر
لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوى قرابتنا وقد استغفر ابرهيم
لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا ما صح له
الاستغفار فى حكم الله وحكمته للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب

الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وما كان استغفار ابرهيم لابيه قرأ طلحة وما استغفر
ابرهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها
اياه اى وعدها ابرهيم اياه وهو قوله لاستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية
وعدها اباه فان قلت كيف خفى على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت
يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار
للكافر انما علم بالوحى لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم
لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن رضى الله عنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان
فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن على رضى الله عنه رأيت
رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابرهيم فان قلت فما معنى
قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحى انه لن يؤمن
وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم ان ابرهيم لاواه حليم اواه فعال من اوه كلآل من اللؤلؤ وهو الذى يكثر التأوه
ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته
عليه وقوله لارجمنك وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون
ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله
من ولى ولا نصير يعنى ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه
وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا
اذا قدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم
والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم
وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهى عنه وفى هذه الآية
شديدة ما ينبغى ان يغفل عنها وهى ان المهدى للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل
فى حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهى فاما ما يعلم بالعقل كالصدق فى الخبر
ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار
تاب الله على النبى كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك
وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى
النبى والمهاجرين والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين
الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله
عليه من اذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفا الله عنك الذين اتبعوه فى ساعة العسرة
فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة واليوم غداة طفت
علماء بكر بن وائل عشية قارعنا جذام وحميرا اذا جاء يوما وارثى يبتغى الغنى والعسرة
حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفى عسرة من الزاد
تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة

اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله هو التواب الرحيم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني وما خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحيوة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلعم فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه لا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله صلعم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي ولم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلعم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه

والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضله واسلامه ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين هل فيها من رخصة ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤنهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطأ الايقاع والابادة لا الوطأ بالاقدام والحوافر كقوله صلى الله عليه وسلم آخر وطئة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطئه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا

وان يكون بمعنى النيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود و مشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمي ظماءة وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منعرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون يتعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام لتأكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا و فشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لاخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه اخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الايات الشداد استبق المؤمنون عن اخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجهاد بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يقربون منكم فان القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلعم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة و

والنضير

والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم وليجدوا فيكم غلظة وقرئ غلظة بالحركات الثلاث والغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراءة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله واعلموا ان الله مع المتقين بنصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم وماتوا وهم كافرون قرئ اولا يرون بالياء والتاء انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتوبون ثم لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون امره وما ينزل الله عليهم من نصرته وتأييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلعم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان و بصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم او من نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة و والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلعم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك

فاستعن بالله وفوض اليه هو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد من الخلق قدره وعن ابى بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم الر تعديد للحروف على طريق التحدى وتلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تأتى الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان تكون تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنى اللام فى قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس فى عند الناس هذا المعنى والذى تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من يستحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من تلك الاسباب فى شئ وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هى المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم وان لهم الباء معه محذوف قدم صدق عند ربهم اى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق قال الكافرون ان هذا الكتاب وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لسحر مبين ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلعم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين فى تسميته سحرا وفى قراءة ابى ما هذا الا سحر ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحرى للصواب الناظر فى ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقى

ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها فى وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء لقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ذلكم الله ربكم فاعبدوه وذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اى ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذى يستحق منكم العبادة فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اى لا ترجعون فى العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله حقا وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدأ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اى حق حقا بدء الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا على رقيب وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزى والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا الياء فى ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل فى عاق عقا والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالى ما خلق الله ذلك الا بالحق ذلك اشارة الى المذكور اى ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا نفصل الآيات لقوم يعلمون وقرئ يفصل بالياء ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يامله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون

من لا يزعج عنها فبنوا شديدًا وأملوا بعيدًا والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأويهم
النار بما كانوا يكسبون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يسدّدهم
بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدّى الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم
الانهار في جنات النعيم بيانًا له وتفسيرًا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها
ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين و
المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صوّر
له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورًا وقائدًا الى الجنة والكافر اذا
خرج من قبره صوّر له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار
فان قلت فلقد دلّ هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق
والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقرن
بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعًا
فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم
اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بيّن واضح لا شبهة فيه دعويهم فيها سبحانك
اللهم وتحيتهم فيها سلام دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول
القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة
واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم
الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة وانما يلهمونه فينطقون به تلذذًا بلا كلفة
كقوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية واخر دعويهم ان الحمد لله رب
العالمين وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى تحيتهم فيها
سلام ان بعضهم يحيي بعضًا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول
وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله
ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس
الشر تعجيله لهم الخير وضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارًا بسرعة اجابته لهم
واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا
حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي
اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين
لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى
نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم يعمهون فنمهلهم
ونفيض النعمة عليهم مع طغيانهم الزامًا للحجة عليهم واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او
قاعدًا او قائمًا لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعًا او قاعدًا او
قائمًا فان قلت فما وجه فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيًا
لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحًا عاجزًا عن النهوض

متخاذل

متخاذل النوء او كان قاعدًا لا يقدر على القيام او كان قائمًا لا يطيق المشي والمضطرب الى
ان يخف كل الخفة ويرزق كل الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين
من هو اشد حالًا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع
للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس فلما كشفنا
عنه ضره مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال
والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا الى ضر مسه كانه لم يدعنا فخفف و
حذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين
الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن
الذكر واتباع الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا لما ظرف لاهلكنا والواو في
وجاءتهم رسلهم بالبينات للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على
صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفًا على ظلموا وان يكون اعتراضًا
واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقًا تاكيدًا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم
انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم
الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل
ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على
اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم خلائف
في الارض من بعدهم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في
الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر كيف تعملون خيرًا او شرًا فنعاملكم على حسب عملكم
وكيف في محل النصب بتعملون لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله
فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم
المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودًا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه واذا
تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا غاظهم ما في القرآن
من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك
نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها
فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب
آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الآلهة واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان
قل ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي
من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان تأمرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي
ولا اذر شيئًا من نحو ذلك الا متبعًا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت
آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل
والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان
بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا
يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبًا فينسبونه الى الرسول صلعم

ويزعمونه قادراً عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا
عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة
الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت
يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي فان قلت فما كان غرضهم وهو ادهى الناس وانكرهم
في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك و
انك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال
وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا
التبديل حجة عليه وتصحيحاً لافترائه على الله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان
تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه امراً عجيباً خارجاً عن العادات وهو ان يخرج رجل امي
لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم
كتاباً فصيحاً يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحوناً بعلوم من علوم الاصول
والفروع واخبار ما كان وما يكون ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم
اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفاً من
ذلك ولا عرفه احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني
وقرأ الحسن ولا ادراتكم على لغة من يقول اعطأته وارضأتكم به في معنى اعطيته وارضيته
وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه
وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لان الالف
والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مسته الحركة انقلبت همزة والثاني ان
يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئاً والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء
تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادريكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء
ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولا علمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء
من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمراً
من قبله وقرئ عمراً بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعاً وكهلا فلم تعرفوني
متعاطياً شيئاً من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواضعاً بعلم وبيان فتتهموني باختراعه
افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم
ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً او
كذب باياته انه لا يفلح المجرمون يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك
وذو ولد وان يكون تفادياً مما اضافوه اليه من الافتراء ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان
التي هي جمادات لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها
لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيباً على الطاعة معاقباً على المعصية وكان اهل
الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافاً ونائلة وكانوا يقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات

والعزى

والعزى قل اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم
لله واذا لم يكن معلوماً له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئاً لان الشيء ما
يعلم ويخبر عنه وكان خبراً ليس له مخبر عنه فان قلت كيف انبؤا الله بذلك قلت هو تهكم
بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبأوا به باطل غير منطو
تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ
اتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف
معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية اي عن
الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على
ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم حتى قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان
حين لم يذر الله من الكافرين دياراً فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم
بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم فيما فيه يختلفون لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه ويميز
المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك
دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه وقالوا لولا انزل عليه من ربه ارادوا
آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة
التي لم تنزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة
غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم تنزل
عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في
التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا
لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا
نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات واذا
اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكراً سلط الله
القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون
في آيات الله ويعادون رسول الله صلعم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخيرة جوابها و
هي للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم
حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكراً
قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاؤا وقوع
المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يلبثوا ريثما يسيغون
غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء
نور الاسلام ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تظنونه خافياً مطوياً لا يخفى على الله
وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي
هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون
مطرنا بنوء كذا هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة
وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا

الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وقرأ زيد بن ثابت ينشركم
ومثله قوله فانتشروا ثم اذا انتم بشر تنتشرون فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية
للتسيير في البحر والتسيير انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير
ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت
هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء
بالانجاء فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا
لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت ما فائدة صرف الكلام من
الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار
والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت قيل هما
زائدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز ان يراد به اللجي والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا
فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء
للفلك ايضا لان الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك
من كل مكان من جميع امكنة الموج واحيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين
له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول
او لان دعوا من جملة القول فلما انجيهم اذا هم يبغون في الارض مفسدين فيها وعابثين
مترادفين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما
معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة
وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببني قريظة يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم
بما كنتم تعملون وقرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب فان قلت ما الفرق بين القراءتين
قلت اذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدأ الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم
ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة
الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم
ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان
يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه
السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان
يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي
وكان المامون يتمثل بهذين البيتين في اخيه يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير
فعال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وعن محمد بن كعب
ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم انما
مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام
هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال

بنات

نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته و
رفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض اخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت
الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت
تزينت فادغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت
اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون
من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا ليلا او نهارا وهو ضرب زرعها
ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات
لقوم يتفكرون كان لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد
منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف
الذي هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى طويل
الثواء طويل التغن والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن انفا والله يدعو
الى دار السلام دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان
اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا
سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء الى صراط مستقيم وهم الذين علم ان اللطف
يجدي عليهم لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا
يدخلها الا المهديون للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة
وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة
من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر
امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن
شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون
شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت
بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون
اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ولا ذلة ولا
اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته
الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة فان قلت ما وجه قوله والذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا
على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر
وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان يجازى سيئة واحدة
بسيئة مثلها ولا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان
كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة

على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وترهقهم ذلة وقرئ
ويرهقهم بالياء ما لهم من الله من عاصم اى لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما
لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من
الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مظلما حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون
من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة ابى بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من
الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما ان
يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى
الصفة واما ان يكون معنى الفعل من الليل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم
انتم وشركاؤكم مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير
في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى
مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم
والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم
منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا
بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون انما
تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم فكفى بالله شهيدا بيننا و
بينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولى العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز
وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام
وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر وتذوق
ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر
الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس
بالنون ونصب كل اى نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان
حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن
عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر
وقرئ تتلوا اى تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار
او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر وردوا الى الله مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته
لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا
يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل
او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا
يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة قل من
يرزقكم من السماء والارض اى يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض
عليكم نعمته ويوسع رحمته امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد
الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال

وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فقل
افلا تتقون افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال
فذلكم الله اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه
لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن
تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك
وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اى كما حق وثبت ان الحق
بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا
انهم لا يؤمنون اى تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل
من الكلمة اى حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم
من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون
تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده فان قلت كيف
قيل لهم هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت
قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع مكابر ازداد للظاهر
البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما
معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون
فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة
الحق فكلم عنهم قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي
الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين
اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن
لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت
الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان
يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي
للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما
لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم
اندادا لله احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال
افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اى لا يهتدي بنفسه او
لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل
اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله
من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون
انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى
برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع
اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع

ان الله عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ
تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين
يديه وتفصيل الكتاب وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق
الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها هو عيار عليها وشاهد
بصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا
ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام
والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت بما اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين
قلت هو داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب
كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب
في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما
تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام
الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر على ما تزعمون
فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة
مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة
به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد
غيره فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجأوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه
ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف
دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة
لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة
انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة
او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما
معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر و
معرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب
قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي
ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك مثل ذلك
التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف
من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون
معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين
لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه
من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز

وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم
من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به
ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر
وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين والمصرين وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم
فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف ومنهم من يستمعون
اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو
كانوا لا يبصرون معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم
لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم
لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان
الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع
والعقل جميعا فقد تم الامر واتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد
البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد
البلاء يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر
وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء
كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو
وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون اي لا ينقصهم شيئا مما يصلحهم
من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون
وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب
ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه ويوم يحشرهم كان لم
يلبثوا الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون
يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم
من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون
كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما
الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة
لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم
والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين
بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم واما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فالينا مرجعهم جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك
قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة فان قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما
معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضيها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم

الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اى هنالك ويجوز ان يراد ان
الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم
شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد يدعوهم الى دين الحق
فاذا جاء رسولهم فاذا جاءهم رسول بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم
اى بين النبى ومكذبيه بالقسط وهم لا يظلمون بالقسط بالعدل فانجى الرسول وعذب
المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيمة
رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاءهم رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر كقوله
وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له قل لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر
ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله من
ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون يعنى ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان
اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء آجالهم قل
أرأيتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون بياتا نصب على الظرف بمعنى
وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت
بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه فى وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب
ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير فى منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه
مر المذاق موجب للنفار فاى شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز
ان يكون معناه التعجب كانه قيل اى شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب ان يكون من للبيان
فى هذا الوجه وقيل الضمير فى منه لله تعالى فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط
قلت تعلق بأرأيتم لان المعنى اخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاء فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه
قلت اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف
التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا
يستعجل جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وان يكون أثم
اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه
آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء
فى قوله أفأمن اهل القرى أوأمن اهل القرى آلآن على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد
وقوع العذاب الآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعنى وقد كنتم به تكذبون لان استعجالكم
كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على
اللام ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون عطف على قيل المضمر
قبل الآن ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة الانكار

والاستهزاء

والاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل أهو الحق
لا الباطل او أهو الذى سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود قل اى وربى انه لحق واى
بمعنى نعم فى القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون فى التصديق
ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق
بكم لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة ما فى الارض
اى ما فى الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته
فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب
لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم
قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا وما لا يفعله الجازع سوى اسرار الندم و
الحسرة فى القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة
ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم و
خوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء
لخالصه وفيه تهكم بهم وباخلاصهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها
من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره وليس هنالك تجلد وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
ألا ان لله ما فى السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيى
ويميت واليه ترجعون وقضي بينهم اى بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم
ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب والمعاقب وما وعده من الثواب والعقاب
فهو حق وهو قادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم
ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من
ربكم اى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وشفاء
اى دواء لما فى الصدور لما فى صدوركم من العقائد الفاسدة وهدى ودعاء الى الحق
ورحمة للمؤمنين لمن آمن به منكم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اصل الكلام
بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور
عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح
به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد
قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو
الاصل والقياس وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى وعنه لتأخذوا
مصافكم قالها فى بعض الغزوات وفى قراءة ابى فافرحوا هو خير مما يجمعون وهو راجع
الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالتاء والياء وعن ابى بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته
ما وعد عليه قل أرأيتم اخبرونى ما انزل الله لكم من رزق ما فى موضع النصب بانزل او
بأرأيتم فى معنى اخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا اى انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه

وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله هذه انعام وحرث حجر ما فى بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون الله اذن لكم متعلق بارايتم
وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبرونى الله اذن لكم فى التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه
ام تكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى
بل اتفترون على الله تقريراً للافتراء وكفى بهذه الاية زاجرة زجراً بليغاً عن التجوز فيما يسأل عنه
من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد فى شئ جائز او غير جائز الا
بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا هو مفتر على الله وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعنى اى شئ ظن المفترين
فى ذلك اليوم وما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم
حيث ابهم امره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه اى ظن ظنوا يوم القيمة
وجئ به على لفظ الماضى لانه كائن فكأن قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم
بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا
يتبعون ما هدوا اليه وما تكون فى شأن ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والشأن الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده وما تتلو منه
من قرأن والضمير فى منه للشان لان تلاوة القرأن شان من شان رسول الله صلى الله عليه
بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قال وما تتلوا من التنزيل من قرأن لان كل جزء منه قرأن
والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون وما تعملون انتم جميعاً من عمل
اى عمل كان الا كنا عليكم شهوداً شاهدين رقباء نحصى عليكم اذ تفيضون فيه من افاض فى
الامر اذا اندفع فيه وما يعزب عن ربك وقرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض
العازب من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين
القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفى الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاماً برأسه
وفى العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحاً فى موضع الجر لامتناع الصرف
اشكال لان قولك لا يعزب عنه الا فى كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء
بخلاف قوله فى سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض
قلت حق السماء ان يقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شئون اهل الارض واحوالهم
واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف
بالواو وحكمه حكم التثنية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولياء الله
الذين يتولونه بالطاعات ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك فى قوله الذين آمنوا وكانوا
يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة فهو توليه اياهم وعن
سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر
الله برؤيتهم يعنى السمت والهيئة وعن ابن عباس الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون فى
الله وعن عمر سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عباداً ما هم بانبياء
ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا

من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام بينهم ولا اموال
يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور ولا يخافون اذا خاف
الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الاية الذين آمنوا نصب او رفع على المدح
او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى فى الدنيا ما بشر الله
تعالى به المؤمنين المتقين فى غير مكان من كتابه وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى
الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت
المبشرات وقيل هى محبة الناس والذكر الحسن وعن ابى ذر قلت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء
لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا
تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى فى الاخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين
مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم
وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم
اى لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدى وذلك اشارة
الى كونهم مبشرين فى الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من
احزنه قولهم تهديدهم لك وتكذيبهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال امرك و
ساير ما يتكلمون به فى شانك ان العزة لله جميعاً استيناف بمعنى التعليل كانه قيل
ما لى لا احزن فقيل ان العزة لله جميعاً اى ان الغلبة والقهر فى ملكة الله جميعاً لا يملك
احد شيئاً منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلى
انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقرأ ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح
التعليل ومن جعله بدلاً من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة به هو السميع
العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله
من فى السموات وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء من فى السموات ومن فى الارض
يعنى العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له
وفى ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان
يكون شريكاً له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له نداً وشريكاً وليدل على ان من اتخذ
غيره رباً من ملك او انسى فضلاً عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد
وترك النظر ومعنى وما يتبعون شركاء اى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها
شركاء لان شركة الله فى الربوبية محال ان يتبعون الا الظن ان يتبعون الا ظنهم انها
شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديراً باطلاً ويجوز
ان يكون وما يتبع فى معنى الاستفهام يعنى واى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون
وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر
على احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين
يدعون من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم وقرأ على رضى الله عنه تدعون بالتاء

ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اى واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعنى انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه تنبيه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التى يستحق بها ان يوحد بالعبادة بان جعل لهم الليل مظلما لتسكنوا فيه مما يقاسون فى نهارهم من تعب التردد فى المعاش والنهار مبصرا مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغنى علة لنفى الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب فى كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما فى السموات وما فى الارض هو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان يتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم قل ان الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه لا يفلحون متاع قليل فى الدنيا اى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم فى الكفر ومناصبة النبى صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامى وتذكيرى بايات الله فعلى الله توكلت مقامى مكانى يعنى نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان بمعنى خاف ربه او قيامى ومكثى بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامى وتذكيرى لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم مبينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامرى مجمع والواو بمعنى مع يعنى فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب على العطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفى قراءة ابى فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم **فان قلت** كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء **قلت** على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون **فان قلت** ما معنى الامرين امرهم الذى يجمعونه وامرهم الذى لا يكون عليهم غمة **قلت** اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعنى فاجمعوا ما تريدون من اهلاكى واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم فى كيدى وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه

من

من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثانى ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعنى ثم اهلكونى لئلا يكون عيشكم بسببى غصة وحالكم عليكم غمة اى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثانى ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة فى فرائض الله اى لا تستر ولكن يجاهر بها يعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروننى به ثم اقضوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى اى ادوا الى قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الى ما هو حق عليكم عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلونى وقرئ ثم افضوا الى بالفاء بمعنى ثم انتهوا الى بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اى اصحروا به الى وابرزوا لى فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيرى ونصيحتى فما سألتكم من اجر فما كان عندى ما ينفركم عنى وتتهمونى لاجله من طمع فى اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجرى الا على الله وهو الثواب الذى يثيبنى به فى الاخرة اى ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذى كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه فى سوق الامر معهم على الطريق الذى يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له فى اخر المدة المتطاولة كتكذيبهم فى اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعنى هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم فى الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسول وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان تتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به ثم بعثنا من بعدهم من بعد الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوى اثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شئ من السحر الذى ليس الا تمويها وباطلا قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون **فان قلت** هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا **قلت** فيه اوجه ان يكون معنى

قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعنى قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان تكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه اباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض اى الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء بنفى ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصد وا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطى لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اى مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يكون لكما بالياء وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اى اى شئ جئتم به اهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابى ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه على خوف من فرعون الا طائفة من ذرارى بنى اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملائهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اى على خوف من فرعون وخوف من اشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وباياته فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا انفسهم لله اى يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم

ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اى عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اى مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الكلام فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التى هى الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة واموالا في الحيوة الدنيا الزينة ما يتزين به من لباس وحلى او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الايات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجئ منهم الا الغى والضلال وان ايمانهم كالمحال الذى لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحى من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق فيهم حيلة وانهم لا يستأهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الساطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى اشدد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء الذى هو اشدد او دعاء بلفظ النهى وقد حمل اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا

وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه وقرأ الفضل الرقاشي ائنك اتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قال قد اجيبت دعوتكما
قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان
دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة
والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج
فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اى لا تتبعا طريق
الجهلة بعادة الله في تعليقه الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما
قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بالنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وجاوزنا ببني
اسرائيل البحر وقرأ الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في
بيت الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني
اسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا
حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين
فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء
التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد
ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله
حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف
الآن وقد عصيت قبل اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك
قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قال بعد ان غرق في نفسه
والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبرئيل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في
وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن
زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان
الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر
لان الرضا بالكفر كفر وكنت من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبرئيل اتاه
بفتيا ما قول الامير في عبد الرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة
دونه فكتب فرعون يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر
نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبرئيل خطه فعرفه فاليوم ننجيك بالتشديد
والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك
بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء
الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اى في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن
او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او
بدرعك قال عمرو بن معدي كرب اعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكان

له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم
هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد دروعك كانه كان مظاهرا بينها
لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لمن خلفك آية لمن وراءك من
الناس علامة وهم بنوا اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي
انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم
يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل
حتى قيل لمن خلفك آية وقيل لمن خلفك لمن تأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان تظهر
للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان
فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون
عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترؤا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك
على الله وقرئ لمن خلفك بالقاف اى لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون
طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا
يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله لا يقدر عليها غيره
وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق
ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه
شعبا الا من بعد ما قرأوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتخاذ الكلمة
وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف
بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعدما جاءهم
العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت
في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم
بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين
قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل
لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والمعنى ان
الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم
لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة رسول
الله صلعم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته
شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته
واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فاسأل علماء اهل الكتاب يعني انهم من
الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسألتهم
فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله

لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اى
ثبت عندك بالايات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذى لا مدخل فيه للمرية فلا
تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين اى فاثبت ودم
على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج
والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك
ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك فيه ولا اسئل
بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم فى شك مما انزلنا
اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن
وقيل ان للنفى اى فما كنت فى شك فاسئل يعنى لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا
كما ازداد ابرهيم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرؤن الكتب ان الذين حقت عليهم
كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم حقت عليهم كلمة ربك
ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره
وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت
قرية واحدة من القرى التى اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تبق
التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها
لوقوعه فى وقت الاختيار وقرا ابى وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى
لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ويجوز ان يكون متصلا والجملة فى معنى النفى
كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ
بالرفع على البدل وهكذا روى عن الجرمى والكسائى روى ان يونس بعث الى نينوى من ارض
الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح و
عجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك
امنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا
ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها
فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم
الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان
ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا
الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حى حين لا حى
ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا
ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا
ما نحن اهله ولو شاء ربك مشية القسر والالجاء لامن من فى الارض كلهم على وجه

الاحاطة جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله
افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يعنى انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى
الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور
عليه وانما الشان فى المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشاركك فيه لانه هو القادر
على ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما
كان لنفس يعنى من النفوس التى علم انها مؤمن ان تؤمن الا باذن الله اى بتسهيله وهو
منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس
المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون
وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاى وقرئ ونجعل بالنون
قل انظروا ماذا فى السموات والارض من الايات والعبر وما تغنى الايات والنذر والرسل
المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ
وما يغنى بالياء وما نافية او استفهامية فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم
ننجى رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
كانه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين امنوا ومن امن معهم
كذلك حقا علينا ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض ويعنى حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجى بالتشديد قل يا ايها الناس
يا اهل مكة ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ان كنتم
فى شك من دينى وصحته وسداده فهذا دينى فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا
فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو انى لا اعبد الحجارة التى
تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذى يتوفيكم وانما وصفه بالتوفى
ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شئ وامرت ان اكون من
المؤمنين يعنى ان الله امرنى بذلك بما ركب فى من العقل وبما اوحى الى فى كتابه وقيل
معناه ان كنتم فى شك من دينى ومما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا
انفسكم بالمحال ولا تشكوا فى امرى واقطعوا عنى اطماعكم واعلموا انى لا اعبد الذين
تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون
من الحذف المطرد الذى هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير
المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن
من المشركين فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا يخلو
من ان يكون التى للعبارة او التى تكون مع الفعل فى تاويل المصدر فلا يصح ان يكون
للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول
بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون

جملة يحتمل الصدق والكذب **قلت** قد سوّغ سيبويه ان يوصل ان بالامر والنهي و
شبّه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معها في معنى
المصدر والامر والنهي دالّان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك
استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا و حنيفا حال من الدين او من الوجه ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرّك فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرّك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذن جزاء
للشرط وجواب لسؤال مقدّر كأنّ سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من
الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا رادّ لفضله اتبع النهي عن عبادة الاوثان
ووصفها بانها لا تضرّ ولا تنفع ان الله هو الضارّ النافع الذي ان اصابك بضرّ
لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان
ارادك بخير لم يردّ احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق
اذن بان توجّه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضرّ هل هنّ
كاشفات ضرّه او ارادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته **فان قلت** لم ذكر المسّ
في احدهما والارادة في الثاني **قلت** كأنه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة و
الاصابة في كل واحد من الضرّ والخير وانه لا رادّ لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب
به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المسّ وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدلّ
بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده
وهو الغفور الرحيم والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجّة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
فمن اختار الهدى واتّباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها
ومن آثر الضلال فما ضرّ الا نفسه واللام وعلى دلّا على معنى النفع والضرر وكل اليهم
الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حثّ على ايثار الهدى واطّراح الضلال مع ذلك
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير
ونذير واتّبع ما يوحى اليك واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى
يحكم الله وهو خير الحاكمين حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها
لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي
اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة
فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا
قتادة تخلّف عن تلقّي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه
فقال له ما لك لم تتلقّنا قال لم تكن عندنا دوابّ قال فاين النواضح قال قطعناها
في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني

قال فاصبروا قال فاذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان: الا ابلغ معاوية بن حرب امير
الظالمين نثا كلامي، بانا صابرون فمنظروكم، الى يوم التغابن والخصام. عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بيونس و
كذّب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم
المرصّف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله
آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها
من الجماح قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة
احكمت من الباطل ثم فصّلت كما تفصّل القلائد بالفوائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ
والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرّقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة
او فصّل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بيّن ولخّص وقرئ احكمت آياته ثم فصّلت اي احكمتها
انا ثم فصّلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصّلت اي فرّقت بين الحق والباطل **فان قلت**
ما معنى ثم **قلت** ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام
ثم مفصّلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت
صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة
لاحكمت وفصّلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم
وفصّلها اي بيّنها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور الا تعبدوا الا الله مفعول له على
معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسّرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا
تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم
اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي
صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدلّ عليه قوله انني لكم منه
نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب
والضمير في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او
هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشّركم بثوابه ان آمنتم **فان قلت**
ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه **قلت** معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه
بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم
استقاموا يمتعكم متاعا حسنا يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضيّة من عيشة
واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمّى الى ان يتوفّاكم كقوله فلنحيينّه حياة طيبة
ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه
جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب او الدرجات تتفاضل في الجنة على قدر
تفاضل الطاعات وان تولّوا وان تتولّوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله
مرجعكم وهو على كل شيء قدير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل

ويأتي عذابا يوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد
من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان تولوا من ولي الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق و
ينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه
صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله
والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى
اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء
حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم
في اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور يعني
انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء
والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده وروي انها
نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو
وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو
يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم وتثنوني افعوعل من الثني
كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنوني وقرئ تثنون
واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء يريد مطاوعة صدورهم
للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان
افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فان قلت كيف قال على
الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل
به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع
حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل في كتاب مبين كل واحد من
الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء اي وما كان تحته خلق قبل
خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء فيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين
قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله
ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم
متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهو ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون
النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه
ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون
فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه
فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع
من طريق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى
حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتهما الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن

عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح
ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا
لحيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين وقرئ ولئن قلت انكم بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري
لحما وانك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا
تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين يابتين القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت ذكرت
ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او
اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج
تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول صلى الله عليه
وسلم والساحر كاذب مبطل ولئن اخرنا عنهم العذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر
وعن ابن عباس قتل جبرئيل المستهزئين الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات ليقولن
ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء الا يوم ياتيهم
ليس مصروفا عنهم ويوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس
على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها
اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به
يستهزءون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان
استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره
ولئن اذقنا الانسان للجنس منا رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه
ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤس شديد الياس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة
قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم
الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته
ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه
الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم
مغفرة واجر كبير الا الذين امنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة
ان يصبروا كانوا يقترحون عليه ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت
اية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك
وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه
على اداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به
وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء
معه ملك اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده

ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما
امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون
وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر
منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق
الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا
اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي
بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس بادٍ شحوبها ام يقولون افتراه ام منقطعة والضمير
في افتراه لما يوحى اليك قل فأتوا بعشر سور مثله تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول
المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت
منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحد منها له مفتريات صفة لعشر
سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم
وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فأتوا
انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه
من الكلام فان قلت كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت
معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون
فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت
معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا
يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم
رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان
يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه
من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه
فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب
لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم
عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد
ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم
على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون من كان
يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوف اليهم نوصل
اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة و
الرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن
وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء
فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم

جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله تعالى وتوف
اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط
وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا
فيها وحبط في الآخرة ما صنعوا او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة
انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في
نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن
عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا
اي باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان
على بينة معناه امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة
ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود
كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام
حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته
وهو القرآن منه اي من الله او شاهد من القرآن فقد مر ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن
كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ
كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه
ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على
مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من
قبل القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل
اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب
يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده
فلا تك في مرية وقرئ في مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد انه الحق من ربك
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم
يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويشهد عليهم
الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا
لعنة الله على الظالمين فواخزياه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد او جمع شهيد كاصحاب
او اشراف الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي
مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم بالآخرة هم كافرون وهم الثانية
لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا
يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء
وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتأخير
عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا
يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم لا يستطيعون

السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع
الناس يقولون فى كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعى ويحتمل
ان يريد بقوله ما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست
بشئ فما كان لهم فى الحقيقة من اولياء ثم بين نفى كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد
اولئك الذين خسروا انفسهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله فكان خسرانهم فى تجارتهم
ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما
اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم فسر فى موضع آخر انهم
فى الآخرة هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واخبتوا الى ربهم واطمأنوا الى
عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهو الارض المطمئنة ومنه قولهم للشئ الدنى الخبيت
قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل التاء فيه بدل من الثاء
مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم
وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق
تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذى جمع
بين العمى والصمم او الذى جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو فى والاصم وفى والسميع
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعنى الفريقين مثلا
تشبيها افلا تذكرون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين اى ارسلنا نوحا
بانى لكم نذير مبين ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر
فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ
بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم نذير اى ارسلناه بان لا
تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير انى اخاف عليكم عذاب
يوم اليم وصف اليوم بالاليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه **فان قلت** فاذا
وصف به العذاب **قلت** مجازى مثله لان الاليم فى الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك
نهارك صائم وجد جده فقال الملأ الذين كفروا من قومه الملأ الاشراف من قولهم فلان
ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤ بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا
بها وبتدبيرها او لانهم يتمالئون اى يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤن القلوب
هيبة والمجالس بهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا
مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها فى احد من البشر لجعلها
فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازنهم فى المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم
وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغى ان يكون ملكا لا بشرا وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا
بادى الرأى قرئ بادئ الرأى وبغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأى او ظاهر الرأى وانتصابه

على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم
المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شئ عن لهم بديهة من غير روية ونظر
وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا
يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له مال وجاه كما ترى اكثر المتسمين
بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم فى
الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا فى
الاختيار للنبوة والتأهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين فى طلب الآخرة ورفض الدنيا
مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد
من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله وما نرى لكم علينا من فضل من زيادة شرف علينا
تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه قال يا قوم ارأيتم اخبرونى ان كنت على
بينة على برهان من ربى وشاهد منه يشهد بصحة دعواى وآتانى رحمة من عنده
بايتاء البينة على ان البينة فى نفسها هى الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة
النبوة **فان قلت** قوله فعميت عليكم ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثانى
وحقه ان يقال فعميتا **قلت** الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار
على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفى قراءة ابى فعماها عليكم **فان
قلت** فما حقيقته **قلت** حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء
لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم
دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد **فان قلت** فما معنى قراءة ابى **قلت** المعنى انهم صمموا
على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله
انلزمكموها وانتم لها كارهون ومعنى انلزمكموها على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم
تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه فى الدين وقد جئ بضميرى المفعولين متصلين جميعا ويجوز
ان يكون الثانى منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم
وحكى عن ابى عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا
والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ
طرحها الا فى ضرورة الشعر ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان اجرى الا على الله والضمير
فى قوله لا اسألكم عليه راجع الى قوله انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وما انا بطارد
الذين آمنوا وقرئ وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل **فان قلت** ما معنى
قوله انهم ملاقوا ربهم **قلت** معناه انهم ملاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه
فيجازيهم على ما فى قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لى منهم وما اعرف غيره منهم او
على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادى الرأى من غير نظر وتفكر وما على
ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه
ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم
ملاقوه لا محالة ولكنى اريكم قوما تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من

قوله الا يجعلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم ويا قوم من ينصرني
من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم افلا تذكرون وكانوا يسألونه ان يطردهم ليؤمنوا به
انفة من ان يكونوا معهم على سواء ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب معطوف
على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول
لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا
من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس
اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين
تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله
لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم
الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى
عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه قالوا يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر وا
طاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله
اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت
حكمته ان يعجله لكم وقرأ ابن عباس فاكثرت جدلنا وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فان قلت
ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل
عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط
في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان
يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء
واضلالا كما انه اذا عرف منه ان يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان
يغويكم ان يهلككم من غوي الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على
الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي
ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله
يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع ان فسره الاولون
باثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ
ان تعرضوا عني وتتالبوا علي وانا بريء مما تجرمون ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى
مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم واوحي
الى نوح انه لن يؤمن من قومك اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع
الا من قد امن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد اصابت محزها فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون فلا تحزن حزن بائس مستكين قال وما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد
كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان
وقت الانتقام لك منهم واصنع الفلك باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا

وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب
وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك
كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل
جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب
عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضي
به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر
ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر
عليه ملأ من قومه سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء
في ابعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون
له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل
كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق
في الاخرة وقيل ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل
بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا
عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا و
طولها في السماء ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل
الوحوش والسباع والهوام في البطن الاوسط والدواب والانعام وركب هو ومن معه في
البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال
والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا
لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى
كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم
قال هذا كعب بن حام فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب
عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها
الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع
وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس
وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه من ياتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب
يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق
اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة حتى اذا جاء امرنا وفار
التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على
الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله يصنع الفلك اي وكان
يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من
الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه فان قلت فما جواب كلما قلت انه بين امرين اما ان يجعل سخروا جوابا وقال استئنافا

على تقدير سؤال سائل او تجعل سخروا بدلا من مرّ او صفة لملاء وقال جوابا وأهلك الا من
سبق عليه القول ومن آمن واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين
من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك
الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه
وامرأته وما آمن معه الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح
واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس
نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح وسام وحام ويافث ونساؤهم
فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها بسم الله
مجريها ومرسيها يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم
الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها
ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء
حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يكونا مكانين للاجراء
والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان
ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها
وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال
بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها
وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين
او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل
صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام
امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجريها ومرسيها بذكر الله او بامره وقدرته ويحتمل
ان تكون غير مقتضبة بان يكون في موضع الحال كقوله وجاؤنا بهم سكر علينا فلا تكون كلاما
برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه
قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي
لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله
وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون
بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه
كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه
وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء
كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان
الجبال الا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء ونادى نوح ابنه قيل كان اسم
ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة
ابن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن
قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول

لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من اهل الكتاب
واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن
ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها
الانبياء عليهم السلام وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه
وكان في معزل والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه
عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني اركب معنا ولا تكن مع
الكافرين يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من
الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين
لان الراء بعدهما ساكنة قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله
الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى
او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم
غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك
اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني
السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقولك ماء دافق وعيشة راضية
وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله هو المعصوم كقوله ما لهم به
من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما
بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل
من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه
الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد
عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم
وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف له والنزول على مشيئته على الفور من غير
ريث فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف
والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي
الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي
وهو جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد
من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل
المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل
فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم
الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره
ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا
من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس
الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت

اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن نداؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده انه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا قلت ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو

مستوجب

مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك بالتوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان يكون من للبيان فيراد الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء عليهم السلام والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح وشعيب تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة للمتقين في الفوز والغلبة والنصرة وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف رجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة

إلى قوتكم قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة لا
يصح إلا بعد الإيمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان
وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين
وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من
شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية
وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت
أرحام نسائهم وعن الحسن بن علي أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال إني
رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان
يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك
معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود
ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما
أدعوكم إليه وأرغبكم فيه مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة
وما نحن بتاركي آلهتنا ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي
آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من أمثالنا
أن يصدقوا مثلك فيما تدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
اعتراك مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك
ومسك بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء
الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا
التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وإنما العجب من قوم من
المتظاهرين بالإسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنبه مجنونا والمنيب إلى ربه مخبلا ولم نجدهم
معه على عشر مما كانوا عليه في أيام جاهليته من الموادة وما ذاك إلا لعرق من الإلحاد أبى إلا
أن ينبض وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم
كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد
وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم
ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء
مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام
رجل واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه يرمونه عن قوس واحد وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه
منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا إلي ولا تنظرون
أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة
الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء
علي أني لا أفعله فإن قلت هلا قيل إني أشهد الله وأشهدكم قلت لأن إشهاد الله على
البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما إشهادهم فما هو

إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما
بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي
أني لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من إشراككم آلهة من دونه أو مما
تشركونه من آلهة أي أنتم تجعلونها شركاء له ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا أنتم
وآلهتكم أعجل ما تفعلون من غير إنظار فإني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم
علي وأنتم الأقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم
مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب بعقلي إني توكلت على الله ربي
وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته
من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة
في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بنواصيها تمثيل لذلك إن ربي على صراط مستقيم
يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فإن تولوا
فإن تتولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن قلت الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع
جزاء للشرط قلت معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن ما
أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف ربي قوما
غيركم كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ولا
تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لأنه لا يجوز عليه المضار والمنافع وإنما تضرون أنفسكم
وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد أبلغتكم والمعنى إن
تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا إلا أنفسكم إن ربي على كل شيء حفيظ أي
رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الأشياء
كلها حافظا لها وكانت مفتقرة إلى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء أمرنا نجينا
هودا والذين آمنوا معه برحمة منا قيل كانوا أربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ فإن
قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم
من عذاب غليظ وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج
من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا
عذاب أغلظ منه وأشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق
له وتلك عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا
ثم استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا عصوا رسولهم
فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد منهم وقيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده
واتبعوا أمر كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل ومعنى اتباع
أمرهم طاعتهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا
لعاد قوم هود ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم
على وجوههم في عذاب الله وألا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم
وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فإن قلت بعدا دعاء بالهلاك

فما معنى الدعاء عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين له الا ترى الى قوله اخوتى لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة فى هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه و لان عادا عادان الاولى القديمة التى هى قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب هو انشأكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم و امركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبى من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليهم انهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى وعن معاوية بن ابى سفيان انه اخذ فى احياء الارض فى آخر امره فقيل له فقال ما حملنى عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له فى الارض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر فى معنى اعمر كقولك استهلكه فى معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثانى ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب دانى الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا فى الامور ومسترشدا فى التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا و قيل كنا نرجو ان تدخل فى ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا حكاية حال ماضية واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب من ارابه اذا اوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا انى على بينة من ربى وانى نبى على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربى فى اوامره فمن يمنعنى من عذاب الله فما تزيدوننى اذن حينئذ غير تخسير يعنى تخسرون اعمالى وتبطلونها او فما تزيدوننى بما تقولون لى وتحملوننى عليه غير ان اخسركم اى انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية نصب على الحال وقد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال فذروها تأكل فى ارض الله و لا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا

وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام تمتعوا استمتعوا بالعيش فى داركم فى بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اى يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل فى دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع فى الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله و يوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفى بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز ومن خزى يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزى يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزى يومئذ اى من ذله ومهانته و فضيحته ولا خزى اعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود وقرئ الا ان ثمود ولثمود كلاهما بالصرف ومنعه فالصرف للذهاب الى الحى او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يريد الملائكة وعن ابن عباس جاءه جبرئيل وملكان معه وقيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدى احد عشر بالبشرى هى البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم وسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح فما لبث ان جاء بعجل فما لبث فى المجئ به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبشر بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوى بالرضف فى اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل فى كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر ومستنكر وانكر وقال الاعشى وانكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل فى طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان تكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا فاوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف والتغير فى وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفى مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال

الخيفة او بهلاك اهل الخبائث وكان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فانى اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن ابى زياد الاعرابى فضحكت بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اى من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبى انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب قالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا الالف فى ويلتا مبدلة من ياء الاضافة وكذلك فى يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتى بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذا بعلى هو شيخ او بعلى بدل من المبتدأ وشيخ خبر او يكونان معا خبرين وقيل بشرت ولها ثمانية وتسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون ان هذا لشئ عجيب قالوا اتعجبين من امر الله ان هذا لشئ عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التى اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات وكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم فى قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه وجاءته البشرى والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف فى قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا فى قوم لوط وقيل فى يجادلنا هو جواب لما وانما جئ به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضى كما ترد ان الماضى الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال اارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا وقالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال اارأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله فى قوم لوط فى معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون

رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة يا ابرهيم على ارادة القول اى قالت له الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذى لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروى ان الله قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها وقال هذا يوم عصيب يقال يوم عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم فى عمل الفواحش قبل ذلك قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم اراد ان يقى اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابى لهب وابى العاص بن وائل قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان فى لحنه وعن ابى عمرو بن العلاء من قرأ هن اطهر لكم بالنصب فقد تربع فى لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما فى هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلى شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتى بدل ويعمل هذا المضمر فى الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزوى الجملة ولا يقع بين الحال وذى الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى وهن جملة فى موضع خبر المبتدأ كقولك هذا اخى هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تهينونى ولا تفضحونى من الخزى او ولا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء فى ضيفى فى حق ضيفى فانه اذا اخزى ضيف الرجل وجاره فقد اخزى الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدى الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوزان

يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكور مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة وانك لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد وجواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او أويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان بكم قوة او أويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنهم ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح قرئ فاسر بالقطع والوصل والا امرأتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها

الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضها في اثر بعض متتابعة مسومة عند ربك معلمة للعذاب وعن الحسن كان معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما تعلم بها انها من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من الظالمين ببعيد وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل فقال له يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم بعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اريكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اريكم بنعمة من الله حقها ان يقابل بغير ما تفعلون او اريكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع على المعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا به بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل امر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك

استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لى فيما اقول لكم
وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات
الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذى يجوز ان يضاف
اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله
وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه ومراقبته التى تصرف عن المعاصى والقبائح وما انا
عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها
على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد
اباؤنا او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه
اذا راوه يصلى تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تأمرك السخرية والهزء والصلوة
وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية فى قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وان يقال ان الصلوة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا
الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلوته وارادوا ان هذا الذى
تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعى عقل
ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلوتك
التى تداوم عليها فى ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين و
الموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك بتكليف ان نترك ما يعبد
آباؤنا فحذف المضاف الذى هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك
بالتوحيد وقرأ ابن ابى عبلة او ان تفعل فى اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان
يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان
ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد
نسبته الى غاية السفه والغى فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذى لا يبض حجره فيقال
له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد فى قومك يعنون ان ما
تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه
اى من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا
من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارأيتم وما له لم يثبت كما اثبت فى قصة نوح
ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته فى القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام
ينادى عليه والمعنى اخبرونى ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربى وكنت نبيا على الحقيقة
ايصح لى ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصى والانبياء لا يبعثون الا لذلك
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه يقال خالفنى فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه
وخالفنى عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه
فيقول خالفنى الى الماء يريد انه قد ذهب اليه وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه يعنى ان اسبقكم الى شهواتكم التى نهيتكم عنها لاستبد بها
دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتى ونصيحتى وامرى بالمعروف

ونهيى عن المنكر ما استطعت ظرف اى مدة استطاعتى للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا
آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير
حذف المضاف على قولك الا الاصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية
اعداءه اى ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقى الا بالله
عليه توكلت واليه انيب وما كونى موفقا لاصابة الحق فيما آتى واذر ووقوعه موافقا
لرضى الله تعالى الا بمعونته وتأييده والمعنى انه استوفق ربه فى امضاء الامر على سننه
وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفى ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح
جرم مثل كسب فى تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا
وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى ان
يصيبكم اى لا يكسبنكم شقاقى اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا
اذا جعلته جارما له اى كاسبا وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما نقل اكسبه
المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته
ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان فى المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة
افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء
من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا وقرأ ابو حيوة ورويت عن نافع
مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت
وما قوم لوط منكم ببعيد يعنى انهم اهلكوا فى عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم
او لا يبعدون منكم فى الكفر والمساوى وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على
ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد
او وما هم بشئ بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى فى بعيد وقريب وقليل وكثير
بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم
ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال قالوا يا شعيب ما نفقه ما نهم
كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله و
جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه
قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادرى
ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه و
هو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك
لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن
الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمى المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا
وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا اعمى لم يكن كلاما
لان الاعمى اعمى فيهم وفى غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من

الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك لرجمناك احتراما لهم واعتدادا بهم
لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما
انت علينا بعزيز اى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما
يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل
ايلاء ضميره حرف النفى على ان الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز
بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله ولو قيل
وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم
الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطى اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبى
الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى
قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه
كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب ونظيره قولهم فى النسبة الى الامس امسى ان ربى بما تعملون محيط قد احاط
باعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب لا يخلو المكانة ان تكون بمعنى المكان يقال مكان
ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قادرين
على جهتكم التى انتم عليها من الشرك والشنآن لى او اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها
انى عامل على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى من يأتيه يجوز ان يكون
استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب
يخزيه واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقى الذى
يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب فان قلت اى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى
سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفى
تقديرى بالاستيناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن
على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن
فى البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من
ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانظروا العاقبة وما اقول لكم انى معكم رقيب
اى منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او
بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع ٥
ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا فى ديارهم جاثمين فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم
اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه و
من هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبى المبعوث
اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعنى
فى زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال الساقتين قصة عاد وقصة مدين جاءتا

بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك
قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجئ بالفاء الذى هو للتسبيب كما تقول وعدته
فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين
فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم
لمكانه لا يريم كاللابد يعنى ان جبرئيل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث
هو فجئة كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فى ديارهم احياء متصرفين مترددين الا بعدا
لمدين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود
وقرأ السلمى بعدت بضم العين والمعنى فى البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا
التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر
فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمى جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما
يقال ذهب فلان ومضى فى معنى الموت وقيل معناه الا بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت
ثمود منها ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الايات
فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها
الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه
على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى
الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذى لا يأتى الا من شيطان
مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته
والامر الرشيد الذى فيه رشد اى وما فى امره رشد انما هو غى صريح وضلال ظاهر مكشوف
وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الايات
والسلطان المبين فى امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن
اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط يقدم قومه يوم القيمة اى كما كان قدوة لهم
فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون
برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا
اى كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل
الغى فى كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال
قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين
فاوردهم النار فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جئ بلفظ الماضى قلت
لان الماضى يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة
وبئس الورد المورود والورد المورود الذى وردوه شبه بالفارط الذى
يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذى يردونه النار
لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا فى هذه فى
هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الاخرة بئس الرفد
المرفود رفدهم اى بئس العون المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد

له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من أنباء
القرى نقصه عليك خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص
عليك منها الضمير للقرى قائم وحصيد أي بعضها باق وبعضها عاف الأثر كالزرع
القائم على ساقه والذي حصد فإن قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا
محل لها وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما به أهلكوا
فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك فما قدرت
أن ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما أغنت
أمر ربك عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره
أوقعه في الخسران وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى محل الكاف الرفع تقديره ومثل
ذلك الأخذ أخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ إذ أخذ
القرى وهي ظالمة حال من القرى إن أخذه أليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا
تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم
غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة
ولا يغتر بالإمهال إن في ذلك إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم
لآية لمن خاف عذاب الآخرة لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو
إلا أنموذج مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود
فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه إن في ذلك لعبرة
لمن يخشى ذلك إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس
والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس
فإن قلت لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على
ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف
بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره
قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل
وإن شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى
يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب وذلك يوم مشهود مشهود فيه
فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا أي يشهد فيه
الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان
مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فإن قلت ما منعك
أن تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم
الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فإذ
جعلته مشهودا في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى
يحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع لكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون
مشهودا في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد

منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد
منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم
فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه
المسافر وما نؤخره إلا لأجل معدود الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون
انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون حل الأجل فإذا جاء أجلهم يراد آخر مدة التأجيل
والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره إلا لأجل معدود إلا لانتهاء
مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء يوم يأتي وقرئ يوم يأت بغير ياء
ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير
في لغة هذيل فإن قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون إلا
أن يأتيهم الله أو يأتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله
بإذنه ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله أن تأتيهم الساعة فإن قلت بم انتصب
الظرف قلت إما أن ينتصب بلا تكلم وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف في قوله
إلا لأجل معدود أي ينتهي الأجل يوم يأتي فإن قلت فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم
فقد جعلت اليوم وقتا لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد إتيان هوله وشدائده
لا تكلم نفس إلا بإذنه لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن فإن قلت
كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون
عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي
بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم فمنهم الضمير لأهل الموقف ولم
يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله
مجموع له الناس شقي وسعيد والشقي الذي وجبت له النار لإساءته والسعيد الذي وجبت
له الجنة لإحسانه فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق قرأة العامة بفتح
الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير إخراج النفس والشهيق رده قال
الشماخ بعيد مدى التطريب أول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج خالدين فيها ما دامت
السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ما دامت السموات
فيه وجهان أحدهما أن يراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد والدليل على
أن لها سموات وأرضا قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله وأورثنا الأرض
نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها
الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثاني أن يكون عبارة عن التأبيد ونفي
الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات
التأبيد فإن قلت فما معنى الاستثناء في قوله إلا ما شاء ربك وقد ثبت خلود أهل
الجنة والنار في الأبد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن

الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير
وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه
لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو
رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب
الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو وهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ
ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي
اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك
عنه اهل المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء
الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم
بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها
ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث
فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا
الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا الحديث عن ابن
ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق
ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية
كقوله لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم
من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه
القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد
اباؤهم من قبل يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد
بلغك ما نزل بابائهم فسينزلن بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في
مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من
الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم
انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان
يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا
وناقصا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن
ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى
او قومك وهذا من جملة التسلية ايضا وانهم لفي شك منه مريب وان كلا التنوين عوض
عن المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما
يعملون خبير ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى
وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا

بالتخفيف

بالتخفيف على اعمال ان المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي
وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل
الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله
اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد
الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي
امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم
وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت
وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما
تعملون بصير عالم فيجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه
الاية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع
فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم لقد رأيت رسول الله صلعم في النوم فقلت
له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء
وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق فاستقم كما امرت
قال افتقر الى الله بصحة العزم ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قرئ ولا تركنوا
بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم
في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ
فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا
اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم
وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى
زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير
وقوله الى الذين ظلموا اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق
صلى خلف الامام فقرأ بهذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى
من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا
تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا
بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا
كبيرا ولقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك
اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان
ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي
بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى
باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون
الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما
خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون

ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف
يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله
سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء
والسلام وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعى
ما من شئ ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة
احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك
فى برية هل تسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون
الله من اولياء حال من قوله فتمسكم اى فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه و
ما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره
ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب فى حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم
فان قلت ما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة
مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له واقم الصلوة طرفى النهار غدوة وعشية
وزلفا من الليل وساعات من الليل وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا
قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد
الزوال عشى وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما
مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره
تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرئ
وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى والزلف جمع زلفة كظلم فى ظلمة
والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو يسر فى يسر والزلفى بمعنى الزلفة كما
كان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا
من الليل وحقها على هذا التفسير ان يعطف على الصلوة اى اقم الصلوة طرفى النهار واقم
زلفا من الليل على معنى واقم صلوات يتقرب بها الى الله عز وجل فى بعض الليل ان الحسنات
يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغاير بالطاعات وفى الحديث
ان الصلوة الى الصلوات كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكباير والثانى ان الحسنات
يذهبن السيئات بان تكون لطفا فى تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر و
قيل نزلت فى ابى اليسر عمرو بن غزية الانصارى كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته
فقال لها ان فى البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت
له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر
امر ربى فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروى انه
اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال
بل للناس عامة وروى ان رسول الله صلعم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين

ان

ان الحسنات يذهبن ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة
للمتعظين واصبر ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور
لفضل خصوصية ومزية على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به
واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شئ منه
الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوة
والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان
من القرون من قبلكم فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا فى القرآن معناه هلا الا التى فى
الصافات وما صحت هذه الحكاية ففى غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه ولولا رجال
مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولوا بقية اولو فضل وخير وسمى الفضل
والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا فى الجودة والفضل
يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تأتينى بقيتكم
ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية
بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه
وقرئ اولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة
وخشية من انتقام الله تعالى كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم ينهون عن الفساد
فى الارض الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا منهم من القرون نهوا
عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى ومن فى ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان
النجاة انما هى للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت
ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولى
البقية على النهى عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا
الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت فى تحضيضهم
على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا
كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح
ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركى النهى عن المنكر
اى لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعقدوا
هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب
اسباب العيش الهنى ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو فى
رواية الجعفى واتبع الذين ظلموا يعنى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى
فى القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوى لتقدم الانجاء كانه قيل
الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا
قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا

ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا اجزاء الاتراف فاتوا والحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا اجزاهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على ترفوا اى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم الشكر او على اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفى وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال فى الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعنى لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اى ملة واحدة وهى ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفى الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذى هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعنى ولذلك من التمكين والاختيار الذى كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهى قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ نقص عليك ومن انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعنى على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك فى هذه الحق اى فى هذه السورة او فى هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التى انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجرى فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء اى انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء انشاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اى تلك الايات التى انزلت اليك فى هذه السورة الظاهر امرها فى اعجاز العرب وتبكيتهم او التى تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التى لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روى ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه انزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا تلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته نحن نقص عليك احسن القصص القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر فى معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد وان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن اى بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قال نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص فى كتب الاولين فى كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه فى كتاب منها مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التى ليست فى غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص فى بابه كما يقال فى الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد فى فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو اى يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وان كنت من قبله لمن الغافلين ان مخففة من الثقيلة واللام هى التى تفرق بينها وبين النافية والضمير فى قبله راجع الى قوله بما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اى من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف لابيه منصوب باضمار اذكر وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبرانى وقيل عربى وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربى لانه على وزن المضارع المبنى للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربى لانه فى لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم بن

الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت انى رايت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه
التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء
فى الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة
ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث من
ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان فى ان كل واحد منهما زيادة مضمومة
الى الاسم فى آخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هى الكسرة التى كانت قبل الياء
فى قولك يا ابى قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان تكون ما قبلها مفتوحا
فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التى اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة
قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها فى الاعراب وانما
جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح
نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع
بين العوض والمعوض منه لانها فى حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتى فلا يجوز
يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة
غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض عنه الا اذا جمع بين الياء والتاء لا غير
الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين
التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت
فقد دلت الكسرة فى يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل
ذلك فى يا ابت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع
الياء اذا قلت يا ابى فان قلت فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها قلت اما من
فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى يا
غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها فى قولك يا ابى واما من ضم فقد
رأى اسما فى آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابت كما تقول
يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا عن ياء الاضافة وقرئ انى رايت بتحريك الياء واحد عشر
بسكون العين تخفيفا لتوالى المتحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا
اثنا عشر لئلا يلتقى ساكنان ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام
لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف فى حال اليقظة لكانت آية عظيمة
ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت
روى جابر ان يهوديا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرنى عن النجوم التى
راهن يوسف فسكت رسول الله صلعم فنزل جبريل واخبره بذلك فقال النبى صلى الله عليه
وسلم لليهودى ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس و
عمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس
والقمر نزلن من السماء فسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر

ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين
ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة الى الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب
عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى
وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها
عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل
ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص
بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن
الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اى رايت الكواكب مع الشمس
والقمر فان قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار وانما هو كلام مستانف على
تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب قال له عند قوله انى رايت احد عشر كوكبا كيف
رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لى ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى العقلاء
فى رايتهم ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها
حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شايع فى كلامهم ان يلابس الشئ الشئ من بعض الوجوه فيعطى
حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك
عرف يعقوب دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم
عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا
انها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفى التانيث كما قيل القربة و
القربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائى رياك وريّاك بالادغام وضم الراء
وكسرها وهى ضعيفة لان الواو فى تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام فى قولهم
اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا لك كيدا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها
عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدونى قلت ضمن معنى فعل يتعدى
باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ فى التخويف وذلك
نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة
لما فعل بآدم وحواء وبقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شئ
ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك
ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل
ابرهيم واسحق يعنى وكما اجتباك بمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان
كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدا غير داخل فى حكم التشبيه كانه قيل وهو
يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك
وجبيت الماء فى الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان
وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز
ان يراد بتاويل الاحاديث معانى كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من
اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه

يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فبای حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثه ومعنى تمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة بان جعلهم انبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى فى الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى ال يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وال يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل ال اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال ال النبى وال الملك ولا يقال ال الحايك ولا ال الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما فى حكم الاب فى الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان بينه وبين فلان عدة وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها لقد كان فى يوسف واخوته ايات للسائلين لمن سأل قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفى بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبى صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغى اخوته عليه لما رأى من بغى قومه عليه ليتأسى به وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر ودينه وذان ونفتالى وجاد وآشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الاخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه وهو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب فى الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو فى ونحن عصبة واو الحال يعنى انه يفضلهما فى المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفى ضلال مبين اى فى ذهاب عن طريق الصواب فى ذلك والعصابة والعصبة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال ابن سبرة عن على رضى الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانبارى هذا كما تقول العرب انما العامرى عمته اى يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الا

شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين او اطرحوه ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل اقباله واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشئ اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا من بعده من بعد يوسف اى من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه فى غيابت الجب قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا و هو الذى قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم القوه فى غيابت الجب وهى غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل اذا انا يوما غيبتنى غيابتى فسيروا بسيرى فى العشيرة والاهل اراد غيابة حفرته التى يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدرى غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير يلتقطه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأى قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ما لك لا تأمنا قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا فى بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته فى حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يأمنهم عليه ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون نرتع نتسع فى اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء **فان قلت** كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب **قلت** كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورته قال انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون ليحزننى اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببى المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثانى خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى فى النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة

شمعون

وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب بالهمز على الأصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جهة قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة القسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله إنا إذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب أنهم إذا لقوم خاسرون أي هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار وأن يقال خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها فإن قلت قد اعتذر إليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرين فأعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب أن يجعلوه مفعول أجمعوا من قولك أجمع الأمر وأزمعه فأجمعوا أمركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بأرض الأردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابوا فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحق وإسحق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فأخرجه وألبسه إياه وأوحينا إليه قيل أوحي إليه في الصغر كما أوحي إلى يحيى وعيسى وقيل كان إذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بأمرهم هذا وإنما أوحي إليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول إليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والأشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابت الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله وأوحينا على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة

وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لا غير وجاءوا أباهم عشاء يبكون وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا وأصيلا وأصيلانا ورواه ابن جني عشا بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت فقال له الشعبي يا أبا أمية أما تراها تبكي قال قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية وروي أنه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق أي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو أو في الرمي وجاء في التفسير ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على قميصه بدم كذب ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وأنتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة أي كدر وقيل طري وقال ابن جني أصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث كأنه دم قد أثر في قميصه روي أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروي أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فإن قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال فإن قلت هل يجوز أن يكون حالا متقدمة قلت لا لأن حال المجرور لا يتقدم عليه قال بل سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في أعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وسلامة القميص أو أوحي إليه بأنهم قصدوه فصبر جميل خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفي قراءة أبي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث أنه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه إلى الخلق ألا ترى إلى قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقيل لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله إليه يا يعقوب أتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان على ما تصفون أي أستعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب فأخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة

بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقي فيه يوسف
فارسلوا واردهم فادلى دلوه فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء
والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم قال يا بشرى نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا من
آونتك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء مكان
الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات
يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من
التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق
يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به
فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه بضاعة الضمير للوارد واصحابه اخفوه
من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه
لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق
فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة
والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم
او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم
من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص القيمة نقصا ظاهرا او زيف
ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون
الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة
يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا
فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء
متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول
مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه
من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم
يقولون استوثقوا منه لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم
على الموصول الا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كأنه قيل في اي شيء
زهدوا فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي
كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات
في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز
وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد و
هو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن
مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه
العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا
في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ لامرأته اكرمي

مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي
والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة
في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امرأة يراد هل تطيب
نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه
عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر
به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد
وكان قطفير عقيما لا يولد له قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلاثة
العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي اتت
موسى وقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي
انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك مكنا ليوسف في الارض الاشارة الى
ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء
والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه
ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان ذلك التمكين والانجاء
لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا
يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد اراد
اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر
كله بيد الله ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون
وثلاث وثلاثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب
ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا
في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن
عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت
ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه
منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقالت
هيت لك وقرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت
كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيت لك
واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كأنه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك
قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشأن والحديث ربي سيدي ومالكي يريد
قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة
واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم
ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت به هم بالامر اذا
قصده وعزم عليه قال همت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله
ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله

هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي إذا همّ بأمر أمضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد
همّت به معناه ولقد همّت بمخالطته وهمّ بها وهمّ بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه
جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لأن قوله وهمّ بها يدلّ
عليه كقولك هممت بقتله لولا أني خفت الله معناه لولا أني خفت الله لقتلته فإن قلت
كيف جاز على نبي الله أن يكون منه همّ بالمعصية وقصد إليها قلت المراد أن نفسه مالت
إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهمّ به والقصد إليه وكما
تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويردّه بالنظر
في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد
المسمّى همّا لشدّته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لأن استعظام الصبر على
الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدّته ولو كان همّه كهمّها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه
من عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله وهمّ بها وشارف أن يهمّ بها كما يقول الرجل قتلته
لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه فإن قلت قوله وهمّ بها داخل
تحت حكم القسم في قوله ولقد همّت به أم هو خارج عنه قلت الأمران جائزان ومن حق القارئ
إذا قدّر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على قوله ولقد همّت به ويبتدئ
قوله وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضا إشعار بالفرق بين الهمّين فإن قلت
لم جعلت جواب لولا محذوفا يدلّ عليه همّ بها وهلّا جعلته هو الجواب مقدّما قلت لأنّ
لولا لا يتقدّم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيّزه
من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها إذا دلّ الدليل
عليه فجائز فإن قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهمّ بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله
ولقد همّت به وهمّ بها لأن الهمّ لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني ولا بدّ من تقدير المخالطة
والمخالطة لا تكون إلا بين اثنين معا فكأنه قيل ولقد همّا بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما
قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمّين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همّت
به وهمّ بها فكان إغفاله إلغاء له فوجب أن يكون التقدير ولقد همّت بمخالطته وهمّ بمخالطتها
على أن المخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله إلى ما هو حظه
من قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل إلى حظه من الشهوة فلذلك كانت
لولا حقيقة بأن تعلّق بهمّ بها وحده وقد فسّر همّ يوسف بأنه حلّ الهميان وجلس منها مجلس
المجامع وبأنه حلّ تكّة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها وفسّر البرهان
بأنه سمع صوتا إياك وإياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا أعرض عنها
فلم ينجع فيه حتى مثّل له يعقوب عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته
من أنامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولدا من
أجل ما نقص من شهوته حين همّ وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد
لا ريش له وقيل بدت كفّ فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين
كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم

ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فقال الله لجبريل أدرك عبدي
قبل أن يصيب الخطيئة فانحطّ جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب
في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته
وقالت أستحيي أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي من السميع
البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت
الله وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بسبيل ولو وجدت من
يوسف عليه السلام أدنى زلّة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم
صلوات الله وسلامه عليه زلّته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت
توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثني عليه وسمّي مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام
الدحض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح
حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه
ومصداق لها ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان
صدق في الآخرين كما جعله لجدّه الخليل إبراهيم وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة
وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون
إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء
الله في القعود بين شعب الزانية وفي حلّ تكّته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربّه ثلاث كرّات ويصاح
به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه
بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي
ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أنّ أوقح الزناة وأشطرهم وأحدّهم حدقة
وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك
فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه كذلك الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك
التثبيت ثبّتناه أو مرفوع أي الأمر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء
من الزنى إنه من عبادنا المخلصين الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله
لطاعته بأن عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة
ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ
منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال الله فيهم إنا أخلصناهم بخالصة واستبقا الباب
وتسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين
استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج
فإن قلت كيف وحّد الباب وقد جمعه في قوله وغلّقت الأبواب قلت أراد الباب البراني
الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر
ويسقط حتى خرج من الأبواب وقدّت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقدّ أي انشقّ
حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه وألفيا سيدها لدى الباب وصادفا بعلها وهو
قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل إنما لم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصحّ فلم يكن

سيداً له على الحقيقة قيل الفياه مقبلاً يريد ان يدخل وقيل جالساً مع ابن عم للمرأة قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءاً الا ان يسجن او عذاب اليم لما اطلع منها زوجها على تلك
الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما
تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعاً في ان يواتيها خيفة
منها ومن مكرها وكرهاً لما ايست من مواتاته طوعاً الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره
ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان يكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه
الا السجن كما يقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد
بها سوءاً قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءاً فحقه ان يسجن او يعذب لان
ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط قال هي راودتني
عن نفسي ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني
عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت و
هو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين قيل كان ابن عم لها
وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف
وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالساً مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيماً يرجع اليه الملك
ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله
ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبياً في المهد وعن النبي صلى الله
عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى
فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان
ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها
بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال
ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته
واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها وهي
دافعته قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه
من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ
من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه
من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح
كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئتا بسكون العين فان قلت
كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه
قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان
تمتن علي امتن عليك فلما رأى قميصه قد من دبر فلما رأى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه
وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءاً او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف
من كيدكن ان كيدكن عظيم الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في
الرجال الا ان النساء الطف كيداً وانفذ حيلة ولهن في ذلك رفق وبذلك يغلبن الرجال

ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن
من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى
يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف
النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا
واستغفري اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك كنت من
الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمداً وانما قال من الخاطئين
بلفظ التذكير تغليباً للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلاً حليماً وروي انه كان قليل الغيرة
وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمساً امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب
الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي
كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في
مصر امرأة العزيز يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب تراود فتاها غلامها يقال فتاي
وفتاتي اي غلامي وجاريتي عن نفسه قد شغفها حباً خرق قلبه شغافها حتى وصل الى
الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم
دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا
هنأه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي وحباً نصب على التمييز انا لنراها
في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن
وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكراً لانه في خفية وحال
غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن واعتدت
لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت
بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته
ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت
يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن
فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر
توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث
كعادة المترفين ولذلك نهي ان يأكل الرجل متكئاً وآتتهن السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن و
قيل متكأ طعاماً من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم
عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من
قلله وعن مجاهد متكأ طعاماً يحز حزاً كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على
المقطوع بالسكين وقرئ متكاً بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع
فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكاً وهو الاترج
وانشد فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت اهدت اترجة على
ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين
على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجاً وموزاً وبطيخاً وقيل اعتدت لهن ما يقطع من

متكأ الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ
وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق
قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي
صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا
فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا
سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل
ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث
الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا
حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكأن ابا
الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في
الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد
جرحتها وقلن حاش لله حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم
حاشا زيد قال حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر
فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن
مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك
كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر
قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الآخرة وقراءة الاعمش
حش لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في
الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله **فان قلت**
فلم جاز في حاش لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله **قلت** مراعاة لاصله الذي هو
الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله
غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب
من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته
على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم نفين عنه البشرية لغرابة جماله
ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك
لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان
ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز فيها ذلك الا لان الحقيقة كذلك كما ركز
في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة
الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم
للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة الحجازية وبها ورد
القرآن ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي
قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول
هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرى والقراءة هي

الاولى

الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولم تقل
فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربئا بحاله و
استبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول
هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق
صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه
في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي
واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء
انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان ولئن لم
يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين **فان قلت** الضمير في آمره راجع الى الموصول
ام الى يوسف **قلت** بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله امرتك
الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي
موجب امري ومقتضاه وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف
الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة قال رب السجن احب الي مما يدعونني
اليه وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا
لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار
فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية **فان قلت**
نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب
اليه من اللذة **قلت** كانت احب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله
وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف
عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه
ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب
اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها
وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون
لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح
فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله
والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف انه هو السميع لدعوات الملتجئين
اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو
ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما
رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه
في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك
ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست
من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها ليسجننه وفي قراءة الحسن لتسجننه

بالثناء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم
حتى حين الى زمان كأنها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن
مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال
من أقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش
فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام ودخل معه السجن فتيان
مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب
ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما
يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف قال احدهما اني اراني يعني في
المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر
بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الآخر اني اراني احمل فوق
رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نريك من المحسنين من الذين يحسنون عبارة
الرؤيا اي يجيدونها رآهما يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او
من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن
الينا بان تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان كانت لك يد في تأويل الرؤيا روي انه كان
اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في
السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا ان لهذا لاجرا
فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى
قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن
لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين
قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط
الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء
ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما
تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاث عناقيد من عنب
فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني فوق رأسي ثلاث سلال فيها
انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتأويله
قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نبئنا بتأويل ذلك
قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما لما استعبراه ووصفاه بالاحسان
افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما
بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته
كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان
ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة
اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما
هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته

في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من
باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب
عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التأويل اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات مما علمني
ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدأ
وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة
الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن
كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم
قوم مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه
من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما
مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك ما
لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما
انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله
ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني
او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا
وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن
اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك
من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك
الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا
لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما
الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن
مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك
يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق
وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب
الجنة أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول
أأن تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب
واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة
الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر
الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم
تعبدونها فكأنكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم
بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة
ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا
اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون

يا صاحبي السجن اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير
من رأسه فيسقي ربه سيده وقرأ عكرمة فيُسقى ربه اي فيسقى ما يروى به على البناء للمفعول
روي انه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان
الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت
من السلال ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر الذي فيه تستفتيان قطع وتم ما تستفتيان
فيه من امركما وشأنكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه
التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله ظنا ان ما رأياه
في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة ام هلاك
فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة
الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن
صدقتما ام كذبتما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان هو يوسف عليه السلام ان كان
تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى
اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني
من هذه الورطة فأنساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى
يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث
الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على
الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب و
يزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية
او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى الله اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر
الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه
فجاز اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر
اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف عليه السلام
الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال
حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد
في عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان
يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي
بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار
في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته
فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا
ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار
ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا
قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان

يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر
الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات
عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات
قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في
قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت
هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع
بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت ان تميز السبع بنوع من البقرات
وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات
لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على
الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده
فان قلت فهم يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب
ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك
لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله
لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت
ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع
عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف
جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم
حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل على ان السنبلات
اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات
السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الآخر السبع ويكون قوله واخر
يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات
خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي
ان يدخل في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الآخر يقتضي ان يكون غير السبع
بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال
موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال
قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون
كأنه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله
وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن
في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو
عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان
لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر او حال وان يضمن تعبرون
معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت
الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه

وهو عبره وبخوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو
الذى عتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبّرت بالتشديد والتعبير والمعبّر وقد عثرت على بيت
انشده المبرد فى كتاب الكامل لبعض الاعراب، رأيت رؤيا ثم عبرتها، وكنت للاحلام عبّارا،
قالوا اضغاث احلام اضغاث الاحلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة
شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك
والاضافة بمعنى من اى اضغاث من احلام والمعنى هى اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم
واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت كما هو تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز
لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا فى الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا فى
وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا
رؤيا غيرها وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة
خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما
ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا فى تأويل الاحلام بنحارير وقال الذى نجا منهما وادّكر
قرئ وادّكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذّكر بالذال اى تذكّر الذى نجا من الفتيين من القتل
يوسف وما شاهد منه بعد امّة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك فى رؤياه و
اعضل على الملاء تأويلها تذكّر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه
ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلى بعد إمّة بكسر الهمزة والامّة النعمة قال عدى، ثم
بعد الفلاح والملك والامّة، وارتهم هناك القبور، اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه
بعد نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسى ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتأويله
انا اخبركم به عمن عنده علمه وفى قراءة الحسن انا آتيكم بتأويله فارسلون فابعثونى اليه
لاسأله ومرونى باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن فى المدينة يوسف المعنى فارسلوه
الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصدّيق افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر واخر يابسات ايها البليغ فى الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله
وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اوّل ولذلك كلمه كلام محترز
فقال لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا
من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك
ويخلصوك من محنتك قال تزرعون سبع سنين تزرعون خبر فى معنى الامر كقوله تؤمنون
بالله واليوم الاخر وتجاهدون وانما يخرج الامر فى صورة الخبر للمبالغة فى ايجاب ايجاد المأمور
به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله دأبا
بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المأمورين اى ذائبين اما على
تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوى دأب فما حصدتم فذروه فى سنبله
لئلا يتسوّس الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن
ويأكلن من الاسناد المجازى جعل اكل اهلهن مسندا اليهن الا قليلا مما تحصنون
تحرزون وتخبأون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او من الغيث

يقال

يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا وفيه يعصرون
بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وفيه يحلبون الضروع وقرئ يعصرون
على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبنى للفاعل
بمعنى ينجون كانه قيل يغاث الناس وفيه يغيثون اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل
يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت
فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تأول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم
بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجئ مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك
من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا
انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحى
قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل
لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحى وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى
ربك فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن انما تأنى وتثبت فى اجابة الملك وقدم
سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى
تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين
الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد
فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها قال عليه الصلوة والسلام من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين
به فى معتكفه وعنده بعض نسائه هى فلانة اتقاء للتهمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقد
عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو
كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجونى ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع
الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت
العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن
شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال
ليجد فى التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه
الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت
به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربى ان الله تعالى
بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن
كدنه وانه برئ مما قرف به او اراد الوعيد لهن اى هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه قال ما
خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله
تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شئ من الريبة ومن نزاهته عنها ما علمنا عليه من
سوء قالت امرأت العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
اى ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته

للاناخة قال فحصحص فى صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد فى شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشئ مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقى لنا مقال ولا بد لنا ان ندق فى فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب من كلام يوسف اى ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز انى لم اخنه بظهر الغيب فى حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفى عن عينه او وهو غائب عنى خفى عن عينى ويجوز ان يكون ظرفا اى بمكان الغيب وهو الخفاء و الاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وان الله وليعلم ان الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته فى خيانتها امانة زوجها وبه فى خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون تأكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها فى الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسى من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اى ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم الا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم فى معنى الزمان الاوقت رحمة ربى يعنى انها امارة بالسوء فى كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله انى لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز اى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف انى لم اخنه ولم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصحيح و الصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسى مع ذلك من الخيانة فانى قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربى غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال انى لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى يقال استخلصه واستخصه

اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شئ روى ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسئلك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم ودعا بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق انى احب ان اسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام فى الاهراء فيأتيك الخلق من النواحى ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال اجعلنى على خزائن الارض ولنى خزائن ارضك انى حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روى مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبى صلى الله عليه وسلم او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه فى كل ما رأى فكان فى حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف فى الارض فى ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا فى اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء اى كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بردائه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم

بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله
ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى
قال الرأي رأيك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت
عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب
ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين
نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة
ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان نأجرهم في الدنيا ولاجر الآخرة خير للذين
آمنوا وكانوا يتقون ولاجر الآخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته
في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته
اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه و
اهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا
في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان
الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل
رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه
تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما رأوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما عرفوه
الا حيث تفطنوا بالحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم
اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم
حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج
اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين لا بد من مقدمة سبقت له
معهم حتى اجتر القول هذه المسألة روي انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني
من انتم وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا
نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب
واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك
منا واحد قال فكم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى
به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد
لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم
وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان
احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتوني به
فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما
عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى
النهي قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا

لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه
ولا نتوانى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم وقرئ لفتيته وهما جمع فتى كاخوة و
اخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم
يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم
لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم
وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه
واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها
وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل
فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما
نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال
فان امتناعه بسببه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل يريد انكم قلتم في يوسف
وانا له لحافظون كما تقولون في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله
خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره
فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الاعمش فالله خير حافظ وقرأ ابو هريرة خير
الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا
متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة
نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكي قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد
قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ما نبغي للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد
فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا و
اكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبتغي شيئا وراء ما فعل بنا
من الاحسان او على الاستفهام يعني اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي
بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا
وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة
لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها
ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد كيل بعير
باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي
نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد
للرجل على حمل بعير للتقسيط فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب
والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم
وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا
نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان نمير
اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا

اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا
ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رأيهم
وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا
يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويكون ذلك اشارة الى
كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او هو سهل عليه
متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر
لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم قال لن ارسله معكم منافي لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت ارساله
معكم حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله
وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في
ذلك فهو اذن منه لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به الا ان يحاط بكم
الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا **فان قلت** اخبرني عن حقيقة هذا
الاستثناء ففيه اشكال **قلت** ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله
لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون
منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول
له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من
الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا
الفعل فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وانما نهاهم ان يدخلوا من باب
واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة
الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم
بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام
لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة
واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم
بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس **فان قلت** وهل
للاصابة بالعين وجه تصح عليه **قلت** يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء
والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده
ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ
الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة
وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت
به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل
المتوكلون ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم من الله
من شيء ما كان يغني عنهم رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم

مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع
في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة
في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله ووصاهم به وانه لذو علم
لما علمناه يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك اوى اليه اخاه ضم اليه
بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون
ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين
وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه
معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني
له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة
بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك
الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه و
عانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما
مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس رضي الله عنه
تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى
منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال لقد علمت اغتمام
والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما يجمل قال
لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته
ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في
رحل اخيه السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا
يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك
وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة
بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ايتها العير
انكم لسارقون ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة
ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا
ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي
قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف
فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود
وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل
اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون
من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها
والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل

اوديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله لقد علمتم ما
جئنا لنفسد في الارض تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم
فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم
للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من
اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا
نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء
سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في
رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم
السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير
للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم
عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون
جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل
جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد
فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم
تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف
اي المسئول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي
في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل
من النعم فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه قيل قال لهم
من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل
وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله
لا تتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن
وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير إعاء اخيه بقلب الواو همزة
فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتأنيث على
السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده
صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك
كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان
يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما
كان يأخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة
يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع
درجة منه في علمه او وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا
فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما
هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما

جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان
قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول
من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب
لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم
كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد
حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه الصلوة
والسلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابرهيم هي اختي لتسلم
من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد
علم الله في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت
حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
ارادوا يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء
واقبلوا عليه وقالوا له ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا
منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم
باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما
اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه في
الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل
كان في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابرهيم عليه السلام منطقة
يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف
وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت
الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها
فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها
حتى ماتت فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا فاسرها اضمار
على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة
على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى
قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود
فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعناه انتم شر منزلة في السرق
لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعني انه لم يصح
لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا
استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين
احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس
باخيه فخذ احدنا مكانه فخذ بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين
الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها قال معاذ الله
ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون هو كلام موجه ظاهره انه وجب

على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما
في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين و
احتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا
على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر
الى المفعول به وحذف من واذن جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا فلما
استيأسوا منه يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة نحو ما مر في استعصم خلصوا نجيا
والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تع
وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي
كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق
لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا
وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا
لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه
بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على
اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب
فاحتاجوا الى التشاور قال كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم
في العقل والرأي وهو يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم
في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد
ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل
ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم
كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة
بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع
او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الانصراف
اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب
من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق وقرئ سرّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا
بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما
كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به
كما اصبت بيوسف ومن قرأ سرّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا
للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر واسأل القرية
التي كنا فيها وهي مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها
وانا لصادقون واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم
فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته

لولا فتواكم وتعليمكم عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره انه
هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى
عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به وقال يا اسفا على يوسف اضاف الاسف وهو اشد
الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف
مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون
عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبإ بنبإ وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب
حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا فان قلت كيف تأسف على يوسف دون
اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي
اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان
غضا عنده طريا ولم تنسخه المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة
مصيباته التي ترتبت عليه الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت
عيناه من الحزن اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر
قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان
سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من
وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبرئيل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال
وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة
قط فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان
مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه
حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم و
قال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون
وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه و
تمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على بعض ولد بناته وهو يجود بنفسه
فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن
صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد
او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء
من الغيظ على اولاده ولم يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من
كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه قالوا
تالله تفتؤ تذكر يوسف اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان
اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا
تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل كذا
قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حتى تكون حرضا او تكون

من الهالكين حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث لأنه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة
بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب قال إنما أشكو بثي
وحزني إلى الله والبث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره
ومنه باثه أمره وأبثه إياه ومعنى إنما أشكو بثي لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما
أشكو إلى ربي داعيا له وملتجئا إليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم أي فتولى عنهم
إلى الله والشكاية إليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت
وما بلغت من السن ما بلغ أبوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى
الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى الخلق قال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفر لي فغفر له وكان
بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وروي أنه أوحي إلى يعقوب إنما وجدت
عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقي إلي الأنبياء ثم
المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها
فبكت حتى عميت وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به
أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب وقيل أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت
روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرأ الحسن حزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم
كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة فلما أحس عيسى منهم الكفر ومن
الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الإنسان الحواس والجواس ولا تيأسوا من روح الله
من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أي من رحمته التي يحيي بها العباد
إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز
مسنا وأهلنا الضر الهزال من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها
كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب
قيل كانت من متاع الأعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل
والأقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة فأوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق
علينا وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا
ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقات محظورة على الأنبياء وقيل كانت
تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا
أراد أنها كانت حلالا لهم والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم ومن ثم
رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه إن الله يجزي المتصدقين شاهد
لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن
لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي إن الله تعالى لا يتصدق إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب
قل اللهم أعطني وتفضل علي أو ارحمني قال هل علمتم أتاهم من جهة الدين وكان حليما
موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل

علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه
يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح
يجر إلى التوبة وكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا إيثارا
لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى
المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصى
عقولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم
يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذ أنتم صبيان
في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة وروي أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا
الضر وتضرعوا إليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب
من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا
أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به إلى النار ليحرق
فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه
الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني
بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن
وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وأنك حبسته
لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة
تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال
لهم ذلك وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فإن
قلت ما فعلهم بأخيه قلت تعريضهم إياه للغم والثكل بإفراده عن أخيه لأبيه
وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحدا منهم إلا كلام الذليل للعزيز وإيذاؤهم
له بأنواع الأذى قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا
قرئ أإنك على الاستفهام وإنك على الإيجاب وفي قراءة أبي أإنك أو أنت يوسف على معنى
أإنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب
لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فإن قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله
حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن
حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه
وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه
كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فإن قلت قد سألوه عن نفسه فلم
أجابهم عنها وعن أخيه على أن أخاه كان معلوما لهم قلت لأنه كان في ذكر أخيه بيان
لما سألوه عنه إنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين
والصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة
المحسنين وإن كنا لخاطئين وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق

ولم نصبر لاجرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذى هو غاشية الكرش و معناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذى ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضى والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونى فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول صلى الله عليه وسلم فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلعم غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيى منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت فى العيون حيث علم الناس انكم اخوتى وانى من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصى هذا قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبرئيل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا تقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا يصير بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يأت الى وهو بصير وينصره قوله واتونى باهلكم اجمعين اى يأتنى ابى ويأتنى اهله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير قال ابوهم لولده ومن حوله من قومه انى لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانين لولا ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف و انكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن فى شبيبتها ذات رأى فتفند فى كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم لفى ذهابك عن الصواب قدما فى افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير القيه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد بصيرا وارتد اذا ارتجعه قال الم اقل لكم يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح

الله وقوله انى اعلم من الله ما لا تعلمون كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولكن ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروى انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم فى صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روى انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف و عشرين سنة وقيل قام الى الصلوة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروى انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغنى عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبرئيل فقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك و عقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف فى استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك فى اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بينى وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتى الف اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه تحيى وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله تعالى واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق وقال ادخلوا مصر فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم فى مضرب او بيت ثم دخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ورفع ابويه على العرش ولما دخل مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره فاجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعنى الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج فى قبة من قباب الملوك التى تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فاواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلقت المشية قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن فى دخولهم فكانه قيل اسلموا وامنوا فى دخولكم ان شاء الله ونظيره

قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا
ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله
دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال
وذي الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وان
موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه
وفي نظائره فان قلت كيف جاز ان يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة جارية
مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة
الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه
وخرورهم سجدا ياباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا
فيه نبوة وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي
اذ اخرجني من السجن يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه قال اسيئي بنا او
احسني لا ملومة وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواشي
ينتقلون اليه في المياه والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا
واغرى واصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه
ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه
الحكمة والصواب وروي ان يوسف عليه السلام اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه
فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك
فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على
ثمان مراحل قال امرني جبرئيل قال وما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبرئيل الله
امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه
اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه في الشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه
ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه
لا يدوم له وطلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه
نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب
ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له
افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من
العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث
فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين
من في من الملك ومن تأويل للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر
وبعض التأويل انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك
الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال
يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل والحقني

بالصالحين من آبائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده
فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت
بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه
وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت علام انتصب فاطر السموات
قلت على انه وصف لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء ذلك من
انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم ذلك اشارة الى ما سبق
من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله من انباء
الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته
ونوحيه الخبر ومعناه ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني
يعقوب حين اجمعوا امرهم وهم القاؤهم اخاهم في البئر لقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابت
الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة
هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر
به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه
وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرون انه لم يكن مشاهدا
لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم
يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين يريد العموم
كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين
ولو الكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر
للعالمين الا موعظة من الله تعالى للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول
من رسله وكأين من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده في السموات
والارض يمرون عليها ويشاهدونها وهم عنها معرضون وهم معرضون عنها لا يعتبرون
بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والارض بالنصب
على يطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض
والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون وما يؤمن اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا
وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس
هم الذين يشبهون الله بخلقه افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم الساعة
بغتة وهم لا يشعرون غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل
الصواعق قل هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل
والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن
اتبعني اي ادعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء وانا توكيد للمستتر في ادعوا ومن
اتبعني عطف عليه يريد ادعوا اليها انا ويدعوا اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ
وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدأ بانه ومن اتبعه على حجة

وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعوا عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه عن الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح ولم ترد ابنياء الله ذكرانا وقرئ نوحي اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة خير للذين اتقوا للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا وظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تأويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم فنجي من نشاء وقرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأه ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب الضمير في قصصهم للرسل وتنصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته **فان قلت** الام يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرأ بالكسر **قلت** الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لان القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل

وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله الذي الله مبتدأ والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد وتعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل آياته في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب وجنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان واصلهما واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه

لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شئ عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ائذا كنا ترابا الى آخر قولهم يجوز ان يكون فى محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفى خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون فى كفرهم واولئك الاغلال فى اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون واولئك الاغلال فى اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلالا واقيادا او هو من جملة الوعيد ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة ما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب لذو مغفرة للناس على ظلمهم اى مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروى انها لما نزلت قال النبى عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل منذر مخوف لهم من سوء العاقبة وناصح كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذى عنده كل شئ بمقدار يعطى كل نبى آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا فى آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان فى صدورهم ولست بقادر عليه و لكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم فى اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثانى فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باى طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم

ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لها وعلى الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما فى ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اى حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اى تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله وغيض الماء وما تزداده اى تأخذه زائدا تقول اخذت منه حقى وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة فى بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابى حنيفة والى اربع عند الشافعى والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقى فى بطن امه اربع سنين ولذلك سمى هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شئ من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما فى الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذى يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام وكل شئ عنده بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شئ خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الكبير العظيم الشأن الذى كل شئ دونه المتعال المستعلى على كل شئ بقدرته او الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار سارب ذاهب فى سربه بالفتح اى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اى طلب الخفاء فى مختبأ بالليل فى ظلمته ومن يضطرب فى الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد **فان قلت** كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفى والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب **قلت** فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثانى انه عطف على مستخف الا ان من فى معنى الاثنين كقوله فكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير فى له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات من بين يديه ومن خلفه جماعات من الملائكة تعتقب فى حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء فى القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرين ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ

كان قيل معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اى من اجل ان الله امرهم بحفظه
والدليل عليه قراءة على وابن عباس وزيد بن على وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر
الله او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسالتهم ربهم ان يمهله
رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس
والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه وتقديره من امر الله اى من قضاياه ونوازله
او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى
القافين فى التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم
من الحال الجميلة بكثرة المعاصى واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه
من وال ممن يلى امرهم ويدفع عنهم هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا
لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف
اى ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من
البرق كانه فى نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اى خائفين وطامعين
ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع فى الغيث قال ابو
الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق وقيل يخاف
المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن فى جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما
لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحييه وينشئ السحاب الثقال
السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب
ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهى الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو
الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اى يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبى صلى
الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن على رضى الله عنه سبحان
من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك
ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبى صلعم عن الرعد ما
هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن
خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات
افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ذكر علمه النافذ فى كل شئ واستواء الظاهر
والخفى عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعنى الذين كفروا و
كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكروا آياته يجادلون فى الله حيث ينكرون على رسوله صلى الله
عليه وسلم ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهى
رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلون بعض الاجسام المتوالدة
بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
وقيل الواو للحال اى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة
العامرى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين

لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة
فقتله اخبرنى عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد وهو شديد المحال المماحلة وهى
شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل
بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا
وقال الاعشى فرع نبع يهتز فى غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد
المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل
من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اى اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى
شديد الفقار ويكون مثلا فى القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان
الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا
ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه له دعوة الحق فيه
وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه
فى قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل
والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤله ان كان مصلحة له
فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى
والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدى دعاؤه والثانى ان يضاف الى الحق الذى هو الله
عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل
دعاء اليه دعوة الحق **فان قلت** ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله **قلت**
اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم
يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما
بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان دعا عليهم
فيهم والذين يدعون من دونه والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون
لهم بشئ من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه الا استجابة
كاستجابة باسط كفيه اى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه
والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه
ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر
على نفعهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه
ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ
تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين وما دعاء الكافرين الا فى ضلال الا فى ضياع لا
منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ولله
يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال اى ينقادون
لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد
له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته فى الامتداد والتقلص والفئ والزوال وقرئ

بالعذر والايصال من اضلوا اذا دخلوا فى الاصيل قل من رب السموات والارض قل الله قل
الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد
من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا
كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولى قال هذا قولك فيحكى اقراره تقريرا له
عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اى
ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه قل افاتخذتم من دونه اولياء
ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون
سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا
يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم فقد اثرتموهم
على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل
تستوى الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ام جعلوا
بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار وخلقوا صفة لشركاء يعنى انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين
قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله
عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم
اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه
الخالق قل الله خالق كل شىء لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون شريك فى الخلق فلا يكون
له شريك فى العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب و
مقهور انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون
عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل واما الزبد
فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل
وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذى ينزله
من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذى ينتفعون
به فى صوغ الحلى منه واتخاذ الاوانى والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذى فيه البأس
الشديد لكفى به وان ذلك ماكث فى الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء فى مناقعه وتبقى اثاره فى
العيون والابار والحبوب والثمار التى تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة و
شبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذى
يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت
لان المطر لا يأتى الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض
فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها الذى عرف الله انه نافع للممطور عليهم
غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا
خالصا ينتفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما
فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة فى قوله بقدرها لانه جمع
الماء والفلز فى النفع فى قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز

فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون
عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء فى ذكره
على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء فى ذكر الاجر فاوقد لى يا هامان على الطين
ومن لابتداء الغاية اى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد
رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفاه السيل اى يرمى به وجفاءت القدر
بزبدها واجفأ السيل واجفل وفى قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابى حاتم لا يقرأ بقراءة
رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اى يوقد الناس كذلك يضرب الله الامثال
للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب
اى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا له
اى هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله
لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدأ فى ذكر ما اعد لغير المستجيبين
وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى
مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره
لو مع ما فى حيزه اولئك لهم سوء الحساب ومأويهم جهنم وبئس المهاد وسوء الحساب
المناقشة فيه وعن النخعى ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شىء دخلت همزة الانكار
على الفاء فى قوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى لانكار ان تقع
شبهة بعد ما ضرب من المثل فى ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز
انما يتذكر اولوا الالباب اى الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين
يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله
اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولى الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه
على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون
الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق
بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم
والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء
السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم
والجيران والرفقاء فى السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل
ابن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا
الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة
فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اى يخشون وعيده كله ويخافون
خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا ابتغاء وجه

ربهم واقاموا الصلوة صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره وما احمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب ولئلا يشمت به الاعداء لقوله وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل وانفقوا مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها وعن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة وآباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين **فان قلت** بم تعلق قوله بما صبرتم **قلت** بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله بما قدمتم فيها اوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين آمنوا **فان قلت** كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشاء **قلت** هو كلام يجري مجرى التعجب

من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم ينزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائكم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير والذين آمنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء ليسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي لا اله الا هو قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى يتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المفاوز البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا رجلين او ثلاثة ممن مات

من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها
وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما
بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا
بل لله الامر جميعا فيه معنيان احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو القادر على الآيات
التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان
وهو القادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين
آمنوا ان لو يشاء الله يعني مشيئة القسر والالجاء لهدى الناس جميعا ومعنى فلم ييأس
افلم يعلم قيل هو لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه اياه لان
اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك
لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن
فارس زهدم ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا افلم
يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه
مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل
هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في
دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع
والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله
بآمنوا على ولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولهداهم ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية
تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم
او تحل قريبا من دارهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون وتتطاير اليهم شرارها
وتتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة
تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب
من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله
وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من
قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب الاملاء الامهال وان تترك ملاوة
من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستهزاء به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم
في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت
يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف
عليه وجعلوا لله شركاء وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي
يستحق العبادة شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم
قال ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل

من

من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات
والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء
ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول من غير ان
يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
وهذا الاحتجاج والاساليب العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه
ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه
بالتخفيف بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل قرئ
بالحركات الثلاث وقرأ ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه
انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا
وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن فلا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك
سماه عذابا ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه
او ما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار
مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه
اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد
اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف
تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها
دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس
تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم
من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابه ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون
رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة هؤلاء يفرحون بما انزل اليك
ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما
من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو
ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع **فان قلت** كيف اتصل قوله
قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله **قلت** هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت
فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به وانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده
فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع
في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز
ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا
لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مآب مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى
لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده

والدعوة اليه والى دينه ولا انذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بايات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا بسيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وساير الحيوانات والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من ايات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم اياتنا في الافاق والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها ثم ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة بعد عذاب الدنيا **فان قلت** ما محل قوله

لا معقب لحكمه **قلت** هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها هو المكر كله لانه لا يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح ابن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب **فان قلت** بم ارتفع علم الكتاب **قلت** في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقال الى صراط العزيز الحميد وقوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله وويل للكافرين الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل **فان قلت** ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل **قلت** لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة

مبتدأ خبره اولئك فى ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين او منصوبا على الذم
او مرفوعا على اعنى الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار و
هو استفعال من المحبة لان المؤثر للشىء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل
عندها من الآخر ويصدون عن سبيل الله وقرأ الحسن ويُصدون بضم الياء وكسر الصاد
يقال اصده عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على
صد صدودا لنقله من غير التعدى الى التعدى واما صد فموضوع على التعدية كمنعه و
ليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة
ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل
ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل اولئك فى
ضلال بعيد اى ضلوا عن طريق الحق ووقعوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف
الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازى والبعد فى الحقيقة للضال لانه هو الذى
يتباعد من الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد فى ضلال ذى بعد او فيه
بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم اى ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا تكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم
نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت
لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس كافة قل يا ايها
الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة
فلغيرهم الحجة فلو نزل بالعجمية لم يكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع
الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك
وتكفى التطويل فبقى ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب
اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى
الحال وتشاهدها من نيابة التراجم فى كل امة من امم العجم مع ما فى ذلك من اتفاق اهل
البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد
واجتهادهم فى تعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر فى اتعاب النفوس
وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل
واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها
وكان مستقلا بصفة الاعجاز فى كل واحد منها وكلم الرسول العربى كل امة بلسانها كما كلم
امته التى هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه
بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن
بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف
وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت
بالعربية ثم اداها كل نبى بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب
فيؤدى الى ان الله انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله

من

من يشاء ويهدى من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه
لن يؤمن ولا يهدى الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية
التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم
فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج
قومك من الظلمات الى النور ان اخرج بمعنى اى اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل
ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان
الغرض وصلها بما تكون معه فى تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء فى الفعلية والدليل
على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك
التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقايعه التى وقعت على الامم قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذى قار ويوم الفجار ويوم
قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام
وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون ان فى ذلك لايات لكل
صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم
او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن
لان الصبر والشكر من سجاياهم تنبيها عليهم واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
اذ انجيكم من آل فرعون اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اى انعامه عليكم ذلك الوقت
فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام
او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه وان كان غير صلة بمعنى
اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله
عليكم فان جعلته صلة لم تكن كلاما حتى تقول فايضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان
يكون اذ بدلا من نعمة الله اى اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم فان قلت فى سورة البقرة يذبحون وفى الاعراف يقتلون
وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا
للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة
كانه جنس آخر وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء
من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان
ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون بالنعمة والمحنة جميعا قال الله تعالى
ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذى يبلو واذ تأذن ربكم
لئن شكرتم لازيدنكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله
عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم
ومعنى تأذن ربكم آذن ربكم ونظير تأذن وآذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد
فى تفعل من زيادة معنى ليس فى افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا ينتفى عنده الشكوك
وتنزاح الشبهة والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تأذن مجرى قال لانه

ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني
اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح
لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم
ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض
جميعا والناس كلهم فان الله لغني فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم
منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه
وان لم يحمده الحامدون الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا او عطفا الذين من بعدهم
على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا
الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا
قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها
عن العباد جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما
ارسلتم به فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من
الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى
السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا
غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا
او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم
ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء
التي هي من اجل النعم من مواعظهم ونصايحهم وما اوحي اليهم من الشرايع والآيات في
افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث
جاءت منه على طريق المثل وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرئ تدعونا
بادغام النون مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس
وان لا تطمئن الى الامر قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض ادخلت همزة
الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك
لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او
يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال دعوت لما نابني
مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت
ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه
الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولان لا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل
اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها

ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك
قبل ذلك قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم
تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم
الملائكة تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين بحجة بينة
وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها
تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم
وانهم بشر مثلهم يعنون انهم بشر مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا
مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على
من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل
لاختصاصهم بها لخصايص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم وما كان لنا ان نأتيكم
بسلطان الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا
وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة
بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل
على الله بالصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا
نتوكل على الله واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب التوكل
وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين ولنصبرن على ما
آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول
لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا
من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على
ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود
بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار
ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به
فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم
الارض من بعدهم لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء
مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى
فان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قوله اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض
الظالمين وديارهم ونحوه قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه
الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني
فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون
في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم
به وسجدنا شكرا لله ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد اشارة الى ما قضى به الله من

اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اى ذلك الامر حق لمن خاف مقامى موقفى
وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذى يقف فيه عباده يوم القيمة او على قيام المقام
وقيل خاف قيامى عليه وحفظى لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين
واستفتحوا واستنصروا الله على عداهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله
وسالوا القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اى اوحى اليهم
ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا
وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل استفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم
على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه
جهنم من بين يديه قال عسى الكرب الذى امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا
وصف حاله وهو فى الدنيا لانه مرصد بجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف
حاله فى الاخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف
تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص
بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله
من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم
بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد
يسيغه كاد للمبالغة يعنى ولا يقارب ان يسيغه فكيف يكون الاساغة كقوله لم يكد يراها
اى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت كان اسباب
الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من
الالام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصول كل شعرة ومن ورائه
ومن بين يديه عذاب غليظ اى فى كل وقت تستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ
وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها فى الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا
اى استمطروا والفتح المطر فى سنى القحط التى ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى فى جهنم بدل سقياه
ماء اخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث
الرسل واممهم مثل الذين كفروا بربهم هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره
وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله
اعمالهم كرماد اشتدت به الريح جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل
اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم وهذه الجملة خبر للمبتداء
اى صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او
يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم ورماد الخبر وقرئ الرياح
فى يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة
ساكرة وانما السكون لريحها وقرئ فى يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التى كانت

لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين
والاجارة وغير ذلك من صنايعهم شبهها فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير
اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون
يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شئ اى لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد
المطير فى الريح على شئ ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق وعن
الثواب الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم
ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
اى هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم
اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشئ وجنس ضده وما
ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور فاذا خلص له الداعى الى شئ وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك
اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الاية بيان لابعادهم فى الضلال وعظيم
خطائهم فى الكفر بالله لوضوح اياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة
وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجا ثوابه فى دار الجزاء وبرزوا لله جميعا
ويبرزون يوم القيمة وانما جىء به بلفظ الماضى لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد
كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله
والله تعالى لا يتوارى عنه شئ حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب
الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم و
علموا ان الله لا تخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فقال
الضعفوا للذين استكبروا فان قلت لم كتب الضعفوا بواو قبل الهمزة قلت كتب على
لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علموا بنى اسرائيل والضعفاء الاتباع
والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم
عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم انا كنا لكم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم
وخدم وغايب وغيب او ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فهل انتم مغنون عنا
من عذاب الله من شئ فان قلت اى فرق بين من فى من عذاب الله وبينه فى من شئ
قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هو عذاب
الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله اى
بعض بعض عذاب الله قالوا لو هدينا الله لهديناكم فان قلت فما معنى قوله لو هدينا الله
لهديناكم قلت الذى قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم
وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم
فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم
اما موركين الذنب فى ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما
اشركنا ولا اباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يقولون ذلك فى الاخرة كما كانوا

يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا
ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدينا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا
سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا
نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا **فان قلت** كيف اتصل قوله سواء علينا
بما قبله **قلت** اتصاله من حيث ان عتابهم لهم كان لجزع مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين
فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك
اطم اولما قالوا لو هدينا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم واجنيناكم اتبعوه الا قناط من
النجاة فقالوا ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام
الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه
والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمضيف ويقال حاص عنه وحاض
بمعنى واحد وقال الشيطان لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر
الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الاخر النار وروي ان الشيطان يقوم عند ذلك
خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث
والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي
عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان
ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني
اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة
او السعادة يحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان
الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه
فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به **قلت** لو كان هذا القول منه باطلا
لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام
الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق و
الصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي
بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء و
هي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي
وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين
ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي

فما بالها وقبلها ياء **فان قلت** جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام
فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل **قلت** هذا
قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات
اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما في بما اشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني
يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة
يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا براء منكم
ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل
حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت
بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن
لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان و
غيرها وهذا اخر قول ابليس وقوله ان الظالمين لهم عذاب اليم قول الله عز وعلا
ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت
ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان
يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا ويعملوا ما
يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وقرا الحسن وعمرو بن عبيد وادخل الذين امنوا على فعل المتكلم بمعنى
وادخل انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي
ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره **فان قلت** فبم يتعلق في القراءة الاخرى
وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم **قلت** الوجه في هذه القراءة ان
يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة
يحيونهم باذن ربهم الم تر وقرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ ومن يتق وفيه ضعف
كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل
كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا
كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة
مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة
طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقها فيها وفرعها واعلاها وراسها
في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك كشجرة
طيبة ثابت اصلها **فان قلت** اي فرق بين القراءتين **قلت** قراءة الجماعة اقوى معنى
لان في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة فاذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى
معنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة
التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن
ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة

وشجرة التين والرمان والعنب وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر فاستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكان احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين يعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الحق ابلج والباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيمة يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الاخرة اضل واذل ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله

اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك جهنم يصلونها وبئس القرار وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله وقرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها **فان قلت** الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام **قلت** لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب قل تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو آمر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز **فان قلت** علام انتصب سرا وعلانية **قلت** على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين وعلى الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال والخلال المخالة **فان قلت** كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال **قلت** من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله الذي خلق السموات

والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر
الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان
يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى
رزق بامره بقوله كن وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما
وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم
الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم واتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض
اي اتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله
النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان يكون ما موصولة على واتاكم من كل
ذلك ما احتجتم اليه لم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا
ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم
يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار
في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه واذ
قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ واجاب فيه دعوة
خليله ابرهيم امنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل
هذا البلد امنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون
وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف
فاجعله امنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل
الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا
على اجتناب عبادتها وبني ان نعبد الاصنام اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف
عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو
بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا
يقال دار بالبيت رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك
وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا و
غرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني
اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس
بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم
تغفر له ما سلف منه من عصيانه اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن
عصاني فيما دون الشرك ربنا اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن
ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا
عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير عند بيتك
المحرم وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه

او لانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب ولانه
محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا
لانه اعتق منه فلم يستول عليه ربنا ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اي
ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند
بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين
بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف
عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان
حرمك فاجعل افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي
عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا
عليها حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد
قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها
في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما
ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة
اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان
ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد
تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل
وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي
يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا
ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع
الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله تعالى اجاب دعوته
فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه
على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة
التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهو اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من
الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى
حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا
من سلامة ذلك القلب السليم ربنا النداء المكرر دليل التضرع واللجاء الى الله انك تعلم
ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب
عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا
منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك و
تخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها
الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد
على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره
فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة

لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما يخفى من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث اوكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر اموراً ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين ربنا وتقبل دعاء اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله ربنا اغفر لي ولوالدي في قراءة ابي ولابوي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرأ الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفاراً صحيحا لا مقال فيه فلم يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم والمؤمنين يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل

واسأل

واسأل القرية وعن مجاهد فاستجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد امنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه قال كان الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الاية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه انما يؤخرهم وقرئ نؤخرهم بالنون والياء ليوم تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء الهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمات جؤجؤه هواء لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ومعناه اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسئلون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطراً واشراً ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون

الى دار اخرى يعنى كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم لان
السكنى من السكون الذى هو اللبث والاصل تعديه بفى كقولك قر فى الدار وغنى فيها واقام فيها
ولكنه لما نقل من سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز
ان يكون سكنوا من السكون اى قروا فيها واطمأنوا طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم
فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا
ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف فعلنا بهم كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم
وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة
كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه
جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى
ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول
على معنى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث
لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ فى
الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اى وان كان مكرهم مسوى لازالة
الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع
ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها
بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول
بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ
عمر وعلى رضى الله عنهما وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعنى قوله
انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده
ولم قدم المفعول الثانى على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله
ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف
المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل و
نصب الوعد وهذه فى الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم ان الله عزيز غالب لا يماكر
ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات انتصابه على
البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التى تعرفونها
ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون فى الذوات
كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين و
فى الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى
شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف فى تبديل الارض
والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها
عوج ولا امت وعن ابن عباس هى تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين
عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها

وخسوف

وخسوف قمرها وانشقاقها ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات وعن ابن مسعود وانس يحشر
الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل ارضا من
فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ نبدل
الارض بالنون وبرزوا لله الواحد القهار فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت
هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا
يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر فى غاية الصعوبة والشدة وترى
المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم
مغللين وقوله فى الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اى يقرنون فى الاصفاد واما ان لا يتعلق
به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل
وزيد الخيل قد لاق صفادا يعض بساعد وبعظم ساق سرابيلهم من قطران القطران
فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما
يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد
وقد يبلغ حرارته الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود
اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهى القمص
ليجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن
الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله واوعد به فى
الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا
الاسامى والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه
وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآنى المتناهى حره وتغشى وجوههم النار
كقوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون فى النار على وجوههم لان الوجه اعز
موضع فى ظاهر البدن واشرفه كالقلب فى باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ
وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب
اى يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة
لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية
فى التذكير والموعظة يعنى بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب
ولينذروا معطوف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا
بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا
ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله
وليذكر اولوا الالباب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابرهيم اعطى
من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما تضمنته من الآيات والكتاب
والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه

كتاباً واى قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة فى البيان ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضى قلت لان المترقب فى اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون فى تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى فى الاية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه فى كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جئ بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لا فعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة فى بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعنى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويلههم الامل ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا فى العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجئ منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ فى تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما فى العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة فى الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدى اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ فى الدنيا من اخلاق الهالكين وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال فى الحال جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذى كتب فى اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها فى موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وقرأ الاعمش يا ايها الذى القى عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع

وقد جاء فى كتاب الله فى مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا فى كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله نزل عليك الذكر لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشئ لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض وقال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عورى والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تأتينا بالملائكة بالعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتى الامم المكذبة برسلها ما ننزل الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق اى تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة فى ان تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبى صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحى او العذاب وما كانوا اذا منظرين واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم فى قولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذى بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه فى كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير فى له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين فى فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنا ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو فى معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال كذلك نسلكه يقال سلكت الخيط فى الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اى مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر فى قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعنى مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اى غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه وقد خلت سنة الاولين طريقتهم التى

سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على
تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا
بل نحن قوم مسحورون وقرئ يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار
من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت
من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد
ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما
رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملئكة
اي لو اريناهم الملئكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم
بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس
الا تسكيرا للابصار ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من
كل شيطان رجيم الا من استرق السمع من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن
ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد
محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فاتبعه شهاب مبين ظاهر للمبصرين
والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وزن بميزان
الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب
النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وجعلنا
لكم فيها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيهما
خطاء والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمزة على التشبيه
ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش
وجعلنا لكم من لستم له برازقين او جعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم
العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق
يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق
الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف
على الضمير المجرور وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ذكر الخزائن
تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام
به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل
مقدور وارسلنا الرياح لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من
انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح
كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح
على تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم
له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال
نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه
بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون

اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد
فنائه ومنه قوله عليه السلام في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستأخرين ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين
او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة
ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي ان امرأة حسناء
كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا
ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم اي هو وحده القادر
على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر
الحكمة وواسع العلم يفعل كل ما يفعل من مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء
ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل
وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت
فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير
والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ
الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي
يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمإ صفة لصلصال اي خلقه من صلصال
كائن من حمإ وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور
منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان
خلقناه والجان للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا
من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملئكة اني
خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها
لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما
هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا
ابليس ابى ان يكون مع الساجدين واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم
بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا وابى استيناف
على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر وقيل معناه ولكن ابليس ابى
قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في
ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في اباءك السجود واي داع لك اليه قال لم
اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون اللام في لاسجد لتأكيد النفي
ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر قال فاخرج منها فانك رجيم
شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة
ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع
الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة وان عليك اللعنة الى يوم الدين وضرب يوم

الدين حداً للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعن في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن لهم والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل وان جهنم لموعدهم الضمير للغاوين اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جزّ بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف ان المتقين في جنات وعيون المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرأ الحسن

ادخلوها

ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحارث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا والله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحابب واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت قالوا لا توجل وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك بغلام عليم وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد وا انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل قال ابشرتموني على ان مسني الكبر يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونن وتبشرونّ بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم

الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله
قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط فان قلت قوله
تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم
فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء
من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين
قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى
القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال
الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين و
لكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا
اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب
كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم اجمعين بم يتعلق على الوجهين قلت
اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون
واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابرهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا
انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت
استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء
من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما
اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة
دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان آل لوط متعلق بارسلنا او
بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فاني يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف
فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصايص
افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال
العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم
يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول
خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا كذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم
وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم
منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك و
تشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك واتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم فاسر باهلك بقطع من الليل
وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروي صاحبا الا قليلا فسر من السير والقطع
في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري الى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما يمضي
شيء صالح من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد فان قلت ما معنى امره باتباع

ادبارهم

ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة
لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله
لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا
تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة
ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم
سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم و
ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم
كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي له اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني
وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك
التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون
قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة
وكذلك الضمير في تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى
اوحينا كانه قيل واوحيناه اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على
الاستيناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود
وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد
وجاء اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور يستبشرون مستبشرين
بالملائكة قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او
جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم واتقوا الله ولا تخزون ولا
تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهو الحياء قالوا اولم
ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا
يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض
له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم
وكانوا نهوه عن ان يضيف احدا قط قال هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة
اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا
بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم
وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك
على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في
غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به
عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى
نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة
احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه
وذلك ان الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك ما اقسم به

كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم فأخذتهم الصيحة صيحة
جبرئيل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا
عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين من سجيل قيل من طين عليه كتاب
من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك أي معلمة بكتاب للمتوسمين
للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة
سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا أي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى
قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم
يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين
ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان أصحاب الأيكة قوم شعيب لظالمين فانتقمنا منهم
وانهما يعني قرى قوم لوط والأيكة وقيل الضمير للأيكة ومدين لأن شعيبا عليه السلام
كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبإمام مبين
لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي
يكتب فيه لأنها مما يؤتم فيه ولقد كذب أصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة
والشام المرسلين بتكذيبهم صالحا لأن من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا
أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير وأصحابه وعن جابر
قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين
ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها
معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من أن
تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر أو آمنين من
عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد وما خلقنا السموات
والأرض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو
بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الأعمال وان الساعة لآتية وان الله ينتقم
لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات و
الأرض وما بينهما الا لذلك فاصفح الصفح الجميل فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا
جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون
منسوخا ان ربك هو الخلاق العليم الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم
فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم أو ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو
الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح الى أن يكون السيف أصلح وفي مصحف أبي وعثمان
ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب
وقطع الثوب والثياب ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم سبعا سبع آيات
وهي الفاتحة أو سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما

في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم أو سبع
صحائف وهي الأسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة
وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية
وأما السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك
ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن إما للبيان أو
التبعيض اذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطول وللبيان اذا أردت الأسباع ويجوز أن تكون
كتب الله كلها مثاني لأنها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها
فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه
قلت اذا عني بالسبع الفاتحة أو الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم
يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة
يوسف واذا عنيت الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم
أي الجامع لهذين النعتين وهما الثناء أو التثنية والعظم لا تمدن عينيك أي لا تطمح ببصرك
طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به أزواجا منهم أصنافا من الكفار ولا تحزن
عليهم واخفض جناحك للمؤمنين فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول
لرسوله قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة
وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمد عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث
ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحدا
أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى و
أذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر
الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل
الله عز وعلا لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم
بمعنى لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش
بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الأغنياء
والأقوياء وقل لهم اني أنا النذير المبين أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل
بكم فان قلت بم تعلق قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قلت
فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل
الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه
حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه
وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران
لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت
ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر
وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق

بقوله وقل انى انا النذير اى وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعنى
اليهود وهو ما جرى على قريظة والنظير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه
اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اى
انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم
الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا
الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا
فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بالآفات كالوليد
ابن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا
على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم **فان قلت** اذا علقت قوله
كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما **قلت** لما كان
ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد
لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل
بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة
اذا جعلها اعضاء قال رؤبة * وليس دين الله بالمعضى * وقيل هى فعلة من عضهته اذا بهته
وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحر عاضه ولعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثانى هاء فوربك
لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع
وعن ابى العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا
كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع فى الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق
بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير
فافعل بما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية اى بامرك مصدر من المبنى للمفعول انا
كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عن عروة بن الزبير
فى المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود
ابن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل
بدر قال جبريل عليه السلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق
بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص
العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ومات
واشار الى عينى الاسود بن المطلب فعمى واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات
والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من اقاويل الطاعنين
فيك وفى القرآن فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين فافزع فيما نابك الى الله والفزع
الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف عنك الغم واعبد ربك ودم على

عبادة

عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت اى ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبى
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وتسمى سورة النعم مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة
او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اى هو بمنزلة
الآتى الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روى انه لما نزلت اقتربت الساعة
قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر
ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا
قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا و
قرئ تستعجلوه بالياء والتاء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك
وان يكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية **فان قلت**
كيف اتصل هذا باستعجالهم **قلت** لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك
وقرئ تشركون بالياء والتاء ينزل الملائكة بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة
اى تتنزل بالروح من امره على من يشاء من عباده بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه
او بما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام
خلقها لكم وان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اى بان
الشان اقول لكم انذروا او يكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول
ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى
يقول لهم اعلموا الناس قولى لا اله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو
بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه و
لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون
من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ يشركون بالياء والتاء
فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته
والثانى فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم وصفا
للانسان بالافراط فى الوقاحة والجهل والتمادى فى كفران النعمة وقيل نزلت فى ابى
ابن خلف الجمحى حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا
محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل
وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اى خلق
الانسان ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان فيها دفء

والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملاء اسم ما يملاء به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها و درها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون موذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمد الناس في معايشهم و اما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها و تكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانها من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سواتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب شق قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم تكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد و مشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله

ويمن

ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه وعلى الله قصد السبيل المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله برئ منه ولو شاء لهديكم اجمعين قسرا والجاء هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب ومنه شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلاء فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به الزرع والزيتون و النخيل والاعناب وقرئ ينبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا يكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل ان لا ياكل

لحماً فاكل سمكاً لم يحنث والله تعالى سماه لحماً كما ترى **قلت** مبنى الايمان على العادة و
عادة الناس اذا ذكر على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه
الدراهم لحماً فجاء بالسمك كان حقيقاً بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في
قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافراً لم يحنث
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم
لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم وترى الفلك
مواخر فيه المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون وابتغاء الفضل للتجارة والقى في الارض رواسي ان تميد بكم
كراهة ان تميد بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض
فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر
الملائكة مم خلقت وانهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون وجعل فيها انهاراً لان القى فيه معنى جعل
الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهاداً والجبال اوتاداً وعلامات وهي معالم الطرق وكل
ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون والمراد بالنجم الجنس
كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي
وقرأ الحسن وبالنجُم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف
وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفاً **فان قلت** قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن
الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون
فمن المراد بهم **قلت** كانه اراد قريشاً كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك
علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا افمن يخلق كمن
لا يخلق افلا تذكرون **فان قلت** من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي
العلم **قلت** فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم
الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون والثاني
المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي
العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الآلهة حالهم منحطة عن حال
من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف يصح لهم العبادة لا
انها لو صحت لهم هذه الاعضاء يصح ان يعبدوا **فان قلت** هو الزام للذين عبدوا الاوثان
وسموها آلهة تشبيهاً بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم
افمن لا يخلق كمن يخلق **قلت** حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له
وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيهاً بها فانكر عليهم ذلك بقوله
افمن يخلق كمن لا يخلق وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم
فضلاً ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيهاً على ان وراءها
ما لا ينحصر ولا ينعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة
ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون

من

من اعمالكم وهو وعيد والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله
وقرئ بالتاء وقرئ يُدعون على البناء للمفعول لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون اموات غير
احياء وما يشعرون ايان يبعثون نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء
لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم
جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير
اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون
للداعين اي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت
بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه
من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم
لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء يعني ان
من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيواناً واجساد الحيوان التي تبعث
بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون
ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكماً بحالها لان شعور الجماد
محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون
الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير
باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة الهكم اله واحد
فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون
الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح
دليلها استمرارهم على شركهم وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقاً ان الله
يعلم ما يسرون وما يعلنون سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين
يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء
تحت عمومه واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل بمعنى
اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء المعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير
الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين فاذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين
كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع **فان قلت** هو كلام متناقض لانه لا يكون
منزل ربهم واساطير **قلت** هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض
او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث
الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
اي قالوا ذلك اضلالاً للناس وصداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا اوزار
ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال
شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من
غير ان يكون غرضاً نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي

يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم
لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون
قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم القواعد
اساطين البناء التى تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعنى انهم سووا منصوبات ليمكروا بها
الله ورسوله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين
فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه
جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع
وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره
من القواعد من جهة القواعد واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون و
لا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم
بعذاب الخزى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعنى هذا لهم فى الدنيا ثم العذاب فى
الاخرة ويقول اين شركائى على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على
طريق الاستهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شانهم
ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقوننى لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة
قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان
ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم ان الخزى اليوم والسوء
على الكافرين الذين تتوفيهم الملائكة ظالمى انفسهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله
ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة وقرئ توفيهم بالياء والتاء وقرئ
الذين توفيهم بادغام التاء فى التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاؤا بخلاف ما
كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم
من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم
عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى
المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا انزل خيرا فان قلت لم
نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعنى ان هؤلاء
لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا
خيرا اى انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس
من الانزال فى شئ وروى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر
النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا
ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان استطلع امر
محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبى مبعوث فهم الذين قالوا
خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اى قالوا
هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين
ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه فى هذه الدنيا حسنة مكافاة فى الدنيا

باحسانهم

باحسانهم ولدار الاخرة خير ولهم فى الاخرة ما هو خير منها كقوله فاتيهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم
ذكره جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين
وجنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح الذين تتوفيهم الملائكة
طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم يقولون سلام
عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل اذا اشرف العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام
عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام وبشروه بالجنة هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملائكة او ياتى امر ربك تاتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء بمعنى ان ياتيهم لقبض
الارواح وامر ربك العذاب المستأصل والقيمة كذلك اى مثل ذلك الفعل من الشرك
والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من
دونه من شئ هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار
وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول و
شقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعنى انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة
وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك
فعل الذين من قبلهم اى اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم
فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا ان يبلغوا الحق بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان
الشرك وقبحه وان الله لا يشاء الشرك والمعاصى وبراءة الله من افعال العباد وانهم
فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له و
زاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت ولقد امد ابطال قدر السوء ومشية الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم
رسولا يامرهم بالخير الذى هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت
فمنهم من هدى الله اى لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة
اى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتى منه خير
فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فسيروا فى الارض فانظروا ما
فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى انى لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل
بالاشرار ان تحرص على هديهم فان الله لا يهدى من يضل ثم ذكر عناد قريش وحرص
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة
وانه لا يهدى من يضل اى لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من
قبيل القبائح التى لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اى لا يقدر احد على هدايته
وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذى

هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى يقال هداه الله فهدى وفي قراءة
ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول
وفي قراءة عبد الله يهدّى بادغام تاء يهتدى وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح
وقرأ النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغية واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت بلى وعدا عليه حقا معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان
عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريكهم ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم
البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعدا مصدر مؤكد لما
دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في
الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون
لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم الذي يختلفون فيه
متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين
والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين كذبوا في قولهم لو
شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان
يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا
على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون قولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث
والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف
وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور
به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد
كل مقدور على الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات
وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة
ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين
معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم ومنهم
بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم
وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال ربح البيع يا
صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق
الله نارا لاطاعه فكيف في الله في حقه ولو جهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة
اكبر حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل
مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه
كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا
وما ذخر لك في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم
لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم

الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون
ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون على هم الذين
صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي
هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل
الارواح في سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم على السنة الملائكة فاسألوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب
ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر
فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما
ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلناك الا رجالا بالبينات كقولك
ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا
ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين
والاول على كلام واحد واما بيوحي اي يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط
في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسألوا اهل
الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة
وتنبيه للغافلين وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم
في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى
تنبيهاته فينتبهوا ويتأملوا افأمن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل
مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم و
اسباب دنياهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما
قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث
لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير تخوف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء
في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها
فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في
اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل
قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث
يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله وقرئ اولم تروا وتتفيؤ بالتاء والياء وما موصولة بخلق
الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤ ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال
وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل
وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى
اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي

كل واحد منهما وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال
من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها
داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات و
ما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في
السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض
وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان
يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة
خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات
ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم **فان قلت** سجود المكلفين
مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد **قلت**
المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير
ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما
بلفظ واحد **فان قلت** فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم
قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء
بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما
يؤمرون يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين
وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته و
من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته
بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا
فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد و
الوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما
هو اله واحد **فان قلت** انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين
فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص
فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان
يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين **قلت** الاسم الحامل
لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة
على ان المعنى به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على
القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل
انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم
وجاز لان الغالب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله و
اياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم وله ما في السموات والارض وله الدين
واصبا افغير الله تتقون الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت
لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله

الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني
الثواب والعقاب وما بكم من نعمة فمن الله واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من
الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء
والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ
تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم ثم اذا كشف الضر عنكم وقرأ قتادة كاشف
الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة **فان قلت**
فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون **قلت** يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما
بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم
للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا
غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء
مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فتمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان
والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم اي لالهتهم ومعنى
لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس
كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون
للالهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر جعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم
ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم تالله لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك
في زعمكم انها الهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة
تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم
ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء او النصب على ان يكون
معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر احدهم بالانثى
ظل وجهه مسودا ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز
ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء
من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به
ايمسكه من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به
على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها
على التانيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله
عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل
السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد
الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ
ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط
ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر

الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رض
كاد الجعل يهلك بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب
عليها وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء
اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من
البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم و
يجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك الكذب
ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وعن بعضهم انه
قال لرجل من ذوى اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين
واعوانهم ويؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع
الى فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيى من ذلك الموقف وقرأ هذه الاية وعن
مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ
الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون قرئ مفتوح
الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت
فلانا وفرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفى اذا
خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط والمعاصى والمشدد من التفريط فى الطاعات
وما يلزمهم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم
ولهم عذاب اليم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التى كان يزين الشيطان اعمالهم
فيها او فهو وليهم فى الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس
القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الاتية وهى حال كونهم معذبين فى النار اى فهو
ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير
الى مشركى قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان
يكون على حذف المضاف اى فهو ولى امثالهم اليوم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وهدى ورحمة معطوفان على محل
لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذى انزل الكتاب ودخل اللام على
التبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل
المعلل والذى اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء
من التحريم والتحليل والانكار والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
ان فى ذلك لاية لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم
لا يسمع وان لكم فى الانعام لعبرة ذكر سيبويه الانعام فى باب ما لا ينصرف فى الاسماء
الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما فى بطونها فى
سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال فى الانعام وجهان احدهما ان يكون
تكسير نعم كاجبال فى جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر
نعم فى قوله فى كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير

نعم وانه فى معنى الجمع نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا وقرئ نسقيكم
بالفتح والضم وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اى يخلق
الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى احدهما
عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر
فى كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه
الاصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع وتبقى الفرث فى الكرش
فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال
تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا للشاربين سهل المرور فى الحلق
ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان
قلت اى فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما
فى بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث
والدم مكان الاسقاء الذى منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض و
يجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه متعلقا بمحذوف اى كائنا من بين فرث ودم
الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة
فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المنى طاهر على من جعله نجسا لجريه فى مسلك البول
بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث
ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف
تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله
عليه وقوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق
بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد فى الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون
صفة موصوف محذوف كقوله بكفى كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب
ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان
قلت فالام يرجع الضمير فى منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف
الذى هو العصير كما رجع فى قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت
بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاؤنا بهم سكر علينا فاجلى
اليوم والسكران صاحى وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبى
والنخعى والثانى ان يجمع بين العقاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب
والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابى حنيفة الى حد السكر
ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار
جمة ولقد صنف شيخنا ابو على الجبائى غير كتاب فى تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه
السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت فى تحليله فقال
تناولته الدعارة فسمج فى المروءة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا
اى تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك فى اعراض الناس فكانه تخمر بها

والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ان في ذلك لآية لقوم يعقلون واوحى ربك الى النحل الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت في الاماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا تبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغنا انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها لها ووطاها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة يخرج من بطونها شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واسود فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين القرآن والعسل ومن بدع التأويلات الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما في بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم

لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما روي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ تجحدون بالتاء والياء والله جعل لكم من انفسكم ازواجا من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين ورزقكم من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن وبنعمة الله هم يكفرون ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام مسكينا على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تأكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك

وهل هما الا شئ واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا ولا استطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه من العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جركم اليه وجرأكم فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شئ وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شئ فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شئ الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره و يعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لا يأت بخير لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه الق سعدا وقرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشئ الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين تكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شئ قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات

ثم دل على قدرته بما بعده والله اخرجكم من بطون امهاتكم قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل هراق وشذت زيادتها في الواحد قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جمع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى قرئ الم يروا بالتاء والياء الى الطير مسخرات في جو السماء مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون والله جعل لكم مما خلق من الشجر وسائر المستظلات ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف وجعل لكم سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقل ما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمت الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين

وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه الصلوة والسلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم
الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم
امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ويوم نبعث من
كل امة شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن
للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر
وكذا عن الحسن رح ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان
الاخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد
شهادة الانبياء عليهم السلم بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في
القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم
نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا رأى الذين ظلموا العذاب واذا راوا العذاب بغتهم
وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الاية
واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من
دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا
آلهتنا التي دعوناها وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي
وندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة
قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه
قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم
المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشريك وان اريد
بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني
كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم والقاء السلم
الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم
ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم و
تبرؤا الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الذين كفروا في
انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة
عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احديهن اللسعة فيجد صاحبها
حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى
النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله ويوم نبعث
في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم
وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل
شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر
اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القران فان قلت كيف كان القران تبيانا لكل
شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على
السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن

الهوى وحثا على الاجماع وقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه
وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس
والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء ان الله يأمر بالعدل و
الاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون العدل
هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم
والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره
الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا ازدت فيها
ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام
استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك كسر التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله
والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين
على امير المؤمنين علي رضي الله عنه اقيمت هذه الاية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا
وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب
اسلام عثمان بن مظعون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم عهد الله هي البيعة لرسول الله على
الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد
توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة
بدل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل
مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة
انكاثا كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما
ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة
مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن
فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم تتخذون حال ودخلا احد مفعولي تتخذ يعني
ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة
يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين
انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى
لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم و
ضعفهم وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على
ذلك ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان
يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار
الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب
ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسئلن عما كنتم تعملون

ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ولا تتخذوا ايمانكم
دخلا بينكم ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب
منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا
السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم
لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم
عذاب عظيم في الآخرة كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من
غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد
ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله ولا تشتروا
ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا عرضا
من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا انما عند الله من
اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم من اعراض الدنيا
ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ ولنجزين بالنون والياء الذين
صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون **فان قلت**
لم وحدت القدم ونكرت **قلت** لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت
عليه فكيف باقدام كثيرة من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن **فان قلت** من متناول
في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما **قلت** هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين
الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين
جميعا فلنحيينه حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان
موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله
واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه
ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة
يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه
وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ايذانا بان الاستعاذة
من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن
فاستعذ بالله كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم واذا اكلت فسم **فان قلت**
لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل **قلت** لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل
وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد
قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس
له سلطان اي تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله يعني انهم
لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على الذين يتولونه

على من يتولاه ويطيعه والذين هم به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى
الشيطان على معنى بسببه واذا بدلنا آية مكان آية تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله
تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم
وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته
وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون وجدوا مدخلا
للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر
من اصحابه يأمرهم اليوم وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ
الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض
المصلحة لا الهون والمشقة **فان قلت** هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن
انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس **قلت** فيه ان القرآن
ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في
ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها
فلا يصح نسخ القرآن بها قل نزله روح القدس من ربك في ينزل ونزله وما فيها من التنزيل
شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل
وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل عم
اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وزيد
الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله
ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى
اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة
القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى للمسلمين
مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا وارشادا وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما
يعلمه بشر ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه
اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي
وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا مر يقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما
فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان
عربي مبين واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن
الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في
قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين
والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا
القرآن عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح
الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان **فان قلت**

الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها
مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم اية
قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي يعلم الله منهم
انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في
الاخرة لا من اهل اللطف والثواب ولهم عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه
واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا
يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله اعظم
الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروة ولا
دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بايات الله على ان يجعل واولئك هم
الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه
واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب
به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذي
هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على
واولئك من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله
شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب
الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا
عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان
منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت
بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما
اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان
عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى
عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه
وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم
مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اي الامرين افضل فعل عمار ام فعل ابويه
قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه
وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد
جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما
الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله
لا يهدي القوم الكافرين ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم
الدنيا على الاخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم

وابصارهم واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة
عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك
للذين هاجروا ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه
ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك
للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على
الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه ثم
جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر
لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون يوم
تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت
يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي
الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم تأتي كل انسان تجادل عن ذاته لا يهمه
شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا
ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا
لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان
تراد قرية مقيدة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها
الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها كانت امنة مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة
مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف يأتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان فكفرت
بانعم الله والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس
وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فان قلت الاذاقة واللباس
استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة الموقعة على اللباس المستعار فما وجه
صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في
البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب
شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به
لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة
على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم
من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع لمن فقدهما
احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير غمر الرداء اذا
تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه
صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء
نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو
رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد
بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما

نحن فيه لقيل فكسا هم لباس الجوع والخوف ولقال كثير صنا في الرداء اذا تبسم ضاحكا
ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله
الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ
والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله
لباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله
لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء
في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم
باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون
يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم
وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
لما تصفه السنتكم من البهايم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام
مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب
ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا
حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا
تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا
لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج و
دعوى فارغة **فان قلت** ما معنى وصف السنتهم الكذب **قلت** هو من فصيح الكلام
وبليغه جعل قولهم كان عين الكذب محضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته
وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما
المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها
البهايم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم
او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في
لتفتروا على الله الكذب من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض ان الذين يفترون على الله
الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم
فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم وعلى الذين هادوا حرمنا
ما قصصنا عليك من قبل يعني في سورة الانعام وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين
بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا
ولم يك من المشركين كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله

في جميع صفات الخير كقوله وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا
وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه
الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون
مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود
انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابرهيم عليه السلام فقال الامة
الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه
انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته
ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة
امين هذه الامة ومعاذ امة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم
شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة
معلمو الخير والقانت القائم بما امره الله والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه
ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم شاكرا لانعمه
روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من
الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مؤاكلتكم
شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتبيه اختصه واصطفيه للنبوة وهديه الى صراط مستقيم
الى ملة الاسلام واتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هو تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل
دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم
وانه في الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
وما كان من المشركين في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال
محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه الصلوة والسلام من الكرامة
اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من
ساير النعوت التي اثنى الله عليه بها انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما
جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة و
حرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر
عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا
وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته
فان قلت ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا محلين او محرمين **قلت** معناه انه يجازيهم جزاء
اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى عليه السلام
امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد
اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا
بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن
الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون

واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله انا انزلنا السبت ادع الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ان ربك اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل ونحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة ابن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اما ان يرجع الضمير في لهو الى الصبر وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلا فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلام واصبر انت فهو اولى به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه واصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق مما يمكرون وقرئ ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي فاوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حوله سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر

متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق وقيل اسرى به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر الى ثمة فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا له اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة لنريه من آياتنا وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب

وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ◦ الا تتخذوا قرئ بالياء على ان لا
يتخذوا وبالتاء على اى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على
النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا
ذرية من حملنا مفعولى تتخذوا اى لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا
من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه فتحها بولد الولد ذكرهم
الله النعمة فى انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان
اذا اكل قال الحمد لله الذى اطعمنى ولو شاء اجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى
ولو شاء اظمأنى واذا اكتسى قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء اعرانى واذا احتذى قال الحمد
لله الذى حذانى ولو شاء احفانى واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى اخرج عنى اذاه فى
عافية ولو شاء حبسه وروى انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده
محتاجا آثره فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته لما قبله قلت كانه
قيل لا تتخذوا من دونى وكيلا ولا تشركوا بى لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم
ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا
لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك
الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بنى اسرائيل فى
الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا واوحينا اليهم وحيا مقضيا اى مقطوعا
اى مبتوتا بانهم يفسدون فى الارض لا محالة ويعلون اى يتعظمون ويبغون فى الكتاب فى التورية
ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا
له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد
مرتين اوليهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى
بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد
فجاسوا خلال الديار وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده
وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم
سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه
خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو
كقوله وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعى وخالف بين كلمهم واسند
الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التورية من جملة الجوس
المسند اليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى وعد
اوليهما قلت معناه وعد عقاب اوليهما وكان وعدا مفعولا يعنى وكان وعد العقاب
وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم
حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بخت نصر واستنقاذ بنى اسرائيل اسراءهم

واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هى قتل داود جالوت وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها اى الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى
النفع والضرر الى غيركم وعن على رضى الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها ◦
فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة فاذا جاء وعد المرة
الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها
بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل
او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفى قراءة على رضى الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن
بالنون الخفيفة واللام فى ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف هو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن
جواب اذا جاء وليتبروا ما علوا تتبيرا ما علوا مفعول ليتبروا اى ليهلكوا كل شئ غلبوه
واستولوا او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى
وانزجرتم عن المعاصى وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله
اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله
عليهم هذا الحى من العرب فهم منهم فى عذاب الى يوم القيمة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول ان هذا القرآن
يهدى للتى هى اقوم للحالة التى هى اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما
قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة التى تجده مع الحذف لما فى ابهام الموصوف
بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم
اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما وقرئ ويبشر بالتخفيف
فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس
حينئذ اما مؤمن تقى واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك
فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه
بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان
الذين لا يؤمنون بالآخرة معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير اى ويدعو
الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير وكان الانسان عجولا
يتسرع الى طلب كل ما يقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأنى المتبصر وعن النبى صلى
الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك
تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبى صلى الله
عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها
تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى سألت الله ان يجعل
لعنتى ودعائى على من لا يستحق من اهلى رحمة لانى بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة
يديها ويجوز ان يراد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو

بالخير اذا مسّته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتية لا محالة فما هذا الاستعجال
وعن ابن عباس هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له فضربت
عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فيكون الاضافة في آية الليل
وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية
التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيّري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر
فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان منه شيء كما لا يستبان
ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل
التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس
ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة
اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين والحساب وجنس
الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور
وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا
عللكم وما تركنا لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا
يلقيه منشورا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك
طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة
او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا
ربقة في رقبته وعن الحسن رحمه الله يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك
وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج
على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال
وقرئ يلقّيه مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من
اقرأ كتابك على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها
وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى
الكافي ووضع موضع الشهيد فعدّي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكّر
حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها
الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس
وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك من اهتدى فانما
يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى اي كل نفس حاملة وزرا
فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما صح منا صحة
تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت
الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا
النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا

لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت
بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين
فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا
مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واذا اردنا وقت اهلاك قوم
ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز
لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه
المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم
مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياه ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا
من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة
على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت
هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز
فكيف بحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل
عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به قيام
او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته
فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا
به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام
غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمورا به وكانه
يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد
الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط
والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا
يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه
ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن
اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف
ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل
الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد
وقد فسر بعضهم امرنا بكثّرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال
سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه الصلوة والسلام انه سيأمر اي سيكثر
وقرئ آمرنا من امر وآمره غيره وامّرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامّره الله اي جعلناهم امراء
وسلطناهم وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم
وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى
بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها
فمعاقب عليها من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد من كانت العاجلة همه

ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الأمر
تقييدين أحدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بإرادته وكذا الحال ترى كثيرا من
هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون إلا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد
حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى
الآخرة فما يبالي أوتي حظا من الدنيا أم لم يؤت فإن أوتي فبها وإلا فربما كان الفقر خيرا له
وأعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لأن الضمير يرجع إلى
من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق إذا بين القراءتين في
المعنى ويجوز أن يكون للعبد على أن العبد ما يشاء من الدنيا وأن ذلك لواحد من الدهماء يريد
به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد
للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله
ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ثم جعلنا له جهنم
يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو
مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا سعيها حقها من السعي وكفاءها من الأعمال الصالحة
اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا إرادة الآخرة بأن يعقد بها همه ويتجافى عن
دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والإيمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين
من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية
وشكر الله الثواب على الطاعة كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك كل واحد من الفريقين
والتنوين عوض من المضاف إليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف
لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله
محظورا أي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و
للآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل
وفي الآخرة التفاوت أكبر لأنها ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي أن قوما
من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب
فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو إنما أتينا من قبلنا إنهم دعوا ودعينا يعني إلى
الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على
باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر وقرئ أكثر تفضيلا وعن بعضهم أيها المباهي بالرفع
منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل
لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى
قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من
الإله والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك وأمر أمرا مقطوعا
به ألا تعبدوا إلا إياه أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا وبالوالدين إحسانا
وأحسنوا بالوالدين إحسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا وقرئ وأوصى وعن ابن عباس
ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز أن تتعلق الباء في بالوالدين

بالإحسان

بالإحسان لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما إما هي
إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت إن لم
يصح دخولها لا تقول إن تكرمن زيدا يكرمك ولكن إما تكرمنه وأحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن
قرأ يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين وكلاهما عطف على أحدهما فاعلا وبدلا فإن
قلت لو قيل إما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت أنه بدل قلت
لأنه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب أن يكون مثله
فإن قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على
البدل قلت لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم أن
التوكيد غير مراد وكان بدلا مثل الأول فلا تقل لهما أف أف صوت يدل على تضجر وقرئ
أف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على أصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد
كثم والضم اتباع كمنذ فإن قلت ما معنى عندك قلت هو أن يكبرا ويعجزا وكانا
كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه وأشد احتمالا
وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولية فهو مأمور بأن يستعمل معهما
وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل
من مؤنهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع
الإحسان إليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى
لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع أحوال لا يكاد
يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا
يعجبك والنهي والنهر والنهم أخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا كما
يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول يا أبتاه يا أماه كما قال إبراهيم
عليه السلام لأبيه يا أبت مع كفره ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب
وعادة الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا
واخفض لهما جناح الذل وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فإن قلت ما معنى قوله
جناح الذل قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض
جناحك للمؤمنين فأضافه إلى الذل أو الذل كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى واخفض لهما جناحك
الذليل أو الذلول والثاني أن يجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا و
للقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما
لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما أمس وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية
واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فإن قلت الاسترحام لهما إنما
يصح إذا كانا مسلمين قلت وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن
يدعو الله لهما بالهداية والإرشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ
وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع من الاستغفار

ولو كان شيء افضل منه لامر كم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل
البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى
سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا منى في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان
ذلك وهما يفعلان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا
وانا قوى وفقيرا وانا غنى فكنت لا امنعه شيئا من مالى واليوم انا ضعيف وهو قوى وانا
فقير وهو غنى ويبخل على بماله فبكى عليه الصلوة والسلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا
الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق
حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم يكن كذلك حين ارضعتك حولين قال
انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها
قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقى قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر انه رأى رجلا في
الطواف يحمل امه ويقول «انى لها مطية لا تذعر» «اذا الركاب نفرت لا تنفر» «ما حملت و
ارضعتنى الاكثر» «الله ربى ذو الجلال الاكبر» تظننى جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة
وعنه عليه الصلوة والسلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف
عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله
رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله
الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابى يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير
اوقد وعن حذيفة انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين
فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل
وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر
وباطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه ربكم اعلم بما في نفوسكم بما في
ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين
الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية
الاسلام هنة تؤدى الى اذاهما ثم ابتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا
فان الله غفور للتوابين وعن سعيد بن جبير هى البادرة تكون من الرجل الى ابيه
لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان
يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على ابويه التائب
من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية
بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان
الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابى حنيفة والشافعى لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب

وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة
والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعنى وآت هؤلاء حقهم
من الزكوة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذوى القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذى
القربى اقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبذر تبذيرا التبذير تفريق المال فيما لا ينبغى
وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر و
السمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله
هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة
في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء
سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهى
غاية المذمة لانه لا شر من الشياطين او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم
به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغى ان
يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة
من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من
الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق
بجواب الشرط مقدما عليه اى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا
لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اى ابتغ رحمة الله التى ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق
بالشرط اى وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة
فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب
الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن
عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض
عن ذلك لان من ابى ان يعطى اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول
وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه
قولا ذا ميسور وهو اليسر اى دعاء فيه يسر ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير
فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول المحتاج
اعطى فلانا وحرمنى ويقول المستغنى ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت
على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة
وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك درعا
فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امى تستكسيك
الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا
فلم يخرج للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس

ابن مرداس وانشأ يقول: اتجعل نهبي ونهب العبيد، بين عيينة والاقرع، وما كان حصن ولا حابس، يفوقان جدي في مجمع، وما كنت دون امرئ منهما، ومن تضع اليوم لا يرفع، فقال

يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر

انه كان بعباده خبيرا بصيرا ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة

بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها

تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده

فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا بسط لعباده او قبض فانه يراعي اوسط الحالين

لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته ولا تقتلوا

اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا قتلهم اولادهم هو

وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم

وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وهو ضد الصواب

اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ

بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز

ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه

وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي

شرعه الله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث الا بان تكفر او تقتل

مؤمنا عمدا او تزني بعد الاحصان ومن قتل مظلوما غير راكب واحدة منهن فقد جعلنا

لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه

سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف في القتل الضمير

للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد

قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد: بؤ بشسع نعل كليب، وقال

كل قتيل في كليب غرة، حتى ينال القتل آل مرة، وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء

وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر

وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب

الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير

اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان

الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه

واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما

للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف ولا

تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه

وتثميره حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا اي مطلوبا يطلب من العاهد

ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا

للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا

واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون

وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها ذلك خير واحسن تأويلا واحسن

عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر

والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره

وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا

لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل

بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده

وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل

كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من

قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم

العرانين ساكن، بهن الحياء لا يشعن التقافيا، اي التقاذف وقال الكميت ولا ارمي البريء بغير

ذنب، ولا اقفو الحواصن ان قفينا، وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من

العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر

والفؤاد كقوله، والعيش بعد اولئك الايام، وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها

كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم

يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت

على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة

في الفؤاد ثم استصحبا لقلب مع الفتح ولا تمش في الارض مرحا حالا اي ذا مرح وقرئ مرحا

وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد انك لن تخرق الارض لن تجعل

فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك

وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها قرئ سيئه وسيئة على اضافة

سيء الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان

شانه فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة

الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة و

من قرأ سيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها

الى مذكر ومؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من

قرأ سيئه بالاضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا

بجميع الخصال المعدودة ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى

في جهنم ملوما مدحورا ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية

وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه

الثمانية عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله

تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله عز وعلا

فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه

حكمه وعلومه وان بذّ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما ٥ باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ مشددا ومخففا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعا ٥ وما زاد اعداءك نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وقرئ كما يقولون بالتاء والياء واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها **فان قلت** فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفهوم معلوم **قلت** الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق **فان قلت** من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه **قلت** التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب

هو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ونفورا مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون واذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجسارة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم بمعنى او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حتى عاينوا الآخرة وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان

الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين
الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن
بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها
ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على
الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع
بينهم على بعض لتقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك
امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في
عمر شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا طلحة
ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون وربك اعلم بمن في السموات والارض هو رد
على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان تكون العراة الجوع
اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني
وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم وبمقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان
ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم وامته فان قلت هلا عرف الزبور
كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس
والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول
الله صلعم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم
وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا
يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
ان عذاب ربك كان محذورا اولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان
آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي
موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن
يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة
وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة
ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا
شديدا بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت

في

في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة
بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم
ذكرها بلدا بلدا كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا وما منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان الاولى
منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات
التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم
ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا
عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم
كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في
غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة
وآتينا ثمود الناقة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت
فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها
صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل
بالآيات الا تخويفا ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول
العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى
وما نرسل وما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة
الملعونة في القرآن واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر
وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون و
تحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين
تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه
كان يدعو ويقول اللهم اني اسئلك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس
ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان
يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول
هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من امر بدر وما ارى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون
به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان
محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من
قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو
دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ و
بقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمى كالجمر
باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان
يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد

خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما أريناك منه في منامك بعد الوحي إليك
إلا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال
ونخوفهم أي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا فكيف يخاف
قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسراء وبه تعلق من يقول كان
الإسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل إنما سماها رؤيا على قول
المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل إليك استبعادا منهم كما سمى أشياء
بأساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائي ذق إنك أنت العزيز الكريم وقيل
هي رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان
الكرة فإن قلت أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها
من الكفرة والظلمة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وإنما وصفت بلعن أصحابها
على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان
من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملوح
القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تتلوى بالشجر تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان
وقيل أبو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة
في القرآن كذلك وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا
حال إما من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع
إليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي
الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته علي
وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتن إلى يوم القيامة واللام موطئة
للقسم المحذوف لأحتنكن ذريته إلا قليلا لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد الأرض إذا
جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما فإن
قلت من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت إما أن يسمعه من الملائكة صلوات الله
عليهم وقد أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر إليه فتوسم في مخايله
أنه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته في آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم
من الشجرة قال اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي
اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فإن
جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا
مساس فإن قلت أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من
تبعك قلت بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب
فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في
جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار تجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف
بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة واستفزز من استطعت منهم بصوتك
وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد استفزه استخفه والفز الخفيف

وأجلب

وأجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على أن
فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث
وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل ورجل وقرئ ورجالك ورجالك فإن قلت
ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل
مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من
أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى استأصلهم
وقيل بصوته بدعائه إلى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العيث وقيل يجوز أن
يكون لإبليس خيل ورجال وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها
في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف
ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد
العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة
وغير ذلك وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة
والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال
على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وإيثار العاجل على
الآجل إن عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان أي لا تقدر أن تغويهم وكفى بربك
وكيلا لهم يتوكلون به ويستعيذون منك ونحوه قوله إلا عبادك منهم المخلصين فإن قلت
كيف جاز أن يأمر الله تعالى إبليس بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا إلى الشر صادا
عن الخير قلت هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما
شئتم ربكم الذي يزجي يجري ويسير لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما
وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون إلا إياه ذهب عن أوهامكم وخواطركم
كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت
ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا يخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم أو لم يهتد لإنقاذكم
أحد غيره من سائر المدعوين ويجوز أن يراد ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله
وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان
الإنسان كفورا أفأمنتم الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم
فحملكم ذلك على الإعراض أن يخسف بكم جانب البر فإن قلت بم انتصب جانب البر قلت
بيخسف مفعولا به كالأرض في قوله فخسفنا به وبداره الأرض وبكم حال والمعنى أن يخسف
جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه فإن قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه أن الجوانب
والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة
ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله
وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان
يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى الغافل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب

وحيث كان أو يرسل عليكم حاصباً وهو الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أن
لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء
يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر ثم لا تجدوا لكم وكيلاً من يتوكل بصرف ذلك
عنكم أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم أم أمنتم أن يقوي دواعيكم ويوفر
حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم
قاصفاً من الريح وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر
وقيل التي لا تمر بشيء إلا قصفته فيغرقكم بما كفرتم وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك
يخسف ويرسل ويعيدكم قرئت بالياء والنون ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً التبيع المطالب
من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ * كما لاذ الغريم من التبيع * يقال فلان
على فلان تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا
تجد أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركاً للثأر من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف
عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد إعراضهم حين نجاهم ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق و
التمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم
على ما في الأرض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاماً
فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد
كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً هو ما سوى الملائكة وحسب بني آدم تفضيلاً أن
ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل
شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك وذلك
بعدما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم
وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا
أقوالاً وأخباراً منها قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون
ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن
قلت له كن فكان ورووا عن أبي هريرة أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن
ارتكابهم أنهم فسروا كثيراً بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا
ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا
أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات
البعيدة في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة
لا تنحل عن قلوبهم يوم ندعو كل أناس وقرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على
البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس على قلب الألف واواً في لغة من يقول أفعو والظرف
نصب بإضمار اذكر ويجوز أن يقال إنها علامة الجمع كما في وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع
مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لأنها غير ضمير ليست إلا علامة بإمامهم

بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين
كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة
الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم
وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين و
أن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته فمن أوتي من
هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم قيل أولئك لأن من أوتي في معنى الجمع
فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت
بلى ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جنايات والاعتراف
بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع
والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب
اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون
بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه ولا يظلمون فتيلاً
ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئاً فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ومن كان
في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً معناه ومن كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة
أعمى كذلك وأضل سبيلاً من الأعمى والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته
لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء
إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالاً والثاني
مفخماً لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم
وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة روي أن ثقيفاً
قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب لا نعشر
ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا
باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره
فإذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني به وجاؤوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن
الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر إلى رسول
الله صلعم فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا يا معشر
ثقيف أسعر الله قلوبكم ناراً فقالوا لسنا نكلم إياك إنما نكلم محمداً فنزلت وإن كادوا ليفتنونك
إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى أن الشأن قاربوا
أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين عن الذي أوحينا إليك من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفتري علينا غيره ما لم نقل يعني ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيداً والوعيد وعداً وما
اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزل عليه وإذا لاتخذوك أي ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك خليلاً ولكنت لهم ولياً وخرجت من ولايتي ولولا أن ثبتناك ولولا تثبيتنا لك
وعصمتنا لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج

من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين ۞ اذاً لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ۞ اى لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذاباً ضعفاً في النار بمعنى مضاعفاً فكان اصل الكلام لاذقناك عذاباً ضعفاً في الحيوة وعذاباً ضعفاً في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة ليخرجوك منها واذاً لا يلبثون خلفك الا قليلاً لا يبقون بعد اخراجك الا زماناً قليلاً فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازماً على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قرأة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القرائتين قلت اما الشايعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قرأة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله ان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيراً اى بعدهم سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اى سن الله ذلك سنة اقم الصلوة لدلوك الشمس الى

غسق الليل دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرج منه الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرآناً وهو القرأة لانها ركن كما سميت ركوعاً وسجوداً وقنوتاً وهو حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القرأة ليست بركن ان قرآن الفجر كان مشهوداً يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده كثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهوداً بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثاً على طول القرأة في صلوة الفجر لكونها مكثوراً عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قرأة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضاً في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجداً لان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك دون غيرك لانه تطوع لهم عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً نصب على الظرف اى عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاماً محموداً او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالاً بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهو نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس مقاماً يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسئل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هي المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجاء ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال هذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وقرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اى ادخلني القبر مدخل صدق ادخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمناً من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح واخراجه منها آمناً من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالماً وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤدياً لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً حجة تنصرني على من خالفني وملكاً وعزاً قوياً ناصراً للاسلام على الكفر مظهراً له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه

استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا
على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا
ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت
على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال عليه الصلوة والسلام اني رأيت فيما يرى
النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى
فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المؤمنين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير
وقل جاء الحق وزهق الباطل كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم و
عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكى البيت الى الله
فقال حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك توبة جديدة
فاملاءك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم
عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق
وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان
من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به
فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد وشكاية البيت والوحي
اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق
الاسلام والباطل الشرك ان الباطل كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا من للتبيين كقوله من
الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن هو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون
به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف
بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم
كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن
ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للاعراض لان الاعراض عن
الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد
الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من
النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
قرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض
قل كل يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من
قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو
اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي الاكثر
على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه
وعن ابي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني
اعظم من الملك وقيل جبرئيل وقيل القرآن ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر

بعث

بعث اليهود الى قريش ان سألوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب
عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم
امر الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سؤالهم وما اوتيتم من العلم الا قليلا الخطاب عام
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب
ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة
مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها
الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم
والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت
كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من
يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك ان فضله كان
عليك كبيرا الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته يتوكل عليه بالرد او يكون على
الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من
الله ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل
عنهما بين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره
ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم
الامانة واخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما
وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه
ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف
وينزع ما في القلوب قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة
لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي
لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة
ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع
اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث يكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام و
العباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا
يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة
على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق
ولقد صرفنا رددنا وكررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في

غرابته وحسنه فأبى أكثر الناس إلا كفورا والكفور الجحود فإن قلت كيف جاز فأبى أكثر الناس
إلا كفورا ولم يجز ضربت إلا زيدا قلت لأن أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات
ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة
فقالوا لن نؤمن لك حتى وحتى تفجر وتفجر وقرئ تفجر بالتخفيف من الأرض يعنون أرض مكة
ينبوعا عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع كيعبوب من عب الماء
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا كما زعمت يعنون قول الله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من
السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها أو تأتي بالله والملائكة قبيلا
كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه
ووالدي بريا وإني وقيار بها لغريب أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا
الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب أو ترقى
في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ولن نؤمن لأجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه
تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن أبي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما
ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون
لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل
آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء
فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما
اقترحوه بل هي أعظم لم يكن إلى تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي أي
قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت إلا بشرا رسولا إلا رسولا كسائر
الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات
إلي إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها علي وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا
أبعث الله بشرا رسولا أن الأولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعله والهدى الوحي
أي وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم
وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في أبعث الله للإنكار وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله
لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء قل لو كان في الأرض ثم
قرر ذلك بأنه لو كان في الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم
إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الأرض قارين لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فأما الإنس فما هم بهذه المثابة إنما
يرسل الملك إلى المختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم فإن قلت هل يجوز
أن يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له أجوب قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم إنه كان بعباده

المنذرين والمنذرين خبيرا بصيرا عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز أو حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو
المهتد لأنه لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم أولياء
أنصارا من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم
قادر على أن يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا
ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا
يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
ويجوز أن يحشروا مؤوفي الحواس من الموقف إلى النار بعد الحساب فقد أخبر عنهم في موضع
آخر أنهم يقرؤن ويتكلمون مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا
بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا كلما خبت وكلما أكلت
جلودهم ولحومهم وأفنتها فسكن لهيبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا
بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا
يزالون على الإفناء والإعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولأنه أدخل في الانتقام
من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم إلى قوله أإنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم
يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب
فيه فأبى الظالمون إلا كفورا فإن قلت علام عطف قوله وجعل لهم أجلا قلت على قوله أو
لم يروا لأن المعنى قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق
أمثالهم من الإنس لأنهم ليسوا بأشد خلقا منهن كما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء وجعل لهم
أجلا لا ريب فيه وهو الموت أو القيامة فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحودا قل لو أنتم تملكون
خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق لو حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء
فلا بد من فعل بعدها في لو أنتم تملكون تقديره لو تملكون تملكون فأضمر تملك إضمارا على شريطة
التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من
اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب
فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم
المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير أخوالي
أرادوا نقيصتي وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ
والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا
يبلغها الوهم وقيل هو لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها
وأنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لبخلوا بها وكان الإنسان قتورا ضيقا بخيلا فإن قلت
هل يقدر لأمسكتم مفعول قلت لا لأن معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك ولقد آتينا
موسى تسع آيات بينات عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم و
الحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات

مكان الجحر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس
فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض
مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض
اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل
لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا
تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم
يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فاسأل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون
وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون
قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل بني اسرائيل على لفظ
الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله
بن سلام واصحابه عن الايات لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك
اقوى واثبت كقول ابرهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق قوله اذ جاءهم قلت اما
على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او سل في القراءة الثانية و
اما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء اباءهم فقال له فرعون
اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فخولط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الايات الا
الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا وقرئ لقد علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر
وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال ان ظننتني مسحورا
فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته
ومكابرتك لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري
اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم
ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان
المخففة واللام الفارقة فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا فاراد
فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل
والاستيصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه وقلنا من بعده لبني اسرائيل
اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة يعني قيام الساعة
جئنا بكم لفيفا جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم واشقيائكم
واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة
المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او وما انزلناه
من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء
ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي فرقناه

بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين
او ثلاثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب
لتقرأه على الناس على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث
قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا و
يقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا
قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وان لا يكترث بهم
وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية
وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد
آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا
وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله
عليه وسلم وانزل الفرقان عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم
خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل
لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل
التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان
العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للذقن
قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به
الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى
ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه
ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان
قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه
ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن
وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى
الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن
المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا
واذكروا اما بهذا واما بهذا والتنوين في ايا ما تدعوا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام
المؤكد لما في اي اي ايا هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس
براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا
للاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت
اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني
التمجيد والتقديس والتعظيم ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها بصلاتك بقراءة صلاتك على
حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير
والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها

المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت
حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر
رضى الله عنه كان يخفى صوته بالقراءة فى صلاته ويقول اناجى ربى وقد علم بحاجتى وكان عمر
يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض
قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان
تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى ان الاية منسوخة
بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط فى القراءة وقل الحمد
لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا ولى من
الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته
فان قلت كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا
وصفه هو الذى يقدر على ايلاء كل نعمة هو الذى يستحق جنس الحمد وكان النبى صلى الله عليه
وسلم اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية
ومائتا اوقية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب لقن الله عباده
وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما انزل على
عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا
ولم يجعل له من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض
عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بما انتصب قيما قلت
الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل فى
حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له
عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت عنه الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع
بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى احدهما غنى عن الاخر قلت فائدته التوكيد فرب مستقيم
مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا
لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرايع وقرئ قيما لينذر باسا
شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا
انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين
كفروا باسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة
من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف
والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولى انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق
اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار فى قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به فى قوله ان لهم اجرا حسنا
استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اى بالولد او باتخاذه ولا لآبائهم

يعنى ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للاباء وقد استملته اباؤهم من
الشياطين وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت
معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشئ اما للجهل بالطريق الموصل
اليه واما لانه فى نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون
الا كذبا وقرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ و
فيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما
لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس
ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه
تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت
الام رجع الضمير فى كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها فلعلك
باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا شبههم واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من
الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع نفسه
وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اى قاتلها ومهلكها وهو
للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضى فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث
بهذا القرآن اسفا مفعول له اى لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة فى الحزن و
الغضب يقال رجل اسيف واسف انا جعلنا ما على الارض زينة لها يعنى ما يصلح ان يكون زينة لها و
لاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها
وترك الاغترار بها ثم زهد فى الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا
جرزا يعنى مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة فى ازالة بهجته واماطة
حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الايات
الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن
ثم قال ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم يعنى ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء
حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابى الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم فى الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه
اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا فى الجبل وقيل هو الوادى الذى
فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا من
اياتنا عجبا كانوا اية عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب اذ اوى الفتية الى
الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق
والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذى نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون
بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت منك اسدا فضربنا على اذانهم
فى الكهف اى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعنى انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات
كما ترى المستثقل فى نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذى هو الحجاب كما
يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة

وأن يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل
فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى
لما لبثوا امدا اى يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق
عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم
اى الحزبين المختلفين منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم
كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اى الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اى ايهم ضبط
امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد
وذلك ان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ و
القياس على الشاذ فى غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل
واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت انى انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر
فى قوله ✽ واضرب منا بالسيوف القوانسا ✽ على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت
ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم
باحصائهم المدة غرضا فى الضرب على آذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق
به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره
نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا
على قلوبهم وقويناهم بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على
القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به
حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد
قلنا اذا شططا قولا ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط
فى السوم وفى غيره هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا
خبر وهو اخبار فى معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان
بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد و
انه لا بد فى الدين من الحجة حتى يصح ويثبت فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه
واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون
نصب عطف على الضمير يعنى واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء
متصلا على ما روى انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل
هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فأووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اى ينتفع
اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان
يخبرهم به نبى فى عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم
اصله تتزاور فخفف بادغام التاء فى الزاى وحذفها وقد قرئ بهما وتزور وتزوار بوزن تحمر
وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين

جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال تقطعهم لا تقربهم
من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة ✽ الى ظعن يقرضن اقواز مشرف ✽ شمالا وعن ايمانهن
الفوارس ✽ وهم فى فجوة منه وهم فى متسع من الكهف والمعنى انهم فى ظل نهارهم كله لا يصيبهم الشمس
فى طلوعها ولا غروبها مع انهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم
وقيل فى متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من
آيات الله اى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعنى ان ما
كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل
لبنات نعش فهم فى مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد
الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا
فى الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص
بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذى اصاب الفلاح واهتدى الى
السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم ايقاظا و
هم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد
والايقاظ جمع يقظ كانكاد فى نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا
وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء وقرئ و
يقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل
عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وكلبهم وقرأ جعفر الصادق وكالبهم
اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى
المضى واضافته اذا اضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية بالوصيد
والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد ✽ بارض فضاء لا يسد وصيدها ✽ علىّ ومعروفى
بها غير منكر ✽ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وقرئ ولملئت بتشديد
اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذى
يرعب الصدر اى يملؤه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم
اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء
فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا
فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما
انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا لقدرته على الانامة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم
قال قائل منهم كم لبثتم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا
على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون
كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم
بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها

منهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في
يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق
لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه
الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرا ابن كثير بورقكم
بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز
لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند
فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على
الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سالها عن
محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين
الى ان يرزق حج بيت الله وتعولم منه ذلك فكان مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج
اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال
لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن فلينظر ايها اي اهلها
فحذف الاهل كما في قوله واسئل القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فلياتكم برزق
منه وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي
حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا
فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها
ان يظهروا عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم
في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون
ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك
اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم
وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد
الله حق وهو البعث لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون
متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان
بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف
وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى
الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم
ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ربهم اعلم بهم قال
الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن عليهم على
باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر
الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون بينهم
تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم

بنيانا وروي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على
عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل
فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه
الله فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم
على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقيل ان يبعثهم الله ملك
مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك
بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل
من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع
الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص
عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث
ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام
كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين
كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى
حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم
من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اهل الكتاب سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب و
يقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل سيقولون الضمير لمن
خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم
في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما انا
من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله
عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال
العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم
فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل
وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب
يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء في امره والسابع
الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير
فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الاخرين قلت فيه وجهان احدهما
ان تدخل الاخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان
تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله
ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان
يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير

وما هو عنها بالحديث المرجم اى المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء فى تاء التانيث
وثلاثة خبر مبتدأ محذوف اى هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ و
خبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم وثامنهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة
الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة
للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى نحو قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد
وفى يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تاكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هى التى آذنت
بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن
كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول
الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضى الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة
اى لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات
وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير فى سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اى سيقول اهل الكتاب
فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا فى قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل
الكتاب فى شان اصحاب الكهف الا مراء جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى
الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم فى الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتى هى
احسن ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال المتعنت له حتى
يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة
ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشىء ولا تقولن
لاجل شىء تعزم عليه انى فاعل ذلك الشىء غدا اى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة
الا ان يشاء الله متعلق بالنهى لا بقوله انى فاعل لانه لو قال انى فاعل كذا الا ان يشاء الله كان
معناه الا ان تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهى وتعلقه بالنهى على وجهين
احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثانى ولا تقولنه الا
بان يشاء الله اى الا بمشيئة الله وهو فى موضع الحال يعنى الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله
وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان يشاء الله فى معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه
قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم فى ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا
نهى تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذى القرنين
فسالوه فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحى حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر
ربك اى مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت
كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد
ابن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام فى مجلسه وعن
الحسن نحوه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له فى
الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس فى الاستثناء المنفصل
فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى

ان

ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضى عنه ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا فى البعث على الاهتمام بها و
قيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى
وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا
وهذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتينى من البينات والحجج على انى نبى صادق
ما هو اعظم فى الدلالة واقرب رشدا من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء
والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك
وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربى ان يهدينى لشىء آخر بدل هذا المنسى اقرب منه رشدا
وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها ولبثوا فى كهفهم
ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو
بيان لما اجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما
لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية
لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال فى حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان
لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله بالاخسرين
اعمالا وفى قراءة ابى ثلثمائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه له غيب السموات و
الارض ابصر به واسمع ذكر اختصاصه بما غاب فى السموات والارض وخفى فيها من احوال
اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات
للدلالة على ان امره فى الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك
الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر
ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولى من متول لامورهم ولا يشرك فى حكمه
فى قضائه احدا منهم وقرا الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهى واتل ما اوحى اليك من
كتاب ربك لا مبدل لكلماته كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحى
اليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اى لا يقدر احد
على تبديلها وتغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه
ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى
يريدون وجهه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالى
الذين كان ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى
نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم
وثبتها قال ابو ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع * بالغداة والعشى
دائبين على الدعاء فى كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود
لان غدوة علم فى اكثر الاستعمال وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال * والزيد زيد المعارك *
ونحوه قليل فى كلامهم ولا تعد عيناك عنهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره
وجاء القوم عدا زيدا وانما عدى بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا فى قولك نبت عنه عينه

وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اى غرض فى هذا التضمين وهلا قيل
ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك
اقوى من اعطاء معنى فذّ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى
غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اى ولا تضموها اليها آكلين وقرئ ولا
تعد عينيك ولا تعدّ عينيك من اعداه وعدّاه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما
ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يزدرى بفقراء المؤمنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زى الاغنياء وحسن شارتهم
تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه
من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته
اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها من غير سمة اى لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين
كتبنا فى قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هويه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد
الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا وكان امره فرطا متقدما
للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق
الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ فى طريق النجاة او فى طريق الهلاك وجئ بلفظ الامر و
التخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكأنه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين انا اعتدنا
للظالمين نارا احاط بهم سرادقها شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التى تكون حول
الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان محيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط
من نار يطيف بهم وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل
ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردى الزيت يشوى الوجوه اذا قدم ليشرب يشوى الوجوه
من حرارته عن النبى صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه
بئس الشراب وساءت مرتفقا بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا
لمشاكلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله انى
ارقت فبت الليل مرتفقا كأن عينى فيها الصاب مذبوح ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا
لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور
من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت
مرتفقا اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا
او تجعل اولئك كلاما مستأنفا بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين
الضمير الراجع منه الى المبتدأ قلت من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما
معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان
بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها فى الحسن وجمع بين
السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص
الاتكاء لانه هيئة المنعمين والملوك على سررهم واضرب لهم مثلا رجلين اى ومثّل حال الكافرين

والمؤمنين بحال رجلين وكان اخوين فى بنى اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه
يهوذا وقيل هما المذكوران فى سورة والصافات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا
من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان
اخى اشترى ارضا بالف دينار وانا اشترى منك ارضا فى الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج
دارا بالف فقال اللهم انى اشترى منك دارا فى الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة
بالف فقال اللهم انى جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم
انى اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على
طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين
من بنى مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين
فى كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اى جعلتهم
حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته
به وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا جعلها
ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما
يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من
غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجارى
فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ
مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى اكله برد
الضمير على كل وكان له ثمر اى انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اى كان
له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل
وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا
يعنى انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام
من حار يحور اذا رجع وسأله فما اجاره كلمة يعنى قطروس اخذ بيد اخيه المسلم يطوف به فى الجنتين
ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه ودخل جنته فان قلت لم افرد الجنة
بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعنى انه لا نصيب له فى الجنة التى
وعد المؤمنون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم
لنفسه وهو معجب بما اوتى مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم
قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا اخبر عن نفسه بالشك فى بيدودة جنته لطول امله واستيلاء
الحرص عليه وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر فى عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء
من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه وما اظن
الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل
الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن فى الاخرة خيرا من جنته فى الدنيا تطمعا وتمنيا على الله

وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له ثم من نطفة ثم سويك رجلا عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء في لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرأ ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غايب لكن عمرا حاضر ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله يجوز ان يكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة المحل والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتأييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء من قرأ اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا ارجو من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط بثمره و احيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم فاصبح يقلب كفيه وتقليب الكفين كناية

عن

عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله قرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية لله الحق الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه فاصبح هشيما والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة تذروه الرياح وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارقا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله و لا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير عند ربك ثوابا وخير املا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله و يصيبه في الاخرة ويوم نسير الجبال قرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت

اى تسير فى الجو او يذهب بها بان تجعل هباء منبثا وترى الارض وقرئ وترى الارض على البناء
للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم
نغادر منهم احدا بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء و
الغدير ما غادره السيل وعرضوا على ربك صفا وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
صفا مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا كما
خلقناكم اول مرة اى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب فى يوم نسير ويجوز
ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شئ
معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جئ بحشرناهم ماضيا
بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال
والعظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم
على السنة الانبياء من البعث والنشور ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الكتاب
للجنس وهو صحف الاعمال ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التى هلكوها خاصة من بين الهلكات
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها هنة صغيرة ولا كبيرة وهى عبارة
عن الاحاطة يعنى لا يترك شيئا من المعاصى الا احصاه اى احصاها كلها كما يقولون ما اعطانى
قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد ما كانوا عندهم صغائر وكبائر
وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهى المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم و
الكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا
قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا
ما عملوا حاضرا فى الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل
او يزيد فى عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله فى تعذيب اطفال المشركين بذنوب
آبائهم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن كان من الجن كلام
مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد
فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا فى فسقه
يعنى انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة
لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام
المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة فى عصمتهم فما ابعد البون
بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن
ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به من السجود قال
فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا بسبب ترك امر ربه الذى هو قوله اسجدوا
لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته
اولياء من دونى وتستبدلونهم بى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا بئس البدل من الله ابليس
لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعنى انكم اتخذتموهم
شركاء لى فى العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء فى الالهية فنفى مشاركتهم

فى الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم فى خلقها ولا خلق انفسهم
اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين بمعنى وما
كنت متخذهم عضدا اى اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا
لى فى الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لى فى العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغى لك ان تعتز بهم وقرأ على رضى الله عنه
متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ
عضدا بالفتح وسكون العين وعضدا بضمتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده
اذا قواه واعانه ويوم تقول بالياء والنون نادوا شركائى الذين زعمتم واضافة الشركاء اليه
على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا والموبق
المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد
والموعد يعنى وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا
يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هى فى شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك
كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيمة
ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اى وجعلنا بينهم امدا بعيدا
يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى اعلى الجنان ورأى المجرمون النار فظنوا
فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا معدلا قال ازهير
هل عن شيبة من مصرف ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شئ
جدلا اكثر الاشياء التى يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل
وانتصاب جدلا على التمييز يعنى ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شئ ونحوه فاذا هو خصيم مبين
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم ان الاولى نصب و
الثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان
تأتيهم سنة الاولين وهى الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب يعنى عذاب الآخرة قبلا عيانا
وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها
وازالتها عن موطئها واتخذوا آياتى وما انذروا هزوا يجوز ان يكون ما موصولة ويكون الراجع
من الصلة محذوفا اى وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزءا بالسكون
اى اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة
وما اشبه ذلك ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا فى قوله ان
يفقهوه فاعرض عنها ونسى ما قدمت يداه فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسى عاقبة ما قدمت
يداه من الكفر والمعاصى غير متفكر فيها ولا ناظر فى ان المسئ والمحسن لا بد لهما من جزاء انا
جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا
فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها واذا جزاء

وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا فى انتفائه وعلى انه جواب للرسول صلعم على تقدير قوله ما لى لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلعم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجأ يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى اهلكناهم يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اى لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر واذ قال موسى لفتيه لعبده وفى الحديث ليقل احدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وامتى وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتيه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعى ما هى غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه اخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين فى العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو فى الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضى حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله فقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاى الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر فى ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر

قال

قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه فى البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر فى الماء فقال الخضر ما ينقص علمى وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما اى نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسى يوشع ان يقدمه ونسى موسى ان يأمر فيه بشئ وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز فى المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروى انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع فى الماء فاتخذ سبيله فى البحر سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه فى مثل السرب معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا قال لفتيه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما رأى من حيوته ووقوعه فى البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسى يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التى تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حيوة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها فى مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضرى بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب واستأنس باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام قال ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا ارأيت بمعنى اخبرنى فان قلت ما وجه التيام هذا الكلام فان كل واحد من ارأيت واذ اوينا وفانى نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كانه قال ارأيت ما دهانى اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء فى انسانيه اى وما انسانى ذكره الا الشيطان وفى قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثانى مفعولى اتخذ مثل سربا يعنى واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا فى اخر كلامه تعجبا من حاله فى رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما رأى من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك قال

ذلك ما كنا نبغ اشارة الى اتخاذه سبيلا اى ذلك الذى كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة
من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء فى الوصل واثباتها احسن وهى قراءة ابى عمرو واما الوقف
فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا على آثارهما فرجعا فى ادراجهما قصصا
يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا
آتيناه رحمة من عندنا هى الوحى والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا من العلم
وهو الاخبار عن الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا وقرئ بفتحتين و
بضمة وسكون اى علما ذا رشد ارشد به فى دينى فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من آخر
فى عهده انه كما قيل موسى بن ميشى لا موسى بن عمران لان النبى يجب ان يكون اعلم اهل زمانه
وامامهم المرجوع اليه فى ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبى فى اخذ العلم من نبى مثله
وانما يغض منه ان يأخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة
كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشى فقال كذب عدو الله
قال انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا نفى استطاعة الصبر معه
على وجه التأكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هى فى ظاهرها مناكير
والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا رأى ذلك ويأخذ
فى الانكار وخبرا تمييز اى لم يحط به خبرك او لانه لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر
قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا ولا اعصى فى محل النصب عطف على
صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص او لا محل عطفا على ستجدنى رجا موسى عليه السلام
لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة
الامر فوعد بالصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التى
تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شىء لا يطاق هذا مع علمه ان النبى المعصوم الذى
امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه برئ من ان يباشر ما فيه غميزة وانه لا
بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قال فان اتبعتنى فلا تسئلنى عن
شىء حتى احدث لك منه ذكرا وقرئ فلا تسئلنى بالنون الثقيلة يعنى فمن شرط اتباعك
اياى انك اذا رأيت منى شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفى عليك وجه صحته فحميت وانكرت
فى نفسك ان لا تفاتحنى بالسؤال ولا تراجعنى فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب
المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال اخرقتها
لتغرق اهلها فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص
وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما
بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلى الماء فجعل
موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها
من غرق واهلها مرفوع لقد جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال
داهية دهياء ادا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت
بالذى نسيته او بشىء نسيته او بنسيانى اراد انه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى او

اخرج

اخرج الكلام فى معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسى ليبسط عذره فى
الانكار وهو من معاريض الكلام التى يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه
السلام هذه اختى وانى سقيم او اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك
اول مرة ولا ترهقنى من امرى عسرا يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اى ولا تغشنى
عسرا من امرى وهو اتباعه اياه يعنى ولا تعسر على متابعتك ويسرها على بالاغضاء وترك
المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية
قيل كان قتله قتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين
فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء
قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال
اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت خرق السفينة لم يتعقبه الركوب وقد تعقب القتل
لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهى الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم
يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعنى لم يقتل نفسا فيقتص منها
وعن ابن عباس ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل
لقد جئت شيئا نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا
يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى
صبرا فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية
والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية قال ان سألتك عن شىء بعدها بعد هذه الكرة او
المسألة فلا تصاحبنى فلا تقارنى وان طلبت صحبتك فلا تتابعنى على ذلك وقرئ فلا تصحبنى
فلا تكن صاحبى وقرئ فلا تصحبنى اى فلا تصحبنى اياك ولا تجعلنى صاحبك قد بلغت من
لدنى عذرا قد اعذرت وقرئ لدنى بتخفيف النون ولدنى بسكون الدال وكسر النون كقولهم
فى عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك و
قال رحمة الله علينا وعلى اخى موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب فانطلقا حتى اذا
اتيا اهل قرية استطعما اهلها هى انطاكية وقيل ايلة وهى ابعد ارض الله من السماء استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه
من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه
وعن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى لا يضاف الضيف
فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض استعيرت الارادة
للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعى فى مهمه قلقت به هاماتها قلق
الفؤوس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابى براء ويعدل عن دماء بنى عقيل وقال
حسان ان دهرا يلف شملى بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ
وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء

والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قلت اذا قالت
الانساع للبطن الحق تقول سنى للنواة طنى لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكا الى بعبرة
وتحمحم ان يك ظنى صادقا وهو صادقى ولما سكت عن موسى الغضب تمرد ما رد وعز الابلق
ولبعضهم يأبى على اجفانه اغفاءة هم اذا انقاد الهموم تمردا ابت الروادف والثدى
لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طائعين ولقد بلغنى ان بعض المحرفين لكلام
الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام
طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان
ادخل فى الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته
وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا
انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده
وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول
الجدار فى السماء مائة ذراع قال لو شئت لتخذت عليه اجرا كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى
المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك
موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا
حتى ننتعش به ونستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء فى تخذ اصل كما فى تبع واتخذ
افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ فى شئ قال هذا فراق بينى وبينك سانبئك بتأويل ما لم
تستطع عليه صبرا فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول
ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى فاشار اليه و
جعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون
اشارة الى السؤال الثالث اى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بينى وبينك وقد
قرأ به ابن ابى عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا
قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر وراءهم امامهم كقوله
ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم فى رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم
الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها
فكان حقه ان يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وانما قدم للعناية
ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظنى
مقيم وقيل فى قراءة ابى وعبد الله كل سفينة صالحة واما الغلام فكان ابواه مؤمنين قرأ
الجحدرى فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا
فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق
بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او
يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشى الخضر منه
ذلك لان الله عز وعلا اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة

عرفها فى حياته وفى قراءة ابى فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر
فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة
الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروى انه ولدت لهما جارية تزوجها نبى
فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا
مثلهما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما قيل اسما
الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف فى الكنز فقيل مال مدفون من
ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن
يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف
يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل
صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت
الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الاية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح
ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة آباء
وعن الحسين بن على رضى الله عنهما انه قال لبعض الخوارج فى كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال
بصلاح ابيهما قال فابى وجدى خير منه فلم خرجتم علينا فقال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك رحمة مفعول له او مصدر منصوب
باراد ربك لانه فى معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رأيت عن امرى عن اجتهادى ورأيى
وانما فعلته بامر الله ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويسئلونك عن ذى القرنين ذو القرنين
هو الاسكندر الذى ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود
وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم
والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة
من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا
القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة
وعن على رضى الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احبه الله
فاحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبى فقال ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبدا صالحا
ضرب على قرنه الايمن فى طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله
فسمى ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبى صلى
الله عليه وسلم سمى ذا القرنين لانه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها وقيل كان
له قرنان اى ضفيرتان وقيل انقرض فى وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس
وروى الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على
رأسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه
وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل
سأله ابو جهل واشياعه قل ساتلوا عليكم منه ذكرا والخطاب فى عليكم لاحد الفريقين انا مكنا

له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في
عين حمئة ووجد عندها قوما من كل شيء أي من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده
في ملكه سببا طريقا موصلا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد
بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين
فأتبع سببا وقرئ فاتبع وقرئ حمئة من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة
وعن أبي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين
غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية
وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حامئة وكان ابن عباس عند معوية
فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير
المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية
وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فأنشد قول تبع فرأى مغيب الشمس عند
مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد أي في عين ماء ذي طين وحمأ أسود ولا تنافي بين الحمئة
والحامية فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن
تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا كانوا كفرة
فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم
فقال أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في
الدارين وأما من آمن وعمل صالحا وعمل ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره
الله بين الأسر والقتل وسماه إحسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله أن يجازي المثوبة
الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى أي فله المثوبة
الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه
وسنقول له من أمرنا يسرا أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل الميسر من الزكوة و
الخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين ثم أتبع سببا
حتى إذا بلغ مطلع الشمس وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس
كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها يريد كأن آثار مجر الرامسات وجدها تطلع على قوم لم نجعل
لهم من دونها سترا قيل هم الزنج والستر الأبنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب
فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت
الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه
ويلبس الأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن
كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على
الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا
يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب
من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما
وصفناه تعظيما لأمره وقد أحطنا بما لديه من الجنود والآلات والأسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك

وقيل

وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية
والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها وقيل
تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في
تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين
بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله
فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي هو مما
فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على أنه مفعول به
مبلوغ كما انجر على الإضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم
لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق
وجد من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفقهونه إلا بجهد
ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون أي لا يفهمون السامع كلامهم
ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج يأجوج
ومأجوج اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج وماجوج
وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم مفسدون في الأرض
قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه
ولا يابسا إلا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صفتهم لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل
السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر فهل نجعل لك خرجا
على أن تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ خرجا وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما
النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني
فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي إليه كما قال
سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتيكم وقرئ بالإدغام وبفكه فأعينوني بقوة
أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا
حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فأعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون
البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد من قولهم ثوب
مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر للأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس
المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما
ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط
والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى
وسوى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال
كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدفان بفتحتين جانبا
الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون
والصدف بضمة وسكون والصدف بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لأنه يقطر

وقطرا منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه
وقرئ قال ائتوني أي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من
الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء فملاق بين
ساكنين على غير الحد أن يظهروه أن يعلوه وما استطاعوا له نقبا أي لا حيلة لهم فيه من
صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته قال هذا رحمة من ربي هذا إشارة
إلى السد أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته
فإذا جاء وعد ربي يعني فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي جعله جعل السد دكا
أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك
المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد أي أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية ذي
القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج في بعض أي يضطربون ويختلطو
إنسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون
مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم
يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة
وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون ونفخ في الصور فجمعناهم
جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها عرضا الذين
كانت أعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل
معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه
إلا أنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا
استطاعة بهم للسمع أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء هم الملائكة يعني
أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود أفظن
الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم
أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى
الفعل في العمل كقولك أقائم الزيدان والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا
وهي قراءة محكمة جيدة إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف
ونحوه فبشرهم بعذاب أليم قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله
عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه أن ابن الكواء سأله
عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في
العظم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه
فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ولا
مقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين
وقرئ فلا يقيم بالياء **فإن قلت** الذين ضل سعيهم في أي محل هو **قلت** الأوجه
أن يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لأنه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون نصبا

على الذم أو جرا على البدل ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا جهنم
عطف بيان لقوله جزاؤهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في
حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه
غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان هو طامح الطرف إلى أرفع منه ويجوز أن
يراد نفي التحول وتأكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات
ربي المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد
الأرض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد
قبل أن تنفد الكلمات ولو جئنا بمثله مددا ولو جئنا بمثل البحر مدادا
لنفد أيضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به
وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرأ الأعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب
به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا
ثم تقرؤون وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات
الله قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء
رضى وقبول وقد فسرنا اللقاء أو فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة
أن لا يرائي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن
زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني فقال
إن الله لا يقبل ما شورك فيه وروي أنه قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك إذا
قصد أن يقتدى به وعنه عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر
قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا
من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الأرض إلى السماء وعنه عليه الصلوة
والسلام من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ إلى مكة
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ
من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

سورة مريم مكية [illegible] وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم
وبضمهما الحسن ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا وقرئ ذكر
رحمة ربك أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الأمر راعى سنة الله
في إخفاء دعوته لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد من
الرياء وأدخل في الإخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد
في إبان الكبرة والشيخوخة أو أسره من مواليه الذين خافهم أو خفت صوته لضعفه وهرمه
كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه الصلوة والسلام

فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب انى وهن
العظم منى واشتعل الرأس شيبا قرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود
البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه
فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان
هذا الجنس الذى هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان
قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغام السين فى الشين عن ابى
عمرو شبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانارته وانتشاره فى الشعر وفشوه منه واخذه منه
كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته
وهو الرأس فاخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكرياء فمن ثمه
فصحت هذه الجملة وشهدت لها بالبلاغة ولم اكن بدعائك رب شقيا توسل الى الله بما سلف
له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذى احسنت الى وقت كذا فقال
مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا كان
مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بنى اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه
وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به فى احياء الدين ويرتسم
مراسمه فيه من ورائى بعد موتى وقرأ ابن كثير من وراى بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت
لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية فى الموالى اى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم
من ورائى او خفت الذين يلون الامر من ورائى وقرأ عثمان ومحمد بن على وعلى بن الحسين رضى الله
عنهم خفت الموالى من ورائى وهذا على معنيين احدهما ان يكون ورائى بمعنى خلفى وبعدى فيتعلق
الظرف بالموالى اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه
والثانى ان يكون بمعنى قدامى متعلق الظرف بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم
يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله
رب رضيا من لدنك تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا
فهب لى وليا يرثنى كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لانى وامرأتى لا نصلح للولادة يرثنى
ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقنى وعن ابن عباس والجحدرى يرثنى
وارث آل يعقوب وعن الجحدرى اويرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن على رضى الله عنه
وحمامه وارث من آل يعقوب اى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان والمراد بالارث
ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثنى الحبورة وكان حبرا ويرث من آل
يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب
لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكرياء عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل
هو يعقوب بن ماثان اخو زكرياء وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان
ابن داود يا زكرياء انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى
قبله وهذا شاهد على ان الاسامى الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحى فى
التسمية لكونها انبه وانوه عن النبز حتى قال القائل فى مدح قوم شنع الاسامى مسبلى

ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكرى وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج
فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمى
لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى
لصاحبه ونحو يحيى فى اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا و
هو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل لانه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان
وعجوز عاقر وانه كان حصورا قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر
عتيا اى كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين
أفحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتى والعقر
فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا
ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكرياء اولا وآخرا كان على منهاج واحد فى ان الله غنى عن الاسباب
اى بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود و
عسا من اجل الكبر والطعن فى السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا
وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائى بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ ابى
ومجاهد عسيا قال كذلك الكاف رفع اى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك او نصب
بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر
هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو على هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اى
الامر كما قلت وهو على ذلك يهون على ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله
لا الى قول زكرياء وقال محذوف فى كلتا القراءتين اى قال هو على هين قال وهو على هين وان شئت
لم تنوه لان الله تعالى هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشئ او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شئ وقوله اذا رأى
غير شئ ظنه رجلا وقرأ الاعمش والكسائى وابن وثاب خلقناك قال رب اجعل لى آية اى
اجعل لى علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا
قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوى الخلق ما بك خرس ولا
بكم دل ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة ايام ولياليهن
فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم اوحى اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن
عباس كتب لهم على الارض ان سبحوا بكرة وعشيا سبحوا صلوا او على الظاهر وان هى المفسرة
يا يحيى خذ الكتاب بقوة اى خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد وآتيناه الحكم
صبيا والحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحى يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتورية
والفقه فى الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبى فقال ما للعب
خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله فى صباه واوحى اليه
وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا حنانا رحمة
لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقال حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب
ام انت بالحى عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن فى معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل

في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة بالطهارة وقيل
الصدقة اى يتعطف على الناس ويتصدق عليهم وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث
حيا سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن واذكر في الكتاب مريم
اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها
بشرا سويا اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود
بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت
للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة
للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او شيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت
الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب
امرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئا او حسن الصورة
مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة
الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك
الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت
في منزل زوج اختها زكرياء ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكرياء اذا خرج اغلق عليها الباب
فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل
فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان
النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبرئيل لان الدين يحيى
به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرئ
ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة
المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون
بالروح اي مقربنا وذا روحنا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ارادت ان كان
يرجى منك ان تتقي الله وتخشى وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله بقيت الله خير
لكم ان كنتم مؤمنين قال انما انا رسول ربك اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك
غلاما زكيا لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول
ربك امرني ان اهب لك او هي حكاية لقوله عز وجل قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء
والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه
الكنايات والآداب ولم اك بغيا والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي
فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو
كما قيل فلان نهو عن المنكر قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة
منا وكان امرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ولنجعله تعليل معلله محذوف
اي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية
ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف

في الارض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك او كان امرا
حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله تعالى
وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل
الصالح فهو جدير بالتكوين عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها
فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية
والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى عليه الصلوة والسلام
وقيل ثلث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت
الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته
وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا
ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم
والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت
ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى
الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك
فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبرئيل فقال انه من روح القدس
لا تقتلها فتركها فاجاءها المخاض الى جذع النخلة فاجاء منقول من جاء الا ان استعماله قد
تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته
وابلغنيه ونظيره آتى حيث لا يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان وآتانيه فلان وقرأ
ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في
بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في صحراء
ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف
الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم
عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما ان يكون
تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها
منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل شيء صبرا على البرد
وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جميع الآيات فيها اختارها لها والجأها اليها
قالت يا ليتني مت قبل هذا وقرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات وكنت
نسيا منسيا النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرق الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من
شانه ان يذبح في قوله وفديناه بذبح عظيم وعن يونس اذا ارتحلوا عن الدار قال انظروا
انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له
من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه و
ذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله
او لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص
الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرفها غبطا

بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا
تعاب به وتعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والاعمش
وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون
مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء
ينسأه اهله لقلته ونزارته وقرأ الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر فناديها
من تحتها الا تحزني من تحتها هو جبريل قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى عليه
السلام وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار
وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها لا تحزني وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص
من تحتها وفي ناديها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة
فخاطبها من تحتها قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد
فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى
وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى
بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما
معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل
وان لها امورا الهية خارجة عن العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها
من غير فحل ليس ببدع من شانها تساقط فيه تسع قراآت تساقط بادغام التاء وتتساقط
باظهار التاءين وتساقط بطرح التاء الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط
وتسقط ويسقط وتسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة
وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر
للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير
من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب وعن طلحة
ابن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احديهما الاكل
والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا
اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي ما احزنك واهمك وقرئ وقري بالكسر لغة نجد فاما
ترين من البشر احدا وترئن بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت
بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال فقولي اني نذرت
للرحمن صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا
انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت
لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين
احدهما ان عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة
مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد

مشاها

مشافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق فلن اكلم
اليوم انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت
شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه
الفري البديع وهو من فري الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو
موسى عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه
في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل
اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها
شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح
تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرأ
عمر بن لجاء التيمي ما كان اباك امرؤ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه
اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال
يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا
وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم
اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكرياء عليه السلام وعن السدي لما اشارت اليه
غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك
الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته وكلمهم بذلك ثم لم يتكلم
حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا كان لايقاع مضمون
الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة والدليل عليه معنى الكلام
وانه مسوق للتعجب ووجه آخر وهو ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم
الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته
فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الآية وقيل معناه ان ذلك سبق
في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد وجعلني مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا
وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وقرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه
بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي يوم ولدت
ويوم اموت ويوم ابعث حيا قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل
وكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي
والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم واعدائها من اليهود وتحقيقه ان
اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى
والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد
فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ذلك عيسى ابن مريم قول الحق قرأ عاصم وابن عامر قول الحق
بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام

قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله حقا والحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق ويقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه اذ هو من المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاستاذ وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه فاختلف الاحزاب من بينهم الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكائية وعن الحسن تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم العظيم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوء بصرهم ويصدع قلوبهم لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظاهر اعني بالظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد من الضلال المبين اغفال النظر والاستماع وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين انا نحن نرث الارض

ومن عليها والينا يرجعون يحتمل ان يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب بها واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابرهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه باينق وتعويض الياء فيه بدلا عن الواو الساقطة انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطاء العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب اولا العلة في خطابه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بان وجه عبادته الى جماد ليس به حس وشعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيها وكلمه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم

ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع
ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال و
عدو ابيك آدم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها
لك فانك ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص
ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة
من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما
ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه
من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان
العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف والمس ونكر العذاب
وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان
رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان
من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله
اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا
اليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز ان يكون موصولة وموصوفة والمفعول
في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين
احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين
السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك قد جاءني فيه تجدد العلم عنده
قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه
بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة
الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ في قوله
اراغب انت عن آلهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار
لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لئن لم تنته لارجمنك
لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني
او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام واهجرني مليا زمانا طويلا من
الملاوة او مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان
ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به **فان قلت** علام عطف واهجرني مليا **قلت**
على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد
وتقريع قال سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على
جواز متاركة المنصوح له والحال هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا
ترى انه وعده الاستغفار سأستغفر لك ربي **فان قلت** كيف جاز ان يستغفر للكافر
وان يعده ذلك **قلت** قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية

على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط
الوضوء والنصاب فقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان
يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا
تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل
والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا
للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه
فالواعد هو ابرهيم لا آزر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة
حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم انه كان بي حفيا الحفي البليغ في البر والالطاف حفي
به وتحفى به واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اراد
بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله
عليه السلام الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز
ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله تعالى في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم
في قوله عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس
ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء ووهبنا
لهم من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني
او دنيوي اوتوه وجعلنا لهم لسان صدق عليا لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان
عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان لا
اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان
صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم
ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته
فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا
المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله
وبالفتح الذي اخلصه الله وكان رسولا نبيا الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي
الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع وناديناه من جانب الطور الايمن
وقربناه نجيا الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب
شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية
قربه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التوراة ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا
من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض رحمتنا كما في قوله
ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا
اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته ومؤازرته كذا عن ابن
عباس رضي الله عنهما واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا

ذكر اسمعيل بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب
نحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا
ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا
كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من ساير
الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم
احق بالتصدق عليهم فالاحسان الدينى اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان
امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن
الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوايد الدينية ولا يفرط في ذلك واذكر في الكتاب
ادريس انه كان صديقا نبيا قيل سمى ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ
وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان
منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمى وليس من الابلاس كما يزعمون
ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يتحقق ولم يتدرب بالصناعة
كثرت منه امثال هذه الهنات ورفعناه مكانا عليا المكان العلى شرف النبوة والزلفى
عند الله وقد انزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب
واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء
الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شئ اعلى من الجنة وعن
النابغة الجعدى انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذى اخره بلغنا السماء
مجدنا وسناءنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
اين يا ابا ليلى قال الى الجنة اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا
مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا
الى ادريس ومن في من النبيين مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا و
عملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان
ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابى نوح وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من
ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل
وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا واجتبينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية
ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا كلاما مستأنفا
وان جعلته صفة له كان خبرا قرأ شبل بن عباد المكى يتلى بالتذكير لان التأنيث غير حقيقى
مع وجود الفاصل والبكى جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المرى قرأت القرآن على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لى يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن
عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا

يدعو في سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين
لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ سجدة سبحان
قال اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ هذه قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم
عليهم المهديين الساجدين الباكين عند تلاوة آياتك فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة
واتبعوا الشهوات خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف
بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضى الله عنهما هم
اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم
ومجاهد اضاعوها بالتأخير وينصر الاول قوله الا من تاب وامن يعنى الكفار وعن على
رضى الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن
قتادة هو في هذه الامة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع فسوف
يلقون غيا كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغى لائما وعن الزجاج جزاء غى كقوله يلق اثاما اى مجازاة اثام
او غيا عن طريق الجنة وقيل غى واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وروى الاخفش يلقون
الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا وقرئ يدخلون
ويدخلون اى لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم
الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون البتة
اى شيئا من الظلم جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب لما كانت الجنة مشتملة
على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالى وعدن معرفة علم لمعنى
العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعانى الفينة والسحر
والامس فجرى مجرى العلم لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ
الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتى وقرئ جنات
عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء اى وعدها وهى غايبة عنهم غير حاضرة او وهم غايبون
عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به انه كان وعده مأتيا قيل في مأتيا
مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها او هو من قولك اتى اليه احسانا
اى كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اللغو فضول الكلام وما
لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التى
لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه و
قالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل
والخوض فيما لا يعنينا اى ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا
يسمعون الا ذلك فهو من وادى قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع
او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هى دار السلامة واهلها عن الدعاء
بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة الاكرام

ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهي
عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم
ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل أراد
دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة
ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وقرئ
نورّث استعارة أي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال الموروث ولأن الأتقياء يلقون
ربهم يوم القيمة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم
من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل
النار لو أطاعوا وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان
ربك نسيا رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده وما نتنزل حكاية قول جبرئيل ص
حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي أنه احتبس أربعين يوما وقيل خمسة عشر
وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن
يوحى إليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل
جبرئيل قال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك قال إني
كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست وأنزل الله هذه
الآية وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق
كقوله فلست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب لأنه مطاوع نزّل ونزّل يكون
بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في
الأحايين وقتا غب وقت ليس إلا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما
خلفنا من الجهات والأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومكان
إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد
من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا رأى ذلك
مصلحة وحكمة وأطلق لنا الإذن فيه وقيل ما سلف من أمر الدنيا وما نستقبل من أمر
الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا
وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الأرض
التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض والمعنى أنه
المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه
إلا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا
وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى أي ما كان امتناع النزول إلا لامتناع
الأمر به وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه إياك ولكن لتوقفه على المصلحة
وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أي وما ننزل الجنة إلا بأمر من الله علينا
ثوابا لأعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة
اللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان

ربك

ربك نسيا لأعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على
ذي ملكوت السماء والأرض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم لما عرفته على هذه
الصفة فأقبل على العمل واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين وقرأ الأعرج وما يتنزل
بالياء على الحكاية عن جبرئيل والضمير للوحي وعن ابن مسعود إلا بقول ربك يجب أن يكون
الخلاف في النسي مثله في النبي رب السموات والأرض بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدأ
محذوف أي هو رب السموات والأرض فاعبده كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى
هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب
العزة واصطبر لعبادته فإن قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر
عليها قلت لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت
له فيما يورد عليك من شداته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها
ولا تهن ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط وعن احتباس
الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك هل تعلم له سميا أي لم يسم شيء بالله قط وكانوا
يقولون لأصنامهم آلهة والعزى إله وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة فمخصوص
به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى أحد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم
من سمي باسمه على الحق دون الباطل لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا
تسمية وقيل مثلا وشبيها أي إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العباد العبادة إلا هو وحده
لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف
أخرج حيا يحتمل أن يراد بالإنسان الجنس بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة فإن قلت
لم جازت إرادة الأناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة
في من هو من جنسهم صح إسناده إلى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل
رجل منهم قال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد فقد
أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي
فإن قلت بما انتصب إذا وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم
قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فإن قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع
تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد
كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في إذا ما للتوكيد
أيضا فكأنهم قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار
والاستبعاد والمراد الخروج من الأرض أو من حال الفناء أو هو من قولهم خرج فلان
عالما وخرج شجاعا إذا كان نادرا في ذلك أي سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرأ
الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج وعن طلحة بن مصرف لسأخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك
وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة
ومنه جاء إنكارهم فهو كقولك للمسيء إلى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه
أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا الواو عطفت لا يذكر على يقول

ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال
النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج
الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار
الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء على مؤلف ولكن اختراعا وابداعا من كل قادر جلت
قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه
وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة
بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه
على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى
احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا
في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر
وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه
فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا في اقسام الله تعالى باسمه
تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورفع منه كما رفع من شان السماء والارض في قوله فورب السماء والارض
انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان يكون للعطف وبمعنى مع وهو بمعنى مع اوقع والمعنى
انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة
فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف
يستقيم حشرهم مع الشياطين **قلت** اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة **فان قلت** هلا عزل السعداء
عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء **قلت** لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر و
احضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله
منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم
فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم **فان قلت**
ما معنى احضارهم جثيا **قلت** اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من
المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على
اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة
المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز
والقلق واطلاق الحبى وخلاف الطمأنينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون
معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند
موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف
للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا
ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي
شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد

ثمانا من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا
اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم
اولى بها صليا المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي
من بين سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا
رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية
تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه مبني على الضم لسقوط صدر
الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا
على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا
قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم
الهراء استاذ الفراء **فان قلت** بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل
اليه **قلت** هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى
بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان منكم الا واردها التفات الى
الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى
المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون
وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كانها اهالة وروي دواية وعن جابر بن عبد الله
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال
بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه
رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما
كانت على ابرهيم عليه السلام حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها
مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان
الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء
مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن
النار وهو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث
الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة
فالمعنى بين كان على ربك حتما مقضيا الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي الموجب
به كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه و
قضى به وعزم على ان لا يكون غيره ثم ننجي الذين اتقوا وقرئ ننجي وننجي وينجي وينجى على
ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي
الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم
يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء

اى هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان
المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة فى مكانهم جاثين واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعانى مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات
قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا او ظاهرات
الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة
كقوله وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا للذين
آمنوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك و
يواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم وفى معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل و
الباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندى المجلس ومجتمع القوم
وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الايات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
ذلك مبلغهم من العلم قالوا اى الفريقين من المؤمنين بالايات والجاحدين لها اوفر حظا من
الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون
شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالثياب الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين
انهم اكرم على الله منهم وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا كم مفعول اهلكنا
ومن تبيين لابهامها اى كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم
وهم احسن فى محل النصب صفة لكم الا ترى لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية
الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثى ما لبس منها وانشد الحسن بن على
الطوسى تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا وقرئ على خمسة
اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريا على القلب كقولهم راء فى رأى
وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الرى الذى هو النعمة والترفه من قولهم ريان من
النعيم وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف الهمزة والقاء
حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزى وهو الجمع لان الزى محاسن
مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اى مد
له الرحمن يعنى امهله واملى له فى العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول
لا محالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم ما
يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما او من كان فى الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا فى معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس فى مدة حيوته حتى اذا راوا ما يوعدون
اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا فى هذه الاية وجهان
احدهما ان تكون متصلة بالاية التى هى رابعتها والايتان اعتراض بينهما اى قالوا اى
الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اى لا يبرحون يقولون هذا
القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود رأى عين اما العذاب فى الدنيا
وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله

على ايديهم واما يوم القيمة وما ينالهم من الخزى والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان
الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا و
ان المؤمنين على خلاف صفتهم والثانى ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلالة
ممدود لهم فى ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم
وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم فى كفرهم الى القول الذى قالوه
لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها
فان قلت حتى هذه ما هى قلت هى التى تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية
واقعة بعدها وهى قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا فى
مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندى المجلس الجامع
لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يزيد معطوف
على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مد او يمد له الرحمن
ويزيد اى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات
الصالحات اعمال الاخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر اى هى خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اى مرجعا وعاقبة
او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكائى زندا فان قلت كيف قيل
خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه
قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه
اصلا اذا راح المطى غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا
وفيه ضرب من التهكم الذى هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت
فما وجه التفضيل فى الخير كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون
الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره منه فى برده افرأيت الذى كفر باياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها
علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارأيت فى معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذى
هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك
اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية
قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اى عاليا له مالكا
له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذى
توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا
باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرأ
حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كاسد فى اسد او بمعنى الولد كالعرب فى العرب وعن يحيى
بن يعمر وولدا بالكسر وقيل العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو
يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبى هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك وعن الحسن رح نزلت

في الوليد بن المغيرة والمشهورة انها في العاص بن وائل قال الخباب بن الارت كان لي عليه
دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا
ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثمة مال
وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون
وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا
ردع وتنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان
قلت كيف قيل سنكتب ما يقول بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله
تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه
انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب
اني لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار
وان تطاول به الزمان واستأخر فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب مدا اي
نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزؤن او نزيده
من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب
ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب
به غضبه ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة نعطيه ما يستحقه
والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له
ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به
اشعبيته ان تألى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول
الله عز وجل هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال
ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان
هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له
منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في
الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته
ما تمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول
حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون
بعد ذلك واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون
لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا سيكفرون بعبادتهم ردع لهم وانكار
لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم
كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل
هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب
الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم
وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا
شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم

لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم
تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا في مقابلة لهم
عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كأنه
قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم
اي اعوانكم وكأن العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان
قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق
كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود
النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى
المشركين فالمعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الم
تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا الأز والهز والاستفزاز اخوات ومعناه
التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى
خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمعنى تعجيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة واقاويلهم وملاجتهم ومعاندتهم للرسل
واستهزاؤهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجماعهم
على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول
لهم فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل
عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك
وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة
التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا
الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد
خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان
عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا نصب يوم بمضمر اي
يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب
بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم
برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه
ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر
الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء و
الورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال
ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الما فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر
المتقون ويساق المجرمون لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الواو في لا
يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة و
يجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع

ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اى الا
شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل
وعن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل
صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك بانى اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك
لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى
لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال
ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند
الله عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اى
لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع فى التنزيل وكم من ملك فى السموات
لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا
لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا لقد جئتم شيئا ادا وقرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم
المنكر والادة الشدة واد فى الامر وادنى اثقلنى وعظم على ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا يكاد قرأه الكسائى ونافع بالياء وقرئ ينفطرن
الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود
ينصدعن اى تهد هدا او مهدودة او مفعول له اى لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار
السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة فى الجمادات قلت
فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود
هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى ووقارى وانى لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا
والثانى ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها فى الدين و
هدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر فى المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة
التى هى قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفى قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد
الغيبة وهى الذى يسمى الالتفات فى علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض
لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا فى ان دعوا ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء
فى منه كقوله على حالة لو ان فى القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير
سقوط اللام وافضاء الفعل اى هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن
ومرفوعا بانه فاعل هدا اى هدها دعاء الولد للرحمن وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرات
من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها
منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه
فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك
عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذى

هو الثانى طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه
ما فى قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا بنى نهشل لا ندعى لاب
اى لا ننتسب اليه وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا انبغى مطاوع بغى اذا طلب اى ما يتأتى له
اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلبه مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة
فلا مقال فى استحالتها واما التبنى فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس القديم سبحانه
جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا
من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب فى قوله رب من انضجت غيظا صدره
وقرأ ابن مسعود وابو حيوة ات الرحمن على اصله قبل الاضافة لقد احصيهم وعدهم عدا
وكلهم اتيه يوم القيمة فردا الاحصاء الحصر والضبط يعنى حصرهم بعلمه واحاط
بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا فى الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين
احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثانى اشراك الذين زعموهم لله اولادا
فى عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لابائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم
من الايات ثم عقبه بهدم الكفر الاخر والمعنى ما من معبود لهم فى السموات والارض من
الملائكة ومن الناس الا وهو يأتى الرحمن اى يأوى اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا
مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه ما يدعيه له
هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم
اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وهو
مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شئ من
احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد
وهم براء منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقرأ جناح بن حبيش
ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا
تعرض للاسباب التى يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع
بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة
كما قذف فى قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان
السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا
الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الله الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر
من ديوان اعمالهم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه يا على قل
اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الاية
وعن ابن عباس يعنى يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء
ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة فى الارض وعن قتادة
ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه فانما يسرناه بلسانك لتبشر به
المتقين وتنذر به قوما لدا هذه خاتمة السورة ومقطعها فكأنه قال بلغ هذا المنزل او

بشيرا ونذيرا فإنما أنزلناه بلسانك أي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه و فصلناه لتبشر به وتنذر وألدّ الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد أي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد أهل مكة وقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن تخويف وإنذار هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وقرئ تحس من حسه إذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرأ حنظلة تسمع مضارع أسمعت والركز الصوت الخفي و منه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكرياء وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وإبرهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهرون وإسمعيل وإدريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله تعالى

سورة طه مكية [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم طه أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء وفخمها ابن كثير وابن عامر على الأصل والباقون أمالوهما وعن الحسن طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه وأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معا وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت في يطأ فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الأمر والهاء للسكت ويجوز أن يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله أعلم بصحة ما يقال إن طه في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به "إن السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين" والأقوال الثلاثة في الفواتح التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الألباء المتقنون ما أنزلنا عليك القرآن إن جعلت طه تعديدا لأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وإن جعلتها اسما للسورة احتمل أن يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل أتعب من رائض مهر وأشقى من رائض مهر إلا تذكرة أي ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل إن أبا جهل والنضر بن الحارث قالا له إنك شقي لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي أنه عليه الصلوة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل أبق على نفسك فإن لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية

والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فإن قلت أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله أن تحبط أعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه وأما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها فإن قلت هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي إلا فيه بمعنى لكن ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلنا إليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول أمره إلى الخشية ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر إيمانا وبالقسوة خشية تنزيلا ممن خلق الأرض في نصب تنزيلا وجوه أن يكون بدلا من تذكرة إذا جعل حالا لا إذا كان مفعولا له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن وإعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ما بعد تنزيلا إلى قوله له الأسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه إما تنزيلا نفسه فيقع صلة له وإما محذوفا فيقع صفة له فإن قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه والسموات العلى وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها الرحمن على العرش استوى وقرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن لأنه إما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن وإما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق فإن قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح قلت إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن يكون كذلك وأن يكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة قالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد وبخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت حتى إن من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة أي هو بخيل بل يداه مبسوطتان أي هو جواد

من غير تصور ريد ولا غل ولا بسط فالتفسير بالنعمة والتحمل للتثنية من غير ضيق العطن والمساق
عن علم البيان مسيرة اعوام له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى
ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اى يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما
اخطرته ببالك او ما اسررته فى نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان
اخفى فعل يعنى انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت
معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غنى عن جهرك فاما ان يكون نهيا
عن الجهر كقوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما
للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض اخر الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى
الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى
ومثلها مارب اخرى ومن اياتنا الكبرى والذى فضلت به اسماؤه فى الحسن سائر الاسماء
دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن
وهل اتيك حديث موسى قفاه بقصة موسى عليه السلام ليأتسى به فى تحمل اعباء النبوة
وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود
اذ راى نارا يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اى حين راى نارا كيت وكيت
او مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليه السلام فى الخروج الى امه وخرج باهله فولد له
فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده
وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة فقال لاهله امكثوا اقيموا فى
مقامكم انى انست نارا لعلى اتيكم منها بقبس الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه
ومنه انسان العين لانه يتبين به الشئ والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو
ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن
انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء
والطمع وقال لعلى ولم يقطع فيقول انى اتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به والقبس النار
المقتبسة فى رأس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او
نحوها او اجد على النار هدى اى قوما يهدوننى الطريق او ينفعوننى بهداهم فى ابواب الدين
عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار معمورة بالهمة الدينية فى جميع احوالهم
لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى
الاستعلاء فى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى
مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها
قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق فلما
اتيها نودى يا موسى انى انا ربك قرأ ابو عمرو وابن كثير انى بالفتح اى نودى بانى انا
ربك وكسر الباقون اى نودى فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته

تكرير الضمير فى انى انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه
لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس اليه
لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع جهاتى الست
واسمعه بجميع اعضائى وروى انه حين انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها
كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة
ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وروى كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت
وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس فى نفسه خيفة فلما
اراد الرجعة دنت منه ثم كلم فاخلع نعليك انك بالواد المقدس قيل امر بخلع النعلين
لانهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر الوادى بقدميه
متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثمه طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم
من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل
على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى انه خلع نعليه والقاهما من
وراء الوادى طوى بالضم والكسر منصوب وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل
مرتين نحو ثنى اى نودى نداءين او قدس الوادى كرة بعد كرة وانا اخترتك اصطفيتك
للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى
لما يوحى للذى يوحى او للوحى تعلق اللام باستمع او باخترتك واقم الصلوة لذكرى
لتذكرنى فان ذكرى ان اعبد ويصلى لى او لتذكرنى فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن
مجاهد او لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك
لسان صدق او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص ذكرى وطلب وجهى لا ترائى
بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون لى ذاكرا غير ناس فعل المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم
على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او
لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة لقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتنى
قدمت لحياتى وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن
صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او بتقدير
حذف المضاف اى لذكر صلوتى او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل فى الحقيقة وقرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى ان الساعة اتية اكاد اخفيها اى اكاد اخفيها
فلا اقول هى اتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعميه وقتها من
اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسى ولا دليل فى الكلام على هذا المحذوف
ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذى غرهم منه ان فى مصحف ابى اكاد اخفيها من نفسى
وفى بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسى فكيف اظهركم عليها وعن ابى الدرداء وسعيد بن جبير
اخفاها من خفاه اذا اظهره اى قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء فى بعض

اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس * فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا
الحرب لا نقعد * فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى كل نفس متعلق بآتية بما تسعى بسعيها
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى اى لا يصدنك عن تصديقها
والضمير للقيمة ويجوز ان يكون للصلوة فان قلت العبارة النهى من لا يؤمن عن صد
موسى والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه
العبارة لاداء هذا المقصود قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها
سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثانى ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل
فى الدين ولين شكيمته فذكر السبب ليدل على المسبب كقولهم لا ارينك ههنا المراد نهيه
عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه
قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع فى صدك
عما انت عليه يعنى ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شئ اطم على الكفرة
ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل
الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى
واتباعه لا البرهان وتدبره وفى هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد
وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله وما تلك بيمينك يا موسى تلك بيمينك
كقوله وهذا بعلى شيخا فى انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان يكون تلك اسما موصولا
صلته بيمينك انما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا فى الخشبة اليابسة من قلبها
حية نضناضة وليقرر فى نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب لك ما هى فيقول زبرة حديد
ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هى تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب
الصنعة وانيق السرد قال هى عصاى وقرأ ابن ابى اسحق عصى على لغة هذيل ومثله
يا بشرى ارادوا كسر ما قبل الياء فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرأ
الحسن عصاى بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخى وعن ابن ابى
اسحق بسكون الياء اتوكؤ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع
وعند الطفرة واهش بها على غنمى هش الورق خبطه اى اخبطه على رؤس غنمى تأكله
وعن لقمان بن عاد * اكلت حقا وابن لبون وجذع * وهشة نخب وسيلا دفع * والحمد لله
من غير شبع * سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفى
قراءة النخعى اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة اهس
بالسين اى انحى عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ولى فيها مآرب اخرى ذكر على التفصيل
والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله
فقال ما هى الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا
للغرض الذى فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التى
علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كانه يقول
له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة

كنت تعتد بها وتحتفل بشانها وقالوا انما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما
اجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد فى اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل
وقالوا اسم العصا نبعة وقيل فى المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه
بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها اداواه من
القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها
والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل
كان فيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان
شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت
وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب
وكانت تقيه الهوام قال القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى السعى المشى بسرعة
وخفة حركة فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت
اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان
فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفى ذلك وجهان احدهما
انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم وتتزايد جرمها
حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثانى انها كانت فى
شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كانها جان
وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا قال خذها و
لا تخف لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال
والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شئ
خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقى آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف
بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها سنعيدها سيرتها
الاولى السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها
فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اى سنعيدها
فى طريقتها الاولى اى فى حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد
اليه ومنه بيت زهير * وعادك ان تلاقيها عداء * فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث
حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت
اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما انشاناها
اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اى تسير سيرتها الاولى يعنى سنعيدها سائرة سيرتها
الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التى عرفتها واضمم يدك الى جناحك
تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر لجنبتيه
وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه
يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء
الرداءة والقبح فى كل شئ فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة وكان جذيمة

صاحبها لو باء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا اخذ بالمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك من آياتنا الكبرى اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي تذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب **فان قلت** في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب **قلت** قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فينعقد بينهما حرمة المؤاكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسن بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره او من الموازرة وهي المعاونة عن الاصمعي وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير ونديم وجليس وقعيد وخليل وصديق فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى ان وازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي ووزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن اشدد به ازري واشركه في امري كي

نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا قرأوا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به ازري خبره ويوقف على هرون الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي فانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى مأكول ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق ان يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم **فان قلت** المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل **قلت** ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما على المفسر لما كانت مشيئة الله وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة والقيت عليك محبة مني مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك وروي انه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه

من رآه ولتصنع على عيني لتربى ويحسن اليك فانا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء
بعينيه اذا اعتنى به ويقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي
وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه او حذف معلله
اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر
وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني اذ تمشي
اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان
يكون بدلا من اذ اوحينا فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان
قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة
كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها يروى ان اخته
واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان
لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى ان آسية استوهبته
من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع فرجعناك الى امك كي تقر
عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه
الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن
اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه
من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين وفتناك فتونا يجوز ان يكون
مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن
سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد
في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون
بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة و
كان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان
وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فلبثت سنين في
اهل مدين مدين على ثماني مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا و
عشرين سنة منها مهر ابنته عشر وقضى اوفى الاجلين ثم جئت على قدر يا موسى
اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت
الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى
الانبياء وهو رأس اربعين سنة واصطنعتك لنفسي هذا تمثيل لما خوله من منزلة
التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه و
خصائص اهلا لئلا يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة
ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء
ضميره اذهب انت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى الوني
الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا ازال منكما

على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد
مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ
الرسالة لانه من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله اوحى الى
هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك فقولا له قولا لينا
قرئ لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام
والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع
منه الا بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره
والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه
وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة لعله يتذكر او يخشى
والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان
يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما
اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك اي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من
نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة قالا
ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة
وفرس فارط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من
افرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان
او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين
الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من
الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او بمجاوزة الحد
في معاقبتنا ان لم يعاجلنا على ما عرفنا وجربنا من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى
ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى
سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة قال لا تخافا انني معكما
اي حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه
حفظي ونصرتي لكما فجائز ان يقدر اقوالكم وافعالكم وجائز ان لا يقدر شيء وكأنه قيل انا
حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة
وذهبت المبالاة بالعدو فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم
كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء
ونقل الحجارة والسخرة اي في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك باية
من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان
دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالاية انما وحد قوله باية وكان معه
آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة و
برهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فات باية ان

كنت من الصادقين أو لو جئتك بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحي إلينا
أن العذاب على من كذب وتولى يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين
وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه
النداء إلى أحدهما وهو موسى لأنه الأصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله
خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة
في لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال
ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون
إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة
به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك
الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها يطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو
أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة
والرجل والمرأة فلم يزاوج منهما شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف
أو للمضاف إليه أي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه ثم هدى أي عرف كيف
يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل إليه ولله در هذا الجواب ما أحضره وما أجمعه وما أبينه
لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق قال فما بال القرون الأولى قال
علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون
وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا السؤال سؤال عن الغيب و
قد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به
علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن
يخطئ شيئا أو ينساه يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق
والمنزل وقرئ يضل من أضله إذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه
ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء
وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد أطراف
عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو
مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوزان عليك أيها العبد الذليل
والبشر الضئيل أي لا يضل كما تضل ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة
الذي جعل لكم الأرض مهدا مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح
وهذا من مظانه ومجازه مهدا قرأه أهل الكوفة أي مهدها مهدا أو يتمهدونها فهي لهم
كالمهد وهو ما يمهد للصبي وسلك لكم فيها سبلا سلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر
سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين أي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والأودية
والبراري وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم
المطاع لما ذكرت من الافتنان والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره وتذعن
الأجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء عن إرادته ومثله قوله تعالى وهو الذي أنزل من

السماء

السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات
مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات
بهجة وفيه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد أزواجا من نبات
أصنافا سميت بذلك لأنها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للأزواج جمع
شتيت كمريض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي
بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة
والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد إنما
يحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله
كلوا وارعوا أنعامكم أي قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فأخرجنا المعنى فأخرجنا
أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها إن في
ذلك لآيات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى أراد
بخلقهم من الأرض خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل إن الملك لينطلق فيأخذ
من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا
وأراد بإخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء
ويخرجهم إلى المحشر يوم يخرجون من الأجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالأرض من
مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها
كيف شاؤوا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهو أصلهم الذي
منه تفرعوا وأمهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم إذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تمسحوا بالأرض فإنها بكم برة ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى أريناه
بصرناه أو عرفناه صحتها ويقناه بها وإنما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر
وفي قوله آياتنا كلها وجهان أحدهما أن يحذى بها التعريف الإضافي حذو التعريف باللام
لو قيل الآيات كلها أعني أنها كانت لا تعطي إلا تعريف العهد والإشارة إلى الآيات المعلومة
التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد
والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه
ما أوتيه غيره من الأنبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه
وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا وأبى أن يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول
الحق قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى يلوح من جيب قوله أجئتنا لتخرجنا
من أرضنا بسحرك أن فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وإيقانه
أنه على الحق وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادت له وأن مثله لا يخذل ولا يقل ناصره
وأنه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحرا
لا يقدر أن يخرج ملكا من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر فلنأتينك بسحر مثله فاجعل
بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن

يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى لا يخلوا الموعد في قوله اجعل بيننا
وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا فى ان
قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان يجعل الزمان مخلفا وان يعضل
عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف
على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا
وزمانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقى ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف
محذوف اى مكان موعد ويجعل الضمير فى نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان
قلت كيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة فلا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن
المكان لا الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا
يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان
واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا
ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه
فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل دل عليه المصدر فان قلت
كيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير
وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت
وضحى خبر على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء
ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك
اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى
بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء
لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجرى
الوصل مجرى الوقف قرئ وان يحشر الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان
يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون وكره بلفظ الغيبة اما على العادة التى يخاطب
بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر
عطفا وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق
الباطل على رؤس الاشهاد وفى المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب فى اتباع الحق ويكل حد
المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم فى كل بدو وحضر ويشيع فى جميع اهل
الوبر والمدر قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا اى لا تدعوا آياته ومعجزاته
سحرا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى قرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات
لغة اهل نجد وبنى تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف فى بيت لا تزال تصطك
الركب فى تسوية اعرابه فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما عن ابن عباس ان نجويهم ان غلبنا موسى اتبعناه
وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم
الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا فى السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا

ان هذان لساحران فكانت نجويهم فى تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما و
تثبيطا للناس عن اتباعهما قرأ ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة
وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيدا لمنطلق واللام هى الفارقة بين النافية
والمخففة من الثقيلة وقرأ ابى ان ذان الا ساحران وقرأ ابن مسعود ان هذان ساحران
بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل فى القراءة المشهورة ان هذان لساحران هى لغة
بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التى اخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها
فى الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة
على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق ويذهبا بطريقتكم المثلى سمو مذهبهم
الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى
وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس
واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة
قومه فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اى ازمعوه و
اجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها
ثم ائتوا صفا امروا بان يأتوا صفا لانه اهيب فى صدور الرائين وروى انهم كانوا
سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابى عبيدة انه
فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلوتهم مصطفين ووجه صحته
ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان يأتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات وقد افلح
اليوم من استعلى اعتراض يعنى وقد فاز من غلب قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان
نكون اول من القى قابلوا القوم مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف
معناه اختر احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب
حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز
وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب
بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحرة ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا
اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت
آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى يقال فى اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة فى معنى الوقت
الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت فى بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا
مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم
وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته
حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعى وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع
ونحوه دلى ودلى وقسى وقسى وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال
قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبنى زيد كرمه وتخيل على كون الحبال
والعصى مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ويخيل على ان الله تعالى

هو المخيل للمحنة والابتلاء. يروى أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك. فأوجس في نفسه خيفة موسى أي أحس بالخوف وأضمر الشيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه، وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله، وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه. قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل. وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها، وجائز أن يكون تعظيما لها أي لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة فإن في يمينك شيئا أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عندها فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها. وقرئ تلقف بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة، وقرئ تلقف. صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون. إنما صنعوا كيد ساحر قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة، وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته، أو بين الكيد لأنه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو. فإن قلت لم وحد ساحر ولم يجمع؟ قلت لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد، ألا ترى إلى قوله ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس. فإن قلت فلم نكر أولا وعرف ثانيا؟ قلت إنما نكر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج: في سعي دنيا طالما قد مدت، وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة، المراد تنكير الأمر كأنه قيل إن ما صنعوا كيد سحري، وفي سعي دنيوي وأمر دنيوي وأخروي. حيث أتى كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان. فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين. وروي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها، وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة. قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمري كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء. فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل قرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف، والقطع من خلاف أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك يسار، ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه إياه، ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات

لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف. شبه تمكن المصلوب في الجذوع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل. ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام بدليل قوله آمنتم له، واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين، وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء. قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى. والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم. قرئ تقضى هذه الحياة الدنيا، ووجهها أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة. روي أن السحرة يعني رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر، وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه. تزكى تطهر من أدناس الذنوب، وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله. قيل في هذه الآيات هي حكاية قولهم، وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية. ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله. يبسا اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم، ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها. وقرئ يبسا ويابسا، ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا من اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعى جياعا، جعله لفرط جوعه كجماعة جياع. لا تخاف حال من الضمير في فاضرب، وقرئ لا تخف على الجواب. دركا وقرأ أبو حيوة دركا بالسكون، والدرك والدرك اسمان من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك. في ولا تخشى إذا قرئ لا تخف ثلاثة أوجه: أن يستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أي ومن شأنك أنك آمن لا تخشى، وأن لا يكون الألف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا، وأن يكون مثل قوله: كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا. فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى. ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله. وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم، والتغشية التغطية، وفاعل غشاهم إما الله سبحانه أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم. وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم يا بني إسرائيل

خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك ال فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بابائهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل
وحذف القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الايمن
بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى
صلوات الله وسلامه عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التورية في الالواح وانما عدى
المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت
منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه ولا
تطغوا فيه طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو
والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان
يسرفوا في انفاقها وان يبطروا ويأشروا ويتكبروا فيحل عليكم غضبي قرئ فيحل وعن
عبد الله لا يحلن ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب
من حل الدين اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله والمضموم في معنى
النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك
قالت هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض
بعده واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى الاهتداء هو الاستقامة و
الثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين
الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير
نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري
وعجلت اليك رب لترضى اي شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء
الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد بناء على اجتهاده
وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا على دواعي
الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان
يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على
اثري وعن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا اولى
بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال
اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة
فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز
موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه
به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر
والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل
بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من
سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب

فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول لجاز لما ورد عليه من التهيب لعقاب الله فاذهله
ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم
السامري اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من
عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته
عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك
فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا فتنا قومك قلت قد
اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة على عادته او افترض السامري غيبته
فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدو الفتنة موجودا قرئ واضلهم
السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل
يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان باجرما
وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من
قوم يعبدون البقرة فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف الشديد الغضب
ومنه قوله عليه الصلوة والسلام في موت الفجأة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر
وقيل الحزين فان قلت متى رجع الى قومه قلت بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة
وعشر ذي الحجة قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم
التورية التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل حكي لنا انها كانت الف سورة
كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال
عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه
من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا
اوزارا من زينة القوم بملكنا قرئ بالحركات الثلث اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا
امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده
اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها اثام وتبعات
لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي على
ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا بان
بان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما
القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبرئيل اوحى اليه وليه
الشيطان انها اذا خالطت مواتا صارت حيوانا فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار
فقالوا هذا الهكم واله موسى فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي
التي سبكتها النار يخور كما يخور العجاجيل فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات
قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما اثره بغيرها
من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله
ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشأ المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع

فان قلت فلم خلق الله العجل من الحلى حتى صار لبنى اسرائيل فتنة وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامرى على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسى اى فنسى موسى ان يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسى السامرى اى ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا يرجع من رفعه فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى من قبل من قبل ان يقول لهم السامرى كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامرى بادرهم هرون عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امرى لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعنى فى الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصى وهلا قاتلت من كفر بمن امن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقنى قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وقرئ بلحيتى بفتح اللام وهى لغة اهل الحجاز كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب فى كل شئ شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الايات العظام ان القى الواح التورية لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اى لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافى برأيك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتنى به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لى بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها قال فما خطبك يا سامرى الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قال بصرت بما لم يبصروا به وقرئ بصرت بما لم تبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى قرأ الحسن قبضة بضم القاف وهى اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرأ ايضا فقبصت قبصة بالصاد فالضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه وقرأ ابن مسعود من اثر فرس الرسول فان قلت لم سماه الرسول دون جبرئيل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبرئيل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره السامرى فقال ان لهذا شانا فقبض القبضة

ومن

من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبرئيل قال فاذهب فان لك فى الحيوة ان تقول لا مساس عوقب فى الدنيا بعقوبة لا شئ اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد فى الناس اوحش من القاتل اللاجى الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه فى الظباء اذا وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهى اعلام للمسة والعبة والابة وهى المرة من الاب وهو الطلب وان لك موعدا لن تخلفه اى لن يخلفك الله موعده الذى وعدك على الشرك والفساد فى الارض ينجزه لك فى الاخرة بعد ما عاقبك بذلك فى الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى اثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اى لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر فى لاهب لك وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفى حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر ابو على الفارسى فى لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهى قراءة على بن ابى طالب رضى الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهى ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما وقرأ طلحة الله الذى لا اله الا هو الرحمن رب العرش الكريم وسع كل شئ علما وعن مجاهد وقتادة وسع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شئ واما علما فانتصابه على التمييز وهو فى المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل فى المعنى كما تقول فى خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا الكاف فى كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله اى مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذى اتيناك يعنى القران مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقران كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقى من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يقدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل

خالدين جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير
في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار
جهنم خالدين فيها فيه اى في ذلك الوزر او في احتماله وساء لهم يوم القيمة حملا
ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم
محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم
العبد انه اواب ايوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اى
وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام في لهم ما هي وبم يتعلق قلت هي للبيان كما في
هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في ساء
وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس
ولكن ساء الذي منه قوله سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا
عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج
عن عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ
زرقا اسند النفخ الى الامر به فيمن قرأ ننفخ بالنون او لان الملائكة المقربين واسرافيل
منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما
يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة
والضمير لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن
وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه
القراءة تدل عليه والثاني انه القرن قيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء
من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو
اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور
بصره تزراق يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون يتخافتهم لما يملأ
صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد
التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار
واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع
عبد الله بن المعتز تحت اطال الله تعالى بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها
ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة
وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان
لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم و
الايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا
فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها
الرياح فتفرقها كما يذري الطعام فيذرها اى فيذر مقارها او مراكزها او يجعل الضمير

للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج
بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين
قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة و
نفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في
التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم
استطلعت رأي المهندس فيها وامرته بان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر
فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى
الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف على الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه
صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس
لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر والامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت
يومئذ يتبعون الداعي اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اى يوم اذ
نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو
اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون
لا عوج له اى لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته وخشعت
الاصوات للرحمن اى خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا
وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها
اذا مشت اى لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من
اذن له الرحمن ورضي له قولا من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من
الشفاعة بتقدير حذف المضاف اى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب
على المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله اى اذن للشافع ورضي له لاجله ونحو هذه
اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه يعلم ما
بين ايديهم وما خلفهم اى يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون به
بمعلوماته علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما المراد بالوجوه وجوه
العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية
اى ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما رأوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك
خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه ومن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا
يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون واذا
كالوا يخسرون اى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي
وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا
وكذلك عطف على كذلك نقص اى ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هذه الآيات المضمنة
للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم

ترك المعاصي وفعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ
نحدث وتحدث بالنون والتاء اى تحدث انت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في فاليوم اشرب
غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه
ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر
ملكوته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ولما ذكر
القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبرئيل ما يوحى اليك من القرآن فتأن
عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة
لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا
حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع لله
والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم اى علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما
كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله صلى الله
عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء الا في العلم ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له
عزما يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه و
عهد اليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى
واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة
الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان تتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد
في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني آدم على
ذلك وعرقهم راسخ فيه **فان قلت** ما المراد بالنسيان **قلت** يجوز ان يراد النسيان
الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب
عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من
الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقرئ فنسي اى نساه الشيطان والعزم التصميم والمضي
على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز
ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له
عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس اذ منصوب بمضمر اى واذكر
وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة و
طاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى
يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات **فان قلت** ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى
كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة **قلت** كان
في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما امروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة
له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم
كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف به وقيل له
قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام **فان قلت** فكيف صح استثناؤه
وهو جني عن الملائكة **قلت** عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه

فاخرج

فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامرأة بين الرجال ابى جملة مستأنفة
كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه
بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط فقلنا يا آدم ان هذا
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة فتشقى واسند
الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء
الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام
باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت
وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع اليه وروي انه اهبط الى آدم ثور احمر فكان
يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها
ولا تضحى قرئ وانك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على ان لا تجوع **فان قلت**
ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم
ادخلت عليها **قلت** الواو لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل
فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان
وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره
استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج
الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو
ليطرق سمعه باسامي الشقاوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها
فوسوس اليه الشيطان **فان قلت** كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس
لهما الشيطان واخرى بالى **قلت** وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة
الذئب ووقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس
ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي وسوس
يدعو مخلصا رب الفلق فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله اجرس لها يا ابن
ابي كباش ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها
خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى دليل على
قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسر فاكلا منها
فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة طفق يفعل كذا مثل
جعل يفعل واخذ وانشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه
مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه وقرئ يخصفان
للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اى يلزقان الورق بسوآتهما
للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما
وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف
الاصابع عن ابن عباس وعصى آدم ربه فغوى لا شبهة في ان آدم لم يمتثل ما رسم الله

له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشداً وخيراً فكان غياً لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى ادم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كاملة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغليظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلاً ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فنى وبقى فنى وبقى وهم بنو طي تفسير خبيث ثم اجتباه ربه فتاب عليه فان قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الى كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اى هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة للجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى اى وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى لما كان آدم وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا الضنك مصدر يستوى في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشاً رافعاً كما قال عز وجل فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤ بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر

ونحشره يوم القيمة اعمى وقرئ ونحشره بالجزم عطفاً على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً فسر الزرق بالعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى كذلك اى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان اياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الاخرة ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابداً اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين اى تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريدان قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون اثار هلاكهم ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم الى الاخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عاداً وثمود لازماً لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اى ملزم كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفاً على كلمة او على الضمير في كان اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار بحمد ربك في موضع الحال اى وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل اخراً فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد اناء الليل واطراف النهار مختصاً لهما بصلوتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلاً وقال امن هو قانت اناء الليل ساجداً وقائماً ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكان ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في اناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال

اقم الصلوة طرفى النهار قلت الوجه امن الالباس وفى التثنية زيادة بيان ونظير مجئ الامرين
فى الاثنين مجيئهما فى قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء
الليل لعلك ترضى ولعل للمخاطب اى اذكر الله فى هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله
ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به اى نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا
به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه
لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا
وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشئ بالنظر ثم غض الطرف
ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه
نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اى لا تفعل ما انت معتاد له وضار به
وقد شدد العلماء من اهل التقوى فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة
فى اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر
اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة و
يجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذى متعنا به
وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة الحيوة الدنيا
قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى
اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من
ازواجا على تقدير ذوى زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى
الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء فى الجهرة الجهرة وقرئ ارنا الله جهرة وان
يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتمتعون
ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء
من شحوب الالوان والتقشف فى الثياب لنفتنهم فيه لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب
لوجود الكفران منهم او لنعذبهم فى الآخرة بسببه ورزق ربك خير وابقى ورزق ربك
هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذى هو خير منه فى نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة
الاسلام والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض
الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم
وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى يهودى وقال قل له يقول لك رسول الله اقرضنى الى رجب فقال والله
لا اقرضه الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لامين فى السماء وانى لامين
فى الارض احمل اليه درعى الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وأمر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى اى واقبل انت مع اهلك
على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة
فان رزقك مكفى من عندنا ونحن رازقوك ولا نسئلك ان ترزق نفسك ولا اهلك

ففرغ بالك لامر الآخرة وفى معناه قول الناس من كان فى عمل الله كان الله فى عمله
وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ثم ينادى الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزنى كان اذا اصابت
اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية وقالوا لولا يأتينا
بآية من ربه اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى اقترحوا على عادتهم فى التعنت آية
على النبوة فقيل لهم اولم تأتكم آية هى ام الآيات واعظمها فى باب الاعجاز يعنى القرآن
من قبل ان القرآن برهان ما فى سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست
بمعجزات فهى مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وقرئ
الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها فى معنى البرهان
والدليل وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله قل كل اى كل واحد منا ومنكم متربص
للعاقبة ولما يؤل اليه امرنا وامركم فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوى
ومن اهتدى وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد او المستوى والسوء والسوى والسوى تصغير
السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطى يوم القيمة ثواب المهاجرين
والانصار وقال لا تقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس

سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم هذه اللام لا
تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تأكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولهم ازف للحى
رحيلهم الاصل ازف رحيل الحى ثم ازف للحى الرحيل ثم ازف للحى رحيلهم ونحوه ما اورده
سيبويه فى باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك
ومنه قوله لا ابا لك لان اللام مؤكدة بمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد
اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب
وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت
دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله
عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو
الذى وجد وانقرض ولان ما بقى من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث
خاتم النبيين الموعود مبعثه فى آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت فى نسم الساعة
وفى خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا
كانت بقية الشئ وان كثرت فى نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف
بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس
على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وهم فى غفلة معرضون

ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وصفهم بالغفلة
مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون
لما ترجعون إليه عاقبة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء و
إذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر
أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا وقرر إعراضهم من تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ
بأن الله يجدد لهم الذكر وقتاً فوقتاً ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة
ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور
وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجد إلا لعباً وتلهياً و
استسخاراً والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة محدث بالرفع صفة
على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ
لاهية فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه
إذا ذهل وغفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلاً
وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم وأسروا النجوى الذين
ظلموا فإن قلت النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية فما معنى قوله وأسروا
قلت معناه وبالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم
متناجون أبدل الذين ظلموا من واو وأسروا إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش
فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو
مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع
المضمر تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون
هذا الكلام كله في محل النصب بدلاً من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق
بقالوا مضمراً اعتقدوا أن رسول الله لا يكون إلا ملكاً وأن كل من ادعى الرسالة من البشر
وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر
وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر فإن قلت لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه
قلت كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل
المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شوارهم
ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم
بالكتمان ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم
يقولوا لرسول الله صلعم والمؤمنين إن كان ما تدعونه حقاً فأخبرونا بما أسررناه قل
ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم فإن قلت هلا قيل يعلم السر
لقوله وأسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر
وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر
آكد من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية
فإن قلت فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات

والأرض قلت ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى
كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام افتناناً ويجمع الغاية وما دونها
على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه
أراد أن يقول إن ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف
ذاته بأنه أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب
عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قالوا
أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم
إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع
غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلاً من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد و
أن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث
فليأتنا بآية كما أرسل الأولون صحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه
في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى
أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة ما آمنت قبلهم من
قرية أهلكناها أفهم يؤمنون فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات
وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم
ما يقترحون لكانوا أنكث وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل
الذكر إن كنتم لا تعلمون أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن
رسل الله الموحى إليهم كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم على أولئك
لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً فلا يكاذبونهم
فيما هم فيه ردء لرسول الله صلعم وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام لا يأكلون الطعام
صفة لجسداً والمعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لإرادة
الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام
فإن قلت نعم قد رد إنكارهم أن يكون بشراً يأكل ويشرب بما ذكرت فما رد من قولهم
بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل أن يقولوا بشراً مثلنا يعيش كما نعيش ويموت
كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكاً لا يطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو
مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلوداً ثم صدقناهم الوعد مثل واختار موسى
قومه والأصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره فأنجيناهم
ومن نشاء هم المؤمنون ومن في بقائهم مصلحة وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا إليكم
كتاباً فيه ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه
مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد
وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك أفلا تعقلون وكم قصمنا من
قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد

ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف
الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما اخرين وعن ابن عباس انها
حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله
عليهم بخت نصر كما سلط الله على اهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي انه لما اخذتهم
السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين
لم ينفعهم الندم وظاهر الاية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بانها احدى القرى
التي اراد الله بهذه الاية فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون فلما علموا شدة عذابنا
وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل
ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من
قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم
بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فان قلت
من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثم من المؤمنين او يجعلون خلقاء
بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم
او يلهمهم ذلك فيحدثوا فيه نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه
والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه ومساكنكم لعلكم تسألون تهكم بهم
وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم
ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا
في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا
لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين او يسألكم الناس
في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون
بتدابيركم ويستضيئون بارائكم او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب
اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم
رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى
توبيخ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم تلك اشارة الى يا ويلنا
لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت لم سميت دعوى قلت لان
المولول كان يدعو الويل فيقول له تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما
او خبرا وكذلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين الحصيد الزرع المحصود اي
جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا
اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين
له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلاثة
مفاعيل قلت حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا

للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين
اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق
مشحونة بضروب البدايع والعجايب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفروشهم وساير
زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوايد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح
افتكار واعتبار واستدلال ونظرا لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا
تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه
عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني
على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا
وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس
رد الولادة المسيح وعزير بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق و
لكم الويل مما تصفون بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا
ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب
بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره
ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم
قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب
وهو في ضعف قوله • سأترك منزلي لبني تميم • والحق بالحجاز فاستريحا وقرئ فيدمغه
وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
من عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك
على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت الاستحسار مبالغة
في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار
بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة
بان يستحسروا فيما يفعلون يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي تسبيحهم متصل دائم
في جميع اوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر ام اتخذوا آلهة من الارض هم
ينشرون هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت بالاضراب عما قبلها والانكار
لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض هم ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم
المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما
كانوا يدعون ذلك لالهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع
اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين للبعث ويقولون
من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كالذي
القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا قلت الامر كما ذكرت
ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشاد لانه لا يستحق هذا الاسم

الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ
والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت
صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة
او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي
تعبد في الارض لان الالهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه
فهم منها ان مرادها نفي الالهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله
عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل
من بعض جواهر الارض **فان قلت** لا بد من نكتة في قوله هم **قلت** النكتة فيه
افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا تقدر على الانشار الا هم وحدهم
وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو
قيل آلهة غير الله **فان قلت** ما منعك من الرفع على البدل **قلت** لان لو بمنزلة ان
في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا
يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى
لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة
على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحد والثاني ان لا يكون ذلك الواحد
الا اياه وحده لقوله الا الله **فان قلت** لم وجب الامران **قلت** لعلمنا ان الرعية
تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن
مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع
فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه
الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون لما كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في ملكهم عن افعالهم وعما
يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطاء والزلل وانواع الفساد
عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل عن افعاله مع
ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطاء
ولا فعل القبائح وهم يسألون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤن فما اخلفهم بان يقال
لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم كرر ام اتخذوا
من دونه آلهة استعظاما لشانهم واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا
فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا
من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه
متوعد عليه فيه هذا ذكر من معي وذكر من قبلي اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله
ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين معي

يعني امته وذكر للذين من قبلي يريد امم الانبياء وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين
ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة
من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وروي
من معي ومن قبلي على من الاضافية في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه
انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من يدخل على اخواته
وقرئ وذكر معي وذكر قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كانه قيل بل عندهم ما هو
اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم
جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد
بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون
المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل وما ارسلنا من
قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون يوحى ونوحي مشهورتان
وهذه الاية مقررة لما سبقها من آي التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله نزه ذاته
عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون
عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو
الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه
بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى
يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيبت اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون
قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك
مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا واخروا
بعين الله تعالى وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم
ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهله
للشفاعة في ازدياد الثواب وازدياد التعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون
اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه رأى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله
وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال
السنية والاعمال المرضية فاجاء بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان
كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم
ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد اولم ير الذين كفروا
ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون
قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا

مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اى كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينهما ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اى جماعتان فعل فى المضمر نحو ما فعل فى المظهر فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد والثانى ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شىء حى بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من فى قوله عليه السلام ما انا من دد ولا الدد منى وقرئ حيا وهو المفعول الثانى والظرف لغو وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم اى كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك فى نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون الفج الطريق الواسع فان قلت فى الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما فى قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهى صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثانى بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمه وجعلنا السماء سقفا محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان تقع على الارض وتتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة وهم عن آياتها معرضون عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واى جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة فى الدلالة على الجنس اى هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اى كلهم فى فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة وجعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب فى جمعها بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف

بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى فى هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون فى فلك قلت هذا كقولهم كسا هم الامير حلة وقلدهم سيفا اى كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اى قضى الله ان لا يخلد فى الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون اى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه فى صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من لفظه واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فهو ذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذى يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا يذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزؤا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة فى موضع الحال اى يتخذونك هزؤا وهم على حال هى اصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى لما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع فى خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل تنبت بين الماء

والعجل والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من
عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه
الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة
وقرئ خلق الانسان لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اى لو يعلمون الوقت
الذى يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار
من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم
لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذى هونه
عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين
لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اى حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون
انهم كانوا على الباطل وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا
يستطيعون ردها اى لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم يقال للمغلوب فى المحاجة مبهوت ومنه
فبهت الذى كفر اى غلب ابرهيم الكافر وقرأ الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والمضمر
للوعد او للحين فان قلت فالام يرجع الضمير المؤنث فى هذه القراءة قلت الى النار او
الى الوعد لانه فى معنى النار وهى التى وعدوها او على تأويل العدة والموعدة او الى الحين لانه فى
معنى الساعة او الى البغتة وقيل فى القراءة الاولى الضمير للساعة وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين
ولا هم ينظرون تذكير بانظاره وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اى لا يمهلون بعد
طول الامهال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن
سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له فى الانبياء عليهم السلام
اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل من
يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من
دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون من الرحمن اى من بأسه وعذابه
بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة
منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم
لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما فى ام من معنى بل وقال
ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فبين ان ما ليس بقادر
على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو
منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة
الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حين طال عليهم الامد وامتدت
ايام الروح والطمأنينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب
امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا نأتى الارض
ننقصها من اطرافها افهم الغالبون افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف

اطرافها

اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت
اى فائدة فى قوله نأتى الارض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدى
المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة
من اطرافها قل انما انذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء قرئ ولا تسمع الصم ولا
يسمع الصم بالتاء والياء اى لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من اسمع
فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما
ينذرون قلت اللام فى الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس
والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم
وسدهم اسماعهم اذا انذروا اى هم على هذه الصفة من الجرأة والجسارة على التصام
من آيات الانذار ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ولئن
مسهم من هذا الذى ينذرون به ادنى شىء لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم
حين تصاموا واعرضوا وفى المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح فى معنى القلة
والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة ونضع
الموازين القسط ليوم القيمة وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها فى
انفسها قسط او على حذف المضاف اى ذوات القسط واللام فى ليوم القيمة مثلها فى قولك
جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه قول النابغة ترسمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام
وذا العام سابع وقيل لاهل يوم القيمة اى لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين
قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل
والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات
والثانى انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان
ويروى ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشى عليه ثم افاق فقال
يا الهى من الذى يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها
بتمرة فان قلت كيف توزن الاعمال وانما هى اعراض قلت فيه قولان احدهما
توزن صحايف الاعمال والثانى تجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيئات
جواهر سود مظلمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس
ومجاهد آتينا بها وهى مفاعلة من الايتان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال
واتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفى حرف ابى جئنا بها وانث ضمير المثقال
لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان و
ضياء وذكرى للمتقين اى آتيناهما الفرقان وهو التورية وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين
والمعنى انه فى نفسه ضياء وذكر او وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء و
ذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن
محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان

والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره ولقد آتينا ابرهيم رشده الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شان من قبل من قبل موسى وهرون وكنا به عالمين ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ قال لابيه وقومه اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده هذا الوقت وقوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم التي انتم لها عاكفون لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين انتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والملاعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا

في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن واعلم علما ليس بالظن انه اذا الله سنى عقد شيء تيسر روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيد وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا لان قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة ان يرجع اليه في كل مشكل فان قلت اذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم عليه السلام غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك فان قلت ابرهيم ما هو قلت هو خبر مبتدأ محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى قالوا فأتوا به على اعين الناس على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره قالوا أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني فالقول فيه ان قصد ابرهيم عليه السلام لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط

الا انت كتبت هذا وصاحبك امّي لا يحسن الخط او لا يقدر الا على خربشة فاسد فقلت له
بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته
للامّي او المخربش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر
ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها
اشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها
وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما
يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد و
يدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه
هذه الصغار وهو اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل
كبيرهم فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم
رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا
بالهتنا انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون نكسته قلبته
فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة
الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء
مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم وانتكسوا عن كونهم مجادلين
لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط
اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما اجاروا جوابا الا ما هو حجة
عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤسهم
قرأ به رضوان بن عبد المعبود قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم
اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه
متضجر اضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق
الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اي لكم ولآلهتكم هذا التأفف قالوا حرقوه
وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين اجمعوا امرهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا
قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته
كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي
اشار باحراقه نمروذ وعن ابن عمر رضي الله عنهما رجل من اعراب العجم يريد الاكراد
وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف
الخشب الصلاب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم
ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا
مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه
الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك
قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل
واطل عليه نمروذ من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني

مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست
عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه وبذلك جاء
لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثمه قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين آلهتكم
نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها
ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يألوا جهدا في ذلك قلنا
يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور امر
بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي
فيسلم منك ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته
ببردها فان قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها
على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته
عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله
على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا
الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة و
الجبروت فنصره وقواه ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين نجا
من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت
في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة
الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام
فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع
اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما
مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين النافلة
ولد الولد وقيل سأل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير
سؤال وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية
محتومة عليه مأمور بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك
ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل
واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين فعل
الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك واقام الصلوة وايتاء
الزكوة ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا
قوم سوء فاسقين حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة
والقرية سدوم وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه
رحمتي ارحم بها من اشاء انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل من قبل هؤلاء المذكورين
فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم
كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو
على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه

من تكذيب قومه وداود وسليمن اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم
شاهدين اى واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه اراد هما
والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما وعلما والضمير فى
ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال
سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى
ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب
الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت
وامضى الحكم بذلك فان قلت احكما بوحى ام باجتهاد قلت قيل حكما جميعا بالوحى
الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمن وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمن اشبه
بالصواب فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود
فلان الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجنى عليه كما قال ابو حنيفة فى العبد
اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعى يبيعه فى ذلك او يفديه
ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث ووجه حكومة سليمن انه جعل الانتفاع
بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب
على صاحب الغنم ان يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعى
فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته
الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة فى شريعتنا
ما حكمه قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع
البهيمة سائق او قائد والشافعى يوجب الضمان بالليل وفى قوله ففهمناها سليمن دليل
على ان الاصوب كان مع سليمن وفى قوله وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا
على الصواب وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير يسبحن حال بمعنى مسبحات او استئناف
كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول معه
فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل
على القدرة وادخل فى الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق وروى انه كان يمر بالجبال
مسبحا وهى تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال
وتسبح قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى وجواب
آخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين
اى قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء
وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون اللبوس اللباس قال
البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها
داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد و
تشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع والياء لداود
او للبوس ولسليمن الريح عاصفة تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها وقرئ الريح

والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال فان قلت
وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة تارة فما التوفيق بينهما قلت كانت فى
نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به فى مدة يسيرة على ما قال تعالى
غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء فى نفسها وعاصفة
فى عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم اية الى آية ومعجزة مع
معجزة وقيل كانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وكنا بكل شئ
عالمين وقد احاط علمنا بكل شئ فنجرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا
ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين اى يغوصون
له فى البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور
واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم
ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد فى الجملة فيما هم مسخرون فيه وايوب
اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين اذ ناداه بانى مسنى وقرئ انى بالكسر على
اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر فى كل شئ وبالضم الضرر فى النفس
من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف فى السؤال حيث ذكر نفسه
بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت
لسليمن بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتى على العصى فقال لها الطفت
فى السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا فاستجبنا له فكشفنا ما
به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم كان ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق
ابن ابرهيم عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان
له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد
ولكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا
وبذهاب ماله وبالمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة وعن مقاتل
سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها
كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيى من الله ان ادعوه وما بلغت
مدة رخائى فلما كشف الله عنه احيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروى ان
امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اى لرحمتنا
العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب عليه السلام وتذكرة
لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب فى الدنيا والآخرة واسمعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين قيل
فى ذا الكفل هو الياس وقيل زكرياء وقيل يوشع بن نون وكانه سمى بذلك لانه ذو الحظ من
الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه وضعف ثوابهم وقيل
خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذا الكفل عيسى والمسيح يونس
وذو النون محمد واحمد وذا النون اذ ذهب مغاضبا النون الحوت فاضيف اليه برمه

بقومه لطول ما ذكّرهم فلم يذّكّروا واقاموا وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ ابو شرف مغضبا فظن ان لن نقدر عليه وقرئ نقدر ونقدّر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويُقدَر ويُقدّر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الاية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ننجي وننجّي ونجّي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحّل لصحته فجعله فعل وقال نجّي النجاءُ المؤمنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله تعالى مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق انهم كانوا يسارعون في الخيرات الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادّون ويدعوننا رغبا ورهبا وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وكانوا لنا خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال اما اني سألت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليُرِ الله منه خيرا لعلك ترى انه ان يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه والتي احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فنفخنا فيها من روحنا فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في

في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها وجعلناها وابنها آية للعالمين فان قلت هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين قلت لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل ان هذه امتكم امة واحدة الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا ربكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله تعالى شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وعلا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ وحِرم وحرْم بالفتح والكسر وحرُم وحُرّم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الاية ان قوما عزم الله تعالى على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر

وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين تفتح السد والحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم يوضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم الاية يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بآلهتهم قلت لانهم لا يزالون بمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم ويستشفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب و لعدم الالباس والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة وزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة لا يحزنهم الفزع الاكبر وقرئ لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح و

وتتلقيهم الملائكة اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد كل يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقيهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها كما بدأنا اول خلق نعيده اول الخلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء فان قلت وما اول الخلق حتى نعيده كما بدأه قلت اوله ايجاده من العدم فكما اوجد اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت ما بال الخلق منكرا قلت هو كقولك اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول الخلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأنا نعيده واول خلق ظرف لبدأنا اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا علينا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر عن الشعبي رح زبور داود والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض و مغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ارسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل لكونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحى

الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما
الدلالة على ان الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية
وفى قوله فهل انتم مسلمون ان الوحى الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله
وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون
المعنى ان الذى يوحى الى فيكون ما موصولة فان تولوا فقل اذنتكم على سواء وان ادرى
اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اذن منقول من اذن اذا
علم ولكنه كثر استعماله فى الجرى مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله
وقول ابن حلزة آذنتنا ببينها اسماء والمعنى انى بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم
من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس
منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اى مستوين فى
الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين
عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادرى متى يكون ذلك
لان الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطاعنين
فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحن والاحقاد وهو مجازيكم عليه وان ادرى لعله فتنة
لكم وما ادرى لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع وتمتيع لكم
الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد فى وقت هو فيه حكمة قل رب احكم بالحق
وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون وقرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربى احكم على افعل التفضيل
وربى احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم
وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر وقرئ تصفون بالتاء والياء
كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة
فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم
حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

سورة الحج مكية [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم
الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا
يخلو الساعة من ان يكون على تقدير الفاعلة لها كانها هى التى تزلزل الاشياء على المجاز الحكمى
فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع
فى الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة
فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة
وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها امر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها
عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها

بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم
من التردى بلباس التقوى الذى لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروى ان
هاتين الآيتين نزلتا ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام
وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها تذهل كل
مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير
للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اى تذهلها الزلزلة
والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت
المرضعة التى هى فى حال الارضاع ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى شأنها ان ترضع
وان لم تباشر الارضاع فى حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت
به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها
او عن الذى ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع
الحامل ما فى بطنها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وقرئ
وترى بالضم من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر
ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تأويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير
جوعى وعطشى فى جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش
سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى
على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذى اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم
فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى
من الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية
اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهى معلقة اخيرا بكون الناس على
حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم ومن الناس من يجادل فى الله بغير
علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير
قيل نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين
والله قادر على احياء من بلى وصار ترابا وهى عامة فى كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله
وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه
اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل
ويتبع فى ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم
يثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء اهل
الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة فى دين الله الا داخلين تحت كل هذا ذلا
اولياء بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا
ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال ويا رب
مقفو الخطى بين قومه طريق نجاة عندهم مستو نهج ولو قرؤا فى اللوح ما خط فيه من

بيان اعوجاج في طريقته عوجا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك
في سمواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل
اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه بالفتح و
الكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو
كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على
ان كتب فيه معنى القول يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام
ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من
يرد الى ارذل العمر الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كانه
قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة
والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب
يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان
الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على
عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم
ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا
وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب
والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة
عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود
الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه
الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم
بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون
وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء
ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع ادناه ستة اشهر او تسعة او سنتين او
اربع او كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب
تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين
قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف
فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم وحده لان الغرض الدلالة على
الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا والاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من
الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة في
غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل
العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل
قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو
قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير

نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من
ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو العمر بسكون
الميم وترى الارض هامدة الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث و
لظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله في كتابه فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ وربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج بهيج
البهيج الحسن السار للناظر اليه ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء
قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اي ذلك الذي ذكرنا من
خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل
بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود
وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة
والبعث فلا بد ان يفي بما وعد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب
منير عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في
المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه
يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة
ثاني عطفه وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن
الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله
تعليل للمجادلة وقرئ بضم الياء وفتحها فان قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن
سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى
الضلال قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له
فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال له في
الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل
ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب
الاخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين ومن
الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على
وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين على حرف على طرف من الدين لا في
وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة
كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه
قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا
وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا
الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري
ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله تعالى
والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احدهما ذهاب ما اصيب به والثانية

ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والاخرة بالنصب والرفع
فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه
خبر مبتدأ محذوف يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد
يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد استعير الضلال البعيد من
ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله فان قلت الضر والنفع
منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الايتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا
الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد
فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر
بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة
التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال
يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب
من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر
والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ هذا كلام قد دخله اختصار
والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان
الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ
مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا
الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي
يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر
القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء
لانه لم يكد به محسوده وانما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ
وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان
قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من
النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر
بالرزق وقيل معناه لان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضا
بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو
الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك انزلناه آيات بينات وان
الله يهدي من يريد اي ومثل ذلك الانزال انزلناه القرآن كله آيات بينات ولان الله
يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا او يزيدهم هدى انزله كذلك مبينا
ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله
يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في
الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد

وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم
نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل
واحد من جزئي الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير ان الخليفة ان الله سربله سربال
ملك به ترجى الخواتيم الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب سميت مطاوعتها
له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها
لمطاوعتها بادخل افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع
دونه فان قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما
ان السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود
قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى كثير منهم آخرا
مناقضة قلت لا انظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه
بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل
افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح
استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف
وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس
خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ
في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل
وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليه العذاب
حقا ومن يهن الله فما له من مكرم ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في
علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام
ان الله يفعل ما يشاء انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما
يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين هذان خصمان اختصموا الخصم صفة وصف
بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا
للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز
يراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم
اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم
كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل
الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم
في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار هو فصل الخصومة المعني بقوله
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت
بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثتهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب
الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس
بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران يصب من فوق رؤوسهم الحميم الماء

الحادّ عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب
به ما في بطونهم والجلود وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صبّ الحميم على رؤسهم
كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم
وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ولهم مقامع من حديد والمقامع
السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليه الثقلان ما اقلوها
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق وقرأ الاعمش ردّوا
فيها والاعادة والردّ لا يكون الا بعد الخروج والمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم
فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم
حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب
الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا و
عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ
ولباسهم فيها حرير يحلون عن ابن عباس من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا بالنصب
على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا
بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء كادل ولؤلؤ فيمن جرّ ولولوٍ وليلي بقلبهما ياءين
عن ابن عباس وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد وهداهم الله والهمهم
ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال
وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله
ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دائم والمسجد الحرام الذي جعلناه
للناس سواء العاكف فيه والباد اي الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر
وباد وتانئ وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد
بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمتنع
ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب
الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه او
غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني
مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول
ثان ومن يرد فيه بالحاد بظلم الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله
بالحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن
يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان
فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده
وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول
الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما
في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث

ان

ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود
ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه
على الاتساع في الظرف كمكر الليل معناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة
جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب
اليم واذ بوّأنا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين
والركع السجود واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة
والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابرهيم
مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة
فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت
كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي
شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء
على الغيبة واذن في الناس بالحج ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج ان يقول
حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن
انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع يأتوك
رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله و
رجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا
يأتين من كل فج عميق والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق
والمعق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة
الانعام نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد
في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان
يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح
بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه
على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا
ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات
بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي
حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات
اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز فكلوا منها واطعموا
البائس الفقير الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من
نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال
التواضع ومن ثمه استحب الفقهاء ان يأكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن
مسعود انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه
وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي
اضعفه الاعسار ثم ليقضوا تفثهم قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف

الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وليوفوا وقرئ وليوفوا
بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا
طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل
طواف الصدر وهو طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس
عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن
مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير
فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وانما
تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل
به ما فعل ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر او الشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من
كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا ومن يعظم
حرمات الله والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك
الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج
وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم
حتى يحل فهو خير له عند ربه اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة
والحفظ والقيام بمراعاتها واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم المتلو لا يستثنى من الانعام
ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله تعالى في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة
والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان
تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم
كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور
لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان
توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك و
قول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق
له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور
كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان
وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون
بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه
على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس
مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم
يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار
وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام
وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح
فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا
هذه الاية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا

شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء
فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب و
المفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده
بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او
عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في
علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع
افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما
عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما
وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح ذلك ومن يعظم شعائر الله تعظيم الشعائر
وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك
المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة
وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها
واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب
وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله
في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من
تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم
المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها
مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء لكم فيها منافع الى اجل
مسمى ثم محلها الى البيت العتيق الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم
للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم
ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت
وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو حرم
البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده
وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه ولكل امة جعلنا منسكا
ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا
لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكروا اسمه تقدست اسماؤه على النسائك
وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع
فالهكم اله واحد فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا
لا تشوبوه باشراك وبشر المخبتين المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن
من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون

قرأ الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل
والبدن جعلناها لكم البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر
في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن
هي الابل وعليه تدل الاية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وعن ابي اسحق
بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه من
شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافها الى اسمه تعظيما لها لكم فيها
خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله
عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت
ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابرهيم من احتاج الى ظهرها ركب
ومن احتاج الى لبنها شرب فاذكروا اسم الله عليها وذكروا اسم الله ان يقول عند النحر الله
اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن
وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه
لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن
عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف
نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا
القانع والمعتر وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط
ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل
والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر
المتعرض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا
وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال وقرأ الحسن والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه
بمعنى وقرأ ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع كذلك سخرناها لكم
لعلكم تشكرون من الله تعالى على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل
التسخير الذي رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للآخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها
صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض
الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي لن يصيب رضا الله
اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى
لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط
التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا
ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقرب وان كثر ذلك منهم وقرئ لن تنال ولكن تناله
بالتاء والياء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت
ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم لتكبروا

الله على ما هداكم وبشر المحسنين كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته
اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير
معنى الشكر وعدى تعديته ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان
كفور خص المؤمنين بدفعه ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال
انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك
انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونوا اماناتهم
ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدفع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من
يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ اذن للذين يقاتلون اذن ويقاتلون قرئا
على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة
يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اؤمر
بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهي اول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه
في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن
لهم في مقاتلتهم وان الله على نصرهم لقدير والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه
بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل
هذه العدة ايضا الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ان
يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون
موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا
بالله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد
يذكر فيها اسم الله كثيرا دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على
الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم و
على متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود
صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين
وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع الله و
هدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها
بالعبرانية صلوتا ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه واولياءه ان الله لقوي
عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف و
نهوا عن المنكر هو اخبار عن الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين
رضي الله عنهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان
رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما
احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر
مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن

هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست باوحدى فى التكذيب فقد كذب الرسل اقوامهم وكفاك بهم اسوة فان قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه بنوا اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شئ آخر كانه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا فكأين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالى من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اى خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل وهى خالية وهى على عروشها اى قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت فى قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة فهى مشرفة على السقوف الساقطة فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعنى وهى ظالمة فهى خاوية قلت الاولى فى محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وبئر معطلة وقرأ الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها الات الاستقاء الا انها عطلت اى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقصر مشيد والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفى هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروى ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها يحتمل انهم لم يسافروا وحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اى يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور الضمير ضمير الشان والقصة يجئ مذكرا ومؤنثا

وفى قرأة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفى تعمى ضمير راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب فان قلت اى فائدة فى ذكر الصدور قلت الذى قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله فى القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذى بين فكيك فقولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا منى ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون انكر استعجالهم بالموعود به من العذاب العاجل او الآجل كانه قال ولم تستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف تستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه فى طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سنى العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده فى النظرة والامهال وقرئ تعدون بالتاء والياء ثم قال وكأين من قرية امليت لها وهى ظالمة ثم اخذتها والى المصير وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الى والى حكمى فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا من قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعنى قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى اياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم يقال سعيت فى امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما فى طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا فى معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته من رسول ولا نبى دليل بين على تغاير الرسول والنبى وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من

جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو
الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض
عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم
ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم
واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه
وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرأها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته
التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة
فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما
سجد في آخرها سجد معه من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة
من الله تعالى وابتلاء زاد المنافقون شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل
والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي
في اماناتهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن
عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب
المذبذبين وقيل تمنى قرأ وانشد تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل
وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته اي يثبتها والله
عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم الذين في
قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين لفي شقاق
بعيد يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء
عليهم بالظلم وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من
الالقاء هو الحق من ربك والحكمة فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا
الى صراط مستقيم الى ان يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل
منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم
شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول
اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن
كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم
على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا
وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد
بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكانه قيل حتى تأتيهم الساعة
او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين

فان قلت التنوين في يومئذ عن اي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او
يوم تزول مريتهم لقوله تعالى ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة والذين
هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم
في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات
العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه وروي ان طوائف
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما
اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين
الآيتين ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله تسمية الابتداء بالجزاء
لملابسته له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على
النقيض للملابسة ان الله لعفو غفور فان قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا
الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن
الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب
اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا
واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية
من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض
مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو و
المغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير اي ذلك النصر
بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار والنهار في الليل او بسبب
انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير
والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فان قلت ما معنى
ايلاج احد الملوين في الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس
وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل
هو زيادته في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون
من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير قرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني
وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في معنى الآلهة اي ذلك
الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله
الحق الثابت الهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شأنا
واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف
خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد قرئ مخضرة اي ذات
خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع

قلت لنكتة فيه وهو افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام
كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قلت
فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان
معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر
انى انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت
مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله
لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم الم تر ان الله سخر
لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ما في الارض من البهائم مذللة للركوب في البر
ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء
ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه كراهة ان تقع الا بمشيئته ان الله بالناس
لرؤوف رحيم وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة ثم
يحييكم ان الانسان لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم لكل امة جعلنا منسكا
هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم هو نهي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن
التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم
كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين
ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي
له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون
الا بين اثنين في الامر اي في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في
دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله تعالى ولدينه ومنه قوله تعالى
ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان
ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من
ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك
في المنازعة فان قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن
هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في امر النسائك
فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا وان جادلوك
فقل الله اعلم بما تعملون اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك
وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء
فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم
فيه تختلفون خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب
ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم الم تعلم ان الله يعلم ما في
السماء والارض ان ذلك في كتاب وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله

انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه ان ذلك على الله
يسير والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا
يمتنع تعلقه بمعلوم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم
ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا
الجاهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للظالمين من نصير وما للذين
ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى
الاكرام وقرئ يعرف والمنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا والسطو
الوثب والبطش قل افانبئكم بشر من ذلكم النار قرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر
على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة
والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير استئناف كلام ويحتمل
ان يكون النار مبتدا ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار
قد يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه فان قلت
الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة او القصة الرائعة
المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها
مستحسنة مستغربة عندهم قرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول
لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن في نفسه نفيا مؤكدا وتاكيدها ههنا الدلالة على ان
خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو
اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم
اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش و
استركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية
التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل
يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك
وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو
اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب
والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف
واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس انهم
كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب
من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز اي ما عرفوه حق معرفته
حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه
شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به الله يصطفي من

الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع
الامور هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسول الله على ضربين ملائكة
وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه
منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد
ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختياره رسله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير للذكر شان ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم
دعا المؤمنين اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج
والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع
ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا
بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق
لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا
على اعمالكم وعن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما
فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فرأى
سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن
السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة
النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم
وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان
القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون
بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله
صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم
اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين
فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص وبالكفارات والديات والاروش ونحوه قوله
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب
المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقوله الحمد
لله الحميد فان قلت لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم
ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اي من قبل القرآن في ساير
الكتب وفي القرآن اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم
انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه
وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى
وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد نقيضة لما هي تثبت
المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات
الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير و
افلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة
طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير
وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو ان الاطبا كان حولي فان قلت ما
المؤمن قلت هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل
من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا
البر التقي دون الفاسق الذين هم في صلوتهم خاشعون الخشوع في الصلوة خشية القلب
والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده فكان الرجل من
العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشان من
شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الآداب
فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاوب والتغميض وتغطية
الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن
الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت
تعبث فان قلت لم اضيفت الصلوة اليهم قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى
له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهو وهي صلوته واما المصلى له فغني
متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها والذين هم عن اللغو معرضون اللغو ما لا يعنيك من
قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة الغاءه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما
شغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع
لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف والذين هم للزكوة
فاعلون الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب
الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله تعالى فجعل المزكين فاعلين
له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول
للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله
والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق
ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل
ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشدوا لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام
في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف

محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين على ازواجهم في موضع
الحال اى الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات
عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اى واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت
فلان ومن ثمة سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في
حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا
على ازواجهم اى يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او
تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم
نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك فان قلت هلا قيل من ملكت
قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث فمن ابتغى
وراء ذلك فاولئك هم العادون جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن
احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحراير ومن الاماء
ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه دليل
على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد
عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال
وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها
والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا
الشيء اى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل
ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم والذين هم على صلواتهم
يحافظون وقرئ على صلوتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا واخرا قلت هما
ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك
ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها
وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اى
صلوة كانت وجمعت اخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر و
السنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف
والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل
اولئك اى اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا
دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة
لارثهم لا يخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم هم فيها خالدون انث
الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وروى ان الله عز
وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر
وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة
بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين فان قلت ما الفرق بين من
ومن قلت الاولى للابتداء والثانية للبيان كقوله من الاوثان ثم جعلناه نطفة فان
قلت ما معنى جعلنا الانسان نطفة قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم
جعل جوهره بعد ذلك نطفة في قرار مكين القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة
التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي
واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما وقرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا
العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو
عظام كثيرة ثم انشأناه خلقا آخر اى خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث
جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع
باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك
بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن غصب بيضة
فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخة لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله
فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اى احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز
لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة
وروى عن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال
فتبارك الله احسن الخالقين وروى ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب
هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم
يوم الفتح ثم انكم بعد ذلك لميتون قرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت
والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الان
ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك ثم انكم يوم
القيمة تبعثون جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه
دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الاختراع والانشاء فان قلت فاذن لا حيوة الا حيوة
الانشاء وحيوة البعث قلت ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت
ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض
ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة
النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك
لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق غافلين اراد بالخلق السموات كانه قال
خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا او
اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع

مناقعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يسلمون معه من
المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله
فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند
وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون
الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وانا
على ذهاب به لقادرون وكما قدرنا على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به
من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه
وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله
تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في
الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر فانشانا لكم به جنات من نخيل
واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن و
صبغ للآكلين خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف
النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا و
رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز
ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها و
من تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات
وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وقرئ بالرفع
على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه
الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه
كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة
او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف
لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى
عليه السلام وقرا الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ
تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير رايت ذوي الحاجات حول
بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه
الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرا ابن مسعود تخرج الدهن
وصبغ للآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان
وقرا الاعمش وصبغا وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول
شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة وان لكم
في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها وقرئ نسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام ولكم
فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون اي تتعلق بها منافع من الركوب
والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة
وهو الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة

وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها
يريد صيدحه ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا
تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته
التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل
عليكم ويراسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض ولو شاء الله لانزل ملائكة
ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة بهذا اشارة الى نوح عليه السلام
او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي
وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية
بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك
لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين
صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة
الجنون او الجن اي به جن يخبلونه فتربصوا به حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى
زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب انصرني بما كذبون
في نصرتي باهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني
كما تقول هذا بذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة او انصرني
بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا وكلاءتنا كان معه من
الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم
عليه من الله عين كالية ووحينا اي نامرك كيف تصنع ونعلمك روي انه اوحي اليه
ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر فاذا جاء امرنا وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا رايت
الماء يفور من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة
فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب
كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة
وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض
اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور
كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول فاسلك فيها يقال
سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة من كل زوجين
اثنين واهلك من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن
والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم
يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد
وزيادة بيان الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون

فاذا استويت انت ومعك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلنى
منزلا مباركا جئ بعلى مع سبق الضار كما جئ باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت وقول عمر رضى الله عنه ليتها كانت كفافا لا علىّ ولا لى فان قلت لم نهاه
عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا
لا محالة لما عرف من المصلحة فى اغراقهم والمفسدة فى استبقائهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول
فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ
فى ذلك حيث اتبع النهى عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعوه بدعاء هو اهم وانفع له وهو
طلبه ان ينزله فى السفينة او فى الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة
فى خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته وهو قوله وانت خير المنزلين
فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه فى معنى فاذا استويتم
قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة و
اظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبى وقرئ
منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان فى ذلك لآيات وان
كنا لمبتلين ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان
الشان والقصة كنا مبتلين اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه
الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشأنا من
بعدهم قرنا آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد نوح ومجئ قصة هود على اثر قصة نوح فى سورة الاعراف وسورة هود
والشعراء فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فان
قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التى هى وجه وانفذ وبعث فما باله عدى فى القرآن بالى
تارة وبفى اخرى كقوله كذلك ارسلناك فى امة وما ارسلنا فى قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا
اى فى عاد وفى موضع آخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفى كما عدى بالى ولم يجعل
صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها
مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك فى قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا
ان مفسرة لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقال الملأ من قومه الذين
كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم فى الحيوة الدنيا فان قلت ذكر مقال قوم
هود فى جوابه فى سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه
انا لنريك فى سفاهة قالوا ما نريك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فاى فرق بينهما قلت
الذى بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما ذا قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما
الذى مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا
الباطل وشتان ما بينهما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك

يا حبذا جوار مكة اى جوار الله فى مكة ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه
ويشرب مما تشربون حذف الضمير والمعنى من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه
ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اذن واقع فى جزاء الشرط وجواب للذين
قاولوهم من قومهم اى تخسرون عقولكم وتغبنون فى آرائكم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما انكم مخرجون ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثانى
بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم
اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا
متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفى قراءة ابن مسعود ايعدكم
اذا متم هيهات هيهات لما توعدون وقرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين
وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه
ان يرتفع بهيهات كما ارتفع فى قوله فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت
قال الزجاج فى تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر
وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد
كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به ان هى الا حيوتنا الدنيا هذا ضمير لا يعلم
ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا ثم وضع هى موضع
الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب تقول ما
شاءت والمعنى لا حيوة لان ان النافية دخلت على هى التى فى معنى الحيوة الدالة
على الجنس فنفتها فوازنت لا التى نفت ما بعدها نفى الجنس نموت ونحيا وما نحن
بمبعوثين اى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتى قرن آخر ان هو الا رجل
افترى على الله كذبا ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما
يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما
قليل ليصبحن نادمين قليل صفة للزمان كقديم وحديث فى قولك ما رأيته قديما ولا حديثا
وفى معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها فاخذتهم الصيحة صيحة جبرئيل
صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله
من قولك فلان يقضى بالحق اذا كان عادلا فى قضاياه فجعلناهم غثاء شبههم فى دمارهم
بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء
احوى وقد جاء مشددا فى قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل فبعدا للقوم
الظالمين بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهى من جملة
المصادر التى قال سيبويه نصبت بافعال لا تستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اى هلكوا
يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعى عليه بالبعد
نحو هيت لك ولما توعدون ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين قوم صالح ولوط وشعيب
وغيرهم وعن ابن عباس بنى اسرائيل ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اجلها
الوقت الذى حد لهلاكها وكتب ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه

تترى فعلى الالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترًى بالتنوين والتاء بدل من الواو
كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه و
الى امهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس
المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا
يؤمنون فاتبعنا الامم او القرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم اخبارا يسمر
بها ويتعجب منها والاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما
يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هاهنا ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا
وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا فان قلت ما المراد بالسلطان المبين
قلت يجوز ان تراد العصا لانها كانت ام آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات
شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر
بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كانها
ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى جبرئيل وميكائل
ويجوز ان يراد الايات انفسها اي هي آيات وحجة بينة وكانوا قوما عالين متكبرين
ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض متطاولين على الناس قاهرين بالبغي
والظلم فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من
المهلكين البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل وغير توصف
بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما
مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل
كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالوهية فادعى للناس العبادة وان
طاعتهم له عبادة على الحقيقة ولقد آتينا موسى الكتاب اي قوم موسى التورية لعلهم
يهتدون لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد آل
فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم
الى فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد آتينا
موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وجعلنا ابن مريم وامه آية فان
قلت لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير
مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر
فكان آية من غير وجه واللفظ يحتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم
حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين الربوة
والرباوة في رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة
قيل هي ايلياء ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر
ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا هذه
الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض

مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين
الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله
مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته
ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما
وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول
في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق
ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف و
قوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس
ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من الماكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب
قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم
الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم
خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل وان هذه امتكم امة واحدة
وانا ربكم فاتقون قرئ وان بالكسر على الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة
وامتكم مرفوعة معها فتقطعوا امرهم بينهم زبرا وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة
يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة
الباء كرسل في رسل كل حزب بما لديهم فرحون اي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين
المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق فذرهم في غمرتهم الغمرة
الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين
في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كأنني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه
في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا سلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله
سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى
ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه
مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان
يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون
يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك اهو
استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن
فيه ضميره قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان
ذلك من عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس ان
الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم
لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون يؤتون ما

آتوا يعطون ما اعطوا وفي قرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشة رضي الله عنها يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه اولئك يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات وهم لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى انت لها الحمد من بين البشر ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع لديه بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة غفلة غامرة لها من هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال من دون ذلك متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها عاملون معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى اذا اخذنا مترفيهم حتى يأخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد اذا هم يجأرون الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه لا تجأروا اليوم اي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او تتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه

وكانوا

وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين القول القرآن يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك انكروه واستبعدوه كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر آياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي في ان ضبة كان مسلما وكان في شرطة سليمان بن داود عليهما السلام ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر **فان قلت** قوله واكثرهم للحق كارهون فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق **قلت** كان فيهم من يترك الايمان انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب **فان قلت** يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه **قلت** يا سبحان الله كأن ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابو طالب ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن دل بهذا على عظم شأن الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين

وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم قرئ خراجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعنى ام تسألهم على هداية لك قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير قد الزمهم الحجة فى هذه الايات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذى ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذى هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله تعالى بالمعجزات والايات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون بالاخرة لناكبون اى عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالاخرة فهو عن القصد ناكب ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفى ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذى اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة فى العناد يستعطفك او محناهم لكل محنة من القتل والجوع فما رؤى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت استفعل من الكون اى انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا وهو الذى انشأ لكم السمع

والابصار

والابصار والافئدة انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم فى ايات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بايات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك قليلا ما تشكرون اى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا وهو الذى ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل فى الارض واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار اى هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره افلا تعقلون وقرئ يعقلون بالياء عن ابى عمرو بل قالوا مثل ما قال الاولون اى قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة انى واسطار سطرن سطرا وهى ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون اى اجيبونى عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين سيقولون لله قل افلا تذكرون وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قرئ الاول باللام لا غير والاخيران باللام وهو هكذا فى مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا فى مصاحف اهل البصرة باللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت فى الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا قل فانى تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى بل اتيناهم وقرئ اتيتهم واتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذى خلقه واستبد به ورأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الاخرين ولعلا بعضهم على بعض ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شئ فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة

من المشركين سبحان الله عما يصفون من الأنداد والأولاد عالم الغيب والشهادة فتعالى
عما يشركون عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف قل رب إما تريني ما
يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين ما والنون مؤكدتان أي إن كان لا بد من
أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني
بعذابهم عن الحسن أخبره الله تعالى أن له في أمته نقمة ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته
فأمره أن يدعو بهذا الدعاء فإن قلت كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين
حتى يطلب أن لا يجعله معهم قلت يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن
يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وإخباتا له واستغفاره
صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول
الحسن في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم
ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ إما ترئنهم بالهمز كما قرئ فإما ترئن ولترؤن الجحيم
وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار
وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه
واستعجالهم له لذلك فقيل لهم إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم فما وجه هذا الإنكار
ادفع بالتي هي أحسن السيئة هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال
ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا
اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة وهذه
قضية قوله بالتي هي أحسن وعن ابن عباس هي شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك
وعن مجاهد السلام يسلم عليه إذا لقيه وعن الحسن الإغضاء والصفح وقيل هي منسوخة
بآية السيف وقيل محكمة لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين وإزراء بمروة
نحن أعلم بما يصفون بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم
والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ
بك رب أن يحضرون الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى
أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا
لها على المشي ونحو الهمز الأز في قوله تعالى تؤزهم أزا أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل
إلى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند
تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع حتى إذا جاء أحدهم الموت حتى يتعلق بيصفون
أي لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد
للإغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار
منهم أو على قوله وإنهم لكاذبون قال رب ارجعون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم
كقوله فإن شئت حرمت النساء سواكم وقوله ألا فارحموني يا إله محمد إذا أيقن بالموت
واطلع على حقيقة الأمر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه فسأل
ربه الرجعة وقال لعلي أعمل صالحا فيما تركت في الإيمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما

تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس تريد أؤسس أسا وأبني عليه
وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك
إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون
كلا ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد إنها كلمة والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله أعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها و
لا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها
ولا تسمع منه ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون والضمير للجماعة أي أمامهم حائل
بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث لا إلى الآخرة فإذا نفخ في الصور الصور بفتح الواو
عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن أبي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة
فلا أنساب بينهم يومئذ ونفي الأنساب يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين
ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتآلف إلا بالأعمال فتلغو الأنساب وتبطل فإنه لا يعتد
بالأنساب لزوال التعاطف والتراحم من الأقارب إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته
وبنيه ولا يتساءلون وعن ابن مسعود ولا يساءلون بإدغام التاء في السين فإن
قلت قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون
وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان أحدهما أن يوم القيامة
مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون
في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني أن التناكر يكون
عند النفخة الأولى فإذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس فمن
ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال
أي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون في جهنم خالدون
بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر
بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدأ محذوف تلفح وجوههم النار تسفع وقال الزجاج
اللفح والنفح واحد إلا أن اللفح أشد تأثيرا وهم فيها كالحون والكلوح أن تتقلص الشفتان
وتتشمرا عن الأسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة
الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط
رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم
فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين غلبت علينا ملكتنا
من قولك غلبني فلان على كذا إذا أخذه مني وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم
الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما
ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسؤوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر
الكلاب إذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه ولا تكلمون في دفع العذاب فإنه لا يرفع

ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين وقرئ بالفتح اي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزءا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون وقرئ انهم بالفتح والكسر فالكسر استئناف اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او المأمور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اولانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار اولان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقليه ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها كم هي فسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين افحسبتم انما خلقناكم عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم الحق الذي يحق له الملك

لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجميع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح واخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع ايات من اخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهي اثنتان او اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها ايات بينات سورة خبر مبتدأ محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده اولان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم لعلكم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنا فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه فان قلت

اي جلد ظهره وبطنه ورأسه

أهذا حكم جميع الزناة والزواني أم حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم
فإن المحصن حكمه الرجم وشرائط الإحصان عند أبي حنيفة ست الإسلام والحرية والعقل
والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول إذا فقدت واحدة منها فلا إحصان وعند الشافعي
الإسلام ليس بشرط لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وحجة أبي
حنيفة قوله عليه السلام من أشرك بالله فليس بمحصن فإن قلت اللفظ يقتضي تعليق
الحكم بجميع الزناة والزواني لأن قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن و
غير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة
دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل
بالاسم المشترك ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة
بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا
الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله
عليه وسلم أسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا
عليهما حتى تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا
فيقول رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم به مني فيؤمر به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول
لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به إلى النار وعن أبي هريرة إقامة حد بأرض خير لأهلها من
مطر أربعين ليلة وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا كيف يعقل يضرب
والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه إلا إزاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا
على الأعضاء كلها لا يستثنى منها إلا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد
إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها
إلا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه على أن الجلد حد
غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله عليه السلام
البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ
عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب
وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة أقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب
نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه وبهذه الآية
نسخ الحبس والأذى في قوله فأمسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين قيل تسميته عذابا دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمى عذابا لأنه يمنع من المعاودة
كما سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي
صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى
أربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة
رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة
التي يثبت بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله تعالى

بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنا
إنه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا
فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب
البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب
والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع
فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة
الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك
المثابة واختصاصه المؤمنين لأن ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد
له قول ابن عباس إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله الزاني لا ينكح إلا زانية أو
مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين الفاسق الخبيث
الذي من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته
وإنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك
لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من
الفسقة أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه
بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق
وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة
الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على
ذلك بقوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقيل كان بالمدينة موسرات
من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها أن الرجل إذا زنى بامرأة ليس
له أن يتزوجها لهذه الآية وإذا باشرها كان زانيا وقد أجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق
ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح
وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما
أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه
إلى قولك الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان وقيل كان نكاح الزانية
محرما في أول الإسلام ثم نسخ والناسخ قوله وأنكحوا الأيامى منكم وقيل الإجماع وروي
ذلك عن سعيد بن المسيب فإن قلت أي فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية
قلت معنى الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية
صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان فإن
قلت كيف قدمت الزانية على الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الآية
لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل
ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدئ بذكرها
وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ

الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ
واكد كما ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان
عاداتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ
وحرم بفتح الحاء والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك
واصلحوا فان الله غفور رحيم القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن
بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان
القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا
زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة
والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث
يا ماس بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال
ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان
القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة بالتنوين وشهداء
صفة فان قلت كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين قلت الواجب عند ابي حنيفة
واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان كانوا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي يجوز
ان يحضروا متفرقين فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت
يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزاني
الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية
واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان
سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان
قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف
معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمه الله
باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي لم تقبل
شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي يتعلق رد شهادته بنفس القذف
فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة
جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودي
الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستأنفا
غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية
والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعي
جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة
والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان
يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي
يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان يكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف

المحصنات

المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق
الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين
ولا مفسقين فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف
من المسلمين يتوب عن القذف فلا يقبل شهادته عند ابي حنيفة كان القذف مع الكفر اهون
من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم
والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف
مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار فان قلت
هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود
ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من
الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل
ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله تعالى ولهذا لم يصح ان
يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث الحد قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله
عليه السلام الحد لا يورث ويورث عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد
سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤ
عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود
في القذف فالمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو
ان يقول لها يا زانية او زنيت او رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف
والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان
ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول
في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة
اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب
الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي يقام الرجل قائما
حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع
يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة
بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في كنيسته
وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما و
لا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان
وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم
التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد
ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير

طلاق توجب تحريماً مؤبداً ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي أن آية القذف
لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال عاصم بن عدي الأنصاري
فقال جعلني الله فداك إن وجد رجل مع امرأته رجلاً فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبداً
وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد
مضى الرجل لحاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال
ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا
والله سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكلم خولة فقالت لا أدري ألغيرة أدركته أم بخلاً على الطعام وكان شريك نزيلهم
وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند قوله وقولها أن لعنة الله عليه أن غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها
إن كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم أهون عليك من غضب الله إن غضبه هو النار
وقال تحينوا بها الولادة فإن جاءت به أصيهب أثيبج يضرب إلى السواد فهو لشريك وإن
جاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت
بأشبه خلق الله لشريك فقال عليه الصلاة والسلام لولا الأيمان لكان لي ولها شأن
وقرئ ولم تكن بالتاء لأن الشهداء جماعة أو لأنهم في معنى الأنفس التي هي بدل ووجه
من قرأ أربع أن ينتصب لأنه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة أحدهم
وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات وقرئ أن لعنة
الله وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع ما بعدها وقرئ أن غضب الله على فعل الغضب و
قرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة فإن قلت لم خصت الملاعنة بأن
تخمس بغضب الله قلت تغليظاً عليها لأنها أصل الفجور ومنبعه بخلابتها وإطماعها
ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلام لخولة فالرجم أهون
عليك من غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم الفضل التفضل
وجواب لولا متروك وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به
إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم
ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم الإفك أبلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول
مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة
إلى الأربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم و
قرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لإمعانه في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلاً إلى الغميزة أي يصيب كل خائض
في حديث الإفك من تلك العصبة نصيبه من الإثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد
الله لأن معظم الشر كان منه يحكى أن صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملإ من قومه

فقال

فقال لمن هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه وما نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت
مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين
وخاصة بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل
ومعنى كونه خيراً لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لأنه كان بلاء مبيناً ومحنة ظاهرة
وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير
لأهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه وعدة ألطاف للسامعين
والتالين إلى يوم القيمة وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها لولا إذ
سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين بأنفسهم أي
بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم وذلك نحو ما يروى
أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان
أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءاً قال لا قالت ولو كنت أنا بدل
عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك
فإن قلت هلا قيل لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم ولم عدل عن الخطاب
إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح
بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا
مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه
أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير
هذا إفك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة
الحال وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت
ولا يشيع ما سمعه بأخوات لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك
عند الله هم الكاذبون جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة
الشهود الأربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم
الحجة وكانوا عند الله أي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك
فلم يجدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب
تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به إذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المؤمنين فكيف
بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله تعالى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم لولا الأولى
للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا
بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم
بالعذاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك يقال أفاض في الحديث واندفع وغضب وخاض
إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم إذ ظرف لمسكم أو أفضتم تلقونه
يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه

كلمات وقرئ على الأصل تتلقونه وإذ تلقونه بإدغام الذال في التاء وتلقونه من لقفه بمعنى
لقفه وتلقونه من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب و
تلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت أمي تقرأ إذ تثقفونه وكان أبوها
يقرأ بقراءة عبد الله بن مسعود فإن قلت ما معنى قوله بأفواهكم والقول لا يكون إلا بالفم
قلت معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك
ليس إلا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى
يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم أي تحسبونه
صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف
ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك
حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس
العذاب العظيم بها أحدها تلقي الإفك بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول
له ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه
والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم ولولا
إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم فإن قلت كيف
جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا
أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم فإن قلت
فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا قلت معناه معنى
ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما
ليس لي بحق وسبحانك للتعجب من عظم الأمر فإن قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح
قلت الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل
في كل متعجب منه أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن قلت
كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة قلت
أن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم
عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات يعظكم الله أن
تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين أي كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا من قولك
وعظت فلانا في كذا فتركه وأبدا ما داموا أحياء مكلفين وإن كنتم مؤمنين فيه تهييج
لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح
ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته
بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية
والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة
في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد
إلى الإشاعة وإرادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف

بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الأسرار
والضمائر وأنتم لا تعلمون يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب
حاذفا جواب لولا لما حذف ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك
في التواب والرءوف والرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى
منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الفحشاء والفاحشة
ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب ضرائر حرمي تفاحش غارها أي أفرطت غيرتها
والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها
وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر
منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا
محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم وإخلاصهم ولا يأتل أولوا الفضل منكم
والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا
ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم هو من ائتلى إذا حلف افتعال من الألية
وقيل من قولهم ما ألوت جهدا إذا لم يدخر منه شيئا ويشهد للأول قراءة الحسن
ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان أو لا يقصروا في
أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم
بالعدل والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم و
ذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا
من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه
وكفى به داعيا إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء ويروى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته
وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حيوة وابن قطيب أن تؤتوا بالتاء على الالتفات
ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم إن الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم الغافلات السليمات الصدور
النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال
فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني
على أسرارها وكذلك البله من الرجال في قوله أكثر أهل الجنة البله يوم تشهد عليهم
ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون
أن الله هو الحق المبين وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء
وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله عز وجل
قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع
المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك

واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها
كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين
جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم
بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك
ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم
يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل
عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة
وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام
بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر
الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة
رضي الله عنها بهذه الايات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة
بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والاخرين
وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب
السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته
وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه **فان قلت** ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل
المحصنات **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة
كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة اولا والثاني
انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان
والغفلة والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه
وكان اعداؤه يكنونه بخبيب وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم
وذاك في الصفة **فان قلت** ما معنى قوله هو الحق المبين **قلت** معناه ذو الحق
البين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن
هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب
محارمه الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم اي الخبيثات من القول تقال او
تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول
وكذلك الطيبات والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول
الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول
لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت و
انهم مبرؤن مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث

يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله
في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن
امرأة لقد نزل جبرئيل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي
حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله
فينصرفون عنه وان كان لينزل عليه واني معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه
ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا
كريما يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها
تستأنسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش
لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا هو كالمستوحش من خفاء الحال عليه
فاذا اذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان
يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن
فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف
استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال
هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى احدا واستأنست فلم ار احدا اي
تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز ان يكون من الانس
وهو ان يتعرف هل ثمة انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستئناس
قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان
يقول السلام عليكم اادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وقال سمعت رسول الله صلعم
يقول الاستيذان ثلاث واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ااَلج
فقال عليه السلام لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن
قولي له يقول السلام عليكم اادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية
يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب
الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب
الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك
بينا انت في بيتك اذا رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام
ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وعن
ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب ولا يعول على هذه
الرواية وفي رواية ابي حتى تستأذنوا ذلكم خير لكم ذلكم الاستيذان والتسليم خير
لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو
الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد
دمر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ااستأذن على امي قال نعم قال انها

ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به من باب الاستيذان فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم يحتمل فإن لم تجدوا فيها أحداً من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحداً من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها وذلك أن الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه وإلا أشبه الغصب والتغلب وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا أي لا تلحوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصاً إذا كانوا ذوي مروة ومرتاضين بالآداب الحسنة وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهية وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس وعن أبي عبيد رحمه الله ما قرعت باباً على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون فإن قلت هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد أن جزم النهي عن الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين ولم تبق شبهة في كونه منهياً عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن فإن قلت فإذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق وظهور منكر يجب إنكاره قلت ذاك مستثنى بالدليل هو أزكى لكم أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيراً والله بما تعملون عليم ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون ويذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين فيها متاع لكم والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشرى والبيع ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله قد أنزل عليك آية في الاستيذان وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه فإن قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين وأما أمر الفرج فمضيق وكفاك

وقوله أن أبيح النظر إلا ما استثني منه وحظر الجماع إلا ما استثني عنه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن أبي زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد به الاستتار ثم أخبر أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم إذ عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن النساء مأمورات أيضاً بغض الأبصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته وإن اشتهت غضت بصرها رأساً ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضها من الأجانب أصلاً أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا فقال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه فإن قلت لم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج قلت لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهداً على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فإن قلت ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء إليها قلت نعم فإن قلت أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر إلى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة قلت الأمر كما قلت ولكن أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلي لأنه لا يقع إلا فوق اللباس ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلاً عن هؤلاء إلا إذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر إليه فلا يحل النظر إلى القراميل واقعة عليه فإن قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه قلت الصحيح العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موضعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فإن قلت لم سومح مطلقاً في الزينة الظاهرة قلت لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجد بداً من مزاولة

الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح
وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله
إلا ما ظهر منها يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور
وإنما سومح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى
مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة
القرائب وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن
واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن
فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور
تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك
ضربت بيدي على الحائط إذا وضعتها عليه وعن عائشة ما رأيت نساء خيراً من نساء الأنصار
لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن
فأصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لأجل الياء وكذلك بيوتاً غير
بيوتكم قيل في نسائهن هن المؤمنات لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة
أو كتابية عن ابن عباس والظاهر أنه عنى بنسائهن وما ملكت أيمانهن من في صحبتهن
وخدمتهن من الحرائر والإماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض وقيل ما ملكت
أيمانهن هم الذكور والإناث جميعاً وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدها
وقالت لذكوان إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم
رجع وقال لا تغرنكم آية النور فإن المراد بها الإماء وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة
بمنزلة الأجنبي منها خصياً أو فحلاً وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها
ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية أترى أن المثلة به تحلل ما حرم
الله وعند أبي حنيفة رحمه الله لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم
ينقل عن أحد من السلف إمساكهم **فإن قلت** روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خصي فقبله **قلت** لا يقبل فيما تعم به البلوى إلا حديث مكشوف وإن صح فلعله قبله
ليعتقه أو لسبب من الأسباب أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال الإربة الحاجة
قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم بله
لا يعرفون شيئاً من أمرهن أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهن غضوا أبصارهم أو بهم عنانة
وقرئ غير بالنصب على الاستثناء أو الحال والجر على الوصفية أو الطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده أنه
يراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلاً لم يظهروا إما من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه أي
لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها وإما من ظهر على فلان إذا قوي
عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أي لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء وقرئ عورات
وهي لغة هذيل **فإن قلت** لم لم يذكر الله الأعمام والأخوال **قلت** سئل الشعبي
عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه أن سائر القرابات

يشترك الأب والابن في المحرمية إلا العم والخال وأبناءهما فإذا رآها الأب فربما
وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره إليها وهذا أيضاً من الدلالات
البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال
وقيل كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين وإذا نهين عن إظهار
صوت الحلي بعد ما نهين عن إظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي
أبلغ وأبلغ وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون أوامر الله ونواهيه
في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو
من تقصير يقع فيه فلذلك وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح
إذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون
في الدنيا والآخرة **فإن قلت** قد صحت التوبة بالإسلام والإسلام يجب ما قبله
فما معنى هذه التوبة **قلت** أراد بها ما يقوله العلماء أن من أذنب ذنباً ثم تاب عنه
يلزمه كلما تذكره أن يجدد عنه التوبة لأنه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه إلى أن
يلقى ربه وقرئ أيه المؤمنون بضم الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل
الألف فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها وأنكحوا
الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم الأيامى واليتامى أصلهما أيائم ويتائم
فقلبا والأيم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين
قال فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم والمراد
أنكحوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم
وقرئ من عبيدكم وهذا الأمر للندب لما علم من أن النكاح أمر مندوب إليه وقد
يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب
ومما يدل على كونه مندوباً إليه قوله عليه الصلوة والسلام من أحب فطرتي فليستن
بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه إذا تزوج
أحدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن
عجوزاً ولا عاقراً فإني مكاثر والأحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار
كثيرة وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى
على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال
وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه إلا بالمعصية فإذا كان ذلك
الزمان حلت العزوبة **فإن قلت** لم خص الصالحين **قلت** ليحصن دينهم ويحفظ
عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم
منزلة الأولاد في الأثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم و
تقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك أو أريد

بالصلاح قيام بحقوق النكاح ان يكونوا فقرآء يغنهم الله من فضله ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الوعد ونظايره وهي مشيته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رايته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فاصبحت الى ما ترى والله سميع عليم اي غني ذو سعة لا يرزاه اغناء الخلايق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وطلبا لنفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه الذين لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند ابي حنيفة رحمه الله حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على ساير العقود وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر

للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود ان علمتم فيهم خيرا قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتامرني ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم من مال الله الذي آتيكم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله تعالى لهم من بيت المال كقوله تعالى وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه فان قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان يأخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا قلت لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات هي الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز او من

بيّن بمعنى تبيّن ومنه المثل قد بيّن الصبح لذي عينين ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم
ومثلاً من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة
عائشة رضي الله عنها وموعظة للمتقين ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله تعالى
ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان
تعودوا لمثله ابداً الله نور السموات والارض نظير قوله الله نور السموات مع قوله
مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده
والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبّهه
بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من
الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة
اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض
فانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكوة
كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب المصباح
في زجاجة اراد قنديلاً من زجاج شامي ازهر الزجاجة كأنها كوكب دريّ
شبّهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ
وسهيل ونحوها توقد من شجرة مباركة زيتونة توقد هذا المصباح من شجرة
اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذباليته بزيتها مباركة كثيرة المنافع
او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبياً منهم ابرهيم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة
من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام
وقيل لا في مضحى ولا مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها
واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات
في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها
او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً فهي شرقية غربية يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد يضيء
من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبّهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه
المشكوة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده اشراقاً ويمده
باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكوة كان اضوأ له
واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون على
زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله
الامثال للناس والله بكل شيء عليم يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده
اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن
الجادة الموصلة اليه يميناً وشمالاً ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل
الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه نور السموات والارض اي نشر

فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من آمن
به وقرئ زَجاجة الزَجاجة بالفتح والكسر ودُرّيّ منسوب الى الدر اي ابيض متلألئ
ودِرّيء بوزن سكّيت يدرأ الظلام بضوئه ودُرّيء كمريق ودَرّيء كالسكينة عن ابي
زيد وتوقّد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد وتوقد بالتخفيف وتوقد بفتح الياء
وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ولم تمسسه نار لان التأنيث ليس
بحقيقي والضمير فاصل في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها
بالغدو والآصال رجال في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت الله وهي
المساجد كأنه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكوة التي هي من صفتها كيت وكيت
او بما بعده وهو يسبح له رجال اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار
جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها
بناؤها كقوله تعالى بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابرهيم القواعد وعن ابن عباس
هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع
بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وان
يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعني
له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو تسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي
جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان تسند الى اوقات الغدو والآصال على زيادة الباء
وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والآصال جمع
اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في
الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله التجارة صناعة التاجر
وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع
لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية
من صناعته الهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين
وذاك مظنون واما ان يسمى الشراء تجارة اطلاقاً لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان
تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شراء وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا
اذا جلبه واقام الصلوة وايتاء الزكوة التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال
والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار وتقلب القلوب
والابصار اما ان تتقلب وتتغير في نفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص
كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه
القلوب بعد ان كانت مطبوعاً عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عمياً لا تبصر
ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله اي احسن جزاء اعمالهم كقوله تعالى للذين
احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً ويزيدهم على الثواب
تفضلاً وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل

وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به
من يشاء بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده
فوفيه حسابه والله سريع الحساب السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة
يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط
المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة
وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد
الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من
عذابه ثم يخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه
عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه
فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله تعالى فيهم عاملة ناصبة
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية
ثم كفر في الاسلام او كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه
لم يكد يريها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول
ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب
من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم
يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيئا كغيره من السراب
حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا تقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها
وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج
والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا
الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا
ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ
سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات
الاولى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلوته
وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير صافات
يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل او لله وكذلك في صلوته وتسبيحه والصلوة
الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة
التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله
ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به
من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار

ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل
احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد
انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل
في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله
من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا برقه
على الادغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين
للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصود بمعنى الضوء
والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة
الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على
ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء
والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما
يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها
على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا
ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين
في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر
فان قلت متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات
ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له الم تر
قلت علمه من جهة اخبار الله تعالى اياه بذلك على طريق الوحي فان قلت
ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد
قلت الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان
للابتداء والاخيرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى
الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت ما معنى من جبال فيها من برد قلت
فيه معنيان احدهما ان يخلق الله تعالى في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال
حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب والله خلق
كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على
اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم
الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم
مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم فان
قلت لم نكر الماء في قوله من ماء قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء
مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات
من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل فان قلت فما باله معرفا في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء
حي قلت قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي

هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة
من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه **فان**
قلت لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب **قلت** قدم ما هو اعرق في القدرة
وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوايم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع **فان**
قلت لم سمى الزحف مشيا **قلت** على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر
قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة
والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين
لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا
بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين
وما اولئك اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول
اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام
بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير
مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمانينة نفس لم يتعقبه التولي
والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت
وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق
منهم معرضون معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد
كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا روي انها نزلت
في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي
ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وارض
فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف
علي وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين اليه صلة يأتوا لان اتى وجاء قد جاءا
معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته
ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت
يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم
لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ
لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله
عليهم ورسوله ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان
يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم
ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم
بحاله وانما هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك
شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يأبون المحاكمة اليه

انما

انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا و
اطعنا واولئك هم المفلحون وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان
اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه
للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول **فان قلت** الام اسند يحكم
ولا بد له من فاعل **قلت** هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله
جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه
القراءة مجاوبة لقوله دعوا ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم
الفائزون قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون القاف
وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قال سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه
في هذه الآية اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها ومن يطع الله
في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن
بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة جهد يمينه مستعار من جهد نفسه
اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن
عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد
اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب
وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف والخبر
امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص
من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على
خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل وطاعة معروفة امثل واولى
بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة
ان الله خبير بما تعملون يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم فانه فاضحكم
لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه
ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب
على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم
انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى
فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان
لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم
نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما على الرسول
الا البلاغ المبين وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع
في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية ومعنى
المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في اخر سورة الفتح وعدهم الله تعالى ان ينصر
الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم
مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه
تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة
يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح
فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبيا ليس
فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب
ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم
فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك
الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها
وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم الملقى
باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم
او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم
فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استينافا لم يكن له محل كان قائلا قال
ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله
ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر بعد ذلك يريد كفران النعمة كقوله
تعالى فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا
تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الاية دليل على امر الخلفاء
الراشدين قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات
هم هم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون معطوف على اطيعوا
الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه وكررت طاعة الرسول
تاكيدا لوجوبها لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماويهم النار ولبئس المصير
وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا
يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي
جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا
يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ
ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف
قوله وماويهم النار على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله
وماويهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون

ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح
بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم
امر ان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلاث مرات
في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب
ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لانه
وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال
عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس
واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات
وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة
يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل
وقت لادى الى الحرج وروي ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف
عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا
هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت
عليه هذه الاية وهي احدى الايات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت
انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير
في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا
يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا
عن ثلاث مرات اي اوقات ثلاث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت
ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى
هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا
للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء
وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف طائف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا
لتلك الدلالة واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك
يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم
يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول
بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة
بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة
ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم
الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس
اية لا يؤمن بها اكثر الناس اية الاذن واني لامر جاريتي ان تستاذن علي وساله عطاء
استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلاث ايات

جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله
واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستأذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم وعن
الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد
ابن جبير يقولون هي منسوخة لا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا فان قلت
ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع
عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر
القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره
وسما فادرك خمسة الاشبار واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل
عن غلام فقال هل اخضر ازاره والقواعد من النساء القاعد التي قعدت عن الحيض والولد
لكبرها اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن
والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات
بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه وان
يستعففن خير لهن والله سميع عليم والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز
عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله تعالى وان تعفوا
اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف
اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث
يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف المرأة للرجال
بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا
من بيوتكم او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او
بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم كان المؤمنون
يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم
واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان
يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم
بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من
المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة فكانت لا تأكل
من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما
عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين
اكيله وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه
والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا
يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون
لهم ان يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكي عن الحارث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف

مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال له ما اصابك قال لم يكن عندي شيء
ولم يحل لي ان اكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم
ان تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج
في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في ان كل
واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان
وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج
ان تقدم الحلق على النحر فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله
من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما يأكل المرء
من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم
ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي
هو اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى او ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل
اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته
وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرئ
مفتاحه فان قلت فما معنى او صديقكم قلت معناه او بيوت اصدقائكم والصديق
يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن انه دخل داره واذا
حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم
مكبون عليها يأكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا
وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه
وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا
بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط
وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين
ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح
وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه ليس
عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو
من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد
من يؤاكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا مع ضيفهم
وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض
فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فسلموا على انفسكم فابدأوا بالسلام على اهلها
الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان
التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيي من عند الله مباركة طيبة كذلك
يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن
يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه

عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه اصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها فقلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسوله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيته واذنه لمن استصوب ان يأذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع وفي قوله واذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شأنهم وذكر الاستغفار دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن الجمع بغير اذن الداعي ولا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي

سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يتسللون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى قوله الذين يخالفون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه والضمير في امره لله سبحانه او للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخل على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحوه قول زهير اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكون جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية سبعون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثره او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كما قال لقد انزلنا اليكم

قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك الذي رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه او سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافعال ودفع الضرر وجلب النفع التي تقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا تقدر عليها الا الله اعجز وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب ابن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار فقد جاؤا ظلما وزورا جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها فهي تملى عليه كتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام

فافضي الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله افرح ان اروح الكرام وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كما للدهاقين والمياسير او يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فان قلت ما وجها الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون

الامر نوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهي الرئة عنوا انه بشر لا ملك انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله

وان اتاه خليل يوم مسالة. يقول لا غائب مالي ولا حرم. ويجوز في ويجعل لك اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بالاخرة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا راتهم من قولهم دورهم تتراءى اي تتناظر ومن قوله عليه الصلوة والسلام لا تتراءى ناراهما كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا راتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك ثبورا والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقالوا واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا الضمير الموصول محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤونه وانما قيل كانت لان ما

وعده الله وحده هو في تحققه فانه قد كان فيها او كان مكتوبا في اللوح قبل ان براهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع الجزاء والضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد ساله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول اانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ نحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله تعالى ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا فان قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رايت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب فان قلت ما فائدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤول عنه فان قلت فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك في القران لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه اانتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤون من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء واباءهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برات الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشيطان اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله تعالى الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد

ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى انتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرأ ابو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتأكيد النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ تقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت اي والله هي مع التاء كقوله تعالى بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء والياء ايضا انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك

احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وكان ربك بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عليه الصلوة والسلام عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد ابن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض وقال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى عليه الصلوة والسلام قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لقد استكبروا في انفسهم فان قلت ما معنى في انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتو عتوا كبيرا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه

لجملة في حسن استبنا لها غاية وفي أسلوبها قول القائل وجارة جساس أبأنا بنابها
كليبا غلت ناب كليب بواؤها وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا
ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون
الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين يوم يرون منصوب بأحد شيئين إما بما دل عليه لا بشرى
أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها ويومئذ للتكرير وإما بإضمار اذكر
أي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين إما ظاهر في
موضع ضمير وإما لأنه عام فقد تناولهم بعمومه ويقولون حجرا محجورا ذكره سيبويه
في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك
وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها
موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجرا محجورا وهو من
حجره إذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل
الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل أو فعل في قراءة الحسن تصرف فيه
لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز قالت
وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر فإن قلت فإذ قد ثبت أنه من باب المصادر فما
معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل
الهوان وموت مائت والمعنى في الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوهم
عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون
وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة وقيل
هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة أو البشرى أي جعل الله
ذلك حراما عليكم وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ليس هاهنا قدوم
ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم
وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم
خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى أشيائهم وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها
ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس
شبيه بالغبار وفي أمثالهم أقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته
عنده وأنه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لأنك تراه منتظما مع الضوء فإذا حركته الريح
رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف أن شبههم بالعصف
حتى جعله مأكولا بالأكال ولا أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا أو مفعول ثالث
لجعلناه أي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أي جامعين
للمسخ والخسء وواو الهباء واو بدليل الهبوة أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن
مقيلا المستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون
والمقيل المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن
كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك

اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي معناه قوله عز وعلا إن أصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض
الأبكار ولا نوم في الجنة وإنما سمي مكان دعتهم واسترواحهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه
وفي لفظ الأحسن رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور إلى غير ذلك من
التحاسين والزين ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقرئ تشقق والأصل
تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره أدغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها
جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله
السماء منفطر به فإن قلت أي فرق بين قولك انشقت الأرض بالنبات وانشقت عن
النبات قلت معنى انشقت به أن الله تعالى شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه
أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام
الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة إلى
الأرض وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم وفي
معناه قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقرئ ونزل
الملائكة وننزل ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف
النون الذي هو فاء الفعل من ننزل قراءة أهل مكة الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما
على الكافرين عسيرا الحق الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى إلا ملكه ويوم
يعض الظالم على يديه عض اليدين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأسنان
والأرم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على
المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة و
الاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت في عقبة بن أبي معيط بن أمية بن
عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا إليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان
أبي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو
في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام إن
لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل
ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك
بالسيف فقتل يوم بدر أمر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أقلح الأنصاري
فقال يا محمد إلى من الصبية فقال إلى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بأحد
فرجع إلى مكة فمات واللام في الظالم يجوز أن تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز أن
تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا تمنى أن لو صحب
الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى
أو أراد أني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا
يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادي

ويلته وهي هلكته يقول لها تعالى فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومدارى فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني عن ذكر الله او القران او موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام وكان الشيطان للانسان خذولا والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله اتخذت يقرأ على الادغام والاظهار والادغام اكثر وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل مسليا ومؤسيا وواعدا النصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القران وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا او جمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة وماله انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك لنثبت به فؤادك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين وايضا كان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه

منسوخ

منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما انزل مفرقا **فان قلت** ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم انزاله جملة فكيف فسر بكذلك انزلناه مفرقا **قلت** لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه ترتيلا معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القران ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القران جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر

حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل
واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراتهم على التأكيد بالنون
الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او
كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم
للناس اية وجعلنا اغراقهم او قصتهم واعتدنا للظالمين عذابا اليما اما ان يعني بهم قوم
نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه وعادا و
ثمودا واصحاب الرس عطف عاد على هم في جعلناهم او على للظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين
وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل
في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب آبار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا
فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية
عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا
وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حنظلة بن صفوان
كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم
الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود
وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي دسوه فيها
وقرونا بين ذلك كثيرا اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك
ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود
وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين وقصصنا لهم ما اجروا
اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره وكلا تبرنا تتبيرا والتتبير
التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب
بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له ولقد
اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا
اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة افلم يكونوا يرونها يعني ان
قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم
يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا لا يرجون
نشورا بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع
لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم
او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون
على اللغة التهامية واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا
ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ او
مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في

معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا
اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على
فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة
في استعطافهم مع عرض الايات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى
دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام
جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون حين يرون
العذاب وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان
يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه
نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في
نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله ارأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه
وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان
فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع
ان تدعوه الى الهدى فتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت
ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل
منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي
ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كأن هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت
بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق
اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح
ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو
الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك
بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام
الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل
من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن
اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها
وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم
ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك
ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك كيف مد الظل الم
تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس
ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم
ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على
احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل

واستغنا وهم عنه الى حسب ذلك ثم قبضناه الينا وقبضه اليه بنسخه بنفح الشمس قبضا
يسيرا اى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيئا بعد شئ من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض
دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم فى هذين
الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثانى اعظم
من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها فى الفضل لتباعد ما بين الحوادث فى
الوقت ووجه اخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة
ظلها على الارض فينانا ما فى اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك
الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما
يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا
سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهى الاجرام
التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله
قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير وهو الذى جعل
لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس
الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذى يتوفيكم
بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت النشور فى مقابلته يأباه اباء العيوف
الورد وهو مرنق وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه
لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة
وشبههما بالموت والحياة اى عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بنى كما تنام
فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته قرئ الريح
والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهى المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر
جمع بشور وبشرى وبين يدى رحمته استعارة مليحة اى قدام المطر وانزلنا من السماء
ماء طهورا بليغا فى طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره
فان كان ما قاله شرحا لبلاغته فى الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل فى شئ والطهور على وجهين فى العربية
صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به
طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا
كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور اى بطهارة
فان قلت ما الذى يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة النجاسة
او غلبتها على الظن تغير اوصافه الثلاثة او لم تتغير او استعماله فى البدن لاداء عبادة
عند ابى حنيفة وعند مالك بن انس ما لم تتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت
فما تقول فى قوله عليه السلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه
شئ الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قلت قال الواقدى كان بئر بضاعة طريقا للماء
الى البساتين لنحيى به بلدة ميتا وانما قال ميتا لان البلدة فى معنى البلد فى قوله

فسقناه

فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل ونسقيه مما خلقنا
انعاما وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى
كثيرا الاناسى جمع انسى او انسان ونحوه ظرابى فى ظربان على قلب النون ياء والاصل
اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم فى اناعيم فان قلت
انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقى يؤذن بان الطهارة شرط
فى صحة ذلك كما تقول حملنى الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان
سقى الاناسى من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا
ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة وارادهم عليها ان يؤثروها فى بواطنهم ثم فى ظواهرهم
وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم فان قلت لم خص
الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد فى طلب الماء
فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسى وعامة منافعهم متعلقة بها
فكان الانعام عليهم بسقى انعامهم كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير الانعام
والاناسى ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب
من الاودية والانهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقى الماء واعقابهم وهم كثير منهم
لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيى به بلدة ميتا يريد
بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقى
الانعام على سقى الاناسى قلت لان حيوة الاناسى بحيوة ارضهم وحيوة انعامهم فقدم
ما هو سبب حيوتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم
لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا يريد ولقد
صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب والصحف التى انزلت على الرسل
وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا
فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم فى البلدان
المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام
فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن
عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه
الاية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف
فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب فى تنكير البلدة والانعام والاناسى كانه قال لنحيى
به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسى وذلك البعض كثير فان قلت
هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان
تكون هى والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل
وامارات عليها لم يكفر ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين يقول لرسوله
صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا فى كل قرية
نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر الرسل

فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا تهييج المؤمنين وتحريكهم وجاهدهم به جهادا كبيرا والضمير للقرآن او لترك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الآخر ممزوج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله عز وعلا بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس

الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كأنه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضيه كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الآخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبره مبتدأ محذوف او بدل من المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته

او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اى برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا
عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شىء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور فى الكتب
المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من
ينكره ومن ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال
له رحمن اليمامة واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن
المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا
عن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا
اطلاقه على الله تعالى انسجد لما تأمرنا اى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده على قوله امرتك
الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى
بالرحمن ولا نعرف ما هو وزادهم نفورا وفى زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول
تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا البروج منازل الكواكب
السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب
والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التى هى القصور العالية لانها لهذه
الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس لقوله
تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش
وقمرا منيرا وهى جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر منيرا لان الليالى تكون قمرا بالقمر فاضافه
اليها ونظيره فى بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان
بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد
والرشد والعرب والعرب وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما
الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفة اى ذوى عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل
والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله تعالى واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان
خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابى بن كعب يتذكر
والمعنى لينظر فى اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما
من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون
بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته فى احدهما ورده من العبادة قام به
فى الآخر وعن الحسن من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له فى الليل مستعتب ومن فاته
بالليل كان له فى النهار مستعتب وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض وعباد الرحمن
مبتدأ خبره فى آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون
الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ
وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشى بمعنى هينين او مشيا هينا
الا ان فى وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث

احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه
اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم و
لا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب فى الاسواق ولقوله
ويمشون فى الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم و
متاركة لا خير بيننا ولا شر اى نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا
سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء
الرعة من قوله الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابى العالية
نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن
فى الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
البيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدرك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن
فى صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد
العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما هلاكا وخسرانا
ملحا لازما قال يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال ان يعاقب يكن غراما
وان يعط جزيلا فانه لا يبالى ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين
وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله
تعالى فى صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انها ساءت
مستقرا ومقاما ساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم
محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم ان
وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او
تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين مترادفين وان يكونا من كلام الله تعالى وحكاية
لقولهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا
بتخفيف الياء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف
والاسراف مجاوزة الحد فى النفقة وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله
امر رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وقيل الاسراف انما هو الانفاق فى المعاصى فاما فى القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول
لا خير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن
مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام
حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان
بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين
فعرف عبد الملك انه اراد ما فى هذه الآية فقال لابنه يا بنى اهذا ايضا مما اعده وقيل
اولئك اصحاب محمد كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال
والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر

عوراتهم ويكسهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا
الا اشتراه فاكله وكان بين ذلك قواما والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين
واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما
يقام به الشيء يقال انت قوامنا يعني ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان
اعني بين ذلك قواما جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا
وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه
مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب
لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في
الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما حرم الله اي حرمها والمعنى
حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام
عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش
وغيرهم كانه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد
وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله
ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اي قال ان
تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقه وقرئ يلق اثاما وقرئ يلقى باثبات الالف
وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال جزى الله ابن
عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وقرأ
ابن مسعود اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيمة
ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وكان الله غفورا رحيما يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى تأتنا
تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ يضعف ونضعف له العذاب
بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد على البناء للفاعل
مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف
ومثقل وكذلك سيئاتهم فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات
سيئات قلت اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا
تضاعف له العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة
ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين
قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا
يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا
مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين
ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب
لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع

الى الله تعالى والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع والذين لا يشهدون الزور يحتمل انهم
ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن
مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك
قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم و
نظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان
النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه
اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد
المشركين واذا مروا باللغو مروا كراما اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا
باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم
كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا
نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا
وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها
صما وعميانا لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول
لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على
استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون
بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين
الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها
كالمنافقين واشباههم والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا
عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن
من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه
وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم واجعلنا
للمتقين اماما اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم
طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام او اراد واجعلنا
اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين
يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة فان قلت
من في قوله من ازواجنا ما هي قلت يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين
ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعل الله لهم قرة اعين
وهو من قولهم رأيت منك اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من
جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل
قلت اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف
اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين

وهي قليلة بالاضافة الى غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين اولئك يجزون الغرفة المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقرأه من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وقرئ يلقون كقوله ولقاهم نضرة ويلقون كقوله يلق اثاما والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستأهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبأ علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية فقد كذبتم فسوف يكون لزاما يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة

وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالنون وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك لئلا يؤمنوا ولامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية ارادوا آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لها اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهي الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسيأتيهم وعيد له وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد

علم الله تعالى ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز
في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فان قلت فما معنى
الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة
بازواج النبات على وجه التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى
الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت
يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض
من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه
وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم
لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى
معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة
وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال لآيات
قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا كانه قال ان في الانبات
لآية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه
نظاير واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون
سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطف عليهم عطف البيان كان معنى القوم
الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عباراتان يعتقبان على مؤدى واحد ان شاء
ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم
من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم
لهم وقرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء
للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه
عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم
التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل
ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت
همزة الانكار على الحال واما من قرأ الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم
وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى
بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة
صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس
فان قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت
اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم و
القائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة
التقوى وكم من آية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا
بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون
كقوله الا يسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني

فارسل الى هرون يضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما
على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلاث علل خوف التكذيب
وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة فان
قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة
الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت
قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على
ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة
فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق
اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير
الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا
سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه
قوله تعالى واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل
واجعله نبيا وآزرني واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع
وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في
تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم
تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما
على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الزام الحجة
عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام
ان يأمره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من
ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على
تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك و
تمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى
بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون اراد بالذنب
قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك
القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة
سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه
فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل
اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة
والدفع قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون جمع الله تعالى له الاستجابتين معا
في قوله تعالى كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس
منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون
فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي دل عليه كلا كانه قيل
ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله تعالى معكم مستمعون من مجاز الكلام

يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا خبرين لأن أو يكون مستمعون مستقراً ومعكم لغواً فإن قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع إلى حديثه وسمع حديثه أي أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه البرم فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين فإن قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله إنا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه إذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال

ألكني إليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحي الخبر

فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

ويجوز أن يوحد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان حكما واحدا فكأنهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا أن أرسل معنا بني إسرائيل أن أرسل بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وتقول أرسلت إليك أن افعل كذا لما في معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الإرسال التخلية والإطلاق كقولك أرسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما قال ألم نربك فينا وليدا روي أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف موسى فقال له ألم نربك حذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لأنه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة ولبثت فينا من عمرك وفي رواية عن أبي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة وفر منهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك وفعلت فعلتك التي فعلت وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لأنه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلأنها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين يجوز أن يكون حالا أي قتلته وأنت لذاك من الكافرين بنعمتي أو وأنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لأنه كان يعايشهم بالتقية فإن الله عز وعلا عاصم من يريد أن يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز أن يكون قوله وأنت من الكافرين حكما عليه بأنه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه أو بأنه من الكافرين بفرعون وإلهيته أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ وإلاهتك قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل فأجابه موسى عليه السلام بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو من الضالين أي الجاهلين وقراءة ابن مسعود رض من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه كما قال يوسف لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية وأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبى أن يسمي نعمته إلا نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبدا قال

علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم أباعر ما شاؤوا وعبدان

فإن قلت إذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لأن نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء فإن قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فإن قلت تلك إشارة إلى ماذا وأن عبدت ما محلها من الإعراب قلت تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة علي لأن عبدت بني إسرائيل أي لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين لما قال له بوابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشيء

مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء
واما ان يريد اي شيء هو على الاطلاق تفتيشاً عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان
الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالاً بافعاله الخاصة
على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل
اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام
ان يكون سؤاله هذا انكاراً لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب
موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله
جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير اخر احتد واحتدم وقال
لئن اتخذت الهاً غيري وهذا يدل على صحة الوجه الاخير **فان قلت** كيف قيل
وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع **قلت** اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر
ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين **فان قلت** ما معنى قوله ان كنتم موقنين
واين عن فرعون وملائه الايقان **قلت** معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي
يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء
قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله **فان قلت** ومن كان حوله
قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك
خاصة **فان قلت** ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق
كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب **قلت** قد عمم
اولاً ثم خصص من العام للبيان انفسهم وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه
ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة و
حال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع
الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب
مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله صلى الله
عليه وسلم عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر
وقرئ رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة **فان قلت** كيف قال
اولاً ان كنتم موقنين واخراً ان كنتم تعقلون **قلت** لاين اولاً فلما رأى منهم شدة
الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء عن عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون
بقوله ان كنتم تعقلون **فان قلت** الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين
ومؤدياً مؤداه **قلت** اما اخصر فنعم واما مؤدياً مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك
واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه
في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد
من القتل واشد قال اولو جئتك بشيء مبين الواو في قوله اولو جئتك واو الحال
دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائياً
بالمعجزة قال فات به ان كنت من الصادقين في قوله ان كنت من الصادقين ان لا

لا يأتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم
لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة
حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من
الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة
بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة
الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا
اخذتها فاخذها فعادت عصا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين دليل على
ان بياضها كان شيئاً يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضاً نورانياً
روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك
فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ
حوله **فان قلت** ما العامل في حوله **قلت** هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب
في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب
على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه
ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفاً
وفرقاً وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف
لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وارضه و
قوله ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا لزم يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد
آمرين وربهم مأموراً لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في
معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير قالوا ارجه واخاه وابعث في
المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم قرئ ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان
يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق
ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه
حاشرين شرطاً يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاؤا بكلمة
الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الاعمش بكل ساحر
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه
الوقت الذي وقته لهم موسى من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس
ضحى والميقات ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام وقيل للناس
هل انتم مجتمعون هذا استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول
الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كما يخيل له ان
الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شراً • هل انت باعث دينار لحاجتنا • او عبد
رب اخا عون بن مخراق • يريد ابعثه الينا سريعاً ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة ان كانوا

هم الغالبين اي نتبعهم في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم
اتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية
لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين وقرئ نعم بالكسر وهما
لغتان ولما كان قوله ائن لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم
اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه
من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون
به موسى القربة عنده والزلفى قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان
الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض
اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله
وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا
بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس
في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم
لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس
سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف
فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون اي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم
وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او
افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة فالقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين
روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى علينا
فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا
شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه
ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض
ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت
هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك
ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا رب موسى وهرون عطف بيان
لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما
في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى قال آمنتم
له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا
منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين الضر والضير
والضور واحد ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه
لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما تتوعدنا

به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من الاسباب والموت والقتل اهون اسبابه
وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع
في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك
او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون
او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته
وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت
لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع
علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وقرئ اسر بقطع الهمزة
ووصلها وسر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى
اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا
مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت
من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله عز وجل اوحى
الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا
بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل
ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر
فيأتيك امري فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون
وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة
الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف
كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى
الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة
قليلين ان هؤلاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب
شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم
جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع
القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى
انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا و
تضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا
خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا
يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة
فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا
واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه
من بغضها وهو حادر اراد انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك
حدارة في اجسامهم فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز عن مجاهد سماها كنوزا لانهم
لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى ومقام كريم والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس

البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك واورثناها بني اسرائيل
كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على
انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتداء
محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتّبعوهم مشرقين داخلين في وقت
الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا
لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين سيهديني طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم
وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادّرك الشيء اذا
تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادّارك علمهم في الآخرة وقال الحسن جهلوا علم الآخرة
وفي معناه بيت الحماسة ابعد بني امي الذين تتابعوا ارجّي الحيوة ام من الموت اجزع
والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد فاوحينا الى موسى ان
اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم الفرق الجزء المتفرق منه
وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثمّ
حيث انفلق البحر الآخرين فرعون وقومه اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم
من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي
ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزّهم كقوله تداركتما عبسا وقد ثلّ عرشها وذبيان
اذ زلّت باقدامها النعل ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني
اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين
عن عطاء بن السائب ان جبرئيل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون
فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم اولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم
فلما انتهى موسى عليه السلام الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى اين
امرت هذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما
يصنع فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنى عشر طريقا
لكل سبط طريق وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر
امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي
ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكوّن لكل شيء والكائن بعد كل شيء
ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في
ذلك لآية اية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما كان
اكثرهم مؤمنين وما تنبّه عليها اكثرهم ولا آمن بالله وبنوا اسرائيل الذين كانوا
اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا
رؤية الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل
عليهم نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها
عاكفين كان ابرهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان
ما تعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان

ماله الدقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود
فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا
قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤا بقصة امرهم
كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابرهيم وعلى ما قصدوه من اظهار
اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل
لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس
في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجرّ ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون
لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة
يُسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع
ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم
تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت قالوا بل وجدنا
آباءنا كذلك يفعلون قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم
عدو لي لما اجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقّوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته
وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة
والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له
ومعنى العداوة قوله تعالى سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على
عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه
على معنى اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير
كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا
فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون
ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة
ولانه دخل في باب التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتأمل
فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي ان رجلا واجهه بشيء
فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو
ببيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم على
ذوي مئرة اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر
للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين الذي خلقني استثناء
منقطع كأنه قال لكن رب العالمين فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه
الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن
هداه الى ان يتغذى بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة
والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين انما قال

مرضت دون امرضني لان كثيراً من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثمه قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغاير لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منه الا الصغاير وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب ما سبق لجان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفاً لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ وهو الان خفي لا يعلم رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين والاخزاء من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهو الحياء وهذا ايضاً من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني في يوم يبعث الضالون وابي فيهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلاً عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعاً ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم تقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولاً لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلاً سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرايع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم

واستسلم وما احسن ما رتب ابرهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم اولاً عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلاً ان يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وجل فعظم شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الاخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين فابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون تجمع الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غماً في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الالهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس اجمعون وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الجن والانس قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين يجوز ان ينطق الله تعالى الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين وما اضلنا الا المجرمون والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الاخرة الا المؤمنون قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده بشفاعته رحمة له

وحسبه وان لم تسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي
الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال
اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان
في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكرة الرجعة الى
الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو
وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت و
كيت كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين
والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد
اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون قيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم
يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة * لا يسالون اخاهم حين يندبهم * في النائبات
على ما قال برهانا * اني لكم رسول امين كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه
في قريش فاتقوا الله واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق وما اسالكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه
ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم
مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه
عنهم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او
جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذل
على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة
وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات
الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم
واماراتهم الا ترى الى هرقل حين سال ابا سفين عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة
وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة قال وما علمي بما كانوا يعملون ان
حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم
لله واطلاعه على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم
وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى الله تعالى عنهم في قوله
الذين هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين
بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقايد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم
ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق
عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله تعالى محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر
لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم
وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمي المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم

نسبا فان الغنى غنى الدين والحسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا
نذير مبين يريد ليس من شاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين
صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي
يميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
قال رب ان قومي كذبون ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة
اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني واذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل
دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي
من المؤمنين فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق
كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم
اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن
قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك
العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان و
ابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون
المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية تعبثون قرئ بكل ريع بالكسر والفتح
وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الال يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه
قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والاية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم
فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن
مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام وتتخذون مصانع المصانع ماخذ الماء وقيل القصور
المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد
وفي حرف ابي كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بسوط
او سيف بطشتم جبارين كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على
الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب واتقوا الذي
امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك
انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حيث قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم
المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على
الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد فان قلت
كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها قالوا
سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فان قلت لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان
اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت

هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه وهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله تعالى اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة في ما ههنا امنين في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وهذا ايضا اجمال فان قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما تتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله تعالى في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري فان قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على

عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رأيت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء ولا تمسوها بسوء بضرب او عقر او غير ذلك فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم روي ان مسطعا الجأها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وكذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين اراد بالعالمين الناس اي اتأتون من بين اولاد ادم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتكم او اتأتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان تكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح فيهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم بل انتم قوم عادون العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على سوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما تكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة قال اني لعملكم من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك

فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز
أن يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي
هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في
دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية رب نجني وأهلي مما يعملون
فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطراً
فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم
مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجية العصمة فإن قلت
فما معنى قوله فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً قلت معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا
العجوز فإنها غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة والراضي بالمعصية
في حكم العاصي فإن قلت كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت
الكافرة منهم قلت الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق
الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان فإن قلت في الغابرين صفة لها كأنه قيل إلا
عجوزاً غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه إلا عجوزاً مقدراً
غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل إنها هلكت مع من خرج من
القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وأما الإمطار فعن قتادة
أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى
أتبعه مطراً من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم إنما
هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ
قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم
عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها
وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد
فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف
وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين
على حكم لفظ المخفف كما يكتب أصحاب النحو لان ولولي على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد
كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف وروي أن أصحاب
الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فإن قلت هلا قيل أخوهم شعيب
كما في سائر المواضع قلت قالوا إن شعيباً لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث إن شعيباً
أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الكيل على
ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو
التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن
لم يفعله فلا عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم قرئ بالقسطاس مضموماً ومكسوراً وهو
الميزان وقيل القرسطون فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه
فعلاس وإلا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل ولا تبخسوا الناس أشياءهم

يقال

يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لأحد
أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه
تصرفاً شرعياً ولا تعثوا في الأرض مفسدين يقال عثا في الأرض وعثي وعاث وذلك
نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد
فنهوا عن ذلك واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين وقرئ الجبلة بوزن الأبلة و
الجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد أي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الأولين
قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا فإن قلت هل اختلف المعنى
بإدخال الواو هاهنا وتركها في قصة ثمود قلت إذا دخلت الواو فقد قصد معنيان
كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً
ولا يجوز أن يكون بشراً وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً
ثم قرر بكونه بشراً مثلهم وإن نظنك لمن الكاذبين فإن قلت إن المخففة من
الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت أصلهما أن يتفرقا
على المبتدأ والخبر كقولك إن زيداً لمنطلق فلما كان البابان أعني باب كان وباب ظننت
من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل إن كان زيد لمنطلقاً وإن ظننته
لمنطلقاً فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين قرئ كسفاً بالسكون
والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة
وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم
على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلاً أن
يطلبوه والمعنى إن كنت صادقاً أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفاً من السماء قال
ربي أعلم بما تعملون يريد أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فإن
أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل وإن أراد عقاباً آخر فإليه الحكم والمشيئة
فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم فأخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة
إن أرادوا بالسماء السحاب وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس
عنهم الريح سبعاً وسلط عليهم الومد فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب
فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً فاجتمعوا تحتها
فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا وروي أن شعيباً بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب
الأيكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة فإن قلت
كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل
برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح
بما افتتحت به صاحبتها وأن تختتم بما اختتمت به ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في
الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه
منها وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان

ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت
بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتق ذهنا أو
يصقل عقلا طال عهده بالصقل أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصداء وإنه
وإن هذا التنزيل بمعنى ما نزل من هذه القصص والآيات لتنزيل رب العالمين والمراد
بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح الأمين ونزل به الروح على القراءتين للتعدية
ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك لتكون من المنذرين أي حفظكه
وفهمك إياه وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بلسان
عربي مبين إما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان
وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسمعيل ومحمد عليهم الصلوة والسلام وإما أن يتعلق
بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمي لتجافوا
عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزيله
بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه
قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف
لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي
لقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه
ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهرا بمعرفتها
كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها هذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان
عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين وإن القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية
وقيل إن معانيه فيها وبه يحتج لأبي حنيفة رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في
الصلوة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل وإنه لفي زبر الأولين لكون
معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في أن يعلمه وليس
بواضح أولم تكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب
على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه
خبرا وليست كالأولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر
ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز
على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب
الآية تأنيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ومنه بيت لبيد فمضى وقدمها
وكانت عادة منه إذا هي عردت إقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني إسرائيل عبد
الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا
كنا من قبله مسلمين فإن قلت كيف خط في المصحف علموا بواو قبل الألف قلت خط
على لغة من يميل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا ولو نزلناه
على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه
عجمة واستعجام والأعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن

الأعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي
شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم
قال حميد ولا عربيا شاقه صوت أعجما كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون سلكناه أدخلناه ومكناه
والمعنى إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا
فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة
قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه
وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه
وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض
الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا
معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك
سلكناه أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا سلكناه وقررناه فيها وعلى مثل
هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وصفناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع
وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره كما قال ولو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين فإن قلت
كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته قلت أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في
قلوبهم أشد التمكن وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم
هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخلقية أثبت من العارضة
والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به فإن قلت
ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع
الموضح والملخص لأنه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فأتبع ما يقرر هذا المعنى
من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا
أي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك
وفي حرف أبي ويروه بغتة فيقولوا هل نحن منظرون فإن قلت ما معنى التعقيب
في قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته و
سؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبه في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن
حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه
وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك
الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك
إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد
من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم تقع في هذا الأسلوب فيحل موقعها أفبعذابنا
يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما
كانوا يمتعون أفبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بإنكاره وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب

من هو معرض لعذاب الله يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة و امن فقال عز وجل افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الاية فقال ميمون وعظت فابلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرين اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول **فان قلت** كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم **قلت** الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله وثامنهم كلبهم وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرا الحسن الشياطون ووجهه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يقولوا هؤلاء يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن واصحابه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرا به الا وقد سمعا فيه فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المسلمين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما انزلنا اليك وانذر عشيرتك الاقربين فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدا في

ذلك من هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه عليه السلام انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب للقريب من العطف والرافة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي انه عليه السلام جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع **فان قلت** المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين **قلت** فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين فان عصوك ولم يتبعوك فتبرا منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من اذا دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سال غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرا نافع وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع

عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلوة فى الجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الاية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلى خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع والسجود فوالله انى لاراكم من خلف ظهرى اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملإ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اى المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب **فان قلت** كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت **قلت** ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستفهام على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال اهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر فى ضميرك كانك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت **فان قلت** يلقون ما محله **قلت** يجوز ان يكون فى محل النصب على الحال اى تنزل ملقين السمع وفى محل الجر صفة لكل افاك لانه فى معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت **فان قلت** كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك **قلت** الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين من تصدق منهم فيما يحكى عن الجنى واكثرهم مفتر عليه **فان قلت** وانه لتنزيل رب العالمين ○ وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق

بينهن وهن اخوات **قلت** اريد التفريق بينهن بآيات ليست فى معناهن ليرجع الى المجئ بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذى نزلن فيه من المعانى التى اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفى صدره اهتمام بشئ منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعراء يتبعهم الغاوون والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحى ومن ثقيف امية بن ابى الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ذكر الوادى والهيوم فيه تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة وان يبهتوا البرى ويفسقوا التقى وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبى مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عنى الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة وما لا بأس به من المعانى التى لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد ان رجلا من العلوية قال له ان صدرى ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان ابن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان

قلوب روح القدس معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول وانكأ لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اى منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس اى منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم عليهم السلام وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية وهى ثلاث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى فى نحو قولك هذا فعل السخى والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك واى كتاب مبين وقرأ ابن ابى عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثانى نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة هدى وبشرى فى محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اى هادية ومبشرة والعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هى هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اى جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى فى كونها هدى للمؤمنين انها زائدة فى هداهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله

قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلوة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذى هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان فى قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان فى علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذى يسمى الاستعارة والثانى ان يكون من المجاز الحكمى فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله تعالى بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة فى قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثانى ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمى يصححه بعض الملابسات وقيل هى اعمال الخير التى وجب عليهم ان يعملوها زينها الله لهم فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما تكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين اراد مترددين فى اعمالهم واشغالهم اولئك الذين لهم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر وهم فى الآخرة هم الاخسرون والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله وانك لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من لدن حكيم عليم من عند اى حكيم واى عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما فى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم وروى انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلى آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن قلت قد يقول الراجى اذا قوى رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف

قلت عدة لاهله انه يأتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة فان قلت
فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم
واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد
يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين
جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة فلما جاءها نودي ان بورك من في النار
ومن حولها ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت
هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان
قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا
تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها
ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي
من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن
حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث
امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير
يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث آثار يمنه في اباعدها
فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى
والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي
وحواليها من ارض الشام ولقد جعل الله تعالى ارض الشام بالبركات موسومة في قوله تعالى
ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت
فما معنى ابتداء خطاب الله تعالى موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي
امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها بركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى
من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل
الامور وعظائم الشؤون يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير
الشان والشان انا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما
دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا
تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام
كقلب العصا حية فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان
المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له
بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قائل وان الق عصاك
بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان
اعتمر وان شئت ان حج واعتمر فلما رآها تهتز كانها جان قرأ الحسن جأن على لغة
من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد
ولا الضألين ولى مدبرا ولم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار

قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا يا موسى لا تخف
اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم
انما رعبه لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى
لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك
والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من
آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى عليهم السلام بوكزه القبطي ويوشك
ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها و
سماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة و
قبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا وادخل
يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا
قوما فاسقين في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى
اذهب في تسع آيات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس
الطعاما ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة
تسع آيات وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد
والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة و
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا
سحر مبين المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهي في الحقيقة لمتأمليها لانهم
لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل
ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون وملائه لقوله واستيقنتها انفسهم
او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها
ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي
ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها
بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهو نحو مجبنة
ومبخلة ومحفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها
مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا
قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا بالضم
والكسر كما قرئ عتيا وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في
قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين
واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله
ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه ولقد آتينا داود وسليمان علما
طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده
المؤمنين فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر

ومنعته فضير قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعارا بان ما قاله بعض ما احدث فيهما ايتاء
العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد آتيناهما علما
فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه
من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير
وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل
النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين
اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا
لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم
لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله تعالى على ما اوتوه من فضلهم على
غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه
مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان
داود ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر
تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا
من كل شيء قال يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء
للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم
الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب
كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة
وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه
من بعض من معانيه واغراضه ويروى انه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه
فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى
الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس
فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح
طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا
تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح
قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله و
القطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا
الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد
من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي
كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه
الى غزارة في العلم واستكثاره ومثله قوله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل
المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال
علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه

وكذلك

والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته
على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد تتعلق بتجمل الملك
وتفخمه واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح في عين
عدو الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتائب وحشر
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة
خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون
للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية
وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه
وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على
كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين و
تظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة
شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو
يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك
فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى
الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله
خير مما اوتي آل داود فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي توقف سلاف العسكر حتى
تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة حتى اذا اتوا على
واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا
يشعرون قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على
معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب ولشد
ما قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من
قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند مقطع الوادي لانهم ما
دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون
والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع
في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمان كلامها
من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس
فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن
نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين
عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله تعالى قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان
النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة
ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ يحطمنكم بفتح
الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل

اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا
للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث
انتم فيحطمكم على طريقة لا ارينك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ
ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه معنى تبسم ضاحكا تبسم
شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء عليهم
السلام واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض
المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون
يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت
شيئان اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله
وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون تعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره
بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر
والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من
ذلك وعلى استيفاء لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك
عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة
على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما
بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك
وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام
الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين
ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو
حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول
اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة
الهدهد ان سليمان عليه السلام حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى
الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف
بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا
فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها
فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت
الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون
الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه
فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان
تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا

بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال
فدعا عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب
علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك
واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال
وما استثنى قالت بلى او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه
يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر
وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله
حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل
ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل يأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه
وبين الفه وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد
قلت يجوز ان يبيح الله تعالى له ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح
ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله
الا بالتأديب والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتينني وليأتين والسلطان
الحجة والعذر فان قلت قد حلف على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف
صح حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان
قلت لما نظم الثلاثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد
الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما
وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سيأتيه
بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان فمكث وقرئ
بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة
للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من
المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل فقال احطت بما لم تحط به احطت بادغام
الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق الهم الله تعالى الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام
على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء
له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه
ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها
فتنة والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى عليه معلوم قالوا وفيه دليل
على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وجئتك
من سبإ وقرئ بالصرف ومنعه وقد روي سكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف
كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم
يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف قال من سبأ الحاضرين مأرب اذ
يبنون من دون سيله العرما وقال الواردون وتيم في ذرى سبإ قد عض اعناقهم
جلد الجواميس ثم سميت مدينة مأرب بسبإ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما

سُميت مَعافر بمعافر بن أُدّ ويحتمل ان يراد المدينة والقوم بنبإٍ يقين والنبأ
الخبر الذي له شان وقوله من سبإٍ بنبإٍ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع
وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعاً او يصنعه عالم بجوهر
الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هٰهنا زائداً على الصحة فحسن وبدع
لفظاً ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبإٍ بخبر لكان المعنى صحيحاً وهو كما جاء اصح
لما في النبإ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت
من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين
لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون المرأة بلقيس بنت شراحيل
وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكاً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت
على الملك وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبإ
فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل في وصف
عرشها كان ثمانين ذراعاً في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلثين مكان ثمانين وكان من
ذهب وفضة مكللاً بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد
وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما
كان يرى من ملك سليمان قلت يجوز ان يستعظم حالها الى حال سليمان فاستعظم لها
ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون
لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن
نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم
ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة
وهي مسخ كتاب الله تعالى فان قلت كيف قال واوتيت من كل شيء مع قول سليمٰن
واوتينا من كل شيء كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمان عطف
قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولاً الى ما اوتي من النبوة
والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم
يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان
قلت كيف خفي على سليمان عليه السلام مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها
قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك
لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام فان قلت من اين للهدهد
التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان
وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله تعالى ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر
الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد
استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصاً في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها
وجعل ذلك معجزة له الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما
يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم من قرأ بالتشديد اراد

فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون
المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه
ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي
حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا
تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء
من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر
وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا
على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهه ان تخرج على لغة من
يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف على لغة
من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء
وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبء امارة
على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج
الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا تكاد تخفى على ذي الفراسة النظار
بنور الله مخائل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد
ما عمل عبد عملاً الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة التلاوة واجبة
في القراءتين جميعاً ام في احدهما قلت هي واجبة فيهما جميعاً لان مواضع السجدة اما
امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم
للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي رحمهما الله على ان سجدات القرآن اربع عشرة
وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر
وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد
فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف
وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا
واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس
وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظيم
تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله تعالى بالعظم
تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع قال سننظر
اصدقت ام كنت من الكاذبين سننظر من النظر الذي هو التأمل والتصفح واراد صدقت
ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين كان كاذباً لا محالة واذا كان كاذباً اتهم بالكذب
فيما اخبر به فلم يوثق به اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون
تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون
من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فالقى الكتاب اليها
وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها
وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماماً منه بامر الدين واشتغالاً

بر عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي
كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين
كريم حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو مختوم قال عليه السلام
كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب إلى العجم فقيل له إنهم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم
فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر
ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما ألقي إليها كأنها لما قالت إني ألقي إلي كتاب
كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت وقرأ عبد الله وإنه من سليمان
وإنه عطفا على إني وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقي إلي
أنه من سليمان ويجوز أن يريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره
باسم الله وقرأ أبي أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة وأن في ألا تعلوا مفسرة
أيضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة
الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على
من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وكانت كتب الأنبياء عليهم السلام جملا
لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها
بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح
الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود
حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت
قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت
وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين أو مؤمنين قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري
الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على سبيل الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى
ههنا الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع إليهم
والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا
معها ما كنت قاطعة أمرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية حتى تشهدون أي
إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على
عشرة آلاف قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد أرادوا بالقوة قوة الأجساد وقوة
الآلات والعدد وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين أي هو
موكول إليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال
أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري
ماذا ترين نتبع رأيك قالت إن الملوك لما أحست منهم الميل إلى المحاربة رأت من الرأي الميل
إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه
بأن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وقهرا أفسدوها أي خربوها ومن ثم قالوا للفساد
الخربة وجعلوا أعزة أهلها أذلة وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت
لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون أرادت وهذه عادتهم المستمرة

الثابتة

الثابتة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد
ذلك حديث الهدهد وما رأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله تعالى لقولها وقد
يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح
حراما فقد كفر وإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين وإني مرسلة
إليهم بهدية أي مرسلة رسلا بهدية أصانعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون
فناظرة ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك فروي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب
الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم
والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة
من ذهب أو فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه
درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو
وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا
وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك
وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب
والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا
شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان
ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على
سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ
والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب
تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر
إليهم بوجه طلق وقال لهم ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل بما فيه فقال لهم إن فيه
كذا وكذا ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا
بالماء فكانت الجارية تأخذ بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما
يأخذ يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم فقالت هو نبي وما لنا
به طاقة فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف فلما جاء سليمان قال
أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وفي قراءة ابن
مسعود فلما جاؤوا أتمدونني الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف
إلى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه
والمضاف إليه ههنا هو المهدى إليه والمعنى أن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن
الله تعالى آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا ما لا
يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال ويصانع به بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا
من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالي
خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء وما أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية فإن قلت
ما الفرق بين قولك أتمدونني وأنا أغنى منك وبين أن تقوله بالفاء قلت إذا قلته

بالواو فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني
بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا
احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد
قوله فما اتاني الله **فان قلت** فما وجه الاضراب **قلت** لما انكر عليهم الامداد
وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون
سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا تعلمون غيرها ويجوز
ان يجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها
تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة
عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع اليهم
خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا اخر فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها
لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود
لا قبل لهم بهم ولنخرجنهم منها اذلة والضمير في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما
كانوا فيه من العز والملك وهم صاغرون والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا
يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا قال يا ايها الملؤا ايكم يأتيني
بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين يروى انها امرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام
فجعل عرشها في اخر سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت
الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها
من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء
العجايب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان و
يصدقها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ
مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها
قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وقرئ عفرية والعفر
والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه
ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان واني عليه لقوي امين لقوي
على حمله امين اتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك هو رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي
يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام
وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو اصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما
وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبرئيل وقيل ملك ايد الله تعالى به سليمان وقيل هو سليمان
نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة
بلغني انه الخضر عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع
وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبرئيل واتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم
فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا

بارسال الطرف في نحو قوله ٭ وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا ٭ لقلبك يوما اتبعتك المناظر
ووصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك
ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان اصف قال
لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمين ودعا اصف فغار العرش
بمارب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله تعالى قبل ان يرد طرفه ويجوز ان
يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة
طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي
ليبلوني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها
عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة
وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت
نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم
ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا ومن كفر فان ربي غني
عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قال سليمان عند رؤية العرش شاكرا
لربه جرى على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة
القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها
ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته
وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره و
اعلاه اسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستيناف تهتدي على معرفة
او للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان عليه السلام اذا
رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وغلقت عليه الابواب ونصبت
عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها
وكنا مسلمين هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة
لم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل
هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من
كلام سليمان وملائه **فان قلت** علام عطف هذا الكلام وبم اتصل **قلت** لما
كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان
او ملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت
في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله
وصحة النبوة بالايات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الاية العجيبة من
عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده
قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى
العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام ما كانت تعبد من
دون الله عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس

موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة تعنى ما تبينت من الايات عند وفدة المنذر ودخلنا فى الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل انها كانت من قوم كافرين وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤوقا فاجرى عليه الواحد والممرد المملس وروى ان سليمان امر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فيه فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان فى عقلها شيئا وهو شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هو احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هى السبب فى اتخاذ النورة امر بها الشيطان فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان عليه السلام قالت رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين ظلمت نفسى تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقها فى اللجة فقالت ظلمت نفسى بسوء ظنى بسليمان عليه السلام ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله وقرئ ان اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فاذا هم فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معى قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون السيئة العقوبة والحسنة التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احديهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التى يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة فى ذلك الوقت وان لم تقع فنحن ما نحن عليه فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه قالوا

اطيرنا بك وبمن معك كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشأم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذى هو السبب فى الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اى قدر الله الغالب الذى ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذى تتشأم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اى تشأمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله اى سببكم الذى يجئ منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشأم به وتطير منه نفر منه بل انتم قوم تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه فى معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفى قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعنى ان شأنهم الافساد البحت الذى لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا فى محل الحال باضمار قد اى قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفى هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبى الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق فى خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى انه كان لصالح عليه السلام مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم

وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملاء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين انا دمرناهم استيناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اى كان عاقبة مكرهم الدمار فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اى تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله تعالى في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة و مجانة فانها كانت في المعصية وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم ما تأتي وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون **فان قلت** فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء **قلت** اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها **فان قلت** تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون **قلت** اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الايات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسوله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني

وغير

وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم آلله خير اما يشركون معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما اثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة خير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطاء المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله كما عددها في موضع اخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ تشركون بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء **فان قلت** ما الفرق بين ام وام في اما يشركون وامن خلق **قلت** تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير اما يشركون قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير ام ما يشركون **فان قلت** اى نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا به حدائق ذات بهجة **قلت** تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطية رأيهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات بهجة لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ االها مع الله بمعنى اتدعون او اتشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون امن جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء

والتضرع الى الله تعالى وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل
المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من
مضطر يدعوه فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا
يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله
ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي
اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك
توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن واراد بالخلافة الملك والتصرف ءاله
مع الله قليلا ما تذكرون وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام
والحذف وما مزيدة اي تذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي
امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ءاله مع الله
تعالى الله عما يشركون يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم
مسافرين في البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم امن يبدؤا الخلق ثم يعيده وهم منكرون
للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار
ومن يرزقكم من السماء والارض من السماء الماء ومن الارض النبات ءاله مع الله قل
هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات
والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها
الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي
المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي
الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى
مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في
السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون
الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن
الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في
كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم
قلت يابى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم
بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك
بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته
الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة
رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم
من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا
لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وقت الساعة وما يشعرون ايان يبعثون ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين

قوله واما المضطر اشارة الى ان المراد بالمضطر ليس جميع المضطرين بل المراد بعض المضطرين

ولا نصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة بل ادارك علمهم في الاخرة وقرئ بل ادرك بل ادارك
بل ادرك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آادرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل بل
ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك بلى أادرك أم
تدارك أم ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك
افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما
ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا
من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد
المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال
بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت ان الاية سيقت لاختصاص الله تعالى
بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم
لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب
العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث
الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان
عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم
لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام
العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا
وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى
معرفته وفي ادرك علمهم وادارك وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك
ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك
من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بل ادرك
على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ
أم ادرك وأم تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة فان قلت فمن قرأ بلى ادرك بلى
أادرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور
بقوله ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه بوقت الاخرة انهم لا يعلمون
كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى ادرك على الاستفهام فمعناه
بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور
بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في شان الاخرة
ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هو الا تنزيل
لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة
ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع
اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم
لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون
مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة

وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فكذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء
هو الذى جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا
العامل فى اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدى عمل اسم الفاعل فيه عقابا
وهى همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد
الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا
وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مبالغ فيه والضمير فى انا لهم
ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا وفى آية
اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا فان قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض
المعتمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففى احدى الآيتين دل على ان اتخاذ البعث
هو الذى تعمد بالكلام وفى الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد قل سيروا فى
الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين لم تلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لان
تأنيثها غير حقيقى ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما
عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين فى ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى
الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم
لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله فلعلك باخع نفسك على
آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ولا تكن فى ضيق فى حرج صدر مما يمكرون
من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشئ ضيقا
وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا
حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد فى امر ضيق من مكرهم ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود
فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء فى
ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم
ولحقكم وقد عدى بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق
يعنى دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى
ولعل وسوف فى وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك
بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم
وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم
فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا
يشكرون الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل فى قومه وفضول ومعناه
انه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة
فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش وان ربك ليعلم
ما تكن صدورهم قرئ تكن يقال كننت الشئ واكننته اذا سترته واخفيته يعنى انه يعلم
ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو

معاقبهم

معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين
سمى الشئ الذى يغيب ويخفى غائبة وخافية وكانت التاء فيهما بمنزلتها فى العافية و
العاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة فى انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا
صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية فى قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال وما
من شئ شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته فى اللوح المبين
الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى
هم فيه يختلفون قد اختلفوا فى المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر فى اشياء
كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا
به واسلموا يريد اليهود والنصارى وانه لهدى ورحمة للمؤمنين اى لمن انصف منهم
وآمن اى من بنى اسرائيل او منهم ومن غيرهم ان ربك يقضى بينهم بحكمه بين من آمن
بالقرآن ومن كفر به فان قلت ما معنى يقضى بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه
ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم
به حكما او اراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا
يرد قضاؤه العليم بمن يقضى له وبمن يقضى عليه او العزيز فى انتقامه من المبطلين
العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله انك على الحق المبين امره بالتوكل
على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذى لا يتعلق به
الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان
مثله لا يخذل انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما
انت بهادى العمى عن ضلالتهم فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا
آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك
بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه
فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم
احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا اقماع القول لا
تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى
الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا
بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء
الا الله عز وجل وقرئ وما انت بهاد العمى على الاصل وتهدى العمى وعن ابن مسعود
وما ان تهدى العمى وهداه الى الضلال كقولك سقاه عن العيمة اى ابعده عنها بالسقى و
ابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا اى ما يجدى اسماعك الا على
الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته اى يصدقون بها فهم مسلمون اى مخلصون من
قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعنى جعله سالما لله خالصا له واذا وقع القول
سمى معنى القول مؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله

والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة أخرجنا لهم دابة من
الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون دابة الأرض الجساسة جاء في
الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي لها أربع قوائم
وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن
إيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين
المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروي لا يخرج إلا رأسها ورأسها
يبلغ أعنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ
للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة
أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج
الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي أنها تخرج
ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا
الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن
حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من
الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون تعني
أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على
الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر
تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل
ذلك وروي تخرج من أجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون
إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة
من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه
بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه
أو فيترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم
في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو
وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول يا فلان أنت من أهل الجنة و
يا فلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم
ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم أي مجرح ويجوز
أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه
لنحرقنه وأن يستدل بقراءة أبي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من
الكلام والقراءة بإن مكسورة حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار
القول أي تقول الدابة ذلك أو هي حكاية لقول الله تعالى عند ذلك **فإن قلت** إذا كانت
حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا **قلت** قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى
بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله إلى
نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وإنما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح

فعلى حذف الجار أي تكلمهم بأن ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم
يوزعون يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة
العدد وتباعد أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فإن الفوج الجماعة
الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله أفواجا وعن ابن عباس أبو جهل والوليد بن
المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين
أيديهم إلى النار **فإن قلت** أي فرق بين من الأولى والثانية **قلت** الأولى للتبعيض
والثانية للتبيين كقوله من الأوثان حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها
علما الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم
بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف أي أجحدتموها ومع جحودكم
لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه
ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه أماذا كنتم تعملون
بها للتبكيت لا غير وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد
صدقنا بها وليس إلا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته رويعي
سوء أتأكل نعمي أم ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله أصل كلامك وأساسه
هو الذي صح عندك من أكله وفساده وترمي بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه
لا يعمل بها إلا الأكل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعي
الحفظ والإصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر والتكذيب
بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا
إلا للكفر والمعصية وإنما خلقوا للإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون
فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون يريد أن العذاب الموعود يغشاهم
بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا
ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم
يؤمنون جعل الإبصار للنهار وهو لأهله **فإن قلت** ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا
ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا **قلت** هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم
المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ويوم ينفخ في
الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض **فإن قلت** لم قيل ففزع دون فيفزع **قلت**
لنكتة وهو الإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض
لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين
يصعقون إلا من شاء الله إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل
وإسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش
وعن جابر منهم موسى لأنه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الأرض إلا من شاء وكل أتوه داخرين وقرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى
والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة

الثابتة ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها جامدة
من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر
حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مر السحاب تمر مرا حثيثا كما تمر السحاب
وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا يكاد يتبين حركتها كما قال النابغة
في صفة جيش بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله
الذي اتقن كل شيء صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان
مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت
اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا
الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي
اتقن كل شيء يعني ان مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه ٥
للاشياء واتقانه لها على قضايا الحكمة انه خبير بما تفعلون انه عالم بما يفعل العباد و
بما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى آخر
الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماره ورصانة
تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس
الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده
وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله
وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله اتقن كل شيء ومن
احسن من الله صبغة ٥ ان الله لا يخلف الميعاد ٥ لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب
من جاء بالحسنة فله خير منها يريد الاضعاف وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان
ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن
ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وهم من فزع يومئذ وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة
لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت
الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة
وان كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب
وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت
فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب
واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان
البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف
وهو خوف النار آمنون امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى فامنوا مكر الله ومن جاء
بالسيئة وقيل السيئة الاشراك فكبت وجوههم في النار يعبر عن الجملة بالوجه والرأس
والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم
يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون الا ما كنتم تعملون يجوز فيه الالتفات
وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي

حرمها

حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن امر رسوله بان يقول
امرت بان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء
الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى
اليك والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها
احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد
الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب
دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل
بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد ولا ينفر صيدها
واللاجئ اليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها
وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء
اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار
رحمتك وقرئ التي حرمها واتل عليهم هذا القرآن عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى
باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية
واتباع ما انزل علي من الوحي فانما يهتدي لنفسه فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي
ومن ضل ولم يتبعني فقل انما انا من المنذرين فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على
الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها ثم امر ان يحمد الله على ما خوله
من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من اياته التي تلجئهم
الى المعرفة والاقرار بانها ايات الله وذلك حين لا ينفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن
وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الآية وما ربك بغافل عما تعملون وكل عمل تعملونه
فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء
جزاء العاملين وقرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود
وشعيب وصالح وابرهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلو عليك
من نبإ موسى وفرعون من نبإ موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما
بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة
انما تنفع هؤلاء دون غيرهم ان فرعون علا في الارض جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل
كان قائلا قال وكيف كان نبأهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض مملكته قد طغى
فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه

لا يملك احد منهم ان يلوى عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها
يبتغى الشيعا او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه يتسخر صنفا فى بناء
وصنفا فى حرث وصنفا فى حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى
بينهم العداوة وهم بنوا اسرائيل والقبط يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم
والطائفة المستضعفة بنوا اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى
اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن
لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير فى وجعل او صفة
لشيعا او كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين بيان
ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب
فان قلت علام عطف قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض وعطفه على
نتلو ويستضعف غير سديد قلت هى جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا فى الارض
لانها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال
ماضية ويجوز ان تكون حالا من يستضعف اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم
فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان
ولم يتوقف الى وقت آخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت
ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ونجعلهم ائمة مقدمين فى الدين والدنيا يطأ
الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم فى الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن
قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما
كان لهم ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطأه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم
فى الارض وهى ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت فى ايام
الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما
اى يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما
ونهى عن الآخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت ان يسمع
الجيران صوته فينموا عليه واما الثانى فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع فى يد بعض
العيون المبثوثة من قبل فرعون فى تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قلت ما الفرق
بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو
فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحى اليها ووعدت ما يسليها ويطامن
قلبها ويملأها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروى انه ذبح فى طلب موسى
تسعون الف وليد وروى انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات
بحبالى بنى اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض

هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل
مولودك واخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء
عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها
فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه
وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون فى طلب الولدان اوحى الله تعالى
اليها فالقته فى اليم وقد روى انها ارضعته ثلاثة اشهر فى تابوت من بردى مطلى بالقار
من داخله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اللام فى ليكون هى لام كى التى معناها
التعليل كقولك جئتك لتكرمنى سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون
الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبنى غير
ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله
وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجئ والتأدب الذى هو ثمرة الضرب فى قولك ضربته للتأديب
وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد
لما يشبه الاسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين فى كل شئ فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين
فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين
او خاطين الصواب الى الخطأ وقالت امرأت فرعون قرت عين لى ولك لا تقتلوه روى انهم
حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت
فى جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبى نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه
لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد
فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت
الى وجهه فبرأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة
من قومه هذا الصبى الذى نحذر منه فأذن لنا فى قتله فهم بذلك فقالت آسية قرت
عين لى ولك فقال فرعون لك لا لى وروى فى حديث لو قال هو قرة عين لى كما هو لك لهداه الله
كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال
مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته وروى انها
قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بنى اسرائيل قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى
ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه
خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لى ولك بتقدم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخائل
اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء
ولعلها توسمت فى سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتخذه ولدا او نتبناه
فانه اهل للتبنى ولان يكون ولدا لبعض الملوك وهم لا يشعرون فان قلت حال
فما ذو حالها قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم
عدوا وحزنا وقالت امرأت فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم فى التقاطه

ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف
والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما احسن هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم
واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف
لا عقول فيها ومنه بيت حسان * الا ابلغ ابا سفيان عني * فانت مجوف نخب هواء * وذلك
ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فيكون لهم قلوب يعقلون بها وتدل عليه قراءة
من قرا فزعا وقرئ قرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا
من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما
ورد عليها ان كادت لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها
لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون
من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها
فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها
لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث
به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه
وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما همزت وجوه
وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر
يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب
يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يشعرون
وهم لا يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم وحرمنا عليه المراضع التحريم استعارة
للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله
منعه ان يرضع ثديا وكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع
وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع
من قبل من قبل قصصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون
فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان
انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل
من شائب الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة
عليه وهو يبكي يطلب الرضاع وحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون و
من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى
بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد
فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق
يريد وليثبت علمها ويتمكن **فان قلت** كيف حل لها ان تأخذ الاجر على ارضاع ولدها
قلت ما كانت تأخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة
وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر

الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت
واصبح فؤادها فارغا يروى انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها
يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر
بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله
ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن
الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب
الحزن ولما بلغ اشده واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه
كما قال لقيط * واستحملوا امركم لله دركم * شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا * آتيناه حكما وعلما
وكذلك نجزي المحسنين العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله
تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء
العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه ودخل المدينة على حين
غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه
الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم
المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت
القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم
بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرأ سيبويه فاستعانه من شيعته
ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو السامري من عدوه من مخالفيه من القبط
وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف
الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام فقضى عليه فقتله **فان قلت**
لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه **قلت** لانه قتله
قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم
يؤمر قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين بما انعمت علي يجوز ان يكون
قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين
وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان
عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته
وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما
مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل
له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا
نحو قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه
ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين
قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه
الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من

حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علىّ من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة
اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل فاصبح
في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك
لغوي مبين يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه ووصف
الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو
عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا
في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين اي يبطش بالقبطي والذي هو عدو لهما القبطي
لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب
والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر
الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله وجاء
رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك
من الناصحين قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا
لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة
لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان
كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان
وليس بصلة الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين
يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت
بمدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى
لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء
السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط
خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين
وجد عليه امة من الناس يسقون ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما
روي وورود مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة
كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم
امرأتين تذودان والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان الماء من هو اقوى منهما
فلا تتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهم
باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لسترهما قال ما خطبكما ما شأنكما
وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا
في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
وقرئ لا نسقي ويصدر والرعاء بضم الراء والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال
والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام وابونا شيخ كبير كبير السن فسقى لهما
فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة

رجال وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم و
قالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة
وروى غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى
عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء
وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم
مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به
من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل
تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله تعالى من الفضل في متانة الفطرة ورصانة
الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما
كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في
ذلك بالصالحين والاخذ بسيرتهم ومذاهبهم **فان قلت** لم ترك المفعول غير مذكور في
قوله يسقون وتذودان ولا نسقي **قلت** لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما
رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل
مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي **فان قلت**
كيف طابق جوابهما سؤاله **قلت** سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان
ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى
ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا
اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما **فان قلت** كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه
السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية **قلت** الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا
يأباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه
خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة
حالة ضرورة ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير اي لاي شيء
انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل
وطالب وقيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة
ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين
لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له
وكان الظل ظل سمرة فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك
اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين
على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل استترت بكم درعها روي انهما
لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا
رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت
الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته
قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا **فان قلت** كيف ساغ لموسى عليه السلام

أن يعمل بقول امرأة وأن يمشي معها وهي أجنبية قلت أما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول
الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا كان أو أنثى في الأخبار وما كانت إلا مخبرة عن أبيها بأنه يدعوه
ليجزيه وأما مماشاة امرأة أجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط و
التورع فإن قلت كيف صح له أخذ الأجر على البر والمعروف قلت يجوز أن يكون قد فعل
ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجر
ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدإ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة
من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من أنبياء الله وليس
بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للأجر وقد روي ما يعضد كلا القولين
روي أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال أنا أهل بيت
لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا
مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعها فلذلك قيل له ليجزيك
أجر ما سقيت أي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قالت إحداهما
يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى
صفيراء وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس
أن شعيبا أخذته الغيرة فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو
وأنه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه وقولها إن خير من استأجرت
القوي الأمين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني
الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام
الذي ساقته سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته فإن قلت كيف
جعل خير من استأجرت اسما لإن والقوي الأمين خبرا قلت هو مثل قوله ألا إن خير
الناس حيا وهالكا أسير ثقيف عندهم في السلاسل في أن العناية هي سبب التقديم و
قد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة
على أنه أمر قد جرب وعرف ومنه قولهم أهون ما أعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه
أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر
قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين روي أنه أنكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل
على أنه كانت له غيرهما على أن تأجرني ثماني حجج تأجرني من أجرته إذا كنت له أجيرا كقولك
أبوته إذا كنت له أبا وثماني حجج ظرفه أو من أجرته كذا إذا أثبته إياه ومنه تعزية رسول
الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني
حجج فإن قلت كيف صح أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك
عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال أنكحتك
ولم يقل إني أريد أن أنكحك فإن قلت كيف صح أن يمهرها إجارة نفسه في رعية الغنم
ولا بد من تسليم ما هو مال ألا ترى إلى أبي حنيفة رح كيف منع أن يتزوج امرأة بأن يخدمها
سنة وجوز أن يتزوجها بأن يخدمها عبده سنة أو يسكنها داره سنة لأنه في الأول

نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم ما لا وهو العبد أو الدار قلت الأمر على مذهب
أبي حنيفة على ما ذكرت وأما الشافعي فقد جوز التزوج على الإجارة لبعض الأعمال والخدمة
إذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة
ويجوز أن يكون المهر شيئا آخر وإنما أراد أن يكون راعي غنمه هذه المدة وأراد أن ينكحه ابنته
فذكر له المرادين وعلق الإنكاح بالرعية على معنى إني أفعل هذا إذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة
لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه إياه
ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فإن أتممت
عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فإتمامه من عندك والمعنى هو من عندك لا من عندي
يعني لا ألزمكه ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع وإلا فلا عليك
وما أريد أن أشق عليك بإلزام أتم الأجلين وإيجابه فإن قلت ما حقيقة قولهم
شققت عليه وشق عليه الأمر قلت حقيقته أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك
ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من
نفسه وأنه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون
من المسترعين من المناقشة في مراعاة الأوقات والمداقة في استيفاء الأعمال وتكليف
الرعاة أشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسمح
في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير
شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني إن شاء الله من الصالحين
يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد
الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من
الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح إن شاء الله تعالى وإن
شاء استعمل خلافه قال ذلك بيني وبينك ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو إشارة
إلى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني
عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه ولا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطت على
نفسك ثم قال أيما الأجلين قضيت أي أجل قضيت من الأجلين أطولهما الذي هو العشر
أو أقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه
فإن قلت تصور العدوان إنما هو في أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة
بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما أني إن طولبت بالزيادة
على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني أراد بذلك
تقرير أمر الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت
بينهما في القضاء وأما التتمة فموكولة إلى رأيي إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها وقيل
معناه فلا أكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا إثم علي ولا تبعة علي
وفي قراءة ابن مسعود أي الأجلين ما قضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا
والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فإن قلت

ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القرآنين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام
اى زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدًا للقضاء كأنه قال اى الاجلين صممت على قضائه
وجردت عزيمتي له والله على ما نقول وكيل الوكيل الذى وكل اليه الامر ولما استعمل
في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدّى بعلى لذلك فلما قضى موسى الاجل وسار باهله
آنس من جانب الطور نارًا قال لاهله امكثوا انى آنست نارًا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة
من النار لعلكم تصطلون روى ان شعيبًا عليه السلام كانت عنده عصى الانبياء عليهم السلم
فقال لموسى عليه السلام بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فاخذ عصا
هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلم
فمسّها وكان مكفوفًا فضنّ بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنًا
وقيل اخذها جبرئيل عليه السلام بعد موت آدم وكانت معه حتى لقى بها موسى عليه السلم
ليلًا وقيل اودعها شعيبًا عليه السلام ملك في صورة رجل فامر بنته ان تأتيه بعصًا فاتته
بها فردها سبع مرات فلم تقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه
فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها
فهي له فعالجها الشيخ عليه السلام فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن ما
كانت الا عصًا من الشجر اعترضها اعتراضًا وعن الكلبي الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج
ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب عليه الصلوة والسلام اذا بلغت مفرق الطريق
فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينًا اخشاه عليك وعلى
الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير
مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام
دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولًا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه السلام
مسّ الغنم فاخبره موسى عليه السلام ففرح وعلم ان لموسى عليه السلام والعصا شأنًا و
قال له انى وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه في المنام
ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء
فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاجلين قضى موسى عليه السلام
فقال ابعدهما وابطأهما وروى انه قال اقضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية
التى سبقت الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعًا العود الغليظ كانت في رأسه نار
او لم تكن قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوّار ولا دعر وقال
والقى على قبس من النار جذوة شديدًا عليها حرها والتهابها فلما اتاها نودى من شاطئ
الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انى انا الله رب العالمين وان
الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرًا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف
انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك
من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قومًا فاسقين قال
رب انى قتلت منهم نفسًا فاخاف ان يقتلون من الاولى والثانية لابتداء الغاية اى

اى اتاه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادى
بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ
البقعة بالضم والفتح والرهب بضمتين وفتحتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف
فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان احدهما ان
موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من
الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية
فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب
ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة
جناحى الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثانى ان
يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب
ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه
مضمومان اليه مشمّران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رح ان كاتبًا له كان يكتب
بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ
قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فانى ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من
نفسى ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اى اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية
فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببًا وعلة فيما امر به من ضم جناحه
اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد
ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض
في احدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو
اليد في احد الموضعين مضمومًا وفى الآخر مضمومًا اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك من
الرهب وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم
هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح
ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى مما في رهبك وليت
شعرى كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت
شعرى كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله
وسلامه عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمى لها فذانك قرئ
مخففًا ومشددًا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان
فان قلت لم سميت الحجة برهانًا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء
برهرهة بتكرير العين واللام معًا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان
ونظيره تسميتهم اياها سلطانًا من السليط وهو الزيت لانارتها واخى هرون هو افصح
منى لسانًا فارسله معى ردءًا يصدقنى يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل
بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل وردئى كل ابيض
مشرفى شحيذ الحد عضب ذى فلول وقرئ ردًا بالتخفيف كما قرئ الخب ردءًا يصدقنى بالرفع

والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة فيه
قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان
يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة
فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هرون هو
افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت
فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه
فاسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازي ان
التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير
له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه
قوله اني اخاف ان يكذبون وقراءة من قرأ ردءا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني
قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما
الغالبون العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها
عضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك
باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى
بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه
يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة باياتنا متعلق بنحو ما تعلق به
في تسع آيات اي اذهبا باياتنا او بنجعل لكما سلطانا اي نسلطكما باياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون
منهم باياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم
يكن الا صلة له ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم فلما جاءهم
موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين
سحر مفترى تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء
كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في ابائنا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم
وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا
بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى
ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على انهم حججوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم
من الايات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون يقول ربي اعلم منكم بحال من اهله
الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو
كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين
ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل
عليه قوله عز وعلا اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار
والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة
بالبشرى عند الموت فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى

عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه
التسمية دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الاخرة واراد
بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق
ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير
واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى
بغير واو على ما في مصحف اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث
عما اجابهم به موسى عليه السلام عند تسميتهم مثل تلك الايات الباهرة سحرا مفترى
ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر
فساد احدهما وصحة الاخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ تكون بالتاء والياء وقال
فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل
لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين روي انه لما امر ببناء الصرح
جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ
الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من
الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند غروب الشمس
بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت
قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في هذه القصة
ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة
بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد بنفي
علمه باله غيره نفي وجوده ومعناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم
لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء
العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز
ان يكون على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله واني
لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى عليه السلام كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا
فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول
موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر
لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى
وان كان رجلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع
اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في عليته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى
بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل
اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم
حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم بذلك ام كان في نفسه
بتلك الصفة وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل

كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين كقوله: فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج، ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال أوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون الاستكبار بالحق إنما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وإن كانوا الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وألقينا فيها رواسي شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته فإن قلت ما معنى قوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار قلت معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته فإن قلت وأي فائدة في ترك المردوف إلى الرادفة قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مبتوت حكمه لما منعت منه الألطاف فبذكر منع الألطاف يحصل العلم بوجود التصميم

على الكفر زيادة وهو قيام الحجة على وجوده ويبصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا ينصرون كأنه قال وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة أي طردا وإبعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين أي من المطرودين المبعدين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وإرشادا لأنهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون إرادة أن يتذكروا شبهت الإرادة بالترجي فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجي موسى عليه السلام لتذكرهم كقوله تعالى لعله يتذكر وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الألواح والأمر المقضي إلى موسى عليه السلام الوحي الذي أوحي إليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في الألواح وغير ذلك فإن قلت كيف يتصل قوله ولكنا أنشأنا قرونا بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله وكونه استدراكا له من حيث أن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قرونا كثيرة فتطاول عليهم على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم العمر أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا أي مقيما في أهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا تقرأها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا كنا مرسلين ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها وما كنت بجانب الطور إذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع أي هي رحمة ما أتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى عليهما السلام وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية وإحدى الفائين للعطف والأخرى جواب لولا لكونها في حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم

انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان
تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك فان قلت
كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول الامتناع
عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما
كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال بواسطة
القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول
معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة
لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم
يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف
على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه
فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول
بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب
وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم
الحق من عندنا وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم
وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة
ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الايات فجاؤوا بالاقتراحات المبنية على التعنت
والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني
ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام
بما اوتي موسى من قبل وعن الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى عليه السلام فمعناه على هذا
اولم يكفروا آباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا
على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا
نوعان من السحر وقالوا انا بكل بكل واحد منهما كافرون فان قلت بم علقت قوله من
قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة
الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتورية
وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا
الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انه
وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران
تظاهرا قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل علي
اتبعه ان كنتم صادقين هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته
لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك
ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم
فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الاية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك
مجيب حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي

باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب
له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف
فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا قلت قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان
والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب
الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن
اتبع هواه ممن لا يتبع في دينه الا هواه بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف
ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف
بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه ولقد وصلنا
لهم القول لعلهم يتذكرون وقرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم
متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا
فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من
الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون
نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين
من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام
والضمير في من قبله للقرآن واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا فان قلت
اي فرق بين الاستئنافين انه وانا قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله
حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد
وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان اباءهم القدماء قرؤا في الكتب الاول ذكره
وابناؤهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام
لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا
بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم
على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته ويدرؤن بالحسنة السيئة
بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن
كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من
خاطبوا بقوله ولكم اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو
انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من
قومك وغيرهم لانك لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يهدي من يشاء
ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف
تنفع فيه فيقرن به ألطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من
الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب
قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال صلى الله
عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي

قال اريد منك كلمة واحدة فانك فى اخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بنى ابيك غضاضة ومسبة بعدى لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا قالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اى قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم فى الحرم الذى امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته وكانت العرب فى الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم امنون فى حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذى زرع والثمرات والارزاق يجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة الاصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه يجلب ويجمع بالتاء والياء وقرئ نجبى بالنون من الجبى وتعديته بالى كقولك يجبى اليه وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شئ ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا امنوا به وخلعوا انداده فان قلت بما انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شئ ويرزق ثمرات كل شئ واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا فى مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود فى ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصبت معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف كقوله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم تسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شوم معاصى المهلكين بقى اثره فى ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اى تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض تخلف الا ثار عن اصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع وما كان ربك مهلك القرى وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى فى كل وقت

حتى يبعث فى امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون حتى يبعث فى القرية التى هى امها اى اصلها وقصبتها التى هى اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان فى حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى فى الارض حتى يبعث فى ام القرى يعنى مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تأكد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص فى قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله فى غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفى مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم وما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها واى شئ اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهى مدة الحيوة المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير فى نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد افلا تعقلون وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ فى الموعظة وعن ابن عباس ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا هذه الاية تقرير وايضاح للتى قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واى شئ احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقيهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى جهل وقيل فى على وحمزة وابى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة فان قلت فسر لى الفائين وثم واخبرنى عن مواقعها قلت قد ذكر فى الاية التى قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر نسوى بين ابناء الاخرة وابناء الدنيا هذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذى هو الضمان فى الخبر واما ثم فلتراخى حال الاحضار عن حال التمتيع لا لتراخى وقته عن وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد فى عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء فى فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون شركائى مبنى على زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائى ويجوز حذف المفعولين فى باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق

عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
هؤلاء مبتدأ والذين أغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف وأغويناهم الخبر والكاف
صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغو إلا
باختيارنا لا أن فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم أو دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء
كذلك غووا باختيارهم لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلا لا قسرا وإلجاء فلا
فرق إذا بين غينا وغيهم وإن كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله
تعالى لهم الى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من
الكتب المشحونة بالوعد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الإيمان
وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما
كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم والله عز وجل
قدم على المعنى أول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغاوين تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بأنفسهم هوى منهم للباطل ومقتا
للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا إيانا يعبدون إنما كانوا يعبدون
أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون لوجه من
وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين
أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين
حكاه أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم
لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم
عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم
ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزالة العلل فعميت عليهم الأنباء
يومئذ فصارت الأنباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل
بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعا في عمى الأنباء عليهم
والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبأ الخبر عما أجاب به المرسل اليه رسوله وإذا كانت
الأنبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الأمر الى
علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت
علام الغيوب فما ظنك بالضلال من أممهم فأما من تاب من المشركين من الشرك وآمن
وعمل صالحا وجمع بين الإيمان والعمل الصالح فعسى أن يكون من المفلحين فعسى أن يفلح
عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى
المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان
لقوله ويختار لأن معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أن الخيرة لله
في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه قيل السبب فيه

قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل
باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي يختار للعباد ما هو خير
لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم في الأمرين ليس فيهما خيرة لمختار
فإن قلت فأين الراجع من الصلة الى الموصول إذا جعلت ما موصولة قلت أصل الكلام
ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الأمور لأنه
مفهوم سبحان الله وتعالى عما يشركون أي الله بريء من إشراكهم وما يحملهم عليه من
الجرأة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه
غيره في النبوة وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون
وهو الله وهو المستأثر بالإلهية المختص بها ولا إله إلا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة
القبلة لا قبلة إلا هي فإن قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة قلت
هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد
لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس
وله الحكم القضاء بين عباده قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة
من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون وقرئ أريتم بحذف
الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل
من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم
مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فإن قلت هلا قيل بنهار تتصرفون
فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع لأن المنافع
التي يتعلق بها متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن
ثمة قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه و
وصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره
أنت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة لتسكنوا في أحدهما وهو الليل و
لتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولإرادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة
اللف ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون في تكرير التوبيخ باتخاذ
الشركاء إيذان بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من
توحيده اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا
وأخرجنا من كل أمة شهيدا وهو نبيهم لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون
بما كانوا عليه فقلنا للأمة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول
فعلموا حينئذ أن الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة
الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب ان قارون كان من قوم موسى

قارون اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف
وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون بن
يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن
اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بنى اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق
السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هرون فما لى وروى انه لما
جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا
فيهم وكان القربان الى موسى فجعله الى اخيه وجد قارون فى نفسه وحسدهما فقال
لموسى الامر لكما ولست على شىء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا
اصدقك حتى تأتى باية فامر رؤساء بنى اسرائيل ان يجىء كل واحد بعصاه فحزمها
والقاها فى القبة التى كان الوحى ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا
واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو
باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغى وهو الظلم وقيل ملكه فرعون على بنى اسرائيل
فظلمهم وقيل من البغى وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم
فى الثياب شبرا وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة المفاتح
جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هى الخزائن وقياس واحدها مفتح بالكسر
ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها
واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح
ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود قال ابو رزين يكفى الكوفة مفتاح وقد بولغ
فى ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولى القوة وقرأ بديل بن ميسرة
لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة
والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب
الفرحين ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتيكم وقول القائل
ولست بمفراح اذا الدهر سرنى وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن
واما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه مفارق ما هو فيه عن قريب فلم تحدثه نفسه بالفرح
وما احسن ما قال القائل اشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
وابتغ فيما آتيك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بان تفعل فيه افعال الخير من
اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا
وهو ان تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك
او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله
لا يحب المفسدين والفساد فى الارض ما كان عليه من الظلم والبغى وقيل ان القائل موسى
وقوى وابتغ قال انما اوتيته على علم عندى اى على استحقاق واستيجاب لما فى من العلم
الذى فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بنى اسرائيل بالتورية وقيل هو علم الكيميا عن
سعيد بن المسيب كان موسى صلوات الله وسلامه عليه يعلم علم الكيميا فافاد يوشع بن

نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى
علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيميا فعلمه
موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل هو تبصره بانواع التجارة والدهقنة وساير
المكاسب وقيل عندى معناه فى ظنى كما تقول الامر عندى كذا كانه قال انما اوتيته على علم
كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندى اى هو فى ظنى
ورأيى هكذا اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة
يجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى
لانه قد قرأه فى التورية واخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه قيل او
لم يعلم فى جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقومه ويجوز ان يكون نفيا لعلمه
بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندى فتنفخ بالعلم وتعظم قيل اعنده مثل ذلك العلم
الذى ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه
مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا **فان قلت** ما وجه اتصال قوله
ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله **قلت** لما ذكر قارون من اهلك من قبله من القرون
الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا
يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما
تعملون والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك فخرج على قومه فى زينته قال الحسن فى الحمرة
والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه
اربعة آلاف على زيهم وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام و
عن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل فى تسعين الفا عليهم المعصفرات
وهو اول يوم رؤى فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى
قارون كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة فى اليسار والاستغناء
كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه فى سبل الخير وقيل
كانوا قوما كفارا الغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد
هو الذى يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل
ما اوتى قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط انه لذو
حظ عظيم والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود مبخوت يقال فلان
ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر
والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل
بالاقراف فى الحث على الفعل والراجع فى ولا يلقيها للكلمة التى تكلم بها العلماء او
للثواب لانه فى معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهى الايمان والعمل الصالح
الا الصابرون على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير فخسفنا

به وبداره الأرض كان قارون يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه
للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على
درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى اراد كم على كل
شيء وهو يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة
البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب
وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام
فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنا وهو غير محصن جلدناه
وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالذي فلق البحر
وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك
بنفسي فخر موسى عليه السلام ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي
فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني
الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا
جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم
الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون
الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى عليه السلام لا يلتفت اليهم لشدة غضبه
ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم
ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل
يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف
بداره وامواله فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين
من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي
منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس قد يذكر الامس ولا يراد به
اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من
الدنيا يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من
الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون وي مفصولة عن كأن وهي كلمة
تنبه على الخطأ وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطأهم في تمنيهم وقولهم يا
ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه
الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال وي كأن من
لم يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها
اين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى
الم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي
كقوله ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه
لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ

كأنه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الاعمش لولا ان من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه
ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها
يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن
بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون
وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه
فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز
انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا
بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون
وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل
وعمر من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات
معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم
مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون
الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها
ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها ان الذي فرض
عليك القرآن لرادك الى معاد فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل
بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف
ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك
وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد ردها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك
اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقهره
لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعد
وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا وقيل نزلت عليه
حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابرهيم فنزل جبرئيل
فقال له اشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه فان قلت كيف اتصل قوله تعالى
قل ربي اعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم
من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين
يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب
الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين فان قلت قوله الا رحمة من ربك
ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما القي عليك
الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة
من ربك القي اليك ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك و
لا تكونن من المشركين وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي في لغة كلب قال
اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم بعد اذ انزلت اليك

بعد ان زاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الاية قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان وقع خبر مبتداء قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما تجعلهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون

فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما اشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او وليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك مما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله تعالى والبشرى فان اجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله تعالى والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فان قلت فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال وهو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجو لقاء الله

لات لان اجل الله واقع فيه للقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب
اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين
ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فانما يجاهد لها لان منفعة ذلك
راجعة اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اما ان
يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها
منهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم
واما قوما مشركين امنوا وعملوا الصالحات والله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم
لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه
حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم
تعملون ووصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول
امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف
كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه اي وصاهم بكلمة
التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو
ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او
بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا
للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب
اذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه
وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه
وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد
من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك
بالاهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا
يستقيم ووصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا على ما
ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ثم قال الي مرجع من امن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما
ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك و
معروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك
والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روي ان سعد بن ابي وقاص
الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد
بلغني انك قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي
حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الاية والتي في لقمان والتي
في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان

وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحارث بن هشام
اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا
له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب
ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب
فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى
اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان
رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني
معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا
به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت والذين امنوا وعملوا
الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين
وهو متمنى انبياء الله تعالى عليهم السلام قال الله تعالى حكاية عن داود عليه السلام
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم عليه السلام وانه في الاخرة لمن
الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم الاية ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل
فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم
بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين هم ناس كانوا يؤمنون
بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان
كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا
نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا معكم اي مشايعون لكم في دينكم ثابتون
عليه ثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبا من المغنم ثم اخبر انه سبحانه اعلم بما
في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق
وهذا ابلاغ منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ ليقولن
بفتح اللام وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم
بحاملين من خطاياهم من شيء امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها
في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران
في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول
صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك
فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا
اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا
الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض
اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال
شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق

فى المأمن انهم لكاذبون فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لاحين ضمن ولا حين عجز لانه فى الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشئ لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفى قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اى اثقال انفسهم واثقالا مع اثقالهم يعنى اثقالا اخر غير الخطايا التى ضمنوا للمؤمنين حملها وهى اثقال الذين كانوا سببا فى ضلالهم وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع عما كانوا يفترون اى يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقوى من خطيئاتهم ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على رأس اربعين ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة فان قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة قلت ما اورده الله تعالى احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملاء بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهى ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذى لا رأس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره فان قلت لم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد فى الكلام الواحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك فاخذهم الطوفان وهم ظالمون والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج وعم طوفان الظلام الاثابا فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة والضمير فى جعلناها للسفينة او للحادثة والقصة وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه نصب ابرهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعنى ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرا ابرهيم النخعى وابو حنيفة وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يعنى ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم انما تعبدون

من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير فى خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اى خلقا افكا اى ذا افك باطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على نعمه وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين وان تكذبونى فلا تضروننى بتكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل فاما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذى زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الاية والايات التى بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من قول ابرهيم عليه السلام لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة فى شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان قريش بين اول قصة ابرهيم وآخرها فان قلت اذا كانت من قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة فى معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة فى قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله قل سيروا فى الارض قلت هى حكاية كلام الله حكاه ابرهيم عليه السلام لقومه كما يحكى رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج فى اكثر القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفى قصة ابرهيم والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الايات الواطئة عقيبها من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله على كل شئ قدير وقرئ تروا بالتاء والياء ويبدئ ويبدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ

وليست الرواية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو اهون عليه من معنى يعيد دل بقوله النشأة الآخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب واليه تقلبون تردون وترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه في البعث اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم يئسوا من رحمتي وعيدا اي ييأسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خائفا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف او شبه لهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قرئ جواب قومه بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون

راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي ابرهيم في النار وذلك لذهاب حرها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابكم وتصادقكم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تتوادونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا فآمن له لوط كان لوط ابن اخت ابرهيم عليه السلام وهو اول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه وقال يعني ابرهيم عليه السلام اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم عليه السلام هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية والزبور والانجيل والقرآن ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط أئنكم لتأتون الرجال وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وتقطعون السبيل وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة

وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم المنكر عن ابن عباس
هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل
الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن عايشة رضي الله عنها كانوا يتحابقون وقيل
السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها
اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا ما
دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب
الله ان كنت من الصادقين اي فيما تعدنا من نزول العذاب قال رب انصرني على القوم
المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا و
كرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلام ان يشتد
غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى
هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية واضافة
مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من
قاضي سدوم ان اهلها كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم اتخاذه في الايام
السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم والوان معاصيهم قال ان فيها لوطا قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم
بكونه فيها وانما هو جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها
من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه
والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى
المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك
واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستأهل ما يستأهلون
فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك
واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على
الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل
لما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بشأنهم و
بتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة
كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال
ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة انا منزلون على اهل هذه
القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس
اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا
ولقد تركنا منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل
الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون يتعلق بتركنا

او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا
في الارض مفسدين وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او
امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة
الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وعن
الضحاك صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم وارضهم او
في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود
منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك
وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم
اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم
الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار
ولكنهم لم يفعلوا وكانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة
الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات
فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض
ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون الحاصب لقوم لوط وهي
ريح عاصفة فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون
والغرق لقوم نوح وفرعون مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل
عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو
قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت **فان قلت** ما معنى قوله لو كانوا يعلمون
وكل واحد يعلم وهن بيت العنكبوت **قلت** معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر
دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم
ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان
لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن
ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي
يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل
يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا
بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون
ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وقرئ يدعون بالياء والتاء وهذا توكيد للمثل
وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا
ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر على
كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير وتلك الامثال نضربها للناس
كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت

ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اى لا يعقل صحتها وحسنها و
فائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هى الطرق الى المعانى المحتجبة فى الاستار
حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك
وحال الموحد وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله
فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اى بالغرض الصحيح الذى
هو حق لا باطل وهو ان تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته
الا ترى الى قوله ان فى ذلك لاية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلوة
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر الصلوة تكون لطفا فى ترك المعاصى فكأنها ناهية
عنها فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلوته قلت الصلوة التى هى الصلوة
عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى
انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روى عن حاتم كأن رجلى
على الصراط والجنة عن يمينى والنار عن يسارى وملك الموت من فوقى واصلى بين الخوف
والرجاء ثم يحوطها بعد ان صلى فلا يحبطها فهى الصلوة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر
وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لم تأمره صلوته بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد
بصلوته من الله الا بعدا وعن الحسن من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته
بصلوة وهى وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهى عن السيئات
يوما ما فقد روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق
بالليل فقال ان صلوته لتردعه وروى ان فتى من الانصار كان يصلى معه الصلوات ولا يدع
شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال
فان المراعى للصلوة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم
من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضى ان لا يخرج واحد من
المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير
وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم
ولذكر الله اكبر يريد وللصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال
فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر لانها
ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان
اولى بان ينهى من اللطف الذى فى الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر
من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن بالخصلة التى هى احسن وهى مقابلة الخشونة
باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم
فافرطوا فى الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة
وقيل الا الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك

وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين فى الذمة المؤدين للجزية الا بالتى
هى احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن
قتادة الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة
اشد من السيف وقوله وقولوا امنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن
له مسلمون من جنس المجادلة بالتى هى احسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل
الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم
تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب
اى انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله امنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم
وقيل وكما انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب
يؤمنون به هم عبد الله بن سلام ومن امن معه ومن هؤلاء من اهل مكة من يؤمن به وقيل
اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
ومن هؤلاء ممن فى عهده منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا
الكافرون الا المتوغلون فى الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما
كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وانت امى ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب
ولا خط اذا لو كان شئ من ذلك اى من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب
وقالوا الذى نجده فى كتبنا امى لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركوا مكة وقالوا
لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذى
نجده فى كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق فى قولهم لعله تعلمه
او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امى بعيد من
الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون فى كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين
ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشئ اخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين
ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ
كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذى امنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام على ان المنزلين
ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امى مبطلون لو لم
يؤمنوا به وهو غير امى فان قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهى الجارحة
التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت فى الاثبات رأيت
الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفى بل هو
ايات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم بل القران ايات بينات فى صدور العلماء به و
حفاظه وهما من خصايص القران كون اياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى الصدور يتلوه
اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف
ومنه ما جاء فى صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون
وما يجحد بايات الله الواضحة الا المتوغلون فى الظلم المكابرون وقالوا لولا انزل عليه ايات
من ربه وقرئ اية وايات ارادوا هلا انزل عليه اية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلم

ونحو ذلك قل انما الآيات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما تقترحونه لفعل
وانما انا نذير مبين كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير على الله
تعالى آياته فاقول انزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة
والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم اولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا
القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا
تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان ان في ذلك ان في مثل هذه
الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وذكرى
وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب تتلى عليهم بتحقيق
ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم
او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والاوجه ما ذكرنا
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني
بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض هو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم
والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته اولئك
هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد
الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما
الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله
فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن
الحارث هو الذي قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط
علينا كسفا من السماء ولولا اجل مسمى قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجب
الحكمة تأخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا
يشعرون لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روي ان الله عز وجل
وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وان يؤخر
عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم يستعجلونك بالعذاب
وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن
تحت ارجلهم او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم او
لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب
بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم
من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل ويقول قرئ بالنون والياء ذوقوا ما كنتم تعملون
اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة معنى الآية ان المؤمن اذا لم يتسهل
له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه
اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك

التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس و
عصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للقلب المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان
وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله
فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب
الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد وقيل هو في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين
ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك عضتك
في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء في فاعبدون
وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم
تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم
المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا
ترجعون لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق
البلاد وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق
طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد
من التزود لها والاستعداد بجهده والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ
لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى هو واثوى غيره وثوى
غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته
والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او
حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة
الفاء الذين صبروا على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن
والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا
على الله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليست لي
فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها
لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف
الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه
لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن
لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله تعالى وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا
الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق
مخابي الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله الضمير في سألتهم لاهل

مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه فان قلت الذى رجع اليه الضمير فى قوله ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شئ عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا غاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله تعالى وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهى لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هى لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الاخرة لهى الحيوان اى ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها فى ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة فى اسم رجل وبه سمى ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحيوة وهى ما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنقضان واللهبان وما اشبه ذلك فالحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحيوة ولذلك اختيرت الحيوة فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفى تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجيهم الى البر وامنوا اذا هم يشركون عادوا الى حال الشرك واللام فى ليكفروا بما آتيناهم محتملة ان تكون لام كى وكذلك فى وليتمتعوا فسوف يعلمون فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله تعالى ان يشكروا نعمة الله فى انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدى الى ضرر عظيم فتبالغ فى نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء

والتصميم حردت عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والامر بالشئ مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كانك تقول فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت رأى الناصح وفساد رأيك اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذى هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التى لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه افتراؤهم على الله تعالى كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم والكتاب وفى قوله لما جاءه تسفيه لهم يعنى لم يتلعثموا فى تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون فى الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه أليس فى جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فى جهنم كقوله ألستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفى فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون فى جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله تعالى وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثانى الم يصح عندهم ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة والذين جاهدوا اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا فى حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابى سليمان الدارانى والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم فيما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم وان الله لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله حين تمسون الآية وهى ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا فى ادنى الارض العرب منهم وهى اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اى فى ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هى ارض الجزيرة وهى ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ فى ادانى الارض والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعى وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس

الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان الفارس مجوس
لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم
ابو بكر رضي الله لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال
له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فنا
حبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رضي الله عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه
في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلعم وظهرت
الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر
للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تصدق به وهذه الاية من الايات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند
الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب
والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون
بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند
انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القرائتين
فهي في احديهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومثالهما
محرم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي
قمار قلت عن قتادة رح انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهبا ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله
ان العقود الفاسدة عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد
احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف لله الامر من
قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم
غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني
ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها
بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه
قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده
الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ
من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين
من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا و
تناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد الخدري رضي الله
وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا
يعلمون وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك
بها اعترافا فوعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد يعلمون ظاهرا من الحيوة

الدنيا

الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذمهم الله عز وجل بانهم عقلاء في امور الدنيا بله
في امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم
انه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردي هو ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون
وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه
لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا
من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها
والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال
الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية
يجوز ان تكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان تكون تكريرا للاولى وغافلون
خبر الاولى واية كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها و
انها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من
الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك
واضمره في نفسك وان تكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق
بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام
دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة
ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من
ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء في
قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه
تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي
ملتبسة بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت
معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر
باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم
الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي
دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق
كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وان كثيرا من
الناس بلقاء ربهم لكافرون والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من
عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة
واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا
سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها اي تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرون
اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة ارض

اضلع ولا عمارة لها رأسًا فما هو الا تهكم بهم وبضعفهم خالهم فى دنياهم لان معظم ما يستظهر
به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا ضعفا فى القوى فقوله كانوا اشد منهم
قوة اى من عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو
اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر وجاءتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان
حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم ثم كان عاقبة الذين
اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون وقرئ عاقبة بالنصب والرفع
والسوأى تأنيث الاسوء وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا
فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اى العقوبة التى
هى اسوء العقوبات فى الاخرة وهى جهنم التى اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا
ويجوز ان يكون ان بمعنى اى لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى
القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك ووجه آخر ان يكون اساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة
التى هى اسوء الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو
ارادة الابهام الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه اى الى ثوابه وعقابه ترجعون وقرئ
بالياء والتاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون الابلاس ان يبقى يائسا ساكتا متحيرا
يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييئس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ
يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله
شفعاؤا وكانوا بشركائهم كافرين اى يكفرون بالاهيتهم ويجحدونها او كانوا فى الدنيا
كافرين بسببهم وكتب شفعاؤا فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بنى اسرائيل وكذلك
كتبت السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون الضمير فى يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن
الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء فى عليين وهؤلاء فى اسفل سافلين وعن قتادة فرقة
لا اجتماع بعدها فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة فى بستان وهى الجنة
والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفى امثالهم
احسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره
سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلف فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار
فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابى بكر بن عياش التيجان
على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من
النعيم وفى آخر القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا اعرابى ان
فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق
بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح
وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله
ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا

لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة فاولئك فى العذاب محضرون
لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم لقوله تعالى وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون لما
ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجى من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذى
هو تنزيه الله تعالى من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله
الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن عباس رضى الله عنه هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال
نعم وتلا هذه الاية تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة
العصر وتظهرون صلوة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد
فى السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض
ان يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن رح الى ان الاية مدنية قلت لانه كان يقول
فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى غير وقت معلوم والقول الاكثر
ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عايشة رضى الله عنها فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت صلوة السفر وزيد فى صلوة الحضر وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى يومه ومن قال حين يمسى
ادرك ما فاته فى ليلته وفى قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه
وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه يخرج الحى من الميت ويخرج
الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها الحى من الميت الطائر من البيضة والميت من
الحى البيضة من الطائر واحياء الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك
الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان فى قدرة
من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحى واخراج الحى من الميت واحياء الميت
واماتة الحى وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب
ثم اذا انتم بشر تنتشرون خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره
ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء
ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك
لآيات لقوم يتفكرون من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها
خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين
من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التوادّ
والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب
التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال
ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه
واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة

والرحمة من قبل الله وان الهزك من قبل الشيطان ومن اياته خلق السموات والارض
واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين الالسنة اللغات او اجناس النطق
واشكاله خالفهن عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد
ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك
من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك
وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت
مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف
حكمة الله تعالى في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من
اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفين متفاوتين وقرئ للعالمين بفتح
اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل
والنهار وابتغاؤكم من فضله هذا من باب اللف وترتيبه ومن اياته منامكم وابتغاؤكم
من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما
زمانان والزمان والواقع فيه كشئ واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يكون منامكم
في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل
عليه القرآن ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يسمعونه بالاذان الواعية ومن اياته يريكم
البرق في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير خوفا
من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما
منصوبان على المفعول له فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل
المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون
في المعنى لانهم راؤون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير
حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز
ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان
في ذلك لايات لقوم يعقلون وقرئ ينزل بالتشديد ومن اياته ان تقوم السماء والارض
قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته
لهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله ثم اذا دعاكم دعوة بمنزلة
قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات
والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا
والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال
القائل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو اسرع يريد بابن الطود الصدى
او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من
ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين
والاخرين الا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقولك

دعوتك من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت
زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي فان قلت بم تعلق
من الارض ابالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل اذا انتم
تخرجون فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجأة
وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها وله من في
السموات والارض كل له قانتون اي منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو
الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم و
تقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شئ كان اسهل عليه واهون من انشائها
وتعتذرون للصانع اذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر
في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه فان قلت
لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون والمراد به الاعادة قلت معناه وان يعيده اهون عليه
فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت
هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد
بين هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة
اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة استعظمت
في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد
ذلك قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير
في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام
والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان تنتقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ
ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي
يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله
لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور
واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع
وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حاله بين بين للفاعل ان يفعله وان
لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال
من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كان ابعد الافعال من
الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التأتي والتسهل وكانت اهون
منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى
الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق و
السنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شئ من انشاء واعادة وغيرهما من
المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور والحكيم الذي
يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه
وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من

انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى فى السموات والارض اى قوله وهو اهون عليه قد ضربه
لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت
ايمانكم من شركاء فى ما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم فان قلت
اى فرق بين من الاول والثانية والثالثة من قوله من انفسكم من ما ملكت ايمانكم قلت
الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شىء منكم وهى انفسكم ولم يبعد والثانية
للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لانفسكم
وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها
تكونون انتم وهو فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون ان يستبدوا بتصرف
دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك
لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده شركاء
كذلك اى مثل هذا التفصيل نفصل الايات لقوم يعقلون اى نبينها لان التمثيل مما يكشف
المعانى ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة
بل اتبع الذين ظلموا اى اشركوا لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم اهواءهم بغير علم اى اتبعوا
اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على
وجهه كالبهيمة لا يكفه شىء فمن يهدى من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن
لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال
الخذلان فاقم وجهك للدين حنيفا فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا
وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم
بالشىء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من
المأمور او من الدين فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
فطرة الله الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه
ومنيبين حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر
والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين
الاسلام غير نابين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا
لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الجن والانس ومنه قوله عليه السلام
كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى وقوله
عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل
لخلق الله اى ما ينبغى ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم
جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطاب الرسول خطاب لامته مع
ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين
فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اى جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف
اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذى اضلها كل حزب بما لديهم فرحون

كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله
ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل
كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الضر الشدة
من هزال او مرض او قحط او غير ذلك ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم
يشركون والرحمة الخلاص من الشدة واللام فى ليكفروا بما اتيناهم مجاز مثلها فى ليكون
لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود
وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون السلطان الحجة وتكلمه
مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال
فهو يشهد بشركهم وبصحته وما فى بما كانوا مصدرية اى بكونهم بالله يشركون ويجوز ان
تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون ويحتمل
ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان
الذى بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك
لايات لقوم يؤمنون واذا اذقناهم رحمة اى نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها
وان تصبهم سيئة من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة
ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم
لا يرجعون اليه تائبين من المعاصى التى عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته
فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل حق ذى القربى صلة الرحم وحق المسكين
وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رح بهذه الاية فى
وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى لا نفقة بالقرابة
الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت
كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جىء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما
قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك ذلك خير للذين يريدون وجه
الله واولئك هم المفلحون يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اى يقصدون بمعروفهم
اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله
لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة وما اتيتم من ربا ليربوا فى اموال
الناس هذه الاية فى معنى قوله عز وجل يمحق الله الربوا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد
وما اعطيتم اكلة الربوا من ربا ليربوا فى اموالهم ليزيد ويزكو فى اموالهم فلا يربوا عند الله
فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما اتيتم من زكوة اى صدقة تريدون وجه الله تبتغون
به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذووا
الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار وقرئ بفتح العين
وقيل نزلت فى ثقيف كانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدى له ليعوضه اكثر
مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا

الربوا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي
بهبته او بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما اتيتم من ربا
بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله
ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال للملائكة
وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من
ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو
ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل
مأخذا والاول املأ بالفائدة الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من
شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون الله مبتدأ وخبره الذي
خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال
هل من شركائكم الذين اتخذتموهم اندادا من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك
الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم
صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه
من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم
وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح
في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين
والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس
اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن
ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار
وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن ادم اخاه وفي
البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور
الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا
لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم
ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بها في الآخرة لعلهم يرجعون
عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به
ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكأنهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي
في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبل ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا
كيف اهلك الله تعالى الامم واذاقهم سوء العاقبة ودل بقوله كان اكثرهم مشركين
على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك
فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج من قبل ان يأتي

لا مرد له من الله من الله اما ان يتعلق بيأتي فيكون المعنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يرده
احد كقوله لا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته
والمرد مصدر بمعنى الرد يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون من كفر فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان
ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون
لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه
وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم
يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على
ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى
المؤمن لا يتجاوزه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات متعلق بيمهدون تعليل له
من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب لان الفضل تبع للثواب فلا يكون
الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل
هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح
لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير
على الطرد والعكس ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته الرياح
هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله
عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وانه ارسلها
للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح
الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت
المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري
الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا
بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله
يريد تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت بم تعلق وليذيقكم
قلت فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم
وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها ولقد ارسلنا من
قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر
المؤمنين اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين
وقد اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين
ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين
على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان
الانتقام منهم حقا ثم يبتدئ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة
ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه

فالسماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اى قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله فى التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها فى السماء وباصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيى الارض بعد موتها قرئ اثر وآثار على التوحيد والجمع وقرأ ابو حيوة وغيره كيف تحيى اى الرحمة ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير يعنى ان ذلك القادر الذى يحيى الارض بعد موتها هو الذى يحيى الناس بعد موتهم وهو على كل شئ من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون فرأوه اثر رحمة الله لان رحمة الله هى الغيث واثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمى به ما ينبت ولئن هى اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين اعنى جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم فى جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التى اصفر لها النبات يجوز ان يكون حرورا وحرجفا فكلتاهما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى فى القراءة لما روى ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأنى من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل يعنى ان اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اى ابتدأناكم فى اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولية والنشئ حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف لقوله من ماء مهين وهذا الترديد فى الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير ويوم تقوم الساعة القيمة سميت بذلك لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول فى ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا

قال المحاردى رحمه الله اظن ان ذلك بطريق الالتفات فكانه تعالى خاطب ذاته تعالى لتعجب الناس فيقول كيف يحيى او يقول على لسان العباد او على لسان الرسول او القول مقدر فكانه قال قولوا كيف يحيى الارض بعد موتها بالله والله اعلم

قوله كان الى آخره بيان انهم كانوا على الصفة المذمومة

صوح البقل اذا يبس اعلاه وفيه ندوة وصوحته الريح اذا يبسته

قوله تعالى بلغ اشده اى قوته وهو ما بين ثمانى عشرة الى ثلثين

والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة واراد لبثهم فى الدنيا او فى القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفى الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهى اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك اى مثل ذلك الصرف كانوا يؤفكون يصرفون عن الشرك والتحقيق فى الدنيا وهكذا لا يزالون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون فى الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون فى كتاب الله فى اللوح او فى علم الله وقضائه او فيما كتبه اى اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هى التى فى قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم لا ينفع قرئ بالياء والتاء ولا هم يستعتبون من قولك استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت تميم ان يقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اى ازيل غضبهم والغضب فى معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين فى بعض الآيات وغير معتبين فى بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم عليه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجانى غير راضين منه فان يستعتبوا الله اى يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم باية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التى تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدى عليه ولا تغنى عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصداء والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله فى تلك الصفة فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار

واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وهي اربع وثلثون اية وقيل ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الايات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايقان بالاخرة ونظيره قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشد ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتدادها ومن الناس من يشتري لهو الحديث اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب **فان قلت** ما معنى اضافة اللهو الى الحديث **قلت** معناه التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري اما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم ومن شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث

الباطل على حديث الحق ليضل عن سبيل الله وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القرآن **فان قلت** القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح **قلت** فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف **فان قلت** ما معنى قوله بغير علم **قلت** لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين قرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال **فان قلت** ما محل الجملتين المصدرتين بكان **قلت** الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين والاصل في كان المخففة كانه والضمير ضمير الشان ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكده معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من يشاء والبؤس من يشاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني **فان قلت** ما محلها من الاعراب **قلت** لا محل لها من الاعراب لانها مستأنفة او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني ان عمدها شيء لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشأه فاروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ولقد آتينا لقمان الحكمة هو لقمان ابن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى

فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل كان حكيما
ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود
فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القران لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة
والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود
من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل
راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ
الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا وقف
عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق
الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له
الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب
انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه امره
بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد
ايام وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما
فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان
من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع ولقمان ان اشكر لله ان هي المفسرة لان ايتاء
الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل
بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر ومن يشكر فانما يشكر
لنفسه ومن كفر فان الله غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده
احد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي
اشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى اسلما ان الشرك لظلم عظيم لان التسوية
بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه
ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك
رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا
فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا
وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وفصاله
في عامين وقرئ وفصله ان اشكر لي ولوالديك الي المصير تفسير لوصينا وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد
الاصنام كقوله ما يدعون من دونه من شيء فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا
صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم
والمروة واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما
فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما
فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا
وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من الوجوب

التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الاخرة وروي انها نزلت في سعد بن
ابي وقاص وامه وفي القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي
انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر فان قلت هذا الكلام
كيف وقع في اثناء وصية لقمان قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا
لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فان قلت فقوله حملته امه وهنا على وهن
وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما
تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا
للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثمة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب
انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه احمل امي وهي الحمالة ترضعني الدرة
والعلالة ولا يجازي والد فعاله فان قلت ما معنى توقيت الفصال في عامين قلت
المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول
الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله عز وعلا والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي على ان مدة
الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابي يوسف ومحمد رحمهما الله
واما عند ابي حنيفة رح فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن ابي حنيفة رح ان فطمته قبل
العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع
ثم ارضعته فهو رضاع محرم يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في
السموات او في الارض وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة
والاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفى موضع
واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يأت بها الله يوم القيمة
فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة
لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته
الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروي ان ابن لقمان قال له ارأيت الحبة تكون
في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان
الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين تكتب فيها
اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره
ليلا يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك يجوز ان
يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك من عزم الامور
مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم
يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله
يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات

الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي من مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الاية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مأمورا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها ولا تصعر خدك للناس تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون ولا تمش في الارض مرحا اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ان الله لا يحب كل مختال فخور والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه ان انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت لصوت الحمير والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول

في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته فان قلت ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير معناه ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اباهم الى العذاب ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن قرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الى الله فان قلت ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور وقرئ يحزنك ويحزنك من احزن ويحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا

لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وإن
لم يحمدوه ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله
وقرئ والبحر بالنصب عطفاً على اسم أن وبالرفع عطفاً على محل أن ومعمولها على ولو ثبت كون
الأشجار أقلاماً وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن
الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب أن يحمل
هذا على الوجه الأول وقرئ يمده ويُمده وبالتاء والياء **فإن قلت** مقتضى الكلام أن يقال
ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد **قلت** أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة
وأمدها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة مداداً فهي تصب فيه مدادها
أبداً صباً لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك
الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله عز وجل قل
لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي **فإن قلت** زعمت أن
قوله والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال **قلت** هو كقوله
وقد أغتدي والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التي
حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للأرض **فإن قلت** لم قيل من شجرة
على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر **قلت** أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى
لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا وقد بريت أقلاماً **فإن قلت** الكلمات جمع قلة والموضع
موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله **قلت** معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف
بكلمه وعن ابن عباس أنها نزلت جواباً لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل
إن المشركين قالوا إن هذا يعنون الوحي كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية
عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وإنما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم
إن الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا ينفد كلماته وحكمه
ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها أي سواء في قدرته القليل والكثير و
الواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد
أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك إن الله سميع بصير يسمع كل
صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض فكذلك
الخلق والبعث ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير كل من الشمس والقمر يجري في فلكه
ويقطعه إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وعن الحسن الأجل المسمى
يوم القيامة لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ دل أيضاً بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما و
نقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق
على عظم قدرته وحكمته **فإن قلت** يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى هو من تعاقب الحرفين
قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء

والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه
وينتهي إليه وقولك يجري لأجل مسمى يجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جري
الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك
بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ذلك الذي وصف من عجائب قدرته
وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون
الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته وأن من دونه باطل الإلهية وأن الله هو العلي
الشأن الكبير السلطان أو ذلك الذي أوحي إليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله
هو الحق وأن إلهاً غيره باطل وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به ألم تر أن الفلك تجري
في البحر قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب
التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون بنعمة
الله بإحسانه ورحمته ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار على بلائه شكور
لنعمائه وهما صفتا المؤمن كأنه قال إن في ذلك لآيات لكل مؤمن وإذا غشيهم موج كالظلل
دعوا الله مخلصين له الدين يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك
من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فلما نجاهم إلى البر
فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور مقتصد متوسط في الكفر والظلم خفض
من غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك
الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل هو من قد ثبت
على ما عاهد عليه الله في البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم إنك لا تمد لنا شبراً من غدر
إلا مددنا لك باعاً من ختر قال: وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر
يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور لا يجزي
لا يقضي عنه شيئاً ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك
ولا تجزي عن أحد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال أجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى
لا يجزي فيه فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن
سعيد بن جبير الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك
لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غروراً جعل الغرور
غاراً كما قيل جد جده أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور **فإن قلت** قوله ولا مولود هو
جاز عن والده شيئاً وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه **قلت** الأمر
كذلك لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود
والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى
الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن
يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئاً فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ
المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلاً أن

يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد
منك ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب
غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ان الله عليم خبير روى ان رجلا من محارب وهو الحارث
ابن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرنى عن الساعة
متى قيامها وانى قد القيت حباتى فى الارض وقد ابطات عنا السماء فمتى تمطر واخبرنى عن
امرأتى فقد اشتملت ما فى بطنها اذكر ام انثى وانى علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدى
وقد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية
وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فاياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك
واهله فى النار وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فراى فى منامه كان خيالا اخرج يده
من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء فى ذلك فتاولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر
وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله تاويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان
ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة ايان مرسيها وينزل الغيث فى ابانه من غير تقديم
ولا تاخير وفى بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما فى الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما
سوى ذلك من الاحوال وما تدرى نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت
عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدرى نفس باى ارض تموت وربما اقامت
بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها او اقبر فيها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى
مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروى ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام
فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت فقال كانه يريدنى
وسال سليمان عليه السلام ان يحمله الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان
عليه السلام كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك
وجعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف
وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شئ اخص بالانسان من كسبه وعاقبته
فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ باية ارض وشبه سيبويه
تانيث اى بتانيث كل فى قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان
له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهى ثلاثون اية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم على انها اسم السورة مبتدا خبره
تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدا محذوف او هو
مبتدا خبره لا ريب فيه والاوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه
اعتراض لا محل له والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب فى ذلك اى فى كونه منزلا
من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتريه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون
من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله تعالى وهذا
اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك مما لا ريب فيه ثم اضرب

عن ذلك الى قوله ام يقولون افتريه لان ام هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا
لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث ايات منه ثم اضرب عن الانكار
الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم فى المسالة بعلة صحيحة جامعة قد احترز
فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التى لا يعرى
وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك
ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته فان قلت كيف نفى ان يرتاب فى انه من الله وقد اثبت ما هو
اطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب فى انه تنزيل الله
لان نافى الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شئ من الريب
واما قولهم افتريه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله
قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك كقوله
تعالى ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله تعالى اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم
فان قلت فاذا لم ياتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التى
لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة
العقل الموصلة الى ذلك معهم فى كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجى
من رسول الله صلعم كما كان لعله يتذكر على الترجى من موسى وهرون وان يستعار لفظ الترجى
للارادة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ما
لكم من دونه من ولى ولا شفيع افلا تتذكرون فان قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه
من ولى ولا شفيع قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا
لانفسكم وليا اى ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثانى ان الله وليكم الذى يتولى
مصالحكم وشفيعكم وناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم
من دون الله من ولى ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا نصير يدبر الامر من السماء
الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب و
الشهادة العزيز الرحيم الامر المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من
السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريد ويرتضيه
الا فى مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا
يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا
كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اى يصير اليه ويثبت عنده ويكتب فى صحف ملائكته
كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة
اخرها ثم يدبر ايضا ليوم اخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحى مع جبريل
من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى ورده مع جبريل وذلك فى وقت
هو فى الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة فى الهبوط والصعود لان ما بين السماء
والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة

في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك
الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقرا ابن ابي
عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون بالياء والتاء الذي احسن كل شيء خلقه و
بدا خلق الانسان من طين احسن كل شيء خلقه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما
اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما
قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته
يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل
شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين
ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون سميت
الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل
[illegible]

وهو لو ايتنا امرا قطعيا او لو رأيت اسوء حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان
لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه وكأنك
قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله تعالى
بمنزلة المقطوع الموجود به في تحققه ولا يقدر لترى ما ينتصب له كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية
واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك
ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا انا موقنون هي الرجعة الى الدنيا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها على طريق الالجاء
والقسر ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ولكنا بنينا الامر على
الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون
البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فجعل ذوق
العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان
خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم
نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك
اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل
على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤس
والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وذوقوا عذاب
المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة انما يؤمن باياتنا الذين اذا
ذكروا بها اي وعظوا خروا سجدا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من
الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله تعالى من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين
له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا
العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى ترتفع
وتتنحى جنوبهم عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما
رزقناهم ينفقون داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم
المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن
انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد
ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي
ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين
كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة
ثم يحاسب سائر الناس وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة
لا ينامون عنها فلا تعلم نفس ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفي لهم على البناء للفاعل
وهو الله سبحانه ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه
وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرة اعين وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس

كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخره
الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على
هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن
النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأويهم النار كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون كان مؤمنا
وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين آمنوا
واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك وجنات
المأوى نوع من الجنان قال عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة
المأوى وسميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين
العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار
عاما فمأويهم النار اي ملجأهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة مأويهم النار اي النار لهم مكان
جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب
الاكبر العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن
مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب الاخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الاخرة
لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل
صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى
الصلوة وتدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير
الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا
ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق بافعاله
وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال
عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم
فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في
اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره
لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر بين
علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي
انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا
واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق فنزلت عامة
للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه
قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا ومن اظلم ممن ذكر

بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى
ان الاعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة
العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة
ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة • لا يكشف الغماء الا ابن حرة
يرى غمرات الموت ثم يزورها • استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع
على شدتها فان قلت هلا قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين
عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير
لم يفد هذه الفائدة ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه الكتاب للجنس والضمير في
لقائه له ومعناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا
تك في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله
ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا
منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التورية من دين الله وشرايعه لصبرهم وايقانهم
بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل
تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى
ليلة الاسراء او يوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضا والقبول
وقرئ لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التورية هدى
لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من
القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون الواو في اولم يهد للعطف على معطوف
عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه
كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون
او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك تعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان
يكون فيه ضمير الله بدليل القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني اهل مكة
اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد اولم يروا انا نسوق الماء الى
الارض الجرز الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال
للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس انها ارض اليمن
وعن مجاهد هي ابين به بالماء تأكل منه من الزرع انعامهم وانفسهم افلا يبصرون انعامهم
من عصفه وانفسهم من حبه وقرئ يأكل بالياء ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة
من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا و
بينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه
كائن قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ويوم الفتح يوم القيمة وهو

يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة **فان قلت** قد سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم **قلت** كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وامنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا **فان قلت** فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على قوله ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر **قلت** المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق فاعرض عنهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم وانتظر انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وقال ومن قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

[illegible]

عن ابي زر قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين اية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رض ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا ادم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربا بمحله وتنويها بفضله **فان قلت** ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول **قلت** ذاك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ اخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد تابعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي ان

ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يأمر به الا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله كان بما تعملون خبيرا ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فموح اليك ما تصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم ابن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون زيد ابن محمد فانزل الله هذه الاية وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله تعالى وقيل سها في صلوته فقالت اليهود

له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول نفس تأمرني ونفس
تنهاني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قال
ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه **فان قلت** اى فائدة
في ذكر الجوف **قلت** الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما
يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا
يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار قرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاى بياء
ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظّاهرون من اظّاهر بمعنى تظاهر وتظهّرون
من اظّهر بمعنى تظهّر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتُظهرون من اظهر
بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة
عن اللفظ لبّى المحرم اذا قال لبيك وافّف الرجل اذا قال اف واخوات لهن **فان قلت**
ما وجه تعديته واخواته بمن **قلت** كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون
المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار
وتظهّر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها
ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو معنى
حلف واقسم ليس هذا بحكمه **فان قلت** ما معنى انت علي كظهر امي **قلت** ارادوا ان
يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره
يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث
عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان المرأة وظهرها
الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها
الى الارض كان الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها
بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك **فان قلت** الدعي فعيل بمعنى مفعول
وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء
وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي **قلت** ان شذوذه عن القياس كشذوذ
قتلاء واسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم قولكم بافواهكم ذلكم النسب
قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله يقول
الحق والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه وهو يهدي السبيل ولا يهدي
الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم
هو اقسط عند الله وبين ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي
فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يخفى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة
وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه
الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن
فلان فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم
اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي

ويا مولاي تريد الاخوة في الدين والولاية في الدين وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به
ولكن ما تعمدت قلوبكم ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطأتم ويجوز ان يكون مرتفعا
على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم
فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او
لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين
ويجوز ان يراد العفو عن الخطأ دون العمد على سبيل العموم كقوله عليه السلام ما اخشى عليكم
الخطأ ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه ثم
تناول لعمومه خطأ التبني وعمده **فان قلت** فاذا وجد التبني فما حكمه **قلت** اذا كان
المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت
النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة رحمه الله وعند
صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق وكان
الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطأ وعن العمد اذا تاب العامد النبي اولى بالمؤمنين
في كل شيء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب
اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه
اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا
لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل
النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة
وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين
رؤف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا
ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا
وان ترك دينا او ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب
لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله
عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام
وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله
عنها لسنا امهات النساء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم
امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر احكام
الامهات واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون
بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات
ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله
في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله كقوله
كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء

من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أي وأولوا
الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق
الهجرة إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً فإن قلت مما استثنى أن تفعلوا قلت
من أعم العام في معنى النفع والإحسان كما تقول القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية
تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية
والمراد بفعل المعروف التوصية لأنه لا وصية لوارث وعدّى تفعلوا بإلى لأنه في معنى تسدوا
وتزلوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين كان ذلك في الكتاب
مسطوراً ذلك إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعاً وتفسير الكتاب ما مر آنفاً والجملة مستأنفة
كالخاتمة لما ذكر من الأحكام وإذ أخذنا من النبيين واذكر حين أخذنا من النبيين جميعاً
ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ومنك خصوصاً ومن نوح وإبراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً وإنما فعلنا ذلك ليسأل الصادقين
ليسأل الله يوم القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به
من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم
فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين
للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقاً في قوله أو ليسأل
الأنبياء ما الذي أجابتهم به أممهم وتأويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت
قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فإن قلت لم قدم رسول الله على نوح
فمن بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم
فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم
ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه فإن قلت قد قدم عليه نوح في الآية التي هي أخت
هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ثم قدم على غيره
قلت مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أن الله عز وجل إنما أوردها
لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث
عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث وبعث عليه من
توسط بينهما من الأنبياء المشاهير فإن قلت فما أراد بالميثاق الغليظ قلت أراد
به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقاً غليظاً والغلظ استعارة
عن وصف الأجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله
على الوفاء بما حملوا فإن قلت علام عطف قوله وأعد للكافرين قلت على أخذنا من
النبيين لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد
للكافرين عذاباً أليماً أو على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد
للكافرين يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذكروا ما أنعم الله به عليكم يوم
الأحزاب وهو يوم الخندق إذ جاءتكم جنود وهم الأحزاب فأرسلنا عليهم ريحاً
فأرسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت

عاد بالدبور وجنوداً لم تروها وهم الملائكة وكانوا ألفاً بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة
شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وأطفأت
النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة
في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا
فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقبالهم ضرب الخندق
على المدينة أشار بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين
فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام
واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير
كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر أن نذهب إلى الغائط وكانت قريش قد أقبلت في
عشرة آلاف من الأحابيش وهي كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان في
ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل في هوازن و
ضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا
الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر وكان الله بما تعملون بصيراً وبعملون بالتاء
والياء إذ جاؤكم من فوقكم من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن أسفل منكم
من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل
محمداً وإذ زاغت الأبصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصاً وقيل عدلت
عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر الحنجرة رأس
الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب وقالوا إذا انتفخت الرئة
من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة
ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيبها
وإن لم تبلغ الحناجر وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب
والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الإيمان
إلا بألسنتهم فظن الأولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما
الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنوناً مختلفة ظن المنافقون أن
المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم يبتلون وقرئ الظنون بغير ألف في الوصل والوقف
وهو القياس وبزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال
أقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل أيضاً
إجراءً له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهن كلهن في الإمام بألف هنالك ابتلي
المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً عن أبي عمرو إشمام زاي زلزلوا وقرئ زلزالاً بالفتح
والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما
وعدنا الله ورسوله إلا غروراً قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال يعدنا محمد فتح
فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً ما هذا إلا وعد غرور وإذ قالت طائفة
منهم هم أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبد الله بن أبي وأصحابه

يا اهل يثرب ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم
قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم فيها ولا مكان تقومون فيه او تقيمون فارجعوا
الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا
كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان
بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة
الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق
ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو وممكنة للسراق لانها
غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون
ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان
داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها
مدينتهم وبيوتهم من جوانبها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا
عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين
لآتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لأتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها
الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا
يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء
الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين
لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم
الكفر وتهالكهم على حزبه ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار عن ابن عباس
رضي الله عنهما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون
منه انفسهم وقيل هم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق
عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعدما نزل فيهم ما نزل وكان عهد الله مسؤولا مطلوبا مقتضى
حتى يوفى به قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا
لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا
فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل
فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد
بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا **فان قلت** كيف
جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء **قلت** معناه او يصيبكم بسوء ان
اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول
لما في العصمة من معنى المنع قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا المعوقون
المثبطون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة
من انصار رسول الله ما محمد واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه
فخلوهم وهلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة

واما انهم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب
قرب هلم شهداءكم ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم
انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا
قليلا اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل
دونه عند الخوف فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك في تلك الحالة تدور اعينهم كالذي
يغشى عليه من الموت كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك
فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة سلقوكم بألسنة حداد اشحة على الخير
نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة
الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا
معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ اشحة
بالرفع وصلقوكم بالصاد اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم **فان قلت** هل يثبت
للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط **قلت** لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان
ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان
وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه
على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب عند الله
هباء منثورا **فان قلت** ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير
قلت معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن
الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان
يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون
الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة عن انبائكم عن اخباركم
وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا لم يقاتلوا
الا تعلة ورياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الاقليد بديا
بوزن عديا يتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك
او يتساءلون الاعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
كان عليكم ان تواسوا رسول الله بانفسكم فتؤازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على
الجهاد والثبات في مرحا الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه **فان قلت** فما حقيقة
قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم **قلت** فيه وجهان احدهما
انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديد
اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع
وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن
آمن منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام
الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل او الخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعة

الكثيرة والثوق على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء وما زادهم الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة **فان قلت** ما قضاء النحب **قلت** وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **فان قلت** فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه **قلت** يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا تبديلا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبة من الثواب والعقاب كأنهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان يكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روي ان جبرئيل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبرئيل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فما عابهم ... فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد ابن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم

يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن و اسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا **فان قلت** ما حكم التخيير في الطلاق **قلت** اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلعم

فاخترناه ولم نعده طلاقاً وروي فكان طلاقاً وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت
زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضاً انها ان اختارت
زوجها فليس بشيء اصل تعالى ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم
كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد
الامرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام
يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا
قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة
واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احديهما يقضي
بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعدما
يفرض ويدخل وخاصمت امرأة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره
وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة و
الملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف
مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة
دراهم فلا ينقص من نصفها فان قلت ما وجه قراءة من قرأ امتعكن واسرحكن
بالرفع قلت وجهه الاستيناف سراحاً جميلاً من غير ضرار طلاقاً بالسنة يا نساء
النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة منكن للبيان لا للتبعيض الفاحشة السيئة
البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر
وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن ما يشق عليه
او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في
حديث الافك يضاعف لها العذاب ضعفين وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر
النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة
وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله
عليه وسلم ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة فالجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء
عقاباً يتبع كون الفعل قبيحاً فمتى ازداد قبحاً ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي
العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد
العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيراً
ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئاً وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة
العذاب فكان داعياً الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه وقرئ يأت بالتاء والياء مبينة
بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ونضعف على البناء للمفعول ويضاعف
ويضعف بالياء والنون ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها اجرها
مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون
والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى يا نساء النبي

لستن كاحد من النساء احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستوياً
فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كاحد من النساء لستن كجماعة
واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة
تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين
ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن
خاضعاً اي ليناً خنثاً مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة
وفجور وقرئ بالجزم عطفاً على محل فعل النهي على انهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض
القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم
الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب وقلن قولاً معروفاً
بعيداً من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث او قولاً حسناً مع كونه خشناً وقرن في
بيوتكن بكسر القاف من وقر يقر وقاراً او من قر يقر حذفت الاولى من رائي اقررن ونقلت
كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذف الراء والقيت فتحتها على
ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجهاً آخر قال قار يقار اذا اجتمع
ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة ولا تبرجن
تبرج الجاهلية الاولى والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي
الزمن الذي ولد فيه ابرهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط
الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود
وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ويجوز ان يكون الجاهلية الاولى
جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان
المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر
ام اسلام فقال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات
الله والحكمة امرهن امراً خاصاً بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاماً في جميع الطاعات لان
هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه
الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم المأثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى
الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما
المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب
عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب
على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن
ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو

آيات بينات تدل على صدق النبوة لأنه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرايع إن الله كان
لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لنبوته ومن يصلح
لأن يكون أهل بيته أو حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين إن المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين
والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات
والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما
روي أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله تعالى الرجال في القرآن
بخير فما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة أم سلمة وروي
أنه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت
والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه
من أسلم وجهه إلى الله والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به والقانت القائم
بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على
الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي إذا صلى لم يعرف من
عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في أسبوع
بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام أيام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من
لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين
كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لأن الظاهر
يدل عليه فإن قلت أي فرق بين العطفين أعني عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين
على الزوجين قلت العطف الأول نحو قوله ثيبات وأبكارا في أنهما جنسان مختلفان
إذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما وأما العطف الثاني فمن عطف الصفة
على الصفة بحرف الجمع فكان معناه أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن
يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
ابنة جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد
الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها ستين درهما
وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل
في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي
فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين إذا قضى الله
ورسوله أي رسول الله أو لأن قضاء رسول الله هو قضاء الله أمرا من الأمور أن يختاروا
من أمرهم ما شاؤوا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره
فإن قلت كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة إلا

كان من شأنه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير
على المعنى لا على اللفظ وقرئ تكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير وإذ تقول للذي أنعم
الله عليه بالإسلام الذي هو أجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وأنعمت
عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة
أمسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبصرها بعدما أنكحها إياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أن
نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو أرادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة
فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال عليه
السلام ما لك أرابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها
وتؤذيني فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت
فإذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي
فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلعم ودخل بها وما أولم
على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الخبز واللحم حتى امتد النهار فإن قلت
ما أراد بقوله واتق الله قلت أراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم
لأن الأولى أن لا يطلق وقيل أراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج
وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فإن قلت ما
الذي أخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد إياها وقيل علمه بأن
زيدا سيطلقها وسينكحها لأن الله تعالى قد أعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو
كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحي إليه لكتم هذه الآية فإن قلت فماذا
أراد الله منه أن يقوله حين قال له زيد أريد مفارقتها وكان من الهجنة أن يقول له افعل
فإني أريد نكاحها قلت كأن الذي أراد منه عز وجل أن يصمت عند ذلك أو يقول له
أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لأن الله يريد من الأنبياء تساوي
الظاهر والباطن والتصلب في الأمور والتجاذب في الأحوال والاستمرار على طريقة مستتبة
كما جاء في حديث إرادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن أبي سرح واعتراض
عثمان رضي الله عنه في شفاعته له أن عمر قال له لقد كان عيني إليك هل تشير إلي
فأقتله فقال إن الأنبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فإن قلت كيف عاتبه الله
في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي صلى الله عليه وسلم التصريح بشيء
إلا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق إلا بما يستقبح في العقول والعادات
وما له لم يعاتبه في نفس الأمر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع إلى

زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة **قلت** كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعقلا ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا تريهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلبه اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم لان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الاخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمانه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الظاهر والضمير والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا **فان قلت** الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ما هي **قلت** واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشيه حتى لا تفعل مثل ذلك فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد اليس تقرا على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قراتها على ابي الا كذلك ولا قراها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك ولا قراها علي بن ابي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم

الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امره ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة وسبعمائة في الذين خلوا في الانبياء الذين مضوا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشيه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في ساير الاحكام الثابتة بين الاباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا **فان قلت** اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابرهيم **قلت** قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم **فان قلت** اما كان ابا للحسن والحسين رضي الله عنهما **قلت** بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالكم وشيء اخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والاخر على الخمسين وقرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم ويقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين **فان قلت** كيف كان اخر الانبياء وعيسى عليه السلام ينزل في اخر الزمان **قلت** معنى كونه اخر الانبياء انه لا ينبا احد

بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا
الى قبلته كانه بعض امته يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا
اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا
ذلك بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم
كل مسلم وروي على قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث
اعني اذكروا وسبحوا موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من
جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين
فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال و
تبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس
المعاصي والطهر من ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على
الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح
بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشائين
لان اداءها اشق ومراعاتها اشد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات
من الظلمات الى النور لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف
على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها
ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف
فان قلت قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله
وملائكته فما معنى صلوتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي
الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك
وحييتك اي دعوت لك ان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على
الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله
وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه
والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر
على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما
دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت تحيتهم يوم يلقونه
سلام من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله
بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل
هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج
من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
واعد لهم اجرا كريما والاجر الكريم الجنة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك

عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم فان قلت وكيف كان شاهدا
وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هي مقدرة كمسئلة
الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم
من قوله انا ارسلناك داعيا انه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله باذنه قلت لم
يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق
المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك
وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية
الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتأتى ولا يستطاع الا اذا سهله
الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير مأذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق
لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر وسراجا منيرا جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى
به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر
كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيء اذا قل
سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء
ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل
وذا سراج منيرا او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب
واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم
للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من
جهة الله وانه اتاهم ما فضلوهم به ولا تطع الكافرين والمنافقين معناه الدوام والثبات
على ما كان عليه او التهييج ودع اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع
ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك
به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله
فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله تعالى
بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين
لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر
بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين
مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من
عقاب عاجل واجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل
على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان
من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه يا ايها الذين
آمنوا اذا نكحتم المؤمنات النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث
انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان
قول الراجز اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع

أسميته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان **فإن قلت** لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات **قلت** في اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير لنطفته وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف أن تدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات **فإن قلت** ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن **قلت** فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها **فإن قلت** إذا خلا بها خلوة ممكنة معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس **قلت** نعم عند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على أن العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فمتعوهن **فإن قلت** ما هذا التمتيع أواجب أم مندوب إليه **قلت** إن كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة إلا لها وحدها دون سائر المطلقات وإن كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب وسرحوهن سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين أجورهن مهورهن لأن المهر أجر على البضع وإيتاؤها إما إعطاؤها عاجلا وإما فرضها وتسميتها في العقد **فإن قلت** لم قال اللاتي آتيت أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات **قلت** قد اختار الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثرة وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزا وله أن يماسها وعليه مهر المثل إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل بها وسوق المهر إليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله تعالى من دار الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة وكذا

عليه قوله تعالى مما أفاء الله عليك لأن فيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم تكن عند رسول الله أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ إن وهبت على الشرط وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير إن **فإن قلت** ما معنى الشرط الثاني مع الأول **قلت** هو تقييد له شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم **فإن قلت** لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله نفسها للنبي إن أراد النبي ثم رجع إلى الخطاب **قلت** للإيذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لأن اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج إلى دليل وقال أبو الحسن الكرخي إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الإجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله أي أخلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر الإحلالات الأربع مخصوصة برسول الله صلعم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين

ومن جعل خالصة نعتاً للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله
غفوراً للواقع في الحرج اذا تاب رحيماً بالتوسعة على عباده ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك روي ان امهات المؤمنين
حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهراً
ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت
وروي ان عائشة قالت يا رسول الله اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي بهمز وغير همز
تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من
تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت
من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة
لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما
ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي
المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة
وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة و
زينب ارجى خمساً وآوى اربعاً وروي انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها
وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيتك ادنى الى قرة عيونهن
وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء
وارتفع التفاضل ولم يكن لاحديهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا
التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا
وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله
من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب
رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب
الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليماً بذات الصدور حليماً لا يعاجل بالعقاب
فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن
بما آتيتموهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيداً لهن في آتيتهن لا يحل لك النساء وقرئ
بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل
اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه من الازواج كما
ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن من ازواج
ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجاً اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء
على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلعم عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت
ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية
بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحارث
المصطلقية من في من ازواج لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه

لا يحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات
والغرايب او من الكتابيات او الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي
كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وابادلك بامرأتي فينزل كل واحد
منهما عن امرأته لصاحبه ويروى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم و
عنده عائشة من غير استيذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستيذان
قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة
الى جنبك فقال عليه السلام هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن
الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا
رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات
رسول الله صلى الله وسلم حتى احل له النساء تعني ان الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما
ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف
ولو اعجبك حسنهن في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي
هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضاً اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت
عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن الا ما ملكت
يمينك واستثنى ممن حرم عليه الاماء وكان الله على كل شيء رقيباً حافظاً مهيمناً
وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا
طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله
لا يستحيي من الحق ان يؤذن في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال
من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت
الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون
للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصاً لما جاز
لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذناً خاصاً وهو الاذن الى الطعام فحسب
وعن ابن ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين بالجر صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو
له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته
هي واني الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله من حميم آن بالغ
اناه وقيل اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انساً ان يدعو بالناس فترادفوا افواجاً يأكل فوج
فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احداً ادعوه فقال ارفعوا
طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم يا اهل البيت فقالوا وعليك السلام
يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات يسلم عليهن ويدعون له ورجع فاذا الثلاثة

جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا
خرجوا فرجع فنزلت ولا مستأنسين لحديث نهوا أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض
لأجل حديث يحدثه به أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستيناسه تسمّعه وتجسّسه
وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين لأبدّ في قوله
فيستحيي منكم من تقدير المضاف أي من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني أن
إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قيل لا يستحيي
من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدّب الله به الثقلاء وعن
عايشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا
وقرئ لا يستحي بياء واحدة الضمير في وإذا سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فاسألوهن المتاع من وراء حجاب ذلكم
أطهر لقلوبكم وقلوبهن قيل إن عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة
وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول
الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي أنه مر عليهن
وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن فإن لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على
الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا
فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى نزلت وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض
أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عايشة رضي الله عنها فكره النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فنزلت آية الحجاب وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده
أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما ذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء
حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة فأعلم الله أن ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم
إيذاء رسول الله ولا نكاح أزواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من إعلام
تعظيم الله تعالى لرسوله صلعم وإيجاب حرمته حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه
وسر قلبه واستغزر شكره فإن نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس
من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت
له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب
فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من
بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثاني في هدم الثلاث
يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك إن تبدوا شيئا
من نكاحهن على ألسنتكم أو تخفوه في صدوركم فإن الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك
فيعاقبكم به وإنما جاء به على أثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره
ولأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن
ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن روي أنه لما نزلت
آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب

فنزلت

فنزلت لا جناح عليهن أي لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما
يجريان مجرى الوالدين ولقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق
وإسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لأنهما يصفانها لأبنائهما وأبناؤهما غير
محارم ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل
واتقين الله فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه
وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى في حفظهما
وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن
إن الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه
الأحوال إن الله وملائكته يصلون على النبي وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل إن
واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة
يصلون عليه يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أي قولوا الصلوة على الرسول
والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم **فإن قلت** الصلوة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب إليها **قلت** بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها
فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار
فأبعده الله ويروى أنه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون
على النبي فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به
أن الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال ذلك الملكان غفر الله لك
وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي
إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من
قال يجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك
في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين
والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الأخبار **فإن قلت**
فالصلوة عليه في الصلوة أهي شرط في جوازها أم لا **قلت** أبو حنيفة وأصحابه لا يرون
شرطا وعن إبرهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك
أيها النبي وأما الشافعي فقد جعلها شرطا **فإن قلت** فما تقول في الصلوة على غيره **قلت**
القياس جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم إن
صلوتك سكن لهم وقوله عليه السلام اللهم صل على آل أبي أوفى ولكن للعلماء تفصيلا
في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها
وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعارا لذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم إن الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا يؤذون
الله ورسوله فيه وجهان أحدهما أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه

من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله
من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة
في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز
والحقيقة والثاني ان يراد يؤذون الله ورسول الله وقيل في اذى الله هو قول اليهود
والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات
الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني ولم
ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا
يعيدني بعد ان بدأني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل
خلق الله وقيل في اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون
وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا
واطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذى الله ورسوله
لا يكون الا غير حق ابدا واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى بغير ما
اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه
ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عائشة وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن
كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون
لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول يا ايها النبي
قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب
واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله
على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما
يتستر به من كساء او غيره قال ابو زيد ٭ مجلبب من سواد الليل جلبابا ٭ ومعنى يدنين عليهن
من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب
عن وجه المرأة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على
هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة
وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل
والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبتها امة فامرن ان
يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه
ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين
اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فان قلت ما
معنى من في من جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين
احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون المرأة متبذلة في
درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي

المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة
السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن السدي
ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن
منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط
مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم
مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما
ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا الذين في قلوبهم مرض هم قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات
عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس
كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا و
قتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به
على غير حقيقته لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته
المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار
السوء لنأمرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم وتنوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب
الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمانا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون انفسهم
وعيالاتهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين نصب على الشتم او الحال
اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا ان
يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها
وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين
فان قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز
ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك فان قلت اما
كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت
لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على
الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا
به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله
تبديلا سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا
حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا يسئلك الناس عن الساعة قل انما
علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا كان المشركون يسألون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا
لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم
بانه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله صلى الله عليه وسلم
انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان
الساعة في معنى اليوم او في زمان قريب ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد يوم تقلب

وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقرئ تقلب على البناء للمفعول
وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب أي نقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات
كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغييرها
عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر
لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب
الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا وقالوا ربنا إنا
أطعنا سادتنا وكبراءنا وقرئ ساداتنا وهم رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر
وزينوه لهم فأضلونا السبيلا يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت
جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده
مستأنف ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقرئ كثيرا تكثيرا لأعداد اللعائن
وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله يعترفون
ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة
بعض الناس وقيل في أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها
وقيل اتهامهم إياه بقتل هرون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة
ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى
عليه السلام وقيل قذفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه بريء منه وجيها
ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه
وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود و
الأعمش وأبو حيوة وكان عبدا لله وجيها وقال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان
فسمعته يقرأها وقراءة العامة أوجه لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي
العرش مكين وهذه ليست كذلك **فإن قلت** قوله مما قالوا ما معناه من قولهم أو من مقولهم
لأن ما إما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه **قلت** المراد
بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة
والقالة بمعنى القول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم
ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما قولا سديدا قاصدا إلى الحق
والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها
كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول
والبعث على أن يسد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا
الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من
تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل إصلاح الأعمال التوفيق
في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والأمر

مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى
الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز
العظيم أتبعه قوله إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا وهو يريد بالأمانة الطاعة
فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الأجرام العظام من السموات و
الأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وجل انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات
وأطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجادا
وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما
الإنسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه
وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من
الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود كما أن
الأمانة لازمة الأداء وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها مجاز وأما حمل
الأمانة فمن قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى
تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا
تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها
ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها
كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل أخوك الذي لا تملك الحس نفسه • وترفض عند المحفظات
الكتائف أي لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك
ويسمح به ومنه قولهم أبغض حق أخيك لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى أخيه ولم يؤده وإذا
أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين أن لا يؤدينها وأبى
الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة و
بالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها والثاني أن ما كلفه الإنسان بلغ
من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده أن يتحمله
ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته
إنه كان ظلوما جهولا حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا
من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم
لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات
وتصور مقالة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن
العجف مما يقبح حسنه فصور أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس
وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها و
الوفاء بها **فإن قلت** قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد أراك
تقدم رجلا وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي
على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل

والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم أين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما اللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله أعلم قال رسول الله صلعم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ما في السموات والأرض كله نعم من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد أخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ثم قال وله الحمد في الآخرة علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب فإن قلت ما الفرق بين الحمدين قلت أما الحمد في الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون يعلم ما يلج في الأرض ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الأرض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد وهو مع كثرة نعمه وشيوع فضله الرحيم الغفور للمفرطين في أداء مواجب شكرها وقرأ علي بن أبي طالب ننزل بالنون والتشديد وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة أو استبطاء لما وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم أوجب ما بعد النفي

بلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي إمدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزي لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ فإن قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة إلى القلب إذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فإن قلت الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله تعالى في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له وقرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أي ليأتينكم أمره كما قال هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي أمر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعلام الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار أصغر نملة ذلك إشارة إلى مثقال ذرة وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله فإن قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطورا في اللوح والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ويرى في موضع الرفع أي ويعلم أولو العلم يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام الذي أنزل إليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي أي

وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما وقال الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشأون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد افترى على الله كذبا اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العقاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما ينبئكم فان قلت قد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب ألم تعلم مسرحي القوافي فلا عيابهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمت الله قريب ونحو ذلك فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله افترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امر اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء يريد اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء

والارض

والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به وقرئ يشاء يخسف يسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التأويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان تعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة ان اعمل سابغات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر في السرد لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير واعملوا الضمير لداود واهله ولسليمان الريح وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه القطر النحاس المذاب من القطران فان قلت ما ذا اراد بعين القطر قلت اراد بها

معدن النحاس ولكن اساله كما الان الحديد لداود عليه السلام فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال انى ارانى اعصر خمرا وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة ايام باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذى امرناه به من طاعة سليمن وقرئ يزغ من ازاغ نذقه من عذاب السعير وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدى كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هى المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم **فان قلت** كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير **قلت** هذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابى العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان او غير حيوان او تصور محذوفة الرؤس وروى انهم عملوا له اسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان كالجواب والجوابى الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق لان الماء يجبى فيها اى يجمع جعل الفعل لها مجازا وهى من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع وقدور راسيات ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اى اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر او على الحال اى شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة وقليل من عبادى الشكور والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن عباس من يشكر على احواله كلها وعن السدى من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى وعن عمر رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل انى سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكور فانا ادعوه ان يجعلنى من ذلك القليل فقال كل الناس اعلم من عمر فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين وقرئ فلما قضى عليه الموت ودابة الارض الارضة وهى الدويبة التى يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه

يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنسأة العصا لانه ينسأ بها اى يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسى ومنسأة على مفعالة كما يقال فى الميضاة ميضاة ومن ساته اى من طرف عصاه سميت بساة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منسأته تبينت الجن من تبين الشىء اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له فى المعنى اى ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون فى ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما يتهكم بمدعى الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل مبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين فى المعنى هو ان مع ما فى صلتها لانه بدل وفى قراءة ابى تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس على تفاعلت والضمير فى كانوا للجن فى قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اى علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفى قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى انه كان من عادة سليمن ان يعتكف فى بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى فى محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لاى شىء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حى انت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له وقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بى فاعلمنى فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه فى صلوته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب ما لبثوا فى العذاب سنة وروى ان داود اسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمن فامر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمره سنة سأل ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وروى ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى فى ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبإ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين

وشمال قرئ لسبأ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها
وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم
وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفي
الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح **فإن قلت** ما معنى
كونهما آية **قلت** لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية وإنما جعل قصتهما وأن أهلهما أعرضوا
عن شكر الله عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والأثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا
فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن يجعلهما آية أي علامة دالة
على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره **فإن قلت** كيف عظم الله جنتي أهل سبأ
وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت **قلت** لم
يرد بستانين اثنين فحسب وإنما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى
عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون
بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله
كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب كلوا من رزق ربكم واشكروا له إما حكاية
لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن
يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له أتبعه قوله بلدة طيبة و
رب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب
شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رض كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج
المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط
فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم تكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب
ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن
واعبد فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل
خمط وأثل وشيء من سدر قليل العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس
الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه
خروقا على مقدار ما يحتاجون إليه وسقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله إليهم ثلاثة عشر
نبيا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة
سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي
الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا
وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن
الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وقرئ
أكل بالضم والسكون وبالتنوين والإضافة والأكل الثمر والخمط شجر الأراك وعن أبي
عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن
أكله والأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من نون أن أصله
ذواتي أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالخمط

كأنه قيل ذواتي أكل بشع ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده فلأن أكل الخمط في معنى البرير
فكأنه قيل ذواتي برير والأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لأن الأثل لا أكل له
وقرئ وأثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين لأجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن
الحسن رح قلل السدر لأنه أكرم ما بدلوا ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور
وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل يجازي والفاعل الله وهل يجزى والمعنى
أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته
بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء ووجه آخر وهو أن الجزاء
عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الإثابة فلما استعمل
في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى
إلا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل
يجازى إلا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لأنه لم يرد
الجزاء العام إنما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا
ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين
أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة
لأعين الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم
وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ
الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها
ليالي وأياما آمنين قلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم
أسبابه فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه **فإن قلت** ما معنى قوله ليالي وأياما **قلت**
معناه سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف
الأوقات أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما
وليالي أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم في كل حين وزمان لا تلقون
فيها إلا الأمن فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم وقرئ ربنا بعد بين
أسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية
فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو
كان جنى جناننا أبعد كان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام
مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فعجل الله لهم الإجابة وقرئ ربنا بعد
بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به كما تقول
سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد
برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها
لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه فجعلناهم أحاديث

يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم تفريقاً اتخذه الناس مثلاً مضروباً يقولون ذهبوا ايدى سبا وتفرقوا ايدى سبا قال كثير ايادى سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان فى ذلك لايات لكل صبار عن المعاصى شكور للنعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين وقرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقاً ومن خفف فعلى صدق فى ظنه او صدق يظن ظناً نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقاً ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة فى صدق كقوله صدقت فيهم ظنونى ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزماً منه فظن بهم اتباعه وقال لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير فى عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او لبنى آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقاً لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسلط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول وربك على كل شئ حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان قل لمشركى قومك ادعوا الذين زعمتم عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجأوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما فى هذين الجنسين من شرك من شركة فى الخلق ولا فى الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما له منهم من ظهير من عون يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول واما الثانى فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثانى لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقى ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له تقول الشفاعة لزيد على معنى ان الشافع تقول الكرم لزيد

وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اى لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اى لشفيعه او هى اللام الثانية فى قولك اذن لزيد لعمرو اى لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاى شئ وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملى من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق الاذن قالوا تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اى اذن له الله واذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اى نفى الوجل عنها وافنى من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شئ ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد يخفف واصله فرغ الوجل عنها اى انتفى عنها وفنى ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابى علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اى مقوله الحق وهو العلى الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذى تمكن فى صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وعلا قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول

لم نعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية افضل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينى ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت حسان "اتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما الفداء" فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله ان يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم فان قلت ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله تعالى وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على حالة القياس اليه والاشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابرهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان كما في قوله تعالى قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان يكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار فكما لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطاء الاول الا بالخطاء الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطائين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم فان قلت فما تأويل من اضافه الى يوم او نصب يوما قلت اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب

اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما واريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت بما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على طريق الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله روي ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الاخرة فقال للرسول عليه السلام او للمخاطب ولو ترى في الاخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون الرؤس والمقدمون قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل كنتم مجرمين بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى واطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا لما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائما لا تفترون عنه فان قلت ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لان الذين استضعفوا

مرا ولا كلا منهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام
آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير في واسروا
الندامة لما راوا العذاب قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين
وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم
والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين وجعلنا الاغلال في اعناق الذين
كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال
وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد
هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم
به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد
والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له
مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا
امر الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله
لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين
ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وقد ابطل الله تع حسبانهم
بان الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي
وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب
الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه و
قرئ يقدر بالتشديد والتخفيف وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى
اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه
وغير عقلائه سواء في حكم التانيث ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى
وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات
وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة و
محلها النصب اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من آمن وعمل صالحا
استثناء من كم في تقربكم المعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها
في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم
للصلاح والطاعة فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا جزاء الضعف من اضافة المصدر
الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى
جزاء الضعف ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك
لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف
بدل من جزاء وهم في الغرفات آمنون قرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة

والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه
اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه
وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما
قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في
فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان
من خلف فهو منه وهو خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما
رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من
رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع
المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته
لا يجد وواجد لا يشتهي ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني
واسمعي يا جاره ونحوه قوله عز وعلا اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على
طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ
وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص
عليه قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء
وهي البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا
موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا
بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون
الجن اكثرهم بهم مؤمنون يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل
صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل
كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ يحشرهم ويقول
بالنون والياء فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا الامر في ذلك اليوم لله
وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب
والمعاقب هو الله تعالى فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها
مخلى بينهم يتضارون وينافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر
معاقبته الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
معطوفا على لا يملك واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
ان هذا الا سحر مبين الاشارة الاولى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية
الى القرآن والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله وقال

الذين كفروا وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة الى القائلين
والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب
شديد وتعجيب من امرهم بليغ كأنه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله و
مكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه أن هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه
سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا وما آتيناهم من كتب يدرسونها
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك
ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بأنهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس
لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن
اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب
الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير وكذب الذين تقدموهم
من الامم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار
وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال ولم
يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس
وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون
من الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع **فان قلت** ما معنى فكذبوا رسلي وهو
مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم **قلت** لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم
وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان
يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يعطف على قوله
ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين
فليحذروا من مثله قل انما اعظكم بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا لله
مثنى وفرادى على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب
في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم
وهي ان تقوموا لوجه الله تعالى خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا
في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول
فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض
عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد
يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر
عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع
مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف
ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم بقوله ما بصاحبكم

من جنة ان هو الا نذير لكم ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا
يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل
لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من
اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى
شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه ارجح
قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رأيا واصدقهم قولا وانزههم
نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تظنوا به الخير وترجحوا فيه
جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بأن يأتيكم بآية فاذا اتى بها تبين
انه نذير مبين **فان قلت** ما بصاحبكم بم يتعلق **قلت** يجوز ان يكون كلاما مستأنفا
تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان
يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية
بين يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر فهو لكم
ان اجري الا على الله فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من اجر تقديره اي شيء
سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان احدهما نفي مسألة الاجر
رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد
البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه
من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القربى
لان القرابة قد انتظمته واياهم وهو على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر
على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء قل ان ربي يقذف بالحق
القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى
الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف
بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع
محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب
صفة لربي او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور
وهو الامر الذي غاب وخفي جدا قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد الحي اما ان
يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد
مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد افقر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى
جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود
نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا
ولا يعيده والمنشئ والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي

لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج اي شيء يشبه ابليس ويعيذه فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي قرئ ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل وظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين فان قلت اين التقابل من قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ولو ترى اذ فزعوا جوابه محذوف بمعنى لرأيت امرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت واخذوا من مكان قريب والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم فان قلت علام عطف واخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا امنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة وانى لهم التناوش من مكان بعيد والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في اجوه وادؤر وعن ابي عمرو التناؤش بالهمزة التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعني اي اخيرا وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب

والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا كما فعل باشياعهم باشباههم من قبل من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم انهم كانوا في شك مريب اما من اراب اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما يقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملئكة فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونه اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولوا اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا تفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلثة فلا يعرج عليها فالمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بها اجسادهم وجناحان يطيرون

بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأل جبريل صلوات الله عليه ان يتراآى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء يمسك الله تعالى فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما وانث على معنى الرحمة وذكر على اللفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس قلت ان اراد بالتوبة الهداية والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس ان قاله فمقبول وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشاء لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعده من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس يريد يا اهل

مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء فان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة واما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها من الاعراب مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله عز وجل لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في الانبياء قبله اسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي فان قلت ما معنى التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة يا ايها الناس ان وعد الله حق وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ولا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو جمع غار كالزوم واللزوك او جمع غار كقاعد وقعود ان الشيطان لكم عدو اخبرنا عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا آدم وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدو كم الذي لا عدو اعرق في العداوة منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب

السعير ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته و
متبعي خطواته هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير
الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير
ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة والأماني الكاذبة فبنى الأمر كله
على الإيمان والعمل وتركهما لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه صلى الله عليه
أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين
كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فإن الله يضل من
يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والإضلال
واحد وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان
الله وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمر النهي ويعتنق طاعة الهوى
حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول
أبي نواس: اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح. وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم
وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالا إلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر
عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله
ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب عليه أو أفمن زين له سوء عمله
كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه حسرات مفعول له
يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا
أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز
أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير: مشق الهواجر لحمهن مع السرى
حتى ذهبن كلاكلا وصدورا. يريد رجعن كلاكلا وصدورا أي لم يبق إلا كلاكلها و
صدورها ومنه قوله: فعلى إثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام. وقرئ فلا تذهب
نفسك إن الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي أرسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها وقرئ أرسل الريح
فإن قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال التي تقع
فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا
يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط
شرا: بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان. فأضربها بلا دهش فخرت
صريعا لليدين وللجران. لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب
الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته
عند كل شدة وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كانا
من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما
هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه والكاف في كذلك النشور في محل الرفع أي مثل إحياء
الموات نشور الأموات وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى

وما

وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي أهلك ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم فقال
كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني
الرجال تنبت منه أجساد الخلق من كان يريد العزة فلله العزة جميعا كان الكافرون يتعززون
بالأصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم
من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا فبين أن لا عزة إلا لله
ولأوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة
جميعا موضعه استغناء به عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه
ومعنى فلله العزة جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف أن ما
تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه والكلم الطيب لا إله إلا الله عن ابن عباس يعني أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد إلى
السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال عز وجل إن كتاب الأبرار لفي عليين إلا إذا
اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع
العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل
ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه
وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها
الملك إلى السماء فحيى بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم تقبل منه وفي الحديث لا يقبل
الله قولا إلا بعمل ولا يقبل قولا وعملا إلا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية إلا بإصابة السنة
وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ إليه يصعد
الكلم الطيب على البناء للمفعول وإليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد والمصعد
هو الرجل أي يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب وإليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل
الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وعلا والذين يمكرون السيئات لهم عذاب
شديد فإن قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت
هذه صفة للمصدر أو لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أصله والذين مكروا
المكرات السيئات أو أصناف المكر السيئات وعني بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة
وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم إما إثباته
أو قتله أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك
ومكر أولئك هو يبور يعني ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور
أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع
عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق
المكر السيئ إلا بأهله والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا أصنافا أو ذكرانا
وإناثا كقوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا وما تحمل من أنثى
ولا تضع إلا بعلمه بعلمه في موضع الحال أي إلا معلومة له فإن قلت ما معنى قوله وما يعمر

من معمر **قلت** معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صاير اليه ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير **فان قلت** الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره **قلت** هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه تاويل اخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعون فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله تعالى اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله تعالى وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على اخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل ومن عمره بالتخفيف وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية تلبسونها وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره لتبتغوا من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الاية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه ولعلكم تشكرون وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانه قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المري السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك

جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوهم ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا ما استجابوا لكم ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون ساير المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون بالتاء والياء يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله **فان قلت** لم عرف الفقراء **قلت** قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء والله هو الغني الحميد **فان قلت** قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد **قلت** لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليه واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار **فان قلت** هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة **قلت** لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها **فان قلت** كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم **قلت** تلك الاية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء **فان قلت** ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى **قلت** الاول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ **فان قلت** الام اسند

كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فان قلت
لم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت فكيف استقام اضمار العام ولا
يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت
ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة قلت نظم
الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل
منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى
لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف
ما اوردته انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة بالغيب حال من الفاعل
او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر
وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عادتهم المستمرة ان يخشوا
الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار
هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم
ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى
فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله
المصير وعد للمتزكين فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب
عليهم في قوله ان يشأ يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره الله تعالى
بعلمه فيهم وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما
يستوي الاحياء ولا الاموات الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما
او للصنم ولله عز وعلا والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان
اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا
فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل
بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها
لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا
الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور يعني
انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه
ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام
قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال
ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان
كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على
قلوبهم على سبيل القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في
المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا بالحق حال من
احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشير

ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة الا خلا فيها نذير والامة
الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين
الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل
العصر فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير قلت
اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية
بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما
وقد اشتملت الآية على ذكرهما وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات
بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التوراة والانجيل
والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها
في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها
مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود والجدد الخطط والطرائق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه
ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان
بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط
ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فان قلت
الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب
فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه
ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة
والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد
من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد
بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال
ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف
الوانه وقرئ الوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة
وسفن وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذؤيب جون السراة له جدائد اربع وروي عنه جدد
بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها
عن بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل
واحد منهما فر من التقاء الساكنين فحرك ذا اولهما وحذف ذا آخرهما وقوله كذلك
اي كاختلاف الثمرات والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء المراد العلماء به الذين
علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه
حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث

اعلمكم بالله اشدكم خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه
وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في
هذا الكلام او اخر قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان
المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب
المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان
فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل
من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق الله من الفطر المختلفة
الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال
انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت فما وجه قراءة من قرأ انما
يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة قلت الخشية
في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين
الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة
العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى ان الذين
يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم
وعن مطرف هي آية القراء وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي
هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة طلب
الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم
بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت
جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة و
اقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله انه غفور شكور على معنى
غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق
الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك
من هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير يعني
انه خبرك وابصر احوالك فرآك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على
سائر الكتب ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها
يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير فان قلت ما معنى قوله ثم
اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من
بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله تعالى الذين
اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة

لان

٥١٧

لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم
بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله صلى الله عليه وسلم وحمل الكتاب الذي هو افضل كتب الله
تعالى ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا
وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل امة رسولا وانهم
كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب
الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرايعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله
والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة الحنيفية فان قلت
فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك
قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات
عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب
الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب
الله ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى عسى الله ان يتوب
عليهم وقوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها
اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه
فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين منهم
وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن
على الافراد كانها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر
اي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المرأة فهي
حال ولؤلؤا معطوفا على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب
كانه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء
اللؤلؤ ولولوا بتخفيف الهمزة الاولى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور
شكور وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الاعراض
والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل
حزن زوال النعم وقد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان
الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله
وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم
وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وذكر الشكور
دليل على انه القوم كثير الحسنات الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا
يمسنا فيها لغوب المقامة بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه
وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب

بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه اى لا نتكلف
عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر كانه لغوب لغوب كقولك موت مائت
فان قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التى تصيب المنتصب
للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة
واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها فيموتوا جواب النفى ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا
على يقضى وادخالا له فى حكم النفى اى لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور وقرئ يجازى ونجزى كل كفور بالنون وهم يصطرخون
فيها يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى اسلمتها
قبيلها واستعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا فان قلت
هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به فى قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذى كنا
نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذى عملوه قلت فائدة زيادته
التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل لظهور حالهم فى الكفر وركوب
المعاصى ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير اولم نعمركم توبيخ من الله تعالى
يعنى فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف
من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ فى المتطاول اعظم وعن النبى صلى الله عليه وسلم العمر
الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثمانى
عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر فان قلت علام
عطف وجاءكم النذير قلت على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى
اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات
الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما فى الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات
الصدور مضمراتها وهى تانيث ذو فى نحو قول ابى بكر رضى الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله
لتغنى عنى ذا انائك اجمعا المعنى ما فى بطنها من الحبل وما فى انائك من الشراب لان الحبل
والشراب يصحبان البطن والاناء الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور
وهى معها وذو موضوع لمعنى الصحبة هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره
ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا يقال للمستخلف
خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاءه فى ارضه قد
ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد و
الطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله
الذى ليس وراءه خزى وصغار وخسار الاخرة الذى ما بعده خسار والمقت اشد البغض
ومنه قيل لمن ينكح امرأة ابيه مقتى لكونه ممقوتا فى كل قلب وهو خطاب للناس وقيل هو

خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى جعلكم امة خلفت من قبلها ورأت و
شاهدت فيمن سلف ما ينبغى ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الاخرة
كما ان ذلك حكم من قبلكم قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من
الارض ام لهم شرك فى السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا اروني بدل من ارأيتم لان معنى ارأيتم اخبرونى كانه قال اخبرونى عن
هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اى جزء من اجزاء الارض استبدوا
بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة فى خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه
فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير فى آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم
سلطانا ام آتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا
غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا كراهة ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان
امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا
جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وقرئ ولو زالتا وان امسكهما جواب القسم فى ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة
لتأكيد النفى والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس انه قال لرجل مقبل
من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب
ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل
فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه
كذبوه وفى احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى
وغيرهم والثانى من الامة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة
فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا ما زادهم اسناد مجازى لانه هو السبب فى ان زادوا
انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارا فى الارض ومكر
السيئ استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا
وعلوا فى الارض او حال يعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
ويجوز ان يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا فان قلت فما وجه قوله ومكر السيئ
قلت اصله وان مكروا السيئ اى المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل
عليه ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومعنى يحيق ينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ
اى ولا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا
ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا
يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس قرأت فى التوراة من
حفر مهواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك فى كتاب الله تعالى فقرأ الاية وفى امثال العرب

من خفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك
لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة
ثم ابتدأ ولا يحيق وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا هل ينظرون الا سنت الاولين فلن تجد
لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا
برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التى هى
الانتقام من مكذبى الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اى لا يغيرها وان ذلك مفعول لا محالة
اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واستشهد
عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسايرهم ومتاجرهم فى رحلهم الى الشام والعراق واليمن من اثار
الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته من شئ فى
السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا بما اقترفوا
من معاصيهم ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بنى ادم
وقيل ما ترك بنى ادم وغيرهم من ساير الدواب بشوم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه
كاد الجعل يعذب فى جحره بذنب ابن ادم ثم تلا هذه الاية وعن انس ان الضب ليموت هزلا
فى جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شئ ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
الى يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى باب شئت

سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم قرئ ياسين بالفتح
كاين وكيف او بالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم
كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس معناه يا انسان فى لغة طى والله اعلم بصحته
وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره
كما قالوا فى القسم م الله فى ايمن الله الحكيم ذى الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة او لانه
كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم خبر بعد خبر
او صلة للمرسلين **فان قلت** اى حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون
الا على صراط مستقيم **قلت** ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط
مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع
بين الوصفين فى نظام واحد كانه قال انك لمن الرسل الثابتين على طريق ثابت وايضا فان
التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصروط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه
وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على اعنى وبالجر على
البدل من القرآن لتنذر قوما ما انذر آباؤهم اى قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه
قوله لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما
انذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك ان يجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم
او موصولة منصوبة على المفعول الثانى لتنذر قوما ما انذره آباؤهم من العذاب كقوله انا

انذرناكم عذابا قريبا **فان قلت** اى فرق بين تعلقى قوله فهم غافلون على التفسيرين
قلت هو على الاول متعلق بالنفى اى لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو
سبب غفلتهم وعلى الثانى بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان
لتنذره فانه غافل او وهو غافل **فان قلت** كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة
هذا ما فى الاى الاخرى **قلت** لا مناقضة لان الاى فى نفى انذارهم لا نفى انذار آبائهم وآباؤهم
القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم **فان قلت** ففى احد التفسيرين ان آباءهم
لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به **قلت** اريد آباؤهم الادنون دون الاباعد لقد حق
القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون القول قوله لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين يعنى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم
انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين
المقمحين فى انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له
وكالحاصلين بين السدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فى ان لا تامل لهم ولا
تبصر وانهم متعامون عن النظر فى آيات الله **فان قلت** ما معنى قوله فهى الى الاذقان
قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذى
فى عنق المغلول تكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى
الذقن فلا تخليه يطاطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذى يرفع رأسه
ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لان الابل
ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق **فان قلت** فما
قولك فيمن جعل الضمير للايدى وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة
كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدى **قلت** الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم
مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهى الى الاذقان ولو كان الضمير للايدى لم يكن
معنى للتسبب فى الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذى
يدعوه المعنى الى الباطن الذى يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج **فان قلت** فقد
قرأ ابن عباس فى ايديهم وابن مسعود فى ايمانهم فهل يجوز على هاتين القرائتين ان يجعل الضمير
للايدى او للايمان **قلت** يأبى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال
وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح
وما كان من خلق الله فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اى غطيناها وجعلنا عليها
غشاوة عن ان تطمح الى مرئى وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين
من العشا وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه
فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه
عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومى آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله
بصره وسواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر

وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم
مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار
منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه
ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل
البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشون
ربهم انا نحن نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم ان نخرجهم من الشرك
الى الايمان ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين ونكتب ما اسلفوا
من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس
احبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيء كوظيفة وظفها
بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر
الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى
ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله وقدم من آثاره وقيل هي آثار المشائين
الى المساجد وعن جابر اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتانا في دارنا وقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد
فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما يكتب آثاركم
قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد
العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح والامام اللوح
وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا
اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
فقالوا انا اليكم مرسلون ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا
المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل
اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول
وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام
الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة
رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما
آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام
فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله
سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما
وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى
استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين
فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من
ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله

حتى انشق له واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون
أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا
لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع
ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة
ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال
فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال
شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم
ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الارض
اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اي فغلبنا و
قهرنا بثالث وهو شمعون فان قلت لم ترك ذكر المفعول قلت لان الغرض ذكر المعزز به
وهو شمعون وما تلطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا
الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه مرفوضا مطرحا ونظيره
قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم
له والمحكوم عليه قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون
قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين انما رفع بشر ونصب في
قوله ما هذا بشرا لان الا نقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبهه فلا يبقى له عمل
فان قلت لم قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا قلت الاول ابتداء
اخبار والثاني جواب عن انكار وقولنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله
وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا
الا البلاغ المبين اي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله
اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم
وليمسنكم منا عذاب اليم تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم
وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءمون
بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى
الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان اصابنا
شيء كان من اجلكم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم وقرئ طيركم اي سبب شؤمكم معكم
وهو كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن اطيركم اي تطيركم وقرئ ائن ذكرتم بهمزة الاستفهام
وحرف الشرط وآين ذكرتم بالف بينهما بمعنى اتطيرون ان ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم
بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان وان بغير استفهام
بمعنى الاخبار اي تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم وقرئ اين ذكرتم على التخفيف اي
شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئتم المكان بذكركم كانوا بحلولهم فيه اشأم بل انتم
قوم مسرفون في العصيان فمن ثم اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم

مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله
وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين هو حبيب بن إسرائيل
النجار وكان ينحت الأصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة
سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره
وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول فقالوا وأنت
تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل
رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق أنطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فأهلكوا
بصيحة جبرئيل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة
عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم
مهتدون وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني إذا لفي ضلال مبين إني
آمنت بربكم فاسمعون من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا
تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة
ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه
أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ولقد وضع قوله وما لي لا أعبد
الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى إلى قوله وإليه ترجعون
ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال إني
آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي وأطيعون فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه
أن العبادة لا تصح إلا لمن منه مبتدؤكم وإليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لأن
تستحبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم
ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه إنكم في
هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه
أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم إني آمنت بربكم فاسمعون أي اسمعوا
إيماني تشهدوا لي به وقرئ إن يردن الرحمن بضر بمعنى إن يوردني ضرا أي يجعلني موردا
للضر قيل ادخل الجنة أي لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو
فيها حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول
الجنة وأنه من أهلها فإن قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج
الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان
لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم
يقل قيل له لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما وكذلك
قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين مرتب على تقدير سؤال سائل عما
وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وإنما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا
في اكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين

بأهلهما إلى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب
كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي
والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه
ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى
ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة و
أن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزا ولم تعقبه إلا سعادة لأن في ذلك زيادة غبطة له
وتضاعف لذة وسرور والأول أوجه وقرئ المكرمين فإن قلت ما معنى قوله بما
غفر لي ربي أي الماءات هي قلت المصدرية أو الموصولة أي بالذي غفره لي من الذنوب
ويحتمل أن تكون استفهامية يعني بأي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من
المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل إلا أن قولك بم غفر لي بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها
جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا أي بأي شيء صنعت وبم صنعت وما أنزلنا على قومه
من بعده من جند من السماء المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندا
من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فإن قلت وما معنى قوله وما كنا منزلين
قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك
لأن الله عز وجل أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذاك إلا بناء على
ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى إلى قوله فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم
من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا فإن قلت فلم أنزل
الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بألف
من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
قلت إنما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبريل عليه الصلاة
وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن الله فضل محمدا عليه السلام بكل شيء على كبار الأنبياء
وأولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم
يوله أحدا فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا
منزلين إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله
بغيرك إن كانت إلا صيحة واحدة إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة وقرأ أبو
جعفر المدني بالرفع على كان التامة أي ما وقعت إلا صيحة والقياس والاستعمال
على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع شيء إلا صيحة ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وأن الصيحة
في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما
بقيت إلا الضلوع الجراشع وقرأ ابن مسعود إلا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي
إذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي فإذا هم خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود
رمادا كما قال لبيد وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون نداء للحسرة عليهم كأنما
قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم

بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف عليهم المتلهفون او هم متحسر
عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز وعلا على سبيل
الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه
وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتى وقرئ يا حسرة العباد على
الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على اجراء
الوصل مجرى الوقف الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون الم يروا الم يعلموا
وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها
الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل
في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة
اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستيناف وفي
قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل الاشتمال وهذا مما يرد قول
اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة
فقال بئس القوم نحن اذا نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وان كل لما جميع لدينا محضرون
قرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة
ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين
في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون
مجموعون للحساب يوم القيمة وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع
ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد
والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا
جميعا واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات
من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون
القراءة بالميتة على الخفة اشيع لسلسها على اللسان واحييناها استيناف بيان لكون
الارض الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان
مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه
ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه ياكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء
الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق ومنه صلاح الانس واذا قل جاء القحط و
وقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وقرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون فالضمير لله تع
والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والابار
وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله و
خلقه وفيه اثار من كد بني ادم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من
التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع
اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات

قوله تعظيم مصدر مضاف الى المفعول اي تعظيم الله ما جنوه قوله تعجيبه مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف اي تعجيبه الناس

وانما قال على هذه القراءة لانه على القراءة الاولى لم يكن بدلا من حيث اللفظ

كما ذكروا في نزلهم جاء القوم كلهم اجمعون

ويجوز ان يكون ترك يعني بعيه كما في قول الشاعر ذكره ... ... حسن ... والمقصود

ليس فيه مرجع ضميره لانه عدل

كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبلق كانه في الجلد توليع البهق فقيل له فقال اردت
كان ذاك وذلك ان تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون
عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك
وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير سبحان الذي خلق الازواج كلها
مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون الازواج الاجناس والاصناف ومما لا
يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد
ان يخلق الله من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم
في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم
بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا
به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه
ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا
هم مظلمون سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير
لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا
كما تقول اعتمنا وادجينا والشمس تجري لمستقر لها لحد لها موقت مقدر ينتهي اليه من فلكها
في اخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها
مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه
او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله
عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو اخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وتنقطع
جريها وهو يوم القيمة وقرئ تجري الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري
لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك تقدير العزيز العليم ذلك الجري على
ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه
ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم والقمر قدرناه منازل
حتى عاد كالعرجون القديم وقرئ والقمر رفعا على الابتداء او عطفا على الليل يريد ومن
اياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف
لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون
منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت
يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص
الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي
الشرطان • البطين • الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة • الطرف •
الجبهة • الزبرة • الصرفة • العواء • السماك • الغفر • الزبانى • الاكليل • القلب •
الشولة • النعائم • البلدة • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية •
فرع الدلو المقدم • فرع الدلو المؤخر • الرشاء • فاذا كان في اخر منازله دق واستقوس

التوليع كالتلميع الا ان التوليع استطالة البلق قال ابو عبيدة قلت لرؤبة ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال كان ذلك ويلك توليع البهق

اول بحث احدث لعبادي الصالحين ما لا عين رأت

على هذا الوجه والوجه الذي بعده يكون المستقر اسم الزمان وعلى ما تقدم من الوجوه كان اسم مكان

الانواء جمع نوء وهي منازل القمر والعرب كانت تعتقد ان الامطار وغيرها كله يجيء منها

وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول اذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتبه ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول واكثر لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة ان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح عليه السلام ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم لا مغيث او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون فلا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة الا لرحمة منا ومتاعا ولتمتيع بالحيوة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام وقرأ الحسن نغرقهم وإذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله تعالى الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة واذا قيل لهم انفقوا مما

رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن احق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال مبين قول الله تعالى لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون قرئ وهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون لا يستطيعون ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وفتحها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفاء وينسلون يعدلون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتداء محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال

ومنه صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه
ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل الا انه جيء به
على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع
ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم
السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله
في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا
محضرون الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا
تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هذه حكاية ما يقال
في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في
الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد
بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم
المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع
كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى
والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من
العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في
التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار التنعم بما هم فيه وعن
الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل
عليهم تنغيص في نعيمهم قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفكه
والفاكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ
فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون
هم يحتمل ان يكون مبتدأ وان يكون تاكيدا للضمير في في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركهم
في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة السرير في
الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا
من رب رحيم يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل
اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه
كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير
ما تمنى اي ما ادعى خيره قال الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة وسلام
بدل من ما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله تعالى
يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك
لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون
مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد
لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو
من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال

اي

اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على
حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا
الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت
من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض الم اعهد اليكم يا بني
آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه و
عهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان
طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز
في حروف مضارعته الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من
باب نعم ينعم وضرب يضرب واحهد بالحاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا
وان اعبدوني هذا صراط مستقيم هذا اشارة الى ما عهد اليهم فيه من معصية الشيطان
وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ويجوز التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدى برد
انيابها العلى لافقر مني انني لفقير اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به لكمال
شرائطه في والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ
في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط
المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج
الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال الطريق الذي هو اقوم الطرق ان
يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح
البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها
اليوم بما كنتم تكفرون قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة وكسرتين و
كسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه اللغات لغات في معنى الخلق وقرئ جبلا جمع
جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي جيلا واحد الاجيال اليوم نختم على افواههم وتكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم
جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم
ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي
فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول
بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقرئ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وقرئ و
لتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ و
لتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان الله يأمر الاعضاء بالكلام والشهادة
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون الطمس تعفية شق
العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال
الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا

لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى على انه لو شاء لمسخ اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذى اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التى ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين فى متصرفاتهم موضعين فى امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره ولو شاء لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين فى الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا ولو شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذى اعتادوا المشى فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعنى انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من ساير الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضى ولا رجوع واختلف فى المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضى والمضى كالعتى والعتى والمضى كالصبى ومن نعمره ننكسه فى الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبلا من قبل وذلك انا خلقناه على ضعف فى جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقى من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع فى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف ونكسه وننكسه من التنكيس والانكاس افلا تعقلون بالتاء والياء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه شاعر وروى ان القائل عقبة بن ابى معيط فقيل وما علمناه الشعر اى وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر فى شئ واين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعانى التى ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظه عربى كما ان ذاك كذلك وما ينبغى له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اى جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له فان قلت فقوله انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا

كما يتفق فى كثير من نشآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انها شعر واذا فتشت فى كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع فى اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعنى ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين لينذر القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه من كان حيا اى عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيى بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدايع الفطرة والحكمة فيها التى لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدى استعارة من عمل من يعملون بالايدى فهم لها مالكون اى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا اى لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل يصرفه الصبى بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون قرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها فى قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية فالمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشراب واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون اتخذوا الآلهة طمعا فى ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيمة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون قرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلوته

وانا نعتقد ما يعطيه من المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل
وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء
وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح
الشافعي وكلاهما تعليل والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما
يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين
ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران
على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل
بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا
على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى
قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تدع مع الله الها آخر اولم ير
الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال
من يحيي العظام وهي رميم قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه و
ابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في
الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه
وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان
يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار وبروز صفحته لمجادلته ويركب
متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون
خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات
وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف
الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا
ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه
ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما
رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم
مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب
عما في نفسه فصيح كما قال اومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فان قلت
لم سمى قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة
بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل
ما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على
طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله تعالى
وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير
صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل
او مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحيوة في العظام ويقول ان عظام الميتة

نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم
طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت و
يقولون المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي
حساس قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه
شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها الذي
جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح
النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي تورى
بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ
وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس ليس من شجر الا وفيها
نار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ
الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه
من الحميم اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم من قدر على
خلق السموات والارض مع عظم شانهما فهو على خلق الاناسي قدر وفي معناه قوله تعالى
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين
ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض وان يعيدهم لان المعاد
مثل للمبتدأ وليس به بلى وهو الخلاق العليم الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات انما امره
انما شانه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن
ان يكونه من غير توقف فيكون فيحدث اي هو كائن موجود لا محالة فان قلت ما
حقيقة قوله ان يقول له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء
من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع فان قلت فما
وجه القراءتين في فيكون قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها
فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى
انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال
القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو
القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز
عن الاعادة فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فسبحان تنزيه له مما
وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء
والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك
كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل
يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر
كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس

نزل بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلام ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون وقيل واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كأنه قال الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق امر الفاء العاطفة في الصفات فان قلت فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده قلت ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين فان قلت فماذا اراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين قلت اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما انا زينا السماء الدنيا القربى منكم والزينة

مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما يلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وعن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومساقطها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا من كل شيطان مارد ما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها والضمير في لا يسمعون الى الملأ الاعلى لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او استينافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يستمعون لا معنى له وكذلك الاستيناف لان سائلا لو سأل لم يحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري احضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك والملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة وعنه اشراف الملائكة ويقذفون من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون او قذفا وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا او على انه قد جاء مجيء

القبول والولوع ولهم عذاب واصب والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني انهم في
الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع الا من
خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع
الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها و
خطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف وقرئ فاتبعه وفاتبعه
فاستفتهم اهم اشد خلقا الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في
اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي
مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا يريد
ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب
والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد
هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا
من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق
وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقنا من ذلك وتقطع به قراءة من قرأ ام من
عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه
شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وان من
هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون
انا خلقناهم من طين لازب وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة
لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين
اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أإذا
كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية
وليس هذا القول بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والثاقب الشديد الاضاءة
بل عجبت ويسخرون بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك و
من تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث
وقرئ بضم التاء اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي
وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه
افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز العجب على الله
تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء والله عز وجل لا يجوز عليه
الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل
العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان
شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي
ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم
وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون ودأبهم انهم اذا وعظوا بشيء
لا يتعظون به واذا رأوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون

يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا الا سحر
مبين أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون اوآباؤنا
معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل همزة
الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم
ابعد وابطل وقرئ او آباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم
اي الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما هي زجرة واحدة
جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وهي لا ترجع الى شيء
انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية
والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فرعت لصوته
ومنه زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم يريد تصويته بها فاذا هم
احياء بصراء ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به
تكذبون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض
وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم
الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي تدان فيه اي تجازى باعمالنا
ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة احشروا الذين ظلموا
خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم وضرباءهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا
واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم
وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريق النار حتى
يسلكوها وقفوهم انهم مسؤلون ما لكم لا تناصرون هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز
عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم
مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذلهم عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون
ولا تناصرون بالادغام واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا
عن اليمين اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون
ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك
سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الاعسر
معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها
بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب
الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتاه
بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته
فصده عنه واضله وجاء في بعض التفسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل
الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من
بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه

الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلا يصل رحما ولا يؤدى زكوة فان قلت اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز فى نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب فى الاستعمال حتى لحق بالحقايق وهذا من ذاك وتلك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القهر والقوة وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم قالوا بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من سلطان نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعنى وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالى ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم فدعوناكم الى الغى دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغى على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة مشتركون فى العذاب كما كانوا مشتركين فى الغواية انا كذلك نفعل بالمجرمين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعنى ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبه انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه انكم لذائقوا العذاب الاليم وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الاصل لذائقون العذاب وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ الا عباد الله المخلصين ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصايص خلق عليها من طيب طعم ورايحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله فى جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذى يقوله العلماء فى حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوى الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر عنه نفوسهم هوان اهل النار وصغارهم على سرر متقابلين التقابل اتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم قفا بعض يطاف عليهم بكأس يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى

الخمر نفسها كأسا قال وكأس شربت على لذة وعن الاخفش كل كأس فى القرآن فهو الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى انهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين بيضاء صفة للكأس لذة اما ان توصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هى تأنيث اللذ يقال لذ الشئ فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدى من خشية الحدثان يريد النوم لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول الذى فى تكاذيب العرب وفى امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفى امثالهم اجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال لعمرى لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا فى القشع والكب وفى قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التى تكون فى شرب الخمر من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرزه وافرده بالذكر وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا عين العين النجل العيون كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون فى الاداحى وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا الا انه جئ به ماضيا على عادة الله تعالى فى اخباره قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول ائنك لمن المصدقين وقرئ لمن المصدقين من التصديق ومن المصدقين بتشديد الصاد من التصدق وقيل نزلت فى رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله فى الآخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال يعنى ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان فى الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتشديد على لفظ الماضى والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم

الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما
شرط في اطلاعهم وهو من آداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه
وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل
موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع
لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر فرآه في سواء الجحيم في وسطها
يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كتب اكتب يا ابا عبيدة حتى
ينقطع سوائي قال تالله ان كدت لتردين ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل
على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك
وفي قراءة عبد الله لتغوين ولولا نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام
والبراءة من قرين السوء وانعام الله تعالى بالثواب وكونه من اهل الجنة لكنت من المحضرين
من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى
وما نحن بمعذبين الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن
بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله
لهم للعلم باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه
الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن
تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذبا وليحكيه
الله تعالى فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو
الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول
الله عز وعلا تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة
تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك اذلك الرزق
خير نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال
طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور و
حاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول
اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة
الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند
لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة
الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا
ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا
على سوء اختيارهم انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة انها شجرة تخرج
وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها
كأنه رؤوس الشياطين الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة
لفظية او معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان
الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون

والا لقال مطلعي لوجوب حذف النون بالاضافة والادغام
وذلك لانه اذا اضيف اسما الفاعلين او المفعولين الى الضمائر
وكانت معربات سقطت النونات
الاضافة

مفعول عطفت محذوف من لفظ العطف والضمير في عليه عائد الى الذي
ومفعوله عبارة عن انحن الى آخره وتقدير كلامه الذي عطفت الفاء
قوله انحن الى آخره عليه محذوف ثم بين المعطوف عليه المحذوف بقوله
انحن مخلدون منعمون اما مخلدون فلانه عطف عليه بميتين واما منعمون
فلانه عطف عليه معذبين

ومقطع الطلع من النخلة وهو الكم
قبل ان ينشق

في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاءوا
بصورته على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا
به الصورة الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل
الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا
منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما سميت العرب هذا الثمر برؤوس
الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثالثا
يشبه به فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون فمالئون بطونهم لما يغلبهم من
من الشجرة اي من طلعها
الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا
غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال
في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به و
الاول تسمية بالمصدر فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا
وفي قوله ثم ان مرجعهم قلت في الاول وجهان احدهما انهم يملؤون البطون من شجر الزقوم
وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون
ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة
ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام
صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم
في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يتملؤوا ويسقون
بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم
ان مصيرهم ثم ان منقذهم الى الجحيم انهم الفوا آباءهم ضالين علل استحقاقهم للوقوع
في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل
فهم على آثارهم يهرعون والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه
شبه بالرعدة ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين
انبياء حذروهم العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا وحذروا اي
اهلكوا جميعا الا عباد الله المخلصين الذين آمنوا منهم واخلصوا لله دينهم او اخلصهم
الله لدينه على القراءتين ولقد نادانا نوح لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء
عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه فلنعم المجيبون
واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فوالله لنعم
المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلها
الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون ونجيناه واهله من
الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي
انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة
قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان لنوح ثلاثة اولاد سام وحام

قوله وقيل الشيطان عطف على قوله ولانه
من جنس اللفظ

الغساق الدم والقيح الاسود الذي يسيل
من اعضاء اهل النار

فالمراد بالجحيم هنا دركاته لان شجرة الزقوم
ايضا في الجحيم

قال في الصحاح الرعدة النفض يقال منه رعد يرعد رعدا
والاسراع في السير وهو في الاصل متعد

على فتح اللام من المخلصين

على تقدير كسر اللام في المخلصين

ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث
ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الاخرين من الامم هذه الكلمة وهي
سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت
سورة انزلناها فان قلت فما معنى قوله في العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت
هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه
في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
ثم اغرقنا الاخرين علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره
وتسليم العالمين عليه الى اخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا
ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله
والازدياد منه وان من شيعته لابرهيم اي ممن شايعه على اصول الدين وان اختلف
شرايعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين
شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان
بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون
سنة اذ جاء ربه بقلب سليم فان قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من
معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابرهيم
او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع افات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى
للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الافات اولى من بعض فتناولها كلها فان قلت ما
معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء
مثلا لذلك اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا الهة دون الله تريدون
افكا مفعول له تقديره اتريدون الهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل
للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك
وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك
بقوله الهة من دون الله على انها افك في نفسها ويجوز ان يكون حالا يعني اتريدون الهة
من دون الله افكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا
للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه
لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى
جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره
فنظر نظرة في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه سئل
عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه فقال اني سقيم
فتولوا عنه مدبرين كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه
يسقم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا
يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام وليس معه
احد ففعل بالاصنام ما فعل فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوزه بعض

الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمهاجرين والصحيح
ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى فالذي قاله ابرهيم معراض من الكلام وقد نوى به ان من
في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا
ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجاءة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو
صحيح فقال الاعرابي اصحيح من في عنقه الموت وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فراغ الى
الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى الهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم الهة
كقوله اين شركائي فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال
عبدتها فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ
عليهم في معنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ
صفقا وسفعا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى
الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو تالله لاكيدن اصنامكم
فاقبلوا اليه يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او
من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون
على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو
بعضا لتسارعهم اليه فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن
الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا
عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه وذكر ثمة انهم سألوا
عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابرهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها
وفي الاخر انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين
ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم
الى بيت الاصنام لياكلوا الطعام الذي وضعوه ليتبرك عليه وراوها مكسورة اشمأزوا من
ذلك وسألوا من فعل هذا بها لم ينم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية
والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر
بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم
قالوا فاتوا به على اعين الناس قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم
وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله تعالى بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر
الاصنام فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع خلقه و
عملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار
والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر
واشكال فخالق جواهرها الله تعالى وعاملوا اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم
بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فان قلت فما انكرت ان تكون ما مصدرية
لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة قلت اقرب ما يبطل به هذا
السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب ان معنى الاية يأباه اباء جليا وينبو عنه نبوا

ظاهر وذلك ان الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد
المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان
يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم تكن محتجا عليهم ولا كان
لكلامك طباق وشيء آخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما
تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من
غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن فان قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني
ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم قلت بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان
للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين
كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وبين ما
تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون
المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية قالوا ابنوا له
بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين الجحيم النار الشديدة الوقود
وقيل كل نار على نار وجمر على جمر فهي جحيم والمعنى ان الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا
واذلهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه ما الجمهم به الحجر وقهرهم
فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه وقال اني
ذاهب الى ربي سيهدين اراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة اليه من حيث
الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني
ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كان الله تعالى وعده وقال له
ساهديك فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة الله معه في هدايته وارشاده
او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله تعالى ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال
موسى عليه السلام عسى ربي ان يهديني سواء السبيل رب هب لي من الصالحين هب لي
بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى
ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له
يحيى وقال علي بن ابي طالب لابن عباس رضي الله عنهما حين هناه بولده علي ابي الاملاك شكرت الواهب
وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب
فبشرناه بغلام حليم وقد انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان
الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله
من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم
وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم ان ابرهيم لحليم
اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ معه السعي فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في
اشغاله وحوائجه فان قلت معه بم يتعلق قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او
بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر
لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي

قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه
وغيره ربما اعنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان
اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولية كان
له من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك
الجواب الحكيم قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اتي في المنام فقيل له اذبح ابنك
ورؤيا الانبياء عليهم السلام وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك
فذكر تاويل الرؤيا كما تقول الممتحن وقد رأى انه راكب في سفينة رأيت في المنام اني ناج من
هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا
فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم
سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى
مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام
حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا
ترى من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري اي ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا
تري على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الرأي قال يا ابت افعل ما تؤمر
ستجدني ان شاء الله من الصابرين اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك
الخير فافعل ما امرت او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ
ما تؤمر به فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى
رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع
ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى
البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة
بالذبح فيما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في اكله من الشجرة
لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما اري يوسف عليه السلام
سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء عليهم السلام وذلك
لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا
تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احديهما فلما اسلما و
تله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم
بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان
اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه
وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص
نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه
فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن و
يخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف

على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم **فان قلت** اين جواب لما **قلت**
هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا
كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله
وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين
الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا
كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد
اليأس ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم
او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح الذبح اسم ما يذبح
وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل
وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة
وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه السلام
استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي
انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي
انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبرئيل
الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد
فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح انه حين اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق
بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب
واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينتقص اجري فتراه امي فتحزن واشحذ
شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على
امي سلامي وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم
نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع
السكين على حلقه فلم تعمل لان الله تعالى ضرب صحيفة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي
فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع
السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبرئيل
معه كبش اقرن املح فكبر جبرئيل والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل
لما وصل موضع السجود الى الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة رح بهذه الاية فيمن
نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة **فان قلت** من كان الذبيح من ولديه **قلت** قد
اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل
والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي
يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن
سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له
افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي
قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى

يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين
اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم
قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل
فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح
قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال
عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله
فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش
كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت
ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصيمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق
بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه
ان الله تعالى وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من
الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد
لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله تعالى بشره باسحق وولده
يعقوب في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان
خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة
وجماعة من التابعين انه اسحق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر
الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح
ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن
اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله **فان قلت** قد اوحي الى ابرهيم في المنام بان
يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح
ولم يصح **قلت** قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة
على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل
ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه
الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل
الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه
فان قلت الله تعالى هو المفتدي منه لانه الامر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال
وفديناه **قلت** الفادي هو ابرهيم عليه السلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي
به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته **فان
قلت** فاذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء
والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل **قلت** قد علم بمنع الله ان حقيقة الذبح لم
يحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة
حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه **فان قلت**
فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام

الذبح من غير نقصان قلت الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يحصل منه الوفاء
بالمنذور وايجاد المأمور به من كل وجه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين فان قلت لم قيل ههنا كذلك نجزي المحسنين
وغيرها من القصص انا كذلك قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكأنما استخف بطرحه
اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين نبيا حال مقدرة
كقوله ادخلوها خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك
ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين
الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم
المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا
المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة
متطاولة فكيف نجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه
او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود
وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق
لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لابد
من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة
نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين
من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لابد ان يكون
من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من
يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله تعالى وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان
يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا
وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وقرئ وبركنا اي
افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
وقيل وباركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه
وقوله وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه
على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر
وهذا مما يهدم امر الطبايع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب و
لا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من
اصله او فرعه ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم
اي من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين
الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في
بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقال من جوز ان تكون
التورية عربية ان تشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو وهديناهما
الصراط المستقيم اي صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب

عليهم ولا الضالين وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي
المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين قرئ الياس بكسر الهمزة
والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع
الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى اذ قال لقومه
الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين اتعبدون بعلا وهو علم لصنم
كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه
فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل
في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل
بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال
من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله
الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين
الله ربكم ورب آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل
نصب واذا وقف رفع وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها
لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على
الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فان
قلت فهلا حملت على هذا الياسين على القطع واخواته قلت لو كان جمعا لعرف
بالالف واللام واما من قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل
وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا
الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون مصبحين داخلين في الصباح
يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا افما فيكم عقول تعتبرون بها
وان يونس لمن المرسلين وقرئ يونس بضم النون وكسرها اذ ابق الى الفلك المشحون وسمي
هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز فساهم والمساهمة المقارعة ويقال
استهم القوم اذا اقترعوا فكان من المدحضين والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق
عن مقام الظفر والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد ابق من سيده
وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال
انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم
مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب
في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي فلولا انه كان من المسبحين من
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وعن
قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا
عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو

اهله واقبا له على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر فى وقت المهلة والفسحة لينفعه
ذلك عنده فى المضايق والشدائد للبث فى بطنه الى يوم يبعثون الظاهر لبثه فيه حيا
الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروى انه حين ابتلعه
اوحى الله تعالى الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف فى مقدار
لبثه فعن الكلبى اربعون يوما وعن الضحاك عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة
وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه وروى ان
الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا
الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل
فنبذناه بالعراء والعراء المكان الخالى لا شجر فيه ولا شئ يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل
به وروى انه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد وانبتنا عليه شجرة من يقطين واليقطين
كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل
من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا يجتمع عنده
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل
هى التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل
بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروى انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى
جزعا فاوحى اليه بكيت على شجرة ولا تبكى على مائة الف فى يد الكافر فان قلت ما معنى وانبتنا
عليه شجرة قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة
الف المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما
جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبى اذا هاجر
عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون فى
مرأى الناظر اى اذا راها الرائى قال هى مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة فآمنوا
فمتعناهم الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم الربك البنات
ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون
ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون
فاستفتهم معطوف على مثله فى اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله صلى
الله عليه باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه
ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله الاناث
ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهم واستنكافهم
من ذكرهن ولقد ارتكبوا فى ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة
بالاجسام والثانى تفضيل انفسهم على ربهم حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما
قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشؤ
فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم
اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله

جلد النمر ولانقلبت كما ليقه وذلك فى اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع
كلها فى كتابه مرات ودل على فظاعتها فى آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا
تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى
يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله
البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى
البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان قلت لم قال وهم
شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل لهم وكذلك قوله
تعالى اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك
انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله تعالى علمه فى قلوبهم ولا باخبار
صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا
عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله
اى الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول
هذه ولدى وهؤلاء ولدى فان قلت اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق
الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابى جعفر بكسر الهمزة على الاثبات قلت
جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش وهذه القراءة
وان كان هذا محملها فهى ضعيفة والذى اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من
جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها
دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان
كنتم صادقين ام لكم حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فاتوا
بكتابكم الذى نزل عليكم فى ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما
الاساليب التى وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك
عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا
ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وجعلوا بين الله و
بين الجنة وارادوا الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة
بين الله تعالى وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة فان قلت لم
سمى الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا
كله فهو شيطان ومن طهر ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم
وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين فى انفسهم ان يبلغوا
منزلة المناسبة التى اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار
وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوى بين
الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك اتسوى بينى وبين عبدى واذا ذكره فى غير

هذا المقام وقوه وكناه ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون
والضمير في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة
انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة
في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن
فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله تعالى والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن
في طاعة الله تعالى ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون
لهم والمعنى ان الشياطين عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له
او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من
المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما
وقع منه ويجوز ان وقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن
المخلصين براء من ان يصفوه به فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو
صال الجحيم الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا
بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان
يصلونها فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم و
استهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه و
يجوز ان يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت
على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان
قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع
آلهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما
تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم
او يكون في اسلوب قوله فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم وقرأ الحسن صال
الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين
هي ولام التعريف فان قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد
اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل
على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في
صائل كقولهم شاك في شائك والثالث ان يحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه
كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ
وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين وما منا الا له
مقام معلوم فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا
بكفي كان من ارمى البشر مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه
لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه وانا لنحن الصافون
نصف اقدامنا في الصلوة او اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول
العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الاية

وليس يصطفي احد من اهل الملل في صلوتهم غير المسلمين وانا لنحن المسبحون اي
المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون
من كلام الملائكة حتى يتصل ذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة و
شهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك
واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا
تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم
لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف يكون
مناسبين لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل
منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن
الصافون اقدامنا لعبادته واجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد
لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين احد الا
له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه
من لا يعرفه مما لا يجوز عليه وان كانوا ليقولون هم مشركوا قريش كانوا يقولون لو ان
عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل لكنا
عباد الله المخلصين لقد خلصنا العبادة لله لما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم
الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما
جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وذلك انهم كانوا يقولون مؤكدين للقول
جادين فيه فكم بين اول امرهم وآخره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الكلمة قوله
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماه كلمة وهي كلمات عدة لانها
لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم
على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال
تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم
من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن ما غلب
نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة
وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان
لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت
معنى حقت فتول فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة
الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيمة وابصرهم
وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرون يبصرونك
وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على

الحال المنتظرة الموعودة الدالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة
كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما
سلف لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين
مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم
فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ
بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا
صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة
التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرئ
ابن مسعود فبئس صباح المنذرين وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور
كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم
واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل
هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن انس رضي الله عنه
لما اتى رسول الله صلعم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد
والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين وانما ثنى وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
ليكون تسلية على تسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد الى تاكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق
الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف
المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق
لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو
ربها ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في
الله ونسبوا اليه ما هو منزه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة
من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم
على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين
ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد
وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن
آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة
الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة
وشقاق صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالفتح والكسر لالتقاء الساكنين ويجوز

ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب وباضمار حرف القسم
والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها بمعنى
السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر
هو من المصاداة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من
الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت
قوله ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متناف غير منتظم
فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف
المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف
الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون
صاد خبر مبتدأ محذوف على انها اسم للسورة كأنه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي
اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء
والله وكذلك اذا اقسم بها كأنه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال
بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله
واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقرآن التنزيل
كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول
مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة
من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج
اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة
وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من
النظر واتباع الحق كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا
فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات حين مناص هي لا المشبهة بليس
زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل
الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضيها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا
وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس وزيدت عليها التاء
وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كأنه قال ولا حين مناص لهم وعنه ان ما
ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن
لهم ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم
وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر
ومثله قول ابي زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء فان قلت
ما وجه الكسر في اوان قلت شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه
المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين
مناص والمضاف اليه قائم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم
منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف
ثم بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير فان قلت

كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما تقف على الفعل الذي تتصل به تاء التأنيث
وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما قول أبي عبيد أن التاء
داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به فكم
وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه إذا
فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر غمر الجراء إذا قصرت عنانه بيدي استناص
ورام جري المسحل وعجبوا أن جاءهم منذر منهم رسول من أنفسهم وقال الكافرون هذا
ساحر كذاب ولم يقل وقالوا إظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا
الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقا وهل
ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد
وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته روي
أن إسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع
خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك
فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك
السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني قالوا ارفضنا
وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطي
أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أي نعطيكها وعشر
كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا
لشيء عجاب أي بليغ في العجب وقرئ عجاب بالتشديد كقوله مكرا كبارا وهو أبلغ من المخفف
ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله أجعل الآلهة إلها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن إناثا في أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال
أجعل الجماعة واحدا في قوله لأن ذلك في الفعل محال وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا
على آلهتكم إن هذا لشيء يراد الملأ أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبي طالب بعدما
بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا
فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد إن هذا الأمر لشيء يراد أي يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه وما
أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو أن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر
يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو أن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وأن
بمعنى أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان
انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا
أي أكثروا واجتمعوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها
الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على آلهتكم
واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا
بغير أن على إضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا ما سمعنا

بهذا في الملة الآخرة في ملة عيسى التي هي آخر الملل لأن النصارى يدعونها وهم مثلثة غير
موحدة أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة
على أن يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى أنا لم
نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله إن هذا ما هذا
إلا اختلاق أي افتعال وكذب أأنزل عليه الذكر من بيننا أنكروا أن يختص بالشرف من
بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما
أوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من ذكري من القرآن يقولون في أنفسهم إما
وإما وقولهم إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد
بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد
حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب مضطرين إلى تصديقه أم عندهم
خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من
شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد
صلى الله عليه وسلم وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب
الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال
أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال أم لهم ملك السموات والأرض
وما بينهما حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي تختص بها رب
العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف
في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون
ما لا يحق له فليرتقوا في الأسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى
العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي إلى من يختارون
ويستصوبون ثم خساهم خساءة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب
يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهزوم مكسور
عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام
كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره إلا أنه على سبيل الهزء وهنالك إشارة إلى
حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر
ليس من أهله لست هنالك كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد أصله
من ثبات البيت المطنب بأوتاده قال والبيت لا يبتنى إلا على عمد ولا عماد إذا
لم ترس أوتاد فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود في ظل ملك
ثابت الأوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية
مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في
الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه
وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب قصد بهذه الإشارة الإعلام

بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ان كل الا كذب الرسل ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم وما ينظر هؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله الا صيحة واحدة والصيحة النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس رضي الله عنه ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها **فان قلت** كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى عطف احدهما على صاحبه **قلت** كانه قال لنبيه عليه السلام اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبياء الله وقد اولاه الله ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث الله الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكاء الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال مجددا للندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد وايادكل شيء ما يتقوى به انه اواب تواب رجاع الى مرضات الله تعالى **فان قلت** ما دلك على ان الايد القوة في الدين **قلت** قوله تعالى انه اواب لانه تعليل لذي الايد انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها

تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلام وما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسي من صلوة الضحى حتى طلبتها ووجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صليها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس اني لا اجد في كتاب الله عز وعلا صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله يعني هذه الآية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشرق ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال **فان قلت** هل من فرق بين يسبحن ومسبحات **قلت** نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا والطير محشورة وقوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله عز وعلا اي كل من داود والجبال والطير لله تعالى اواب اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قال الله تعالى سنشد عضدك وقرئ وشددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول بعضه من

بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه
ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة
الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين إلا موصولا بما بعده ولا والله يعلم
وأنتم حتى يصله بقوله وأنتم لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والإضمار
والإظهار والحذف والتكرار وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأراد
بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل و
الصواب والخطاء وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه هو من قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل
بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أما بعد لأنه يفتتح إذا تكلم في الأمر
الذي له شأن بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه و
بين ذكر الله بقوله أما بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا
إشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا
هذر وهل أتيك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف
خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط
كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل عن امرأته فيتزوجها إذا
أعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا أن الأنصار كانوا
يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود عليه السلام وقعت على امرأة رجل يقال
له أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان
صلوات الله وسلامه عليه فقيل له إنك على عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك
وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول بل كان
الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا
ثم خطبها داود عليه السلام فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن
مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحق و
يعقوب فقال يا رب إن آبائي قد ذهبوا بالخير كله فأوحى إليه أنهم ابتلوا ببلايا فصبروا
عليها وقد ابتلي إبراهيم بنمروذ وذبح ولده وإسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن
على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى إليه إنك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم
دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب
فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر
امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء
فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت
وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله
على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن
على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح

من

من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث الأعور أن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وروي أنه
حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت
القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن
كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا
الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام
ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب فإن قلت لم جاءت على طريقة التمثيل
والتعريض دون التصريح قلت لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى
الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب
لاحتشامه وحيائه وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحا مع مراعاة
حسن الأدب بترك المجاهرة ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت
منه هنة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح وأن تحكى له حكاية ملاحظة
لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك أزجر له لأنه
ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة
مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فإن قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم
إليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى يكون محجوجا
بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل أتيك نبأ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة
على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا يخفى على أحد والتشويق إلى استماعه
والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف إبراهيم
المكرمين لأنه مصدر في أصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فإن قلت هذا جمع
وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه
قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فإن
قلت فما تصنع بقوله إن هذا أخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض المراد
بقوله بعضنا على بعض فإن قلت فقد جاء في الرواية أنه أرسل إليه ملكان قلت
معناه أن التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون فإن قلت فإذا كان
التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان
صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به فإن قلت بم انتصب إذ
قلت لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه بأتاك
لأن إتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود ولا
بالنبأ لأن النبأ الواقع في عهد داود لا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن
أردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك
نبأ تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وأما إذ الثانية فبدل

من الأولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في
الأبنية تسنمه إذا علا سنامه وتذراه علا ذروته روي أن الله تعالى بعث إليه ملكين في
صورة إنسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه
المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس إن داود عليه السلم
جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره
ويوما يجمع بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في غير يوم القضاء ففزع منهم ولأنهم
نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان
خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرئ ولا تشطط أي ولا تبعد عن
الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق
وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه إن هذا أخي له تسع و
تسعون نعجة ولي نعجة واحدة أخي بدل من هذا أو خبر لإن والمراد أخوة الدين أو أخوة
الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وإن كثيرا من الخلطاء وكل واحد
من الأخوات تدلي بحق مانع عن الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة
بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة فقال أكفلنيها ملكنيها
وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وعزني في الخطاب وغلبني يقال عزه يعزه
وقال قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد
عليه ما أرده به وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها
هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة
وهي المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على
نحو ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه **فإن قلت** ما معنى ذكر النعاج
قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا
وللتنبيه على أنه أمر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به وللستر
على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع
داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع
في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ
مراده والدليل عليه قوله وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة **فإن قلت**
إنما يستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم
تستقم **قلت** الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا
لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص لمن حلت له * فرميت غفلة عينه عن شاته * وشبهها
بالنعجة من قال * كنعاج الملا تعسفن رملا * لولا أن الخلطاء يأباه إلا أن يضرب داود الخلطاء
ابتداء مثلا لهم ولقصتهم **فإن قلت** الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا
عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم **قلت** هو تصوير للمسألة

وفرض

وفرض لها تصوروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي كما تقول في تصوير المسائل
زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون فأنت تشير إليهما فخلطاها وحال عليها الحول
كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا في تصويرها لي أربعون شاة
ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها **فإن قلت** ما وجه
قراءة ابن مسعود ولي نعجة أنثى **قلت** يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى
وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها
ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله
تمشي رويدا تكاد تنغرف لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه
وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن
معنى الإضافة فعدي تعديتها كأنه قيل بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال
والطلب **فإن قلت** كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع
كلامه **قلت** ما قال ذلك إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم
ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود إن رمت ذلك
ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن نضرب
منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه
والخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية
والشافعي رح يعتبرها فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل
واحد منهما ماشية على حدة إلا أن مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب وا
الفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فإن كانت لهما أربعون شاة فعليهما شاة
وإن كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد
وعند أبي حنيفة لا يعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي أربعين بين خليطين
لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه **فإن قلت** فهذه الخلطة ما
تقول فيها **قلت** عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة جزء من
الشاة عند الشافعي وعند أبي حنيفة رح لا شيء عليه **فإن قلت** ماذا أراد بذكر
حال الخلطاء في ذلك المقام **قلت** قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في إيثار عادة
الخلطاء الصالحين الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذي عليه
أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وأن له في أكثر
الخلطاء أسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب
عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة
وما في وقليل ما هم للإبهام وفيه تعجب من قلتهم وإن أردت أن تتحقق فائدتها و
موقعها فاطرحها من قول امرئ القيس * وحديث ما على قصره * وانظر هل بقي له معنى قط
وظن داود لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن
أنما فتناه أنما ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا هل يثبت أم يزل وقرئ فتناه بالتشديد

للمبالغة وافتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالامس فتنت ۞ وفتناه وفتناه على ان الالف ضمير الملكين فاستغفر ربه وخر راكعا وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة واناب ورجع الى الله تعالى بالتوبة والتنصل وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسرا ما له الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا انه صدق احدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا جعلناك خليفة اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع الهوى هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ويوم الحساب متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم قرأ هذه الآية وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا اي خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم ذلك ظن الذين كفروا

فويل للذين كفروا من النار ذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكبير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه اواب وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب والصافن الذي في قوله ۞ الف الصفون فما يزال كانه ۞ مما يقوم على الثلاث كسيرا ۞ وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما خدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها فاذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي ان سليمن عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي

وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله تعالى وبقي ما لم يعرض فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره **فإن قلت** ما معنى أحببت حب الخير عن ذكر ربي **قلت** أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي أو جعلت حب الخير مجزيا أو مغنيا عن ذكر ربي وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء إذا أحبا وليس بذاك والخير المال كقوله إن ترك خيرا وإنه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته أو سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ما وصف لي رجل فرأيته إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا عن قوم يستبقون من المستبق فقال رسول الله فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك أو المخبأة بحجابهما والذي دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ردوها علي فطفق فجعل يمسح مسحا أي يمسح السيف بالسوق والأعناق بسوقها وأعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكسف القطع ومنه الكسف في ألقاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها وإعجابا بها **فإن قلت** بم اتصل قوله ردوها علي **قلت** بمحذوف تقديره قال ردوها علي فأضمر وأضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال سليمان لأنه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها وقرئ بالسؤوق بهمز الواو لضمتها كما في أدؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس وأما من قرأ بالسؤوق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل موسى ونظير ساق وسوق أسد وأسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الإلباس ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما راعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب إليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمن وهذا ونحوه مما لا بأس به وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته حكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه

بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الإنس والجن فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدون له كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا إلى الله متضرعا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف إنك لمفتون بذنبك فالخاتم لا يتماسك في يدك فتب إلى الله ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى إلى قوله من محاريب وتماثيل وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن يأذن فيه وإذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله وألقينا على كرسيه جسدا ناب عن إفادة معنى إنابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي دوني **فإن قلت** أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره **قلت** كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب إلفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث إليهم وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لأحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا أسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما

سلبته مرة واقيم مقامي غيري ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم
مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه
اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون
ساير عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم
الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك
ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جراته على الله تعالى وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب
من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي
الامر منكم فسخرنا له الريح تجري بامره قرئ الريح والرياح رخاء لينة طيبة لا تزعزع
وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث اصاب حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب
فاخطا الجواب وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج
اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا والشياطين
عطف على الريح كل بناء وغواص وكل بناء بدل من الشياطين واخرين مقرنين في الاصفاد
عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية و
يغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين
بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع
ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه
ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقول القائل غل يدا
مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان
قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده هذا عطاؤنا
فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن ماب اي هذا الذي اعطيناك من الملك
والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من
المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود
هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين
بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك واذكر عبدنا
ايوب اذ نادى ربه ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه اني مسني الشيطان باني مسني
حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب وقرئ بنصب بضم
النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وبضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب
على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة وعذاب والعذاب
الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب
الاهل والمال فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي من
اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القران
انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت لما كانت وسوسته اليه وطاعته لها فيما وسوس

سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه
الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه
من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك
في كشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلاثة من
المؤمنين فارتد احدهم فسال عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين
وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر
فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك حكاية ما اجيب به ايوب اي اضرب
برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد و
شراب اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل
نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه
باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة
فشرب منها ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب رحمة
منا وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا
سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل
الله تعالى بهم وخذ بيدك معطوف على اركض ضغثا فاضرب به ولا تحنث والضغث
الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف
في مرضه ليضربن امراته مائة اذا برا فحلل الله تعالى يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها
اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بمخدج قد خبث
بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل
واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب
في يمينه انها ابطات عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوائبها برغيفين و
كانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فاردّ عليكم مالكم و
اولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان انه يبرا
اذا شرب الخمر فعرضت له بذلك وقيل سالته ان يقرب للشيطان بعناق انا وجدناه
صابرا علمناه صابرا نعم العبد انه اواب فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحم
قلت الشكوى الى الله لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني
الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من ان يتمنى
العافية ويطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجا الى
الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان
يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه
انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه
الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع
قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي

عريان او جائع فكشف الله عنه واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب ابرهيم واسحق ويعقوب
عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابرهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا
وهما اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله ابيك ابرهيم واسمعيل واسحق لما كانت اكثر الاعمال
تباشر بالايدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة
بالايدى او كان العمال جذما لا ايدى لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولى الايدى والابصار
يريد اولى الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الاخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يفكرون
افكار ذوى الديانات ولا يستبصرون فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم و
المسلوبى العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من
المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ
اولى الايادى على جمع الجمع وفى قراءة ابن مسعود اولى الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة
وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن انا اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة
ذكرى الدار بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص
والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم
لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الاخرة
دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الاخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما
هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق
الذى ليس لغيرهم **فان قلت** ما معنى اخلصناهم بخالصة **قلت** معناه اخلصناهم
بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم فى اختيارها
ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اى المختارين
من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير على التخفيف كاموات فى جمع ميت او ميت
واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع
وقرئ والليسع كان حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع والتنوين فى كل عوض من المضاف
اليه معناه وكلهم من الاخيار هذا ذكر اى هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر
الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر
وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين لحسن مآب كما يقول الجاحظ فى
كتبه هذا باب ثم يشرع فى باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع
فى آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر
اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن
عباس هذا ذكر من مضى جنات عدن مفتحة لهم الابواب جنات عدن معرفة لقوله جنات
عدن التى وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب مفتحة حال والعامل فيها ما
فى للمتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى
الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع
على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف اى هو جنات عدن

هى مفتحة لهم متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب
كأن اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان
التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم هذا ما توعدون
وقرئ يوعدون بالتاء والياء ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد لاجل يوم الحساب
كما تقول هذا ما تدخرون ليوم الحساب اى ليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا وان للطاغين لشر
مآب جهنم يصلونها اى الامر هذا او هذا كما ذكر فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن
فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم هذا فليذوقوه حميم و
غساق اى هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما
يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق
يحرق ببرده وقيل لو قطرت قطرة فى المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة فى المغرب
لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى
لهم ثوابا فى قوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين واخفوا له معصية فاخفى لهم عقوبة وآخر
من شكله ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق من مثله فى الشدة والفظاعة ازواج اجناس
وقرئ واخرى ومذوقات اخر وعذاب آخر ومذوق آخر وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او
صفة للثلاثة وهى حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهى لغة واما الغنج
فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اى دخل النار فى
صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فى الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين
بعضهم مع بعض اى يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون
معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اى اتيت رحبا من البلاد
لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا
النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا
فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام
الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اى الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذى
دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار والضمير للعذاب
او لصليهم **فان قلت** ما معنى تقديمهم العذاب لهم **قلت** المقدم هو عمل السوء
قال الله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب
فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين
وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون فى الحقيقة لا رؤساؤهم
والعمل هو المقدم لا جزاؤه **فان قلت** فالذى جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما
يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعنى رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا
له **قلت** كأنه قيل هذا الذى دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم
ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوى
فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم

أولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك قالوا هم الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء
اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله تعالى ربنا آتهم
ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي وقالوا الضمير للطاغين ما لنا
لا نرى رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم كنا نعدهم من الاشرار من الارذال
الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا اتخذناهم
سخريا قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام
على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار
له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها
بل زاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا
من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان تكون
ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراءهم وتحقيرهم وان
ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك
قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي
اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك انها لابل ام شاء وازيد عندك ام عندك عمرو
ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لان ام تدل عليها فلا تفترق القراءتان
اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كابي جهل والوليد
واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر ان ذلك
الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل النار وقرئ بالنصب
على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس فان قلت لم سمي ذلك
تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من
نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة
فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد
القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار قل يا محمد لمشركي مكة ما انا الا
رسول منذر انذركم عذاب الله للمشركين واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان يعتقد ان
لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وان الملك والربوبية له في العالم كله
وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ اليه او قل لهم ما
انا الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما
هو حقيق بان يرجى ثوابه قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الاعلى
اذ يختصمون اي هذا الذي انبأتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له
نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن
الملأ الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه
الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا

بالوحي من الله ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي
الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي
الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير
ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين و
لا ادعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من احد وعن ابن
عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة فان قلت بم تعلق اذ يختصمون قلت بمحذوف
لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم اذ قال ربك للملائكة اني
خالق بشرا من طين واذ قال بدل من اذ يختصمون فان قلت ما المراد بالملأ الاعلى قلت
اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم فان قلت
ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله وبينهم لان الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له
فانت بين امرين اما ان تقول الملأ الاعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم فلم يكن التقاول بينهم
واما ان يقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملأ الاعلى قلت كانت مقاولة
الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان
بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملأ الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق فان قلت
كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه ان
يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فاذا
سويته فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي واحييته وجعلته حساسا متنفسا
فقعوا فخروا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر كل للاحاطة و
اجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا
جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات فان قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت
الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه
العقل الا ان يعرف الله فيه مفسدة فينهى عنه فان قلت كيف استثني ابليس من الملائكة
وهو من الجن قلت قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثني
كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وكان من الكافرين اريد وجود كفره ذلك الوقت و
ان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شئت ويجوز
ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
فان قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر
اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب
هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين
قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي
فان قلت فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه الذي
استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون

يسجد لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حرى بان يقتدى بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يأمر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على التوحيد من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح قال فاخرج منها من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا فانك رجيم والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب **فان قلت** قوله وان عليك لعنتي الى يوم الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع **قلت** كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم **فان قلت** ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم **قلت** الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله تعالى معين لا يستقدم ولا يستأخر قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا

عبادك منهم المخلصين فبعزتك اقسام بعزة الله وهي سلطانه وقهره قال فالحق والحق اقول قرئ فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله في ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن جهنم والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على ان الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي لاملأن والحق اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم **فان قلت** اجمعين تأكيد لماذا **قلت** لا يخلو اما ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملأنها من الشياطين وممن تبعهم اجمعين من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم قل ما اسألكم عليه الضمير للقرآن او الوحي من اجر وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نبأه بعد حين اي ما يأتيكم عند الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا وكبيرا والله ولي التوفيق

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون وقيل اثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على انه مبتدأ اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم **فان قلت** ما المراد بالكتاب **قلت** الظاهر على الوجه الاول انه القرآن وعلى الثاني انه السورة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام

الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص اى هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل
شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن
قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا من دونه اولياء
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون والذين اتخذوا
يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس فالضمير
فى اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثانى الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع
الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذوهم المشركون اولياء والذين اتخذوا فى موضع الرفع على الابتداء
فان قلت فالخبر ما هو قلت هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول
قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثانى ان الله يحكم بينهم فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر
فما موضع القول المضمر قلت يجوز ان يكون فى موضع الحال اى قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا
من الصلة فلا يكون له محل من الاعراب كما ان المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا
ما نعبدهم وفى قراءة ابى ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم
بضم النون اتباعا للعين كما يتبعها الهمزة فى الامر والتنوين فى عذاب اركض والضمير فى بينهم لهم و
لاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة
التى نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم
ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم
وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قروا وقالوا
الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله فالضمير فى
بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين
ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف
لهم وانهم فى علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون
الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى
مما يخلق ما يشاء يعنى لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا ان يصطفى
من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم
به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق
الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه
وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءه اتخاذهم اولادا ثم تماديتم فى جهلكم وسفهكم
فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين فى الافتراء على الله وملائكته غالين فى الكفر
ثم قال سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة
فنزه ذاته عن ان يكون له احد مما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو
انه واحد فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا
لم يتأت ان يكون له صاحبة لم يتأت ان يكون له ولد وهو معنى قوله تعالى انى يكون له ولد ولم

تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء
وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين و
جريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك
قهار لا يغالب والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه اوجه منها ان
الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشى مكانه فكانما البسه ولف عليه كما
يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذى الرمة فى وصف السراب تلوى الثنايا باحقيها حواشيه
لى الملاء بابواب التفاريج ومنها ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى تغييبه
اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا
فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز الغفار الغالب القادر على
عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذى يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو
يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة فان قلت ما وجه قوله ثم جعل
منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخى قلت هما آيتان من جملة الآيات التى عددها دالا
على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا
ان احديهما جعلها الله تعالى عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم يخلق انثى غير حواء
من قصيرى رجل فكانت ادخل فى كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى
للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخى
فى الحال والمنزلة لا من التراخى فى الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس
وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء
وانزل لكم من الانعام وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب
فى اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء
فكانه انزلها وقيل خلقها فى الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضأن
والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة
لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف فى ظلمات ثلاث والظلمات
الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الله ربكم له الملك لا اله
الا هو فانى تصرفون ذلكم الذى هذه افعاله هو الله ربكم فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة
غيره ان تكفروا فان الله غنى عنكم عن ايمانكم وانتم المحتاجون اليه لاستضرار كم بالكفر
واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم فى الهلكة وان تشكروا
يرضه لكم اى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذا ما كره كفركم ولا رضى شكركم الا
لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغنى الذى لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل
بعض الغواة ليثبت لله تعالى ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذى
اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم

الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم
بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله
نعمة منه اعطاه قال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وفي
حقيقته وجهان احدهما جعله خايل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له
حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه
بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني
طويل الذيل مياس نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى
كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر
والانثى وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قرئ ليضل بفتح الياء وضمها يعني ان نتيجة
جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون
غير غرض وقوله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار من باب الخذلان والتخلية كانه
قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر
بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس
ما امر به ونظيره في المعنى قوله تعالى متاع قليل ثم ماويهم جهنم امن هو قانت اناء الليل
ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
انما يتذكر اولوا الالباب قرئ امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من
وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدا خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره وانما
حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو قانت افضل ام من هو كافر واهذا افضل ام من
هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام
افضل الصلوة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلي قائما
ساجدا حال وقرئ ساجد وقائم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ
يحذر عذاب الاخرة واراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير
عالم وفيه ازدراء بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا
فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اي كما لا
يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن
ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو
فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله فتلا هذه الاية وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين
امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة في هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة
معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الاخرة وهي دخول الجنة اي حسنة غير مكتنهة
بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية فان قلت اذا علق الظرف
باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان يقع صفة لها لتقدمه قلت
هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق

وصفا ومعنى وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم
وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان ارض
الله واسعة وبلاده كثيرة ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين
كانوا في بلد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
وقيل هي ارض الجنة انما يوفى الصابرون اجرهم والصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم
وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير بغير حساب
لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن
عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله
الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة
فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء
فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت
لان اكون اول المسلمين قل اني امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول
المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والاخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين
فمن اخلص كان سابقا فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت ليسا
بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليحرز القائم
به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه تنزل بذلك منزلة شيئين
مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة
دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في
اسطاع من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله تعالى وامرت
ان اكون من المؤمنين وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان اكون اول من اسلم وفي معناه اوجه
ان اكون اول من اسلم في زماني ومن قومي لانه اول من خالف دين ابائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون
اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون
مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يامرون بما لا يفعلون وان اكون
ما استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب قل اني اخاف ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم يعني ان الله تعالى امرني ان اخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي
العقل والوحي فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم
وذلك حين دعوه الى دين ابائه فان قلت ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت ان اعبد الله
مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني قلت ليس بتكرير لان الاول للاخبار بانه
مامور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص والثاني اخبار بانه يخص الله وحده دون غيره
بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة واخره في الاول فالكلام
اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا

ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة فلان الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا اهليهم لانهم كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل في الجنة يعني وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتداء والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل للاخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي توعد الله عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون فلا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا يطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على السنة رسله وتتلقيهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات واراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا او امارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل «ولا تكن مثل عير قيد فانقادا» يريد المقلد وقيل يستمعون القران وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره اولئك افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع

من

من في النار موضع الضمير فالاية على هذا جملة واحدة ووجه اخر وهو ان يكون الاية جملتين افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار وانما جاز حذف فانت تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت تنقذ يفيد ان الله تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر ان تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى قوله مبنية قلت معناه والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك لا يخلف الله الميعاد الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك او اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يجعله حطاما يهيج يتم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب حطاما فتاتا ودرينا ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل الحيوة الدنيا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا وقرئ مصفارا افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه افمن عرف الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله امن هو قانت في حذف الخبر فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين من اجل ذكره اي اذا ذكر الله عندهم او آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله فان قلت ما الفرق بين من وعن في هذا قلت اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده عن العطش الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتاكيد لاستناده الى الله وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا منه

ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام
والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة
وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لأن
القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه
وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا
يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل
من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى فارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة
وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فإن قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت إنما صح
ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن
أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك
الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا متشابها
فصولا مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثاني صفة
ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه
فإن قلت ما فائدة التثنية والتكرير قلت النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة
فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثمة كانت عادة رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في
صدورهم تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله اقشعر الجلد
إذا انقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها حرف رابع
وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في
شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى
أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم إذا ذكروا الله ورحمته
وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة فإن قلت
ما وجه تعديته بإلى قلت ضمن معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل سكنت واطمأنت إلى ذكر الله
لينة غير منقبضة راجية غير خاشية فإن قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت
لأن أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال
قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤوفا رحيما فإن قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها
القلوب ثانيا قلت إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم
من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا
بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك هدى الله ذلك إشارة إلى الكتاب وهو هدى
الله يهدي به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال
تعالى هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد أو ذلك الكائن
من الخشية والرجاء هدى الله أي أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى يهدي به هذا
الأثر من يشاء من عباده يعني من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء

شيء تافه وتفه أي خسيس حقير وقد تفه تفها والتفاه ... أي خفيف

ثم ارجع بيان

أي أمر قبيح يكون لفظه جمعا ومعناه مفردا برمة أعشار إذا انكسرت قطعا

القشعريرة تغير يحدث في جلد الإنسان عند الوجل من تقبض شعور جلده

... باللطف كما ... ثم ذكر أن المراد ... والطف ... أي اللطف لأنه ...

بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه وإصراره على
فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة يقال
اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتقاه بيده وتقديره أفمن يتقي بوجهه سوء
العذاب كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان
إذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي
يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي
المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في أبي جهل وقيل
للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم
فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها
بينا هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم فأذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه
ذلك من نكال الله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا
غير ذي عوج لعلهم يتقون قرآنا عربيا حال مؤكدة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا
عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريا من التناقض والاختلاف فإن قلت
هلا قيل مستقيما أو غير معوج قلت فيه فائدتان إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال
ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان وقيل المراد بالعوج
الشك واللبس وأنشد وقد أتاك يقين غير ذي عوج من الإله وقول غير مكذوب ضرب الله
مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا واضرب لقومك
مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع
كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة وإذا عنت له
حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري
أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق
لما لزمه من خدمته معتمدا عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدين
أحسن حالا وأحمد شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزم على قضية مذهبه
من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم
على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه
وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا فهو قائم بما كلفه
عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء
كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست
أسنانه سلما لرجل خالصا له وقرئ بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين
وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة
وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به
أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان صفة على

الدرقة الترس من جلد يقال اتقى زيد بدرقته ... اتقاه ... ووقى بدرقته نفسه زيدا

وذلك من طريق الكناية فإن نفي أن يكون صاحب عوج فإن لا يكون معوجا في الطريق الأولى كقوله ولم يجعل له عوجا أي عوجا ما ... أنه عوج

التمييز والمعنى هل يستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس
وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع قوله اشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين ان
يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع
الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه
اى يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون
فيشركون به غيره انك ميت وانهم ميتون كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته
فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه
ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت صفة لازمة
كالسيد واما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا اى سيموت وسيسود
واذا قلت زيد ميت فكما تقول حى في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله انك
ميت وانهم ميتون انك واياهم وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكان قد كان
ثم انكم ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون
فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل
تحته يقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون
وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدى
والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد
عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الاية انزلت فينا وفي اهل الكتاب قلنا كيف نختصم و
نبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت
انها نزلت فينا وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه
الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابرهيم النخعي
قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا
وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت اولا
الا ترى الى قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان
وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة فمن اظلم ممن كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك
اليه وكذب بالصدق بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
اذ جاءه فاجاءه بالتكذيب كما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق و
باطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون اليس في جهنم مثوى للكافرين اى لهؤلاء الذين كذبوا
على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم والذي جاء بالصدق وصدق به
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى
اياه وقومه في قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك هم
المتقون الا ان هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذي جاء بالصدق
وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين
جاؤا بالصدق وصدقوا وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس ولم يكذبهم به يعنى اداه

اليهم

اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل وصار صادقا به اى بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة
تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير
لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر
الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون فان قلت ما
معنى اضافة الاسوأ والاحسن الى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما قلت اما الاضافة
فما هي من اضافة افعل الى الجملة التي يفضل عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير
تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان واما التفضيل فايذان بان الشيء الذي يفرط منهم من
الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه
هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوأ وحسنهم بالاحسن وقرئ
اسواء الذي عملوا جمع سوء اليس الله بكاف عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد
معنى اثبات الكفاية وتقريرها وقرئ بكاف عباده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف
عباده وهم الانبياء وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان
تخبلك الهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها
فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد اليها فهشم انفها فقال
الله عز وجل اليس الله بكاف نبيه ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف
وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر او اليس الله بكاف انبياءه ولقد
قالت اممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء
ويجوز ان يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافي
عباده على الاضافة ويكافي عباده ويحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك
يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وان يكون مهموزا من المكافاة
وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم اجرهم ويخوفونك بالذين من دونه اراد الاوثان التي
اتخذوها الهة من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله
بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم
منهم وينصرهم عليهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل
وبالاضافة للتخفيف فان قلت لم فرض المسئلة في نفسه دونهم قلت لانهم خوفوه معرة الاوثان
وتخبيلها فامر بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان ارادني
خالق العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل او برحمة من صحة او غنى
او نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عني ضره او ممسكات رحمته حتى اذا القمهم
الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه يتوكل المتوكلون
وفيه تهكم ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله فان قلت لم
قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه قلت انثهن وكن

انا ثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر
وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان
الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث اللاتي هن
اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضا قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن
العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فان قلت حق الكلام فانى عامل على مكانتى فلم حذف قلت
للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة
لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه
منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والاخرة لانه اذا اتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته
من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه يخزيه مثل مقيم فى وقوعه
صفة للعذاب اى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ مكاناتكم
انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت
عليهم بوكيل للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة
على المعصية ولا حاجة لى الى ذلك فانا الغنى فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة
فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبنى على الاختيار دون الاجبار
الله يتوفى الانفس حين موتها الانفس الجمل كما هى وتوفيها اماتتها وهو ان تسلب ما هى به حية
حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت والتى
لم تمت فى منامها يريد ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها اى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين
بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفيكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك
فيمسك التى قضى عليها الموت فيمسك الانفس التى قضى عليها الموت الحقيقى اى لا يردها فى وقتها
حية ويرسل الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها
ويقبضها وهى الانفس التى تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها وهى انفس
التمييز قالوا فالتى تتوفى فى النوم هى نفس التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال
معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رض فى ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله
نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت اولا لان الله عز وعلا علق التوفى والموت و
المنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت
والنوم وانما الجملة هى التى تموت وهى التى تنام ان فى ذلك ان فى توفى الانفس مائتة ونائمة
وامساكها وارسالها الى اجل لايات على قدرة الله تعالى وعلمه لقوم يتفكرون يجيلون فيه
افكارهم ويعتبرون وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة
للانكار من دون الله من دون اذنه شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون شفعا
حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الى ترى الى قوله قل لله

اى الفاظها مؤنثة مصطلحة كالظلمة والنوفة وغير ذلك

هنا وحيث موضوعان فى الاصل للمكان وقد يستعاران للزمان

التقدير والله يتوفى الانفس التى تقبض والنفس التى لم تقبض فيمسك الاولى ويرسل الاخرى

قوله بل اتخذ الهمزة ثانية مفتوحة لانها همزة الاستفهام وحسبه ذلك الى الامام منقطعة بمعنى بل والهمزة

الشفاعة جميعا اى هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى
وان يكون الشفيع ماذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا اولو كانوا معناه ايشفعون ولو
كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اى ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة
ولا عقل لهم له ملك السموات والارض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك
كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها فان قلت بم اتصل قوله ثم اليه ترجعون قلت
بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك فى
ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والاخرة واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا
يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون مدار المعنى على قوله وحده اى
اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر معه الهتهم اشمأزوا اى نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه
وهم الهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم
فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لالهتهم وقيل اذا اراد
استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر الهتهم حين قرأ والنجم
عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما
غاية فى بابه لان الاستبشار ان يمتلى قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز
ان يمتلى غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى اديم وجهه فان قلت ما العامل فى اذا ذكر
قلت العامل فى اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فى ما كانوا فيه
يختلفون بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم فى الكفر والعناد فقيل له
ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بينى وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم
وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن
الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وسخط على قاتله و
قالوا الان يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه الاية وروى انه قال على اثره قتل
من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه ولو ان للذين ظلموا ما فى
الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وبدا لهم من الله وعيد لا كنه لفظاعته وشدته ونظيره قوله فى الوعد فلا تعلم نفس ما
اخفى لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط فى حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم
وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيئات وعن سفيان الثورى انه قرأها فقال ويل
لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى اية من كتاب
الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لى من الله ما لم احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا اى سيئات
اعمالهم التى كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحايفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه
الله ونسوه او اراد بالسيئات انواع العذاب التى يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات
كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ونزل بهم واحاط جزاء
هزئهم فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا التخويل مختص بالتفضل يقال

قوله ولو كانوا لا يملكون شيئا قط تنبيه لقوله على هذه الصفة والواو فى ولو كانوا للحال والعامل يشفعون المقدر بعد الهمزة

العامل فى اذا الاولى هو العامل فى اذا الفجاءة وهو فاجاؤا واذا الثانية فان اذا الاولى ظرف فاجاؤا واذا الثانية مفعول به لفاعل

وعلى هذا الوجه يكون الاضافة بمعنى اللام بخلاف الوجه الاول فان الاضافة فيه تكون بمعنى فى

خولناه اذا اعطاك على غير جزاء قال انما اوتيته على علم اى على علم منى انى ساعطاه لما فىّ من فضل واستحقاق او على علم من الله بى وباستحقاقى او على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى فان قلت لم ذكر الضمير فى اوتيته وهو للنعمة قلت ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعم وقسما منها ويحتمل ان تكون ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذى اوتيته على علم بل هى فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون انكار لقوله كانه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة اى ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا اعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله لانه فى معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته فان قلت ما السبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى اول السورة بالواو قلت السبب فى ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما فى الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله فى الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجرأة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة فى اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هى الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت من اى وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدودهم عنه قلت فى هذا التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجئ بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه فى جعله سببا فى الالتجاء فانت تحكى ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله قد قالها الذين من قبلهم الضمير فى قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء من مشركى قومك سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع

سنين فقيل لهم اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها لا تقنطوا من رحمة الله قرئ بفتح النون وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا يعنى بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط فى القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن فى حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفى قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضى الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظير نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله تعالى ولا يخاف عقباها وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التى حرم الله فنزلت وروى انه اسلم عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضى الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع فى حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة واتبعوا احسن ما انزل اليكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وانتم لا تشعرون اى يفجأكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم ان تقول نفس كراهة ان تقول فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج فى الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه ❊ اتانى كريم ينفض الرأس مغضبا ❊ وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ❊ ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقرئ يا حسرتا على الاصل ويا حسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه على ما فرطت فى جنب الله والجنب الجانب يقال انا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه قال سابق البربرى ❊ اما تتقين الله فى جنب وامق ❊ له كبد حرى عليك تقطع ❊ وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله ❊ ان السماحة والمروة والندى ❊ فى قبة ضربت على ابن الحشرج ❊ ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفى الحديث من الشرك الخفى ان يصلى الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت فى جنب الله على معنى فى ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت فى الله فما معنى فرطت فى الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر فالمعنى فرطت فى طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك وفى حرف عبد الله

وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت لمن الساخرين
قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه
قال فرطت وانا ساخر اى فرطت في حال سخريتي وروى انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق
اتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك
الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ذهب عمرى في طاعة الشيطان
واسخطت ربى فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن او تقول لو ان الله هدانى
لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين لو ان الله هدانى
لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحى فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن
من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحى فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدى وانما
يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدى عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين
ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه معناه بلى قد هديت بالوحى فكذبت به واستكبرت
عن قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس
فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هدانى ولم يفصل بينهما بآية
قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القراين الثلاث فيفرق بينهن واما ان يؤخر القرينة
الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القراين واما الثانى فلما فيه من نقض
الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب
ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب
فان قلت كيف صح ان يقع بلى جوابا لغير منفى قلت لو ان الله هدانى فيه معنى ما هديت
ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله اى وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه
الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا
بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبايح وتجويز ان يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض و
يظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما و
جنبا متستّرين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء وجوههم مسودة في موضع
الحال اذا كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
وينجى الله الذين اتقوا وقرئ ينجى وينجى بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه
وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اى
ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اى بمنجاة
منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة
بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان
يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة فان قلت
لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين قلت اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام
مستأنف واما على الثاني فمحله النصب على الحال الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل له

مقاليد السموات والارض اى هو مالك امرها وحافظها وهى من باب الكناية لان حافظ الخزاين
ومدبر امرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت عليه مقاليد الملك وهى المفاتيح
ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية فان قلت
ما للكتاب العربى المبين وللفارسية قلت التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من
كونه مهملا فان قلت بم اتصل قوله والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون قلت بقوله
وينجى الله الذين اتقوا اى ينجى الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض
بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شئ من اعمال المكلفين فيها و
ما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شئ في السموات والارض فالله
خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل
سأل عثمان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات
والارض فقال يا عثمان ما سألنى عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله و
بحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير
يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى
مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بآيات الله وتوحيده
وتمجيده اولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون افغير الله منصوب
باعبد وتأمرونى اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك حين قال له المشركون استلم
بعض آلهتنا ونؤمن بالهك او ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمرونى اعبد لانه في معنى تعبدوننى
وتقولون لى اعبد والاصل تأمروننى ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجرى
احضر الوغى الا تراك تقول افغير الله تقولون لى اعبده وافغير الله تقولون لى اعبد فكذلك
افغير الله تأمروننى ان اعبده وافغير الله تأمروننى ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة
من قرأ اعبد بالنصب وقرئ تأمروننى على الاصل وتأمرونى على ادغام النون او حذفها ولقد
اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك وقرئ ليحبطن عملك وليحبطن على
البناء للمفعول ولنحبطن بالنون وبالياء اى ليحبطن الله او الشرك فان قلت الموحى اليهم
جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد قلت معناه اوحى اليك لئن اشركت ليحبطن عملك
والى الذين من قبلك مثله او اوحى اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اى
كل واحد منا فان قلت ما الفرق بين اللامين قلت الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية
لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعنى جوابى القسم والشرط فان قلت كيف صح
هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم قلت هو على سبيل الفرض
والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من
في الارض كلهم جميعا يعنى على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعى اليه ووجود الصارف
عنه فان قلت ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين
بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت
على الردة ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا

لا ذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض آلهتهم
كأنه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم
المفعول عوضا عنه وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم وجوز
الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد لما كان العظيم من الاشياء
اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا
الله حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة
شانه على طريقة التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه
جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما
يروى ان جبريل صلوات الله وسلامه عليه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
ابا القاسم ان الله تعالى يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على
اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله الآية وانما
ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا
اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي
الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان ولا تكتنهها الاوهام
هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من
التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي
تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء عليهم السلام فان
اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتي الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث
والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم
كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المورّبة ولا يفك قيودها المكربة الا هو
وكم آية من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم قد ضيم وسيم الخسف
بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف
قبيلا من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله
والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم هو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده
بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة
ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم
المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبض تسمية بالمصدر كما
روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات
قبضة يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة
واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعة
اي ذات اكلة وذات جرعة تريد انهما لا تفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته

واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف
واحدة فان قلت ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلت جعلها ظرفا موقتا
مشبها للوقت المبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء
كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطوي بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع و
بيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من
علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل الملهي ليتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله
المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلماء
قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين
وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات
على الحال سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف
اليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ
فيه اخرى فان قلت اخرى ما محلها من الاعراب قلت يحتمل الرفع والنصب اما
الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة و
المعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها
معلومة بذكرها في غير مكان فاذا هم قيام وقرئ قياما ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات
نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف
والجمود في مكان لتحيرهم واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين و
الشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون
قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك
والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب
ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل
واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم
بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان
ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجوز فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض
من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس
يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد
بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح الآية باثبات
العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت
به واغتصت واشرقها كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحائف الاعمال و
لكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة
والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها
فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر

وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ويوم
نذر منكم فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار لا يوم القيمة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا بلى
اتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملان
لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة
العذاب وهو الكفر والضلال قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس
او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حتى هي التي يحكى بعدها
الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة
ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين
وقيل حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا
عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة
لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها فان قلت كيف عبر
عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها
بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد
بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار
الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين
السوقين وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا
فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين
لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف
بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان
يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب
خالدين مقدرين الخلود وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من
الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه
مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن
تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا فان قلت
ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة
لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره
وترى الملائكة حافين من حول العرش محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون
سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين وقضي بينهم بالحق فان قلت الام
يرجع الضمير في قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار
وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم

وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم
في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق فان قلت قوله وقيل الحمد لله رب العالمين من
القائل ذلك قلت المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق
وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين الذين
خافوا وعن عائشة رض ان رسول الله صلعم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر صدق

سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد
قيل في الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهي خمس وثمانون
آية وقيل اثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم قرئ بامالة الفاء
وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات
نحو اين وكيف والنصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتانيث والتعريف او للتعريف وانها على زنة
اعجمي نحو قابيل وهابيل غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو
اليه المصير التوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال
لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل فان قلت كيف اختلفت
هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله معارف قلت اما
غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب
الان او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك
ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير
شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات
نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان
كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم
عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان
يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا
فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من
عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك
ان يفعل ذاك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء
الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز
ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر
لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا
سلكت طريقة الابدال فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة
جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة
من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروي

ان عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع فى هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدنى الله ان يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله له ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق سجل على المجادلين فى آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم فى استنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد فى سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا فى القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز بين جدال وجدال **فان قلت** من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله **قلت** من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله تعالى بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم فى عينه ولا يغره اقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون فى بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقرئ لا يغرك الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل امة من هذه الامم التى هى قوم نوح والاحزاب برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ فاخذتهم يعنى انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار انهم اصحاب النار فى محل الرفع بدل من كلمة ربك اى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة او فى محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهما انهم من اصحاب النار وقرئ كلمات الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا روى ان حملة العرش ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون

طرفهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفى الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وقرأ ابن عباس العرش بضم العين **فان قلت** ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون **قلت** فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء فى غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهى التنبيه على ان الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من فى الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء فى ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعى التناسب فى قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن فى مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك فى الايمان يجب ان يكون ادعى شئ الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوى وارضى قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلى والتناسب الحقيقى حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن فى الارض ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم اى يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا **فان قلت** تعالى الله عن المكان فكيف يصح ان يقال وسع كل شئ **قلت** الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شئ فى المعنى والاصل وسع كل شئ رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شئ **فان قلت** قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده **قلت** معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التى نهجها لعباده ودعا اليها ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم اى الملك الذى لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعى الحكمة وموجب حكمتك ان تفى بوعدك وقهم السيئات اى العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هى الصغائر والكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة **فان قلت** فما الفائدة فى استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون

المغفرة والله لا يخلف الميعاد **قلت** هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب
وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذرياتهم
ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون اى
ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم
فاستغنى بذكرها مرة اذ تدعون الى الايمان فتكفرون واذ تدعون منصوب بالمقت الاول
والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء
يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم فى
النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم
فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع فى موضع
ابلغ الانكار واشده قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اماتتين واحياءتين او
موتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء اجالهم وبالاحياءتين
الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس **فان قلت** كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة
قلت كما صح ان يقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم
الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة
ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب فى صحته ان الصغر والكبر
جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع
احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الاخر فجعل صرفه عنه كنقله
منه ومن جعل الاماتتين التى بعد حيوة الدنيا والتى بعد حيوة القبر لزمه اثبات ثلاث احياءات
وهو خلاف ما فى القران الا ان يتمحل فيجعل احديها غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم فى القبور
وتستمر بهم تلك الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم فى المستثنين من الصعقة فى قوله الا من شاء
الله **فان قلت** كيف تسبب هذا لقوله فاعترفنا بذنوبنا **قلت** قد انكروا البعث فكفروا
وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق فى المعاصى فلما راوا الاماتة
والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم
التى اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج اى الى نوع من الخروج سريع
او بطئ من سبيل قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب
عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله
ذلكم اى ذلكم الذى انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان
يشرك به تؤمنوا بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم
بالعذاب السرمد وقوله العلى الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون
الا كذلك وهو الذى يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم
الا لله من هذا هو الذى يريكم اياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها

وينزل لكم من السماء رزقا والرزق المطر لانه سببه وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ
وما يعتبر بايات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره
واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله اى اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك ولو كره
الكافرون وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح
من امره على من يشاء من عباده رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح ثلاثة اخبار لقوله هو
مترتبة على قوله الذى يريكم او اخبار مبتدأ محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع
الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذى المعارج وهى مصاعد الملائكة الى ان
تبلغ العرش وهى دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز
ان يكون عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هى درجات
ثوابه التى ينزلها اولياءه فى الجنة الروح من امره الذى هو سبب الحيوة من امره يريد الوحى
الذى هو امر بالخير بعث عليه فاستعار له الروح كما قال او من كان ميتا فاحييناه لينذر يوم
التلاق لينذر الله او الملقى عليه وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر اى لتنذر الروح لانها تؤنث
او على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيمة لان
الخلائق تلتقى فيه وقيل يلتقى فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم هم
بارزون ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا
عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله
منهم شئ اى من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه منهم شئ **فان قلت** قوله لا
يخفى على الله منهم شئ بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شئ برزوا او لم يبرزوا
فما معناه **قلت** معناه انهم كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى
لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل
ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم
وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسئل
فى ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله
الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيمة فى صعيد واحد بارض بيضاء كانها سبيكة
فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
اليوم تجزى كل نفس الاية فهذا يقتضى ان يكون المنادى هو المجيب اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب لما قرر ان الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى
ان كل نفس تجزى ما كسبت وان الظلم مامون لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا
يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو اسرع الحاسبين
وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا اخذ فى حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا
فيها وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر الازفة القيمة سميت لازوفها اى لقربها
ويجوز ان يريد بيوم الازفة وقت الخطة الازفة وهى مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع

قلوبهم عن مقارّها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروّحوا
ولكنها معترضة كما تنشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت كاظمين
بم انتصب قلت هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين
عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما
جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين
وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز ان يكون حالا عن قوله وانذرهم
اى وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين ما للظالمين من حميم ولا شفيع
يطاع الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفّع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا
تكون الا لمن فوقك فان قلت ما معنى قوله ولا شفيع قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة
والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع
وحده وانك عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه
ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله
قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون
ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم
لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن
ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب
بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض
حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة
جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة
لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت
على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه وما لي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد
السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس
لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان
ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف
غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه يعلم خائنة الاعين الخائنة صفة للنظرة او مصدر
بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب
ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت
بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي
الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى
قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله
لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والذين يدعون من دونه وآلهتكم لا يقضون
بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي ولا يقضي ان الله هو
السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون

ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر
وقرئ يدعون بالياء والتاء اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم
كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق
ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب هم في
كانوا هم اشد منهم فصل فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا
بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام
فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم و
عددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم او اراد واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا ولقد
ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما
جاءهم بالحق بالنبوة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم فان قلت
اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة
بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس
في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول
وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم
اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار ما خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان
فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع اعاده عليهم
غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده
ضائع في الكرتين جميعا وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا اذا هموا بقتله كفوه بقولهم ليس
بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا
مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة
والظاهر ان فرعون كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان
فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه
هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله
وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى
تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع
اني اخاف ان يبدل دينكم يعني ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام
بدليل قوله ويذرك وآلهتك او ان يظهر في الارض الفساد والفساد في الارض التفاتن والتهارج
الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا
كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن
بسببه وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا
وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب اي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء
من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون وقال موسى اني عذت بربي وربكم لما سمع موسى عليه

بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه انى عذت بالله الذى هو ربى وربكم وفى قوله و
ربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال
من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ
واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة
نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع فى الرجل التجبر والتكذيب
بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم
يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وقرئ عت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل
فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك
كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال
عضد فى عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون
صفة لرجل او صلة ليكتم اى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب وقيل خربيل او
حزبيل والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بنى اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه
قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على
انه يتنصح لقومه ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كأنه قال اترتكبون
الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة قط فى ارتكابها الا كلمة الحق التى نطق بها وهى
قوله ربى الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه
الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر
من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اى وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا
القول من غير روية ولا فكر فى امره وقوله بالبينات يريد البينات العظيمة التى عهدتموها وشهدتموها
ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا
فعليه كذبه اى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان
تعرضتم له **فان قلت** لم قال بعض الذى يعدكم وهو نبى صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم
كله لا بعضه **قلت** لانه احتاج فى مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم
ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم
انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل فى تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم
بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه
وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق فى جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض
الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا
فضلا ان يتعصب له او يرمى بالحصى من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا
القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب **فان قلت** فعن ابى عبيدة انه
فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها
قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسألة العلقى كان اجفى من ان يفقه
ما اقول له ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم

يستقم له امر فتتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات
وقيل لما تولى ابو بكر رضى الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشد من ذلك طاف
بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذى تنهانا عما كان يعبد اباؤنا
فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول
ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه
وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر رضى الله عنه ظاهرا يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ظاهرين فى الارض
فى ارض مصر عالين فيها على بنى اسرائيل يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا
تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم وقال
ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بان الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قال
فرعون ما اريكم الا ما ارى اى ما اشير عليكم برأى الا بما ارى من قتله يعنى لا استصوب
الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الرأى الا سبيل الرشاد يريد سبيل
الصواب والصلاح او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم
خلاف ما اظهر يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا
للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر
على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من
ارشد كجبار من اجبر وليس بذلك لان فعالا من افعل لم يجئ الا فى عدة احرف نحو دراك و
سئار وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات
غير منظور فيه الى الفعل وقال الذى آمن يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى
الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر
على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا وقال
الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى
وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم
فان قلت بم انتصب مثل الثانى **قلت** بانه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته
الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان
لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما
للعباد يعنى ان تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله
وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان
عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كأنه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى
قوله ولا يرضى لعباده الكفر اى لا يريد لهم ان يظلموا يعنى انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين
ويا قوم انى اخاف عليكم يوم التناد التنادى ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف من قوله و
نادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم

بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه
وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة
صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين
ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب
الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما
زلتم في شك مما جاءكم به هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابرهيم بن
يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر
الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بان يوسف عليه السلام اتاكم بالمعجزات فشككتم
فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى اذا هلك قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
حكما من عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول
جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا
بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده
مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي
كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب اي مثل
هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار الذين يجادلون بدل من من هو مسرف **فان قلت** كيف جاز ابداله منه وهو
جمع وذاك موحد **قلت** لانه لا يريد مسرفا واحدا وكانه قال كل مسرف **فان قلت**
فما فاعل كبر **قلت** ضمير من هو مسرف **فان قلت** اما قلت هو جمع ولهذا ابدل منه
الذين يجادلون **قلت** بلى هو جمع في المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير
الراجع اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله نظائر ويجوز
ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير
في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان
اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف
ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا
ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكبائر وقرئ
سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما
كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وعلا فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو
الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على ذي قلب متكبر بجعل الصفة لصاحب القلب
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله
موسى واني لاظنه كاذبا قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد
اشتقوه من صرح الشيء اذا ظهر واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها
وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه **فان قلت** ما فائدة هذا

التكرير

التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات **قلت** اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشانه
فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها
امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوق
اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وكذلك
ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمزين اما
الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل واما الله تعالى على وجه
التسبيب لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وقرئ و
زين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله الى اله موسى وصد
بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل وما كيد فرعون الا
في تباب والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو
وقومه وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا
متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر
او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي ادعوكم
الى النجوة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم
الى العزيز الغفار قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها
لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله ويجلب
الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هي الوطن والمستقر
وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط عما يزلف ثم وازن بين
الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار
وحذر وانذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم ان الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة
عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقيه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء
العذاب وفي هذا ايضا دليل بين على ان الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه
تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى الا مثلها
لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة
فحسنة لانها فضل وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان
جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح
فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة **فان قلت** لم كرر نداء
قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني **قلت** اما تكرير النداء ففيه زيادة
تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه
خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان
سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابرهيم عليه السلام في نصيحة ابيه
يا ابت واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي
الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة

دعاه الى كذا ودعا له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له به علم اى بربوبيته والمراد بنفى
العلم نفى المعلوم كأنه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم انما
تدعوننى اليه ليس له دعوة لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه
قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما فى حيزه فاعله اى حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى
كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اى كسب
ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز
ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق
فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اى لا قطع
لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام
اى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون
الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه ان ما تدعوننى
اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اى من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد
اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية
ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله فى الدنيا ولا فى الآخرة يعنى انه فى الدنيا جماد لا
يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفى الآخرة اذا انشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته
وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع فى الدنيا وفى الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة
التى لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى
عليه باسم الجزاء فى قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه
لا يستجيبون لهم بشئ وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار المسرفين عن قتادة
المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون
فستذكرون ما اقول لكم وقرئ فستذكرون اى فيذكر بعضكم بعضا وافوض امرى الى الله لانهم
توعدوه ان الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق
انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون سوء العذاب ما هموا به من تعذيب
المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل
فرعون اشد العذاب النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء
العذاب فقيل هو النار او مبتدأ خبره يعرضون عليها وفى هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من
عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم وقرئ
النار بالنصب وهى تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب
على الاختصاص غدوا وعشيا فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله تعالى اعلم
بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة
عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد عذاب جهنم
وقرئ ادخلوا آل فرعون اى يقال لخزنة جهنم ادخلوهم **فان قلت** قوله وحاق بآل فرعون سوء
العذاب معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه

منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم
قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانهم هموا بسوء فاصابهم
ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط فى الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم
فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل
نمرود ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما اضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب
القبر واذ يتحاجون واذكر وقت يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا
تباعا كخدم فى جمع خادم او ذوى تبع اى اتباع او وصفا بالمصدر فهل انتم مغنون عنا نصيبا
من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين
عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها **فان قلت** هل يجوز ان يكون كلا حالا قد
عمل فيها فيها **قلت** لا لان الظرف لا يعمل فى الحال متقدمة كما يعمل فى الظرف متقدما تقول
كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما فى الدار زيد ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان
ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما من العذاب لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها **فان قلت** هلا قيل الذين فى النار لخزنتها
قلت لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هى ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام
بعيدة القعر وقولهم فى النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقى الشعر على لسان المنتسب اليه
فهو بعيد الغور فى علمه بالشعر كما قال ابو نواس فى خلف الاحمر قليذم من العيالم الخسف وفيها
اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله
فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا
فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اولم تك تأتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم
اوقات الدعاء وعطلوا الاسباب التى يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ
على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن فى الشفاعة مع مراعاة وقتها
وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على
الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اى فى الدنيا والآخرة يعنى انه يغلبهم فى
الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله
فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب
واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم
لتكونوا شهداء على الناس يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم واليوم الثانى بدل من الاول
يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاؤوا بمعذرة لم تكن مقبولة
لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اى سوء
دار الآخرة وعذابها وقرئ تقوم ولا تنفع بالياء والتاء ولقد آتينا موسى الهدى يريد
بالهدى جميع ما آتاه هو فى باب الدين من المعجزات والتورية والشرائع واورثنا بنى اسرائيل
وتركنا على بنى اسرائيل من بعده الكتاب اى التورية هدى وذكرى لاولى الالباب ارشادا

وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال وأولو الألباب المؤمنون به العاملون
بما فيه فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار
يعني أن نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله تعالى لا يخلف واستشهد بموسى
وما آتيناه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وإبقاء آثار هداه في بني إسرائيل والله ناصرك
كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملكك مشارق الأرض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك
قومك من الغصص فإن العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك وإعلاء كلمتك حق وأقبل على
التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والإبكار
وقيل هما صلاتا العصر والفجر إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم
إلا كبر إلا تكبر وتعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك
ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل
ملك ورياسة أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا
ما سبقونا إليه أو إرادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه أي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه
وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا
يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار
وهو آية من آيات الله فيرجع إلينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم
فاستعذ بالله فالتجئ إليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك إنه هو السميع لما تقول ويقولون
البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فإن قلت كيف اتصل قوله
لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس بما قبله قلت إن مجادلتهم في آيات الله كانت
مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا
مقرين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين
فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق
مثله ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم
أهواءهم وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون
ضرب الأعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء أعم إن
الساعة لآتية لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لأنه لا بد من جزاء ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ادعوني اعبدوني والدعاء
بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة
الإثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني أثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وأبشروا فإنه حق على الله
أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري أنه قيل له ادع الله فقال
إن ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث إذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء أعطيته أفضل ما أعطي
السائلين وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ
هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لأن الدعاء باب
من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه قول ابن عباس أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله

هذه الأمة ثلاثا لم يعطهن إلا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي أنت شاهدي على خلقي
وقال لهذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني أستجب لك وقال لنا ادعوني أستجب لكم وعن ابن عباس
وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد سيدخلون جهنم داخرين
صاغرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس و
لكن أكثر الناس لا يشكرون مبصرا من الإسناد المجازي لأن الإبصار في الحقيقة لأهل
النهار فإن قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولا لهما
فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدى
الآخر ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الإسناد المجازي ولو قيل ساكنا و
الليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم
تتميز الحقيقة من المجاز فإن قلت هلا قيل لمفضل أو لمتفضل قلت لأن الغرض تنكير
الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك إنما يستوي بالإضافة فإن قلت فلو قيل
ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم
هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله إن الإنسان لكفور إن الإنسان لربه لكنود
إن الإنسان لظلوم كفار ذلكم المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد
هو الله خالق كل شيء لا إله إلا هو أخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية
والربوبية وخلق كل شيء وإنشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فأنى تؤفكون
فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات
الله يجحدون ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم تكن فيه همة طلب الحق و
خشية العاقبة أفك كما أفكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء
الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هذه أيضا دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة
وهي أنه جعل الأرض مستقرا والسماء بناء أي قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لأن السماء
في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الأرض فأحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد
قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى
في أحسن تقويم هو الحي لا إله إلا هو فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة من الشرك
والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا إله إلا الله
فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما
جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين فإن قلت أما نهي رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه قلت
بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى
أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر
البينات ذكرا لأدلة العقل والسمع جميعا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر تناصر

الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى فى ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها
كافية هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم
ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل
محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك
لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على
التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس
من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما فى ذلك
من العبر والحجج هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فاذا قضى امرا فانما
يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر
من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا
كان اهون شئ واسرعه الم تر الى الذين يجادلون فى ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا
بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب فان قلت وهل قوله فسوف يعلمون
اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم الا مثل قولك سوف اصوم امس قلت
المعنى على اذ لان الامور المستقبلة لما كانت فى اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر
عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب
وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل و
وجهه انه لو قيل اذ اعناقهم فى الاغلال لكان قوله اذ الاغلال فى اعناقهم لكان صحيحا مستقيما
فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره مشائيم ليسوا
مصلحين عشيرة ولا ناعب كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون ثم فى النار يسجرون
من سجر التنور اذا ملاءه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اى ملئ ومعناه انهم فى النار
فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التى
تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك انا عائذون بجوارك ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون
من دون الله قالوا ضلوا عنا اى غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فان قلت
اما ذكرت فى تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون
بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم قلت يجوز ان يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل
لهم اينما كنتم تشركون من دون الله يغيثوكم ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم فى جميع اوقاتهم
الا انهم لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى تبين لنا انهم
لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ
اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن
آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض
بغير الحق وبما كنتم تمرحون ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق
وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى
لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى

المتكبرين عن الحق المستخفين به مثويكم او جهنم فان قلت اليس قياس النظم ان يقال فبئس
مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل فى المسجد فنعم المصلى قلت الدخول
الموقت بالخلود فى معنى الثواء فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم فاما
نرينك اصله فان نريك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك
لا تقول ان تكرمنى اكرمك ولكن اما تكرمنى اكرمك فان قلت لا يخلو اما ان يعطف
او نتوفينك على نرينك وتشركهما فى جزاء واحد وهو قوله فالينا يرجعون فقولك فاما نرينك
بعض الذى نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذى
هو نتوفينك بقى المعطوف عليه بغير جزاء قلت فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك
محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان نتوفينك
قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن
بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتى باية الا باذن
الله قيل بعث الله تعالى ثمانية الاف نبى اربعة الاف من بنى اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس
وعن على رضى الله عنه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا فى اقتراحهم الايات
على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعنى انا ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم
ان يأتى باية الا باذن الله فمن لى بان آتى باية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن فى الاتيان
بها فاذا جاء امر الله قضى بالحق وعيد ورد عقيب اقتراح الايات وامر الله القيمة وخسر
هنالك المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها سحرا
الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى
صدوركم الانعام الابل خاصة فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتأكلوا
منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة فى صدوركم
قلت فى الركوب فى الحج والغزو وفى بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين
او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما
الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذى لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى
الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر فان قلت
هلا قيل وفى الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قلت معنى الايعاء و
معنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح
المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ويريكم اياته فاى ايات الله
تنكرون فاى ايات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات الله قليل لان
التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى اى
اغرب لابهامه افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا
اكثر منهم واشد قوة واثارا فى الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون واثارا قصورهم
ومصانعهم وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما نافية او مضمنة معنى

الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعنى اى شئ اغنى
عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه
منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم فى قوله بل ادارك علمهم فى الاخرة وعلمهم فى الاخرة
انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى
عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا
يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون
ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بنى يونان وكانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه
وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى صلوات الله وسلامه عليه وقيل
له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها ان يوضع قوله
فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة
فى نفى فرحهم بالوحى الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها
ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات
وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما رأوا جهلهم المتمادى واستهزاءهم بالحق
وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا
الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور
الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهى ابعد شئ من علمهم لبعثها على رفض
الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا
علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا
به مشركين البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس فان قلت اى فرق بين قوله
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلت هو من
كان فى نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم
فان قلت كيف ترادفت هذه الفاآت قلت اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا
اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم
كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله
فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم
لما رأوا بأس الله سنت الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون سنة الله
بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان اى وخسروا
وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضى بالحق
اى وخسروا وقت مجئ امر الله او وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب ان جعلت حم اسما
للسورة كانت فى موضع المبتداء وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتداء
محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف وجوز الزجاج ان يكون
تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ فصلت
آياته ميزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد
وغير ذلك وقرئ فصلت اى فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها
من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اى اريد بهذا الكتاب
المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اى فصلت آياته فى حال كونه قرآنا
عربيا لقوم يعلمون اى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم
العربى المبين لا يلتبس عليهم شئ منه فان قلت بم تعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز
ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اى تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون
صفة مثل ما قبله وما بعده اى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات
بشيرا ونذيرا وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدأ محذوف فاعرض اكثرهم فهم لا
يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه
لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى
آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب والاكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل
وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كانها فى غلف واغطية
تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد
المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو
عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل ونحوه فلا تلاقى ولا ترائى فاعمل على دينك
اننا عاملون على ديننا او فاعمل فى ابطال امرنا اننا عاملون فى ابطال امرك وقرئ انا
عاملون فان قلت هل لزيادة من فى قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت نعم
لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة
من فالمعنى ان الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة
بالحجاب لا فراغ فيها فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفى آذاننا وقر ليكون الكلام
على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق فى المعنى بين قولك قلوبنا فى اكنة وعلى
قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم فى
اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا فى المعانى قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فان قلت من اين كان قوله انما انا بشر مثلكم
يوحى الى جوابا لقولهم قلوبنا فى اكنة قلت من حيث انه قال لهم انى لست بملك وانما انا بشر
مثلكم وقد اوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وانا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى
وفيما يوحى الى ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة
غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسوله لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء

وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر وويل للمشركين الذين لا
يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع
الزكوة مقرونا بالكفر بالاخرة قلت لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه
فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته
الا ترى الى قوله عز وعلا ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المولفة قلوبهم الا بلمظة من
الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة و
تخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة وقيل كانت
قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما
يكونون به ازكياء وهو الايمان ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون الممنون
المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى
والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ائنكم بهمزتين الثانية بين بين
وآئنكم بالف بين همزتين ذلك الذي قدر على خلق الارض في مدة يومين هو رب العالمين
وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت فان قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله
وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي
قلت لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان
وانما اختار ارساءها فوق الارض ليكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها
وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها
عز وعلا بقدرته وبارك فيها واكثر خيرها وانماه وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم
وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام سواء فذلكة لمدة خلق
الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل
خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال
الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث
الجر على الوصف والنصب على استوت سواء اي استواء والرفع على هي سواء فان قلت
بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال كم خلقت
الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها
من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج فان قلت هلا
قيل في يومين واي فائدة في هذه الفذلكة قلت اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر
ان الارض خلقت في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين ان تقول
في يومين وان يقول في اربعة ايام سواء فكانت في اربعة ايام سواء فائدة ليست
في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال

في يومين وقد يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخرين
اكثرهما ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء
الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا
اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف
يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا
فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين
ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد
تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه
فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على
ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع
لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شيء من الخطاب
والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني فلم يتركني
وراءي الحجر الذي ورائي فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان
والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها
بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحيها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من
الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى
الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات
كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض
قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرا آتيا وآتينا من المواتاة وهي
الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري
ومشيئتي ولا تمتنعا فان قلت ما معنى طوعا او كرها قلت هو مثل للزوم تاثير قدرته
فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او
ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين او مكرهين فان قلت
هلا قيل طائعين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات
ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين فقضاهن
سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا
ذلك تقدير العزيز العليم فقضاهن يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين
ونحوه اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين
ان احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس و
الجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة
وفي هذا دليل على ان ما ذكرت من انه لو قال في يومين في موضع اربعة ايام سواء لم نعلم انهما
يومان كاملان ام ناقصان فان قلت فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها

اقواتها في يومين كاملين وقيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سواء **قلت** الذي اورده سبحانه اخصر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات وتتضاعف الثواب امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك او شانها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فان اعرضوا بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذاب شديد الوقع كانه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم **فان قلت** الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون **قلت** قد جاءتهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤهم وقوله انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم ان في ان لا تعبدوا بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف اي لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم آلهتنا فتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا

الا انك قد صبأت فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة وعظم الاجرام او استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق الولاية وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده **فان قلت** القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين شيء واحد **قلت** القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم وكانوا بآياتنا يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون الصرصر العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر واما ثمود وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد **فان قلت** اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة **قلت** للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم تكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة ويوم يحشر قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اي يحشر الله عز وجل اعداء الله الكفار من الاولين والآخرين الى النار فهم يوزعون

يحبس اولهم على آخرهم اي تستوقف سوابقهم حتى تلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار
نسأل الله ان يجيرنا بسعة رحمته فان قلت ما معنى قوله حتى اذا ما جاؤها ما هي قلت
مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم
ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون
وقت ايمانهم به شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون شهادة الجلود بالملامسة
الحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاؤهم
وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود
الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون اراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما اراد به في قوله
والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر
على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم
لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم وما كنتم
تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين المعنى انكم كنتم تستترون
بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم
لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكنكم انما استترتم
لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلك الظن هو الذي اهلككم
وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا
كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا
منه مع الملأ ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الضالين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع
بالابتداء وظنكم وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارداكم الخبر فان يصبروا
فالنار مثوى لهم فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وان يستعتبوا فما
هم من المعتبين وان يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا ولم يعطوا
العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وعلا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين اي ان يسئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم
وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة
قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين فان قلت كيف جاز ان يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع
خطواتهم قلت معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى
الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم
وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة
وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم قد خلت من قبلهم من الجن
والانس في جملة امم ومثل في هذه ما في قوله ان تك على احسن الصنيعة ما فوكا ففي آخرين قد افكوا

يريد فانت في جملة آخرين فانت في عداد آخرين لست في ذلك باوحد فان قلت في امم ما محله
قلت محله النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم انهم
كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وقرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى يلغى ولغا يلغو
واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له
اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما اشبه ذلك حتى
تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش توصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء
اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة
اسوأ بما اغنى عن اعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة
ذلك جزاء اعداء الله النار ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذي
كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف فان قلت
ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قلت معناه ان النار في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة وتقول لك
في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون اي جزاء بما كانوا
يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن
والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين اي الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس
لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
والجن وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل
لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه
اعطنا اللذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا
قلته بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء و
اصله الاحضار ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في
المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا
لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي
استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل
وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني
بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند
الموت وفي القبر واذا قاموا من قبورهم ان لا تخافوا ان بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله

بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا
والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى
ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وقيل لا تخافوا لما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتم نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها
ما تدعون نزلا من غفور رحيم كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة
اولياء المتقين واحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه

ای تمنون ما تطلبون ... (marginal note)

تعبدون الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى
او الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن اياته كن في معنى الايات فقيل خلقهن
فان قلت اين موضع السجدة قلت عند الشافعي تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله
لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابي حنيفة رح لا يسامون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن
عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم
الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان

قوله او لما عطف على قوله لان حكم ... (marginal note)

تنبيه نظر لانه قال في الروضة الاصح انها عقب لا يسأمون

بلسان نفقهه ااعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا اقرآن اعجمي ورسول
عربي او ومرسل اليه عربي وقرئ اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس
كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار
بان القرآن اعجمي والمرسل او والمرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على اي طريقة جاءتهم
وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن
هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت كيف
يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع في انكار
المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب عجمي ومكتوب اليه عربي وذلك
لان مبنى الانكار على تنافي حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة
فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا تراك تقول وقد رأيت
لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو
لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما قل
هو اي القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك
فان قلت والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به
قلت لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على
معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا
على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في
آذانهم وقر على حذف المبتدأ او في آذانهم منه وقر وهو عليهم عمى وقرئ وهو عليهم عم وعمي
كقوله تعالى فعميت عليكم اولئك ينادون من مكان بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه
اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت
فلا يسمع النداء ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو
هو باطل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب والكلمة السابقة
هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله
بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى من عمل صالحا فلنفسه فنفسه نفع ومن اساء
فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة اي
اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه وقرئ من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة
اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد
ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك
ويوم يناديهم اين شركائي اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله تعالى اين شركائي الذين كنتم
تزعمون وفيه تهكم وتقريع قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا
يدعون من قبل اي ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك وما منا الا
من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها

في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة
ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا
ما لهم من محيص والمحيص المهرب فان قلت آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذا قد آذنوه
فلم سئلوا قلت يجوز ان يعاد عليهم اين شركائي اعادة للتوبيخ واعادته في القرآن على سبيل
الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا
لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء
للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت لا يسأم
الانسان من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير
وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيؤس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول
ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله
وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض
او سعة بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل
واعمال بر او هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وما
اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ونحو قوله تعالى وما اظن الساعة
قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون فان كانت على طريق التوهم
ان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا امر الآخرة على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر
امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت
ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ
فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم
يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا
يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك واذا انعمنا على الانسان
اعرض هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله تعالى بنعمة ابطرته النعمة وكأنه
لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ في
الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار
له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ وناي بجانبه بامالة الالف وكسر النون
للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى فان قلت حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه
قلت فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما
فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله و
نفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول
الكتاب بحضرة فلان وبمجلسه وكتبت الى جهته وجانبه العزيز يريدون نفسه وذاته

فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد أخبروني إن كان القرآن من عند الله يعني أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده ونصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد بربك في موضع الرفع على أنه فاعل كفى وأنه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم وقرئ في مرية بالضم وهي الشك ألا إنه بكل شيء محيط عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الرسل من قبلك الله يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور وأوحاه من قبلك إلى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحي إليك ولكن على لفظ

المضارع ليدل على أن إيحاء مثله عادته وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول فإن قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم فإن قلت فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم وقرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الأعرابي الإبل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله تعالى وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه فإن قلت لم قال من فوقهن قلت لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الأرضين فإن قلت كيف صح أن يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الأرض يدل على جنس أهل الأرض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا تستغفر إلا لأولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله إلا إياهم ألا ترى إلى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا إلى أن قال إنه كان حليما غفورا وقوله وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فإن قلت قد فسرت قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت أما على أحدهما فكأنه قيل تكاد السموات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الأرض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثاني فكأنه قيل يكدن ينفطرن من إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها إليه الجاهلون به حامدين له على ما أولاهم من ألطافه التي علم أنهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني أهل الأرض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن أهلها

أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا
في ذلك من المصالح وحرصاً على نجاة الخلق وطمعاً في توبة الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا من
دونه أولياء جعلوا له شركاء وأنداداً الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها
شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم إلا هو وحده وما أنت عليهم بوكيل وما أنت
يا محمد بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم ولا قسرهم على الإيمان إنما أنت منذر فحسب وكذلك
أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة
وفريق في السعير ومثل ذلك أوحينا إليك وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أن الله هو الرقيب
عليهم وما أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لأن هذا المعنى كرره الله تعالى في كتابه في مواضع جمة
فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآناً عربياً حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي
بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الإنذار ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى
مصدر أوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينا إليك قرآناً عربياً بلسانك لتنذر يقال
أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدي الأول أعني لتنذر أم القرى إلى المفعول الأول والثاني و
هو قوله وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثاني أم القرى أهل أم القرى كقوله واسأل القرية و
من حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيامة لأن الخلائق
تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الأرواح والأجساد وقيل يجمع
بين كل عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير بالرفع والنصب فالرفع على
منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم
أي متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون **فإن قلت** كيف يكونون مجموعين
متفرقين في حالة واحدة **قلت** هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم
كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وإن أريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على
معنى مشارفتهم للتفرق ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته
والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير لجعلهم أمة واحدة أي مؤمنين كلهم على القسر والإكراه
كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً
والدليل على أن المعنى هو الإلجاء إلى الإيمان قوله تعالى أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
وقوله تعالى أفأنت تكره بإدخال همزة الإنكار على المكره دون فعله دليل على أن الله تعالى
وحده هو القادر على هذا الإكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعاً
على الإيمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين
في رحمته وهم المرادون بمن يشاء ألا ترى إلى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين
بغير ولي ولا نصير في عذابه أم اتخذوا من دونه أولياء معنى الهمزة في أم الإنكار فالله
هو الولي هو الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو
الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي الموتى أي ومن شأن هذا الولي أنه يحيي الموتى وهو على كل شيء
قدير فهو الحقيق أن يتخذ ولياً دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب

والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكمه فحكم ذلك المختلف مفوض إلى الله
وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الله ربي ذلكم الحاكم بينكم هو ربي
عليه توكلت في رد كيد أعداء الدين وإليه أنيب أرجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه
وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا
على حكومته حكومة غيره كقوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وقيل وما
اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر
من سنة رسول الله وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم و
لا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل
الروح من أمر ربي **فإن قلت** هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في أحكام الشريعة **قلت**
لا لأن الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطر السماوات والأرض قرئ
بالرفع والجر فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف والجر على فحكمه إلى الله فاطر
السماوات وذلكم إلى أنيب اعتراض بين الصفة والموصوف جعل لكم خلق لكم من أنفسكم من جنسكم
من الناس أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً ومعناه وخلق للأنعام أيضاً من أنفسها أزواجاً
يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرء أخوات فيه
في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد
والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع إلى المخاطبين والأنعام مغلباً فيه المخاطبون العقلاء
على الغيب مما لا يعقل وهو من الأحكام ذات العلتين **فإن قلت** ما معنى يذرؤكم في هذا
التدبير وهلا قيل يذرؤكم به **قلت** جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير
ألا تراك تقول للحيوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته
قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو
على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك
أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه وفي حديث
رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد إلى طهارته
وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله
شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي
المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد
ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر حتى إنهم استعملوها فيمن لا
يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد
كما كررها من قال: وصاليات ككما يؤثفين. ومن قال: فأصبحت مثل كعصف مأكول له مقاليد
السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقرئ ويقدر إنه بكل شيء عليم فإذا علم
أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك
وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء

ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله و
كتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح للامم
على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل
ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستيناف كانه قيل
وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة كبر على
المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد الله يجتبي
اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء ويهدي اليه من ينيب
من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه وما تفرقوا يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد
ما جاءهم العلم بغيا بينهم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه
على السنة الانبياء ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى وهي عدة التأخير الى يوم القيمة
لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل
الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفي شك منه مريب لفي شك
من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك
الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين
بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما
تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب التورية والانجيل
وقرئ ورثوا فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع
الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرت
كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب باي
كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض
كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا وامرت لاعدل
بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا و
بينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا
ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا واليه المصير
يوم القيمة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة
والالزام فان قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت
وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة والذين يحاجون
في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام
ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى

بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام حجتهم داحضة
باطلة زالة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي انزل الكتاب بالحق اي جنس
الكتاب والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به
بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب
من التحليل والتحريم وغير ذلك وما يدريك لعل الساعة قريب الساعة في تأويل البعث فلذلك قيل
قريب او لعل مجيء الساعة قريب فان قلت كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب
والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكانه قيل امركم الله بالعدل
والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى
ويطفف لمن طفف يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها
الحق الا ان الذين يمارون في الساعة المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه
لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز
على انها اتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على انه لا بد من دار الجزاء الله لطيف بعباده بر
بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من
كلياته وجزئياته فان قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت
كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد
تتفاوت على حسب قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر
ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم للآخر
فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الاخر على
انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء
العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثا على
المجاز وفرق بين عملي العاملين بان من عمل للاخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله
للدنيا اعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط
في الاخرة ولم يذكر في معنى عامل الاخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا
محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب ام لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله معنى الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرع
لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم
متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالتهم
وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابرهيم عليه السلام انهن اضللن كثيرا من الناس
ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة
لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم
وقرأ مسلم بن جندب وان الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير

تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين في الآخرة مشفقين خائفين
خوفا شديدا ارق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد ووباله واقع بهم
وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير كأن روضة جنة المؤمن اطيب بقعة
فيها وانزهها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاؤن ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا
وعملوا الصالحات قرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب
الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول
كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده قل لا اسئلكم
عليه اجرا روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسأل على ما
يتعاطاه اجرا فنزلت هذه الآية الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسألكم
اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت
صلتهم لازمة لهم في المروة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسألكم اجرا قط ولكنني اسألكم ان
تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم فان قلت هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة
للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي
في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة
للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال
في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى
بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين
وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناؤهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من
يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة
الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وروي ان
الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم
الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا
تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك او لم يكذبوك
فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في
ايدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات
شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا
الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره
ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس
الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب

آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين
عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض
آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني في القربى
اي في حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله يعني
انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني
ولا تهيجوا علي وقيل اتت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول
الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على
ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم
اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها
حسنا عن السدي انها المودة في آل رسول الله صلعم نزلت في ابي بكر الصديق رض ومودته
فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل
ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كأن سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد اي
يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهي مصدر كالبشرى ان الله غفور شكور
الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب ام يقولون
افترى على الله كذبا ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل ايتمالكون ان ينسبوا
مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشأ الله يختم
على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور فان يشإ الله يجعلك
من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من
كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك
بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله
خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان
يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ومن عادة الله ان يمحو الباطل
ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان
مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز ان
يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب
ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله
عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن
ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه
بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم فان قلت ان كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ
غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط قلت كما سقطت في قوله تعالى ويدع الانسان
بالشر وقوله تعالى سندع الزبانية على انها مثبتة في بعض المصاحف وهو الذي يقبل التوبة

عن عباده فقال قبلت منه الشئ وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدأ
قبولى ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال
بالواجب بالندم عليهما والعزم ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح والاخلال بالواجب وان كان فيه
لعبد حق لم يكن بد من التقصى على طريقه وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له على رضى الله عنه
يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير
المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع
الفرايض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس
مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر ويعلم ما تفعلون قرئ بالتاء والياء
اى يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف فى قوله واذا كالوهم اى يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم
من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ويزيدهم على الثواب تفضلا او اذا دعوه استجاب
دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اى يستجيبون له
بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من
فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال
لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا ولو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض من البغى وهو الظلم اى لبغى هذا على ذاك و
ذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلم
اخوف ما اخاف على امتى زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمى ينبت بيننا
وبين بنى رومان نبعا وشوحطا يعنى انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغى والتغابن او من
البغى وهو البذخ والكبر اى لتكبروا فى الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد
وقيل نزلت فى قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا
نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها ولكن ينزل
بقدر ما يشاء بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا انه بعباده خبير بصير يعرف ما تؤول
اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى
ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا
فان قلت قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم
فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغى
بدون البسط فلم شرطه قلت لا شبهة ان البغى مع الفقر اقل ومع البسط اكثر و
اغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغى والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغى حتى
ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا قرئ قنطوا
بفتح النون وكسرها وينشر رحمته اى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب

وعن عمر رضى الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه
الآية ويجوز ان يريد رحمته فى كل شئ كأنه قال ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر غيرها من
رحمته الواسعة وهو الولى الذى يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته
ومن آياته خلق السموات والارض وما بث يجوز ان يكون مجرورا او مرفوعا يحمل على المضاف
اليه او المضاف فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب فى الارض وحدها قلت
يجوز ان ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد
او شجاع بطل وانما هو فى فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله
نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون
للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسى ولا يبعد ان
يخلق فى السموات حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض سبحان الذى خلق ما نعلم وما لا نعلم
من اصناف الخلق وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضى قال
الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشاء قال الشاعر واذا ما اشاء ابعث منها آخر الليل ناشطا
مذعورا وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فى مصاحف اهل العراق فيما
كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفى مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على
ان ما مبتدأ وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع
ان يستوفى الله تعالى بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال
والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شئ من الم او غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن النبى صلى الله عليه وسلم
ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من
لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر
فى احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات فى كل اوان وجناياته فى طاعته اكثر من جناياته
فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته
بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله فى القيمة ولولا عفاه ورحمته لهلك فى اول خطوة وعن على
رضى الله عنه وقد رفعه من عفى عنه فى الدنيا عفى عنه فى الآخرة ومن عوقب فى الدنيا لم يثن
عليه العقوبة فى الآخرة وعنه رضى الله عنه هذه ارجى آية للمؤمنين فى القرآن وما انتم بمعجزين
فى الارض بفائتين ما قضى عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولى من متول بالرحمة
ولا نصير ومن آياته الجوار فى البحر الجوارى السفن وقرئ الجوار كالاعلام كالجبال قالت الخنساء
كانه علم فى رأسه نار ان يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل
ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجرى على ظهره على ظهر البحر ان فى ذلك لآيات
لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذى
وكل همته بالنظر فى آيات الله فهو يستملى منها العبر او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم
الذين يجادلون فى آياتنا يوبقهن يهلكهن والمعنى انه ان يشأ يبتل المسافرين فى البحر باحدى بليتين
اما ان يسكن الريح فيركد الجوارى على متن البحر ويمنعهن من الجرى واما ان يرسل الريح عاصفة
فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعفو عن كثير منها فان قلت علام عطف يوبقهن

قلت على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرق بعصفها فان
قلت فما معنى ادخال العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت معناه او ان يشأ يهلك
ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت فمن قرأ ويعفو قلت قد استأنف الكلام
فان قلت فما وجوه القراءات الثلاث فى ويعلم قلت اما الجزم فعلى ظاهر العطف
واما الرفع فعلى الاستيناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم
الذين يجادلون ونحوه فى العطف على التعليل المحذوف غير عزيز فى القرآن منه قوله تعالى ولنجعله
آية للناس وقوله خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب
على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على وانا
اكرمك وان شئت واكرمك جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه فى كتابه قال واعلم ان النصب
بالفاء والواو فى قوله ان تأتنى آتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله والحق بالحجاز فاستريحا
فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه فى الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب
انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذى لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا
فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام
ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظايرها من الآيات المشكلة
فان قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قال او ان يشأ يجمع بين ثلاثة
امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص من محيد عن عقابه فما اوتيتم من شىء
فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ما الاولى
ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية عن على رضى الله عنه اجتمع لابى
بكر رضى الله عنه مال فتصدق به كله فى سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون
فنزلت والذين يجتنبون عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر الاثم الكبائر
من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك والفواحش واذا ما غضبوا
هم يغفرون اى هم الاخصاء بالغفران فى حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم
الناس والمجىء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون ٥
والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون نزلت
فى الانصار دعاهم الله للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه واقاموا الصلوة
واتموا الصلوات الخمس وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم اى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه
وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى
قوله وامرهم شورى بينهم اى ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمر بن الخطاب الخلافة شورى والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون هو ان يقتصروا فى
الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعى انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان
يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق فان قلت اهم محمودون على الانتصار قلت نعم
لان من اخذ حقه غير متعد حد الله وما امر به فلم يسرف فى القتل ان كان ولى دم او رد على

سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود وجزاء سيئة سيئة مثلها كلتا
الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل
بمثلها من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله فمن عفا واصلح بينه وبين خصمه بالعفو
والاغضاء كما قال فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم فاجره على الله عدة مبهمة
لا يقاس امرها فى العظم وقوله انه لا يحب الظالمين دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه
تجاوز السوية والاعتداء خصوصا فى حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازى من الظالمين
وهو لا يشعر وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله
اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال
لهم ادخلوا الجنة باذن الله ولمن انتصر بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة
من قرأ بعد ما ظلم فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعائب
والعائب انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالظلم ويبغون فى الارض بغير الحق
يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر عن الظلم والاذى وغفر
ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك لمن عزم الامور وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف
من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا فى مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم
ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون
وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر فى بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه
وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغى وقطع مادة الاذى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عائشة رضى الله عنهما بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهى فقال
لعائشة رضى الله عنها دونك فانتصرى ومن يضلل الله ومن يخذل الله فما له من ولى من بعده
فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى
مرد من سبيل وتريهم يعرضون عليها خاشعين من الذل متضائلين متقاصرين مما يلحقهم
من الذل وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين ينظرون من طرف خفى اى يبتدئ
نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفى بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر
الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل فى نظره المحاب
وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفى وفيه تعسف وقال
الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين فى
عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من
سبيل يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا فى الدنيا واما ان
يتعلق بقال اى يقولون يوم القيمة اذا رأوهم على تلك الصفة استجيبوا لربكم من قبل
ان يأتى يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما
ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ من الله من صلة لا مرد اى لا يرده الله
بعد ما حكم به او من صلة يأتى اى من قبل ان يأتى من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير

الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه و
دون في صحايفكم عما لكم وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة
ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من
الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران
ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم
كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لله ملك السموات
والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا و
اناثا ويجعل من يشاء عقيما لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان
له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده ما يقتضيه مشيئته فيخص بعضا
بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط
فان قلت لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف
الذكور بعد ما قدم الاناث قلت لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان
بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث
لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة
ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء
ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم
لان التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين
لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف ان تقديمهن
لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل
منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط
عليهما السلام اناثا ولابرهيم عليه السلام ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى
وعيسى عليهما السلام عقيمين انه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء وما
صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على ثلاثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف
في القلب والمنام كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليهما السلام في ذبح ولده وعن مجاهد
اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الابرص واوحى الي الله
ان قد تأمروا بابل ابي اوفى فقمت على رجلي اي الهمني وقذف في قلبي واما على ان يسمعه كلامه
الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي
وقوله من وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب
فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما ان يرسل اليه
رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى
الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم

ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب
ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او
مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام
خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك
ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما
قاله وكيلك او رسولك وقوله او من وراء حجاب اي او اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى
ان يوحي وعطف ان يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان يرسل فعليه
ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقرئ
او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي
ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى
ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت وعن عايشة رضي الله
من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية
انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى
بغير واسطة اما الهاما واما خطابا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه
لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فان
قلت قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى
قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان
بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل
المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر قلت الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق
اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما
كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله
الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور صراط الله بدل وقرئ لتهدي
اي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ حم عسق
كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية الا قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن
وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب
القسم والمقسم عليه وكونهما من باب واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض والمبين
البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان
طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما يحتاج اليه الامة في ابواب الديانة جعلناه بمعنى

صيرناه متعدياً الى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآناً
عربياً حال لعلكم تعقلون ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اى
خلقناه عربياً غير عجمي ارادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وانه فى أم
الكتاب لدينا لعلي وقرئ أم الكتاب بالكسر وهما اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ
سمي بأم الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ على رفيع الشأن فى الكتب
لكونه معجزاً من بينها حكيم ذو حكمة بالغة اى منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت
فى أم الكتاب هكذا افنضرب عنكم الذكر صفحاً بمعنى فننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز
من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وقال طرفة
اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف تقديره
انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكاراً لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه
قرآناً عربياً ليعقلوه ويعملوا بمواجبه وصفحاً على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض
منتصب على انه مفعول له على معنى فنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضاً عنكم واما
بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى فننحيه عنكم جانباً فينتصب
على الظرف كما تقول ضعه جانباً وامش جانباً وتعضده قراءة من قرأ صفحاً بالضم وفى هذه القراءة
وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال اى صافحين معرضين ان كنتم
قوماً مسرفين لان كنتم وقرئ ان كنتم واذ كنتم **فان قلت** كيف استقام معنى ان الشرطية
وقد كانوا مسرفين على البت **قلت** هو من الشرط الذي ذكرت انه تصدر عن المدل بصحة
الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل
فى كلامه ان تفريطك فى الخروج عن الحق فعل من له شك فى الاستحقاق مع وضوحه استجهالا
له وكم ارسلنا من نبي فى الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن وما يأتيهم حكاية
حال ماضية مستمرة اى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن
استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشاً الضمير فى اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف
الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اى سلف
فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها ان تسير مسير المثل وهذا
وعد لرسول الله صلعم ووعيد لهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم الذي جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء
ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون **فان قلت** قوله ليقولن خلقهن العزيز
العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة
ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله تعالى فما وجهه **قلت** هو من قول الله لا من
قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها
الى الذي هو اوصافه وليسندنه اليه بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفاناً
والذي خلق الازواج كلها والازواج الاصناف وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
اى تركبونه **فان قلت** يقال ركبوا الانعام وركبوا فى الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال

تركبونه **قلت** غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه
لتستووا على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان
يذكروها معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بألسنتهم وهو ما يروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى
على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر
ثلاثاً وهلل ثلاثاً وقالوا اذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي
لغفور رحيم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه رأى رجلاً ركب دابة فقال سبحان
الذي سخر لنا هذا فقال أبهذا امرتم فقال وبم امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل
التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها
جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرهم فما احسن بالعاقل النظر فى لطائف الصناعات فكيف
بالنظر فى لطائف الديانات وما كنا له مقرنين مطيقين يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن هرمة
واقرنت ما حملتني وقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة اقرنه وجده قرينته وما
يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم فى الضعيف لا تقرن به الصعبة
وقرئ مقرنين والمعنى واحد **فان قلت** كيف اتصل بذلك قوله وانا الى ربنا لمنقلبون **قلت**
كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين فى
سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر واتصالاً بسبب من اسباب التلف
كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من اسباب التلف ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك
لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعداً
للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته فى علم الله وانه غافل
عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل او فى بعض الزوارق فيركبون
حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب
او فى بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره ولقد بلغني
ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت
به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به فى هذه
الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من عباده جزءاً متصل بقوله و
لئن سألتهم اى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك
الاعتراف من عباده جزءاً فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءاً ان قالوا الملائكة
بنات الله فجعلوهم جزءاً له وبعضاً منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءاً له ومن بدع التفاسير
تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء فى لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب
ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتاً وبيتاً
ان اجزأت حرة يوماً فلا عجب زوجتها من بنات الاوس مجزئة وقرئ جزؤ بضمتين ان
الانسان لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران

كله ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا
من شانهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو
الاناث دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ المقت الى ان وادوهن
كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد جائزة فرضا وتمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة
ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات
وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن
يشاء الذكور واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبها
لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا
يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت
لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امرأته
وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت ما لابي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شينا وانما نأخذ ما اعطينا ظل وجهه مسودا وهو
كظيم والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على
ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال او من ينشأ في الحلية وهو
في الخصام غير مبين او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ
في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير
مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن
عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وفيه
انه جعل النشأة في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل ان
يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا و
اخشوشبوا وتمعددوا وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ
وينشأ ويناشأ ونظير المناشاة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا
اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم
وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا وانثا
جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث وقرئ اشهدوا خلقهم واشهدوا بهمزتين
مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالف بينهما وهذا تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير ان
يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا
به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم
التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب
بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن ما
عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون هما كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات
الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيئة الله كما يقول

اخوانهم المجبرة فان قلت ما انكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه
جادين لكانوا مؤمنين قلت لا دليل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل
على ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه
اتخذ بنات واصفيهم بالبنين وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي
الذي هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق
الهزء فبقي ان يكونوا جادين ويشترك كلها في انها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده
مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله
تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء
كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او
هازئا فان قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا
يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر
ونحوه قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء
كذلك كذب الذين من قبلهم ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون الضمير في من قبله
للقرآن او الرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند
الى علم ثم قال ام آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم
بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل قالوا بل لا حجة لهم يستمسكون
بها الا قولهم انا وجدنا اباءنا على امة على دين وقرئ امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد
فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها
الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة وانا على آثارهم مهتدون على آثارهم مهتدون
خبران او الظرف صلة لمهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم
فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قال او لو جئتكم باهدى
مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين
اباءكم قالوا انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى واذ قال
ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون وقرئ براء بفتح الباء وضمها وبرئ فبرئ وبراء
نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر
والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك الا الذي فطرني فانه سيهدين الذي فطرني
فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين
وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كانه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي فطرني
فان قلت كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما تعبدون من وجهين احدهما ان ذات الله

مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم
والاوثان معبودة **قلت** قالوا كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وان تكون الا صفة بمعنى
غير على ان ما في تعبدون موصوفة تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني
فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا **فان قلت** ما معنى قوله سيهدين على
التسويف **قلت** قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كانه قال فهو
يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها وجعل ابرهيم
عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة
باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون لعل
من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابرهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ
كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت هؤلاء وآباءهم
يعني اهل مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع
الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين مبين
الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوحد
منهم من رجاه ابرهيم عليه السلام وقرئ بل متعنا **فان قلت** فما وجه من قرأ متعت بفتح التاء
قلت كان الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال
بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد و
اراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في
زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو
الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك اليه وغرضه
بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله **فان قلت** قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع
ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم فما طريقة هذا النظم ومؤداه **قلت** المراد بالتمتيع ما هو سبب له
وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى
جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها من غفلتهم لاقتضائها التنبه
ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها و
هو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله و
شرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله تعالى في تخير محمد من اهل زمانه
بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهو الغاية في تشوير صورة امرهم وقرئ
على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما و
القريتان مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو
ابن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة
الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل
هذا القرآن علي او على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون

ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى
جاؤا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين الرجلين وقولهم هذا القرآن ذكر له
على وجه الاستهانة به وارادوا بعظم الرجل رئاسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم ان
العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما
يجمعون هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم
المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها
الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم
وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم
تدبيرا عالما بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم
اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم
في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على
مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير
امر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي
هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى
حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز
في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا **فان قلت** معيشتهم ما يعيشون به من المنافع
ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال **قلت**
الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها
ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته
من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله
فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسونها صفة الحرمة بسوء تناولهم
وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها
يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين لبيوتهم بدل
اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان تكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ
سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمها جمع سقف كرهن ورهن ورهن
وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كأنه لغة في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج
جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون
السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرف
التضعيف لما متاع الحيوة اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي
هو متاع الحيوة كقوله مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما
كل ذلك الا لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده

من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اى ولولا كراهة ان يجمعوا على الكفر ويطبقوا عليه
لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة و
جعلنا لهم زخرفا اى زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا
من فضة وزخرف يعنى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفى معناه
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر
منها شربة ماء **فان قلت** فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى اليها التوسعة
عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس
على الاسلام **قلت** التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما تؤدى اليه من الدخول فى الاسلام لاجل
الدنيا والدخول فى الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل فى
الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو
له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون قرئ ومن يعش بضم الشين
وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل
عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى
تأته تعشو الى ضوء ناره اى تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء
وهو بين فى قول حاتم اعشو اذا ما جارتى برزت حتى يوارى جارتى الخدر وقرئ يعشو على ان
من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالرفع
ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمى واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام
عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشيطان كقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء الم تر انا
ارسلنا الشياطين وقرئ يقيض اى يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان **فان قلت** لم جمع
ضمير من وضمير الشيطان فى قوله وانهم ليصدونهم **قلت** لان من مبهم فى جنس العاشى
وقد قيض له شيطان مبهم فى جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع
الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا العاشى وقرئ جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه قال لشيطانه
يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران
فان قلت فما بعد المشرقين **قلت** تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب
من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم
انكم فى العذاب مشتركون انكم فى محل الرفع على الفاعلية يعنى ولن ينفعكم كونكم مشتركين
فى العذاب كما ينفع الواقعين فى الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم فى تحمل اعبائه وتقسمهم
لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا يبلغه طاقته ولك ان تجعل الفعل
للتمنى فى قوله يا ليت بينى وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمنى مباعدة القرين
وقوله انكم فى العذاب مشتركون تعليل اى لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم
فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى
الممنو بشدة من منى بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسى الذى ذكرته الخنساء اعزى

النفس عنه بالتأسى فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه **فان قلت**
ما معنى قوله اذ ظلمتم **قلت** معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة فى انكم
كنتم ظالمين وذلك يوم القيمة واذ بدل من اليوم ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى تبين
انى ولد كريمة افانت تسمع الصم او تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر
وتماديا فى الغى فانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر
على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله تعالى
ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او
نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط
مستقيم ما فى فاما نذهبن بك بمنزلة لام القسم فى انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة
والمعنى فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون
اشد الانتقام فى الآخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون وان اردنا ان ننجز فى حياتك ما
وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم
بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك
بالنون الخفيفة وقرئ بالذى اوحى اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء
عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرناه الى اليوم الآخر فكن متمسكا بما اوحينا اليك وبالعمل به
فانه الصراط المستقيم الذى لا يحيد عنه الا ضال شقى وزد كل يوم صلابة فى المحاماة على
دين الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شئ من اللين والرخاوة فى امرك ولكن كما يفعل الثابت الذى
لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون وان الذى
اوحى اليك لشرف لك ولقومك ولسوف تسئلون عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم
له وشكركم على ان رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته و
لكنه مجاز عن النظر فى اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من
ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله
فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لا حاجة
الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة
الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول من قال سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك
وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم
جمع له الانبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل
وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التوراة والانجيل وعن الفراء هم انما
يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى
فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين ما اجابوه به عند قوله انى رسول رب العالمين
محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم باياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه

واراز الآية اذا هم منها يضحكون اى يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجاة
فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة قلت لان فعل المفاجاة معها مقدر
وهو عامل النصب فى محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاوا وقت ضحكهم وما نريهم من
آية الا هى اكبر من اختها فان قلت اذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما اختها
التى فضلت عليها فى الكبر من بقية الآيات قلت اختها التى هى آية مثلها وهذه صفة كل
واحدة منها فكان المعنى على انها اكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة
بعد واحدة كما تقول هو افضل رجل رأيته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رأيتهم اذا قرئتهم
رجلا رجلا فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من آية من التسع الا وهى اكبر من
كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة فى حالة واحدة قلت الغرض بهذا
الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة فى الاشياء التى تتلاقى
فى الفضل وتتقارب منازلهم فيهم التقارب اليسير ان يختلف اراء الناس فى تفضيلها فيفضل
بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم افضل من
بعض وربما اختلفت آراء الرجل فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التى يسرى بها السارى وقد فاضلت الانمارية
بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت
اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون
ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادة
فعل غيره ليس الا ان يأمره به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار
بين ان يوجد وان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن
قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك وقالوا يا ايه الساحر
الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك وقرئ يا ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فان
قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون قلت قولهم اننا لمهتدون وعد
منوى اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب الا ترى
الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم
اننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك
من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت به وهو
الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون فى قومه
قال يا قوم جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء فى مجامعهم واماكنهم من
نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون
عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه فى جموع القبط فكانه نودى
به بينهم فقال اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون يعنى انهار النيل
ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجرى تحت قصره
وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى وبساتينى ويجوز ان يكون الواو عاطفة

عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها وان يكون الواو للحال واسم الاشارة
مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدأ وليت شعرى كيف ارتقت الى دعوى الربوبية
همة من تعظم بملك مصر وعجبا للناس من مدى عظمته وامر فنودى بها فى اسواق مصر وازقتها
لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع فى صدور الدهماء مقدار عزته
وملكوته وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها اخس عبيدى فولاها الخصيب وكان على
وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال اهى
القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال اليس لى ملك مصر والله لهى اقل عندى من ان ادخلها
فثنى عنانه ام انا خير من هذا الذى هو مهين ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون
ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده
بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة على بل انا خير والهمزة للتقرير
وذلك انه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجرى الانهار تحته ونادى بذلك
وملأ به مسامعهم ثم قال انا خير كانه يقول اثبت عندكم واستقر انى انا خير وهذه حالى من
هذا الذى هو مهين اى ضعيف حقير وقرئ اما انا خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة
يريد انه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو فى نفسه مخل بما ينعت
به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم ابيناء بلغاء فلولا القى عليه اسورة
من ذهب واراد بالقاء الاسورة القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل
سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين اما مقترنين به من
قولك قرنته به فاقترن به واما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن
بينه وبين موسى صلوات الله وسلامه عليه ووصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال
هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره وقرئ اساورة
جمع اسورة واساور جمع اسوار وهو السوار واساورة على تعويض التاء من ياء اساوير وقرئ
القى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فاستخف قومه فاطاعوه انهم
كانوا قوما فاسقين فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفزه
من قولهم للتخفيف فز فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين
آسفونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث فى موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة
اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا فى المعاصى وعدوا اطوارهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا و
انتقامنا وان لا نحلم عنهم وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف
اى فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة اى ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار
يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا عجيب الشان سائرا
مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه
يصدون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولآلهتنا
ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست

ترعم ان عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما
وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم
ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم ونزلت
هذه الاية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله بعبادة
النصارى اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا
بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا
تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون
عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما
وقالوا أآلهتنا خير ام هو يعنون ان الهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار
كان امر الهتنا هينا ما ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة
في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج
كقوله قوما لدا وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون ما اريد به الا الاصنام وكذلك قوله
عليه السلام هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد به الانبياء
والملائكة الا ان ابن الزبعرى بخبه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله
محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف
معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة
والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان الاية خاصة في الاصنام على ان ظاهر قوله وما تعبدون
لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من
النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير ام هو على هذا
القول تفضيل لالهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما
قالوا هذا القول يعني الهتنا خير ام هو الا للجدل وقرئ الهتنا خير باثبات همزة الاستفهام
وباسقاطها لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا ويجوز ان يكون
جدلا حالا اي جادلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان
نعبده وانه يستأهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون
يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه و
بين الهتهم السخرية والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم
ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن
اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى
شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل
بباطل ان هو وما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه آية بان خلقناه من
غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وجعلناه مثلا وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر
لبني اسرائيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا

رجال ملائكة في الارض يخلفون يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى
من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام
وذات القديم متعالية عن ذلك وانه وان عيسى عليه السلام لعلم للساعة اي شرط من اشراطها
تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ
ابي لذكر على تسمية ما تذكر به ذكرا كما سمي ما تعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل
على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة
وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام يؤم بهم فيتأخر الامام
فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر
الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقرآن
وان القرآن به تعلم الساعة لان فيه الاعلام بها فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعون
واتبعوا هداي وشرعي ورسولي وقيل هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله
هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن ان جعل الضمير في وانه للقرآن
ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين قد بانت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة
ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات
الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة يعني الانجيل والشرائع ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فان قلت
هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات وما
يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم
ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من امر دينهم فاختلف الاحزاب من بينهم الاحزاب الفرق المتحزبة
بعد عيسى عليه السلام وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وعيد
للاحزاب فان قلت من بينهم الى من يرجع الضمير فيه قلت الى الذين خاطبهم عيسى في
قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم
بغتة ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة فان قلت
اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت لا لان معنى قوله
وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز
ان تأتيهم وهم فطنون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يومئذ منصوب
بعدو اي ينقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وينقلب عداوة و
مقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا راوا ثواب التحاب
في الله والتباغض في الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت في ابي بن
خلف وعقبة بن ابي معيط يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا
بآياتنا يا عبادي حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ والذين آمنوا منصوب
المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف اي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين
وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي

منادٍ يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين
وقرئ يا عباد ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره
على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج يكرمون إكراما
يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب و
فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون الكوب الكوز لا عروة له وفيها
الضمير للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهاة في القلوب
وإما مستلذة في العيون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون وتلك إشارة إلى
الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والتي أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدأ
الذي هو اسم الإشارة والتي أورثتموها خبر المبتدأ أو التي أورثتموها صفة وبما كنتم
تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبارا وفي الوجه الأول تتعلق
بأورثتموها وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون من للتبعيض أي لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية
في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها إن
المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه
الحمى إذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها وهم فيه مبلسون والمبلس اليائس الساكت
سكوت يائس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه
خالدا لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين هم فصل عند البصريين عماد
عند الكوفيين وقرئ وهم فيها أي في النار ونادوا يا مالك وقرأ علي وابن مسعود يا مال بحذف
الكاف للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ
ونادوا يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون
بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ أبو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار
ليقض علينا ربك من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن
يقضي علينا فإن قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالإبلاس قلت
تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكتون أوقاتا لغلبة اليأس
عليهم وعلمهم أنه لا فرج ويغوثون أوقاتا لشدة ما بهم قال إنكم ماكثون لابثون وفيه
استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس إنما يجيبهم بعد ألف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون
يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد
جئتكم ويجب أن يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم
الله بذلك ولكن أكثركم للحق كارهون لا يقبلونه وينفرون منه ويشمئزون لأن مع
الباطل الدعة ومع الحق التعب أم أبرموا أبرم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم
برسول الله صلعم فإنا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله أم يريدون كيدا فالذين

كفروا هم المكيدون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم كانوا يتنادون فيتناجون في أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت السر ما
حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعهما ونطلع
عليهما ورسلنا يريد الحفظة لديهم عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر
من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله أهون الناظرين إليه
وهو من علامات النفاق قل إن كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه
وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول العابدين فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم
إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض
والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا
مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة
الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة
وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلي للمجبر إن كان الله خالقا للكفر
في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بإله فمعنى هذا الكلام
وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن
على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب
إليه والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز
من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له أما والله لأبدلنك
بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به
من هذا الأسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه
فقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة
الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد
يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم عبدين وقيل هي إن النافية أي ما كان
للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروي أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال
إن الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة
ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له
وقرئ ولد بضم الواو سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون نزه ذاته
موصوفة بربوبية السموات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام
ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في
دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض
واللعب وإعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجون
التوبة وأن ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله تعالى اعملوا ما شئتم
وإيعاد بالشقاء في العاقبة وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم
ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم

فطي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض كانه ضمن معنى المعبود او المالك او نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا ان المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل ان تكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد في الارض وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما شهد به عن بصيرة وايقان واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وقيله قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير في وقيله لرسول الله صلعم واقسام الله تعالى بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة [illegible] مكية الا [illegible] انا كاشفوا العذاب قليلا [illegible] وخمسون وقيل تسع

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف اذا كانت حم مقسما بها وقوله انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك

وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك قال الله عز وعلا يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه السلام ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا وما اعطي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك انه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان **فان قلت** ما معنى انزال القرآن في هذه الليلة **قلت** قالوا انزل جملة واحدة من السماء السابعة الى سماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما **فان قلت** انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين **قلت** هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى بها بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امرهم منها الى الاخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي نفرق بالنون كل امر حكيم كل شأن ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا

وندبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه آمرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل فان قلت انا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق قلت يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا القرآن لان من شأننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي امر من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بانها مفعول له انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين وقرئ رب السموات وربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك فان قلت ما معنى الشرط الذي هو قوله ان كنتم موقنين قلت كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاءه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون يوم تأتي السماء مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في الدخان فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبه اخذ الحسن انه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند ابواب كندة يقول انه دخان يأتي يوم القيمة فيأخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم

فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وسأحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد في انه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان وهذا عذاب الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب انى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهال فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة كقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم فان قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان يحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وقرئ فتنا بالتشديد للتأكيد او لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام او ابتلاهم بارسال موسى عليه السلام اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم وجاءهم رسول كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اني لكم رسول امين ان هي المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث ادوا الي عباد الله مفعول به وهم بنوا اسرائيل يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله

على وحيه ورسالته وان لا تعلوا على الله ان هذه مثل الاولى في وجهيها اى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبى الله انى آتيكم بسلطان مبين بحجة واضحة وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون ان تقتلونى وقرئ عذت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى واقطعوا اسباب الوصلة عنى او فخلونى كفافا لا لى ولا على ولا تتعرضوا لى بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون بان هؤلاء اى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذى استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اى فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون قرئ بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادى وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى يعنى فاسر ببنى اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويغرق التابعين واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون الرهو فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل اى مشيا ساكنا على هينة اراد موسى عليه السلم لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم والثانى ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او فى موضع الرفع على الامر كذلك قوما آخرين ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنوا اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين فى ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم فما بكت عليهم السماء والارض اذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير تبكى عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضى الله عنه من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم فى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وفيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم

فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعنى فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون من فرعون بدل من العذاب المهين كانه فى نفسه كان عذابا مهينا لافراطه فى تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على هل تعرفونه من هو فى عتوه وشيطنته ثم عرف حاله فى ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين اى كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا فى اسرافه او عاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا فى الارض ومن المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا ولقد اخترناهم على علم الضمير فى اخترناهم لبنى اسرائيل وعلى علم فى موضع الحال اى عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات فى بعض الاحوال على العالمين على عالمى زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم وآتيناهم من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التى لم يظهر الله فى غيرهم مثلها ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لينظر كيف يعملون لقوله تعالى وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين هؤلاء اشارة الى كفار قريش فان قلت كان الكلام واقعا فى الحيوة الثانية لا فى الموت فهلا قيل ان هى الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمنشرين كما قيل ان هى الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هى الا موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى قلت والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حيوة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شانها ان يتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التى تصفون بها الموتة من تعقيب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذن بين هذا وبين قوله الا حيوتنا الدنيا فى المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرها اذا بعثها فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين هذا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصى بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم فى النوازل ومعاظم الشؤون اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال باسم الذى ملك برا وبحرا

وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس فان قلت ما معنى قوله اهم خير ولا خير في الفريقين قلت معناه اهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس اهم اشد ام قوم تبع وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن وقرأ عمير بن عمير ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد جزائهم وحسابهم في يوم الفصل يوم لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها عن مولى عن اي مولى كان شيئا من اغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى الا من رحم الله من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه ان شجرت الزقوم قرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بفتح الياء وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال الكلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطايف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداته لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك يغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم فان قلت هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف

على لفظ المبني للمفعول يقال تقيل اباه اذا اشبهه وقيل ذو الاقيال تبع قيل نظرا الى اللفظ والقياس اقوال لانه واوي وهو الملك النافذ القول اصله تقيل من تقيل فخفف

قوله ولا هم ينصرون اي بالشفاعة فان الكفرة في النية بالشفاعة وقيل لا ينصرهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله

لا يستطيع ان يقول الاثيم لان لسانه لا يساعده وقال بل الاثيم اليتيم

ما لا يستقل اسم ان وهو لطايف بيان له

الصب ما انحدر في الارض

الذهر من صبّ وكقوله تعالى فرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك بمعنى لانك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قرأ به على المنبر ان هذا ما كنتم به تمترون ان هذا العذاب او ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون او تمارون وتتلاجون ان المتقين في مقام امين قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخاين فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبر فان قلت كيف ساغ ان يقع في القرآن العربي لفظ اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب كذلك الكاف مرفوع على الامر كذلك او منصوب على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما ان تكون حورا او غير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة لا يذوقون فيها الموت وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت الا الموتة الاولى فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها ووقيهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم بالتشديد فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما اعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل اي ذلك فضل فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة ومعناه ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك بلغتك ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه صلى الله عليه من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية وقيل ست

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا

ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون
واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف
الرياح آيات لقوم يعقلون ان في السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى
ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم فان قلت علام عطف وما يبث على الخلق المضاف
ام على الضمير المضاف اليه قلت بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح
العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه
كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان
زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في السوق واما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على
عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت
الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع
في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت العطف على
عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين
قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء
المجرور معطوفا على ما قبله او على التكرير ورفعها باضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار
بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين
من العباد اذا نظروا في السموات النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا
بالله واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على
ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر
الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها و
تصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر
رزقا لانه سبب الرزق تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي
تلك الآيات آيات الله ونتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من
معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون
اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث
الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل احسن الحديث وقرئ تؤمنون بالتاء والياء ويل لكل
افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه الافاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام ثم يصر
يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه
مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل
نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع
القرآن والآية عامة فيمن كان مضارا لدين الله فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر
مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت
حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد

فمعنى

فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شيء مستبعد في العادات والطباع وكذلك
آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على
الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم كأن مخففة و
الاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله كأن ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة
النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم
انه منها اتخذها اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام
انه من جملة الآيات التي انزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع
الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند
ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو اعتراض
ابن الزبعرى قوله عز وعلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية
نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حين اراد عتبة وقرئ علم اولئك لهم
عذاب مهين اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين من ورائهم جهنم الوراء اسم للجهة
التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال اليس ورائي ان تراخت منيتي ادب مع الولدان
ارجف كالنسر ومنه قوله عز وجل من ورائهم اي من قدامهم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا
ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان اولياء
ولهم عذاب عظيم هذا هدى اشارة الى القرآن يدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم
لان آيات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل يريد كامل في الرجولية
وايما رجل لهم عذاب من رجز اليم والرجز اشد العذاب وقرئ بجر اليم ورفعه الله الذي
سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان
واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فان قلت ما معنى منه في قوله
جميعا منه وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء
كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه
ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله
سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في السموات وما في الارض جميعا منه وان يكون ما في الارض مبتدأ
ومنه خبره وقرأ ابن عباس منة وقرأ سلمة بن محارب منه على ان يكون منه فاعل سخر على
الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك او هو منه قل للذين آمنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها ثم الى ربكم ترجعون حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا
لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون
الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال
ثم نسخ حكمها وقيل نزولها في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به

وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ قارئ هذه الآية فقال
عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراده الله من
توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيمة فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين
آمنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما
مخصوصين لصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص
بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر رضي الله عنه
ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول
الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ ليجزى قوما اي الله عز وجل وليجزى
قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم
والحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة ورزقناهم
من الطيبات مما احل الله لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم
مثل ما آتيناهم وآتيناهم بينات آيات ومعجزات من الامر من امر الدين فما اختلفوا الا من
بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو
موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد ان ربك
يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة على طريقة ومنهاج
من الامر من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي
المتقين ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم
رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم
واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفضل بين الولايتين هذا هذا القرآن
بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا
وحيوة وهدى وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون لمن آمن وايقن
وقرئ هذه بصائر اي هذه الآيات ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم
ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف
والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا
فكانت في حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما
تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع
محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل
محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى
انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيى وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث
عاش هؤلاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء

على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك على اليأس من رحمة الله والوصول
الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين
والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم
كلام مستأنف على معنى ان محيى المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيى المحسنين ومماتهم كل يموت
على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه
الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول
يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس
بما كسبت وهم لا يظلمون ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره
وخلق الله السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس افرأيت من اتخذ الهه هواه
اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ الهة هواه
لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو احسن رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى
يعبد كل وقت واحدا منها واضله الله وتركه من الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك
لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة
والمقربة وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلال
الله وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث وغشوة بالفتح والكسر افلا تذكرون وقرئ تتذكرون
وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى نموت نحن ونحيى ولا دنا او يموت بعض ويحيى بعض
او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة
في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقرئ نحيى بضم النون وما يهلكنا الا الدهر وقرئ
الا دهر يمر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين
كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه
للارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة
بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو
الآتي بالحوادث لا الدهر واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا
ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره فان قلت
لم سمى قولهم حجة وليس بحجة قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها
فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية
بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة
البتة فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وحسبوا ان ما قالوه قول
مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى
الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى
يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان اهون شيء عليه

ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم وترى كل امة جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة تدعى الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والامر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته في جنته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين والمعنى الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا اي قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدة لقاء يومكم وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا فان قلت ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها وقرئ لا يخرجون بفتح الياء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلاثون آية وقيل خمس

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح

وتقدير

وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروا انذروه من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان يكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم ان كنتم صادقين او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ اثرة اي من شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ اثرة على الحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيمة واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الاخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعوا غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقة طريقة التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات قال الذين كفروا للحق واللام في للحق مثلها في قوله للذين آمنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم هذا سحر مبين اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله تعالى له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا قل ان افتريته على

سبيل الغرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا
تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب و
لا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد
الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام لا املك لكم من الله شيئا ثم قال
هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في اياته وتسميته سحرا
تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب
والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران
والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وامنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا فان قلت
فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله فلا تملكون لي قلت كان فيما اتاهم به النصيحة لهم و
الاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم ان افتريته وانا اريد
بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى عبادة الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان
اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى
الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اي ذا بدع ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم
كانوا يقترحون عليه الايات ويسالونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من
الرسل فاتيكم بكل ما تقترحونه فاخبركم بكل ما تسالون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا
ياتون الا بما اتاهم الله من اياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم ولقد اجاب موسى عن قول فرعون
فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وما ادري لانه لا
علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه
ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين وعن الحسن وما ادري ما يصير اليه امري
وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى
المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اأترك بمكة ام اومر بالخروج الى
ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في
الاخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويجوز ان يكون نفيا
للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء اي يفعل الله عز وجل فان قلت ان يفعل مثبت غير
منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت اجل ولكن النفي في ما ادري لما كان مشتملا
عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في خبر ان وذلك لتناول النفي
اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية
مرفوعة وقرئ يوحي اي الله عز وجل قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين جواب الشرط
محذوف تقديره ان كان القران من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف
قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه

هو النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما
اول طعام ياكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما
اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة
كبد الحوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد
انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان
تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله
فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم
عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله و
اشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول
الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي
على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله الضمير للقران اي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني
القران من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان
من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله فان قلت اخبرني
عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم قلت الواو الاولى عاطفة لكفرتم على
فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو
الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره
قولك ان احسنت اليك واسات واقبلت عليك واعرضت لم تتفق فقد اخذت ضميمتين
فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القران من عند الله مع كفركم به واجتمع
شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم
اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فامن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم
ان مثله انزل على موسى وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه
واعترف كان الايمان نتيجة ذلك وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
للذين امنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء
مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء رعاء البهم وقيل
لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما
سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت
لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة وقيل
كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم
فان قلت لا بد من عامل في الظرف في قوله اذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير
مستقيم ان يكون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت

العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن
وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث
انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله حتى يقول الرسول
لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب
موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين
كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار
زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذي قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به في
دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب
موسى ولما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير
الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى
الاشارة وجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء والياء
ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء
بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها وقرئ حسنا
بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة
كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله
وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة
الرضاع اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر
وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى **فان قلت** المراد بيان مدة الرضاع
لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال **قلت** لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به
ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه
فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي يستحكم فيها قوته وعقله
وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه ان يكون
ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة قال رب اوزعني ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد
والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وان اعمل صالحا
ترضيه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس **فان قلت** ما معنى في في قوله واصلح لي
في ذريتي **قلت** معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح
في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك واني من المسلمين
اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق
الذي كانوا يوعدون وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون
فان قلت ما معنى قوله في اصحاب الجنة **قلت** هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من

اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى
كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز
وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة
وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين
والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي الله عنهم والذي قال لوالديه اف
لكما والذي قال مبتدأ خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل
ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث
وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر
قبل اسلامه وقد دعاه ابواه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا
لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسالهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه
ان المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار و
عبد الرحمن كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه
وحين كتب معاوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون
لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت
عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك وانت
في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرئ اف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث
مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام
للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرئ اتعدانني بنونين واتعداني
باحداهما واتعداني بالادغام وقد قرأ بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين
والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن طرح احداهما ان اخرج ان
ابعث واخرج من الارض وقرئ اخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد وهما
يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك آمن
دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك ان وعد الله حق
فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من
الجن والانس انهم كانوا خاسرين في امم نحو قوله في اصحاب الجنة وقرئ ان بالفتح والمعنى آمن
ان وعد الله حق ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء
ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما **فان قلت** كيف قيل درجات وقد جاء الجنة
درجات والنار دركات **قلت** يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال الكل على الفريقين
وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه
قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات و
العقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم
وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله
تعالى النار يعرضون عليها ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض

يريدون عرض الحوض عليها فعلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنهما يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلايق وصناب وكراكر واسنمة ولكني رأيت الله نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآذهبتم بالف بين همزتين فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على الارض بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر والنذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله انذر قومه ولك ان تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين انذر قومه وبين الا تعبدوا ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا أجئتنا لتأفكنا الافك الصرف يقال افكه عن رأيه عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين ان كنت صادقا في وعدك قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اريكم قوما تجهلون فان قلت من اين طابق قوله انما العلم عند الله جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا قلت من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى الى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف يدعونه بان يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه انتم ومعنى وابلغكم ما ارسلت به وقرئ بالتخفيف ان الذي هو شأني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا في الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه اعرب وافصح والعارض

السحاب الذي يعرض في افق من السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن اذا عرض واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله تعالى قل تدمر كل شيء بامر ربها تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين لا ترى للخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا اشياء الا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ لا ترى الا مسكنهم ولا يرى الا مسكنهم وروي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي اول ما عرفوا به انه عذاب اليم انهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله عليهم الاحقاف وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى الريح فزع وقال اني اسألك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فان قلت ما فائدة اضافة الرب الى الريح قلت الدلالة على ان الريح وتصريفها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية اي فيما ما مكناكم فيه الا ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى ان الاصل في مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد اغث ابو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ان ما بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده الاخفش يرجي المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير اية في القرآن هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اي من شيء من الاغناء وهو القليل منه فان قلت بم انتصب اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون قلت بقوله فما اغنى فان قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته

لاساءة ثم ضربته اذا اساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءة ثم فانما ضربته فيه لوجود اساءة ثم
فيه الآن اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى
وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون من القرى من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد اهل
القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان
ما تقرب به الى الله اى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
واحد مفعولى اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثانى آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا
مفعولا ثانيا وآلهة بدل منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك
آلهتهم بل ضلوا عنهم اى غابوا عن نصرتهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون وذلك اشارة الى
امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم اى وذلك اثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة
شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ افكهم والافك والافك كالحذر والحذر
وقرئ وذلك افكهم اى وذلك الاتخاذ الذى هذا اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفّكهم
على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم اى قولهم الافك ذو الافك كما تقول
قول كاذب وذلك افك مما يفترون اى بعض ما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد
لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع انفارا وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه لو كان ههنا احد
من انفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن اى فلما كان بمستمع منهم او لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعضده قراءة من قرأ فلما قضى اى فلما تم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض انصتوا
اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين روى
ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث
فنهض سبعة نفر او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا
تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى
جوف الليل يصلى او فى صلوة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج
اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير ما قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلوا فى صلوته فمروا به فوقفوا
مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال انى امرت ان اقرأ على الجن
الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره
ليلة الجن احد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا
تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال
لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثيابا بيضا
فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر الفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى

طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب
اليم فان قلت كيف قالوا من بعد موسى قلت عن عطاء انهم كانوا على اليهودية وعن
ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى فان قلت لم
بعّض فى قوله من ذنوبكم قلت لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها
ونحوه قوله عز وعلا ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فان قلت هل
للجن ثواب كما للانس قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله و
يجركم من عذاب اليم واليه كان يذهب ابو حنيفة رضى الله عنه والصحيح انهم فى حكم بنى آدم
لانهم مكلفون مثلهم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض اى لا ينجى منه مهرب ولا
يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا وليس
له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض
ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير بقادر محله الرفع لانه خبر ان
يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفى فى اول الآية على ان وما
فى حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل أليس الله بقادر الا
ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال
عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه افعيينا بالخلق الاول ويوم يعرض الذين كفروا على
النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أليس هذا بالحق
محكى بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله
فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم
وما نحن بمعذبين فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الجد والثبات والصبر و
من يجوز ان تكون للتبعيض ويراد باولى العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على اذى قومه
كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على
فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على [illegible] والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه
انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى
لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى فى آدم و
لم نجد له عزما وفى يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان تكون للبيان فيكون اولوا العزم
صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من
نهار ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اى لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان
تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار بلاغ
اى هذا بلاغ اى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك
الا القوم الفاسقون الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ
قراءة من قرأ بلّغ فهل يهلك وقرئ بلاغا اى بلّغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر
اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا ٥

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلثون آية وقيل ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم • الذين كفروا وصدوا • واعرضوا وامتنعوا عن سبيل الله عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضايعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بامرها او جعلها ضالة في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هو عام وقوله وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشانه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط على الدنيا مما اعطاهم من النصرة والتأييد ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ذلك مبتدأ وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم **فان قلت** اين ضرب الامثال **قلت** في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فاذا لقيتم الذين كفروا لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا ان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله

وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم **فان قلت** كيف حكم اسارى المشركين **قلت** اما عند ابي حنيفة واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما رأى الامام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان لا يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعي فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ابي عزة الجمحي وعلى ثمال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الرأي وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب الاتها واثقالها اي الا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانها لما لم يكن لها بد من جرها وكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها آثامها يعني حتى تترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا **فان قلت** حتى بم تعلقت **قلت** لا تخلو من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان تكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة رح اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب والذين قتلوا في سبيل الله وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم ويضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما

يعلم به كل احد منزله ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون
كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله
في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي
كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري او حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة
عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله
ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب
او على محجة الاسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم
كانه قال اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي
نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس
اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس
يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم
كرهوا القرآن وما انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان
في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله
عليهم ما اختص بهم من انفسهم واولادهم واموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها الضمير للعاقبة
المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا ذلك
بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم وفي قراءة
ابن مسعود ولي الذين آمنوا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم احد و
قد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى واجل فنادى
المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون واما قتلاكم
ففي النار يعذبون فان قلت قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية قلت
لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك امرهم واما على معنى الناصر
فهو مولى المؤمنين خاصة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا اياما قلائل ويأكلون غافلين غير
متفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح
والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك وقرئ
وكاين بوزن كاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم كانه قال وكم من قوم هم اشد
قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك فان قلت كيف
قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم
لا ينصرون افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم من زين له
هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه
اي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقرئ امن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه مثل الجنة التي
وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة
للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد
في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي
وعد المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات و
معنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه
وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل
امثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت فلم عري
من حرف الانكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير
لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين
الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل
افرح ان ارزأ الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا هو كلام منكر للفرح برزية الكرام
ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال اتفرح بموت اخيك
وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به فكانه قال له
نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته
كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله
فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان
يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون
في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي رضي الله عنه امثال الجنة اي ما صفاتها
كصفات النار وقرئ اسن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانشد ليزيد بن
معوية لقد سقتني رضابا غير ذي اسن كالمسك فت على ماء العناقيد من لبن لم يتغير
طعمه كما تتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم لذة تانيث لذ
وهو اللذيذ او وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة
الانهار والنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه
ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه
الشمع وغيره ماء حميما قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم واذا شربوه
قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ما
ذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم هم المنافقون كانوا يحضرون
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا
منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان
يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن
ابن عباس انا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا وقرئ انفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج
هو من استانفت الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب منا والذين اهتدوا

زادهم زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن
السدي بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين
هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم
أن تأتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو أن تطؤوهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات و
قرئ إن تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف أهل مكة كذلك
فإن قلت فما جزاء الشرط قلت قوله فأنى لهم ومعناه إن تأتهم الساعة فكيف لهم
ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله تعالى
يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى فإن قلت بم اتصل قوله فقد جاء أشراطها على القراءتين
قلت بإتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالإكرام
أكرمه والأشراط العلامات قال أبو الأسود فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا فقد جعلت
أشراط أوله تبدو وقيل مبعث محمد خاتم الأنبياء عليهم السلام منها وانشقاق القمر والدخان
وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام
وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفني
أن يكون غلطة من الراوي على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة
الحسن فيما تقدم فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم
متقلبكم ومثواكم لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال إذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة
هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع و
هضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم
في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في
القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وأن
يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ
به فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة
الدنيا لعب ولهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد
فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعد ويقول الذين آمنوا لو
لا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال كانوا يدعون الحرص على الجهاد و
يتمنونه بألسنتهم ويقولون لولا نزلت سورة في معنى الجهاد فإذا أنزلت وأمروا فيها بما تمنوا و
حرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون
الناس محكمة غير متشابهة لا تحتمل وجها إلا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال
فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال
نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لأنها حين يحدث
نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة
محدثة وقرئ فإذا أنزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال رأيت الذين
في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام ينظرون إليك نظر المغشي عليه

من الموت أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت فأولى لهم
وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه
طاعة وقول معروف كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي
قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبي يقولون طاعة
وقول معروف فإذا عزم الأمر أي جد والعزم والجد لأصحاب الأمر وإنما يسندان إلى الأمر
إسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى إن ذلك لمن عزم الأمور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص
على الجهاد أو فلو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم لكان خيرا لهم فهل عسيتم إن
توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم عسيت وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو
تميم فيقولون عسى أن يفعل عسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب
وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوبيخ فإن قلت
فما معنى فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض قلت معناه هل يتوقع منكم الإفساد
فإن قلت فكيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وما يكون قلت
معناه إنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة
عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم
عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم
تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور
والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي
قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه توليتم أي إن تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم
ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بإفسادهم وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع و
التقطع أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أولئك إشارة إلى
المذكورين لعنهم الله لإفسادهم وقطعهم الأرحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع
الموعظة وعموا عن إبصار طريق الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين
وأنهم يتشوقون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين
فيما بينهم يضجرون منها أفلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر
ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال أم على قلوب أقفالها وأم بمعنى
بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر وعن قتادة
إذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه
فهلكوا فإن قلت لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها قلت أما التنكير
ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك أو يراد على بعض القلوب
وهي قلوب المنافقين وأما إضافة الأقفال فلأنه يريد الأقفال المختصة بها وهي أقفال
الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ إقفالها على المصدر إن الذين ارتدوا على أدبارهم
من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر

ونعت خبراً لان كقولك ان زيداً عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظايم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعاً واملى لهم ومد لهم في الامال والاماني وقرئ واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم كقوله انما نملي لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير المضاف فان قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التورية وقيل هم المنافقون ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر الذين قالوا القائلون اليهود والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم او بلا اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله صلعم والقعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الامر ما يأمرون به او في بعض الامر الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سراً فيما بينهم فافشاه الله تعالى عليهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضياً ومضارعاً قد حذفت احدى تائيه كقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رض لا يتوفى احد على معصية الا بضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ذلك اشارة الى التوفي الموصوف ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوانه الايمان برسول الله صلعم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقاً عليهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق ولتعرفنهم فان قلت اي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم قلت الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول والله يعلم اعمالكم في نحوه واسلوبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذووا الالباب وقيل للمخطي لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسناً فحسن وان قبيحاً فقبيح وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو اخباركم وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا

ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط اعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله صلعم باطلة وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكائد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم اي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولاً حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي تبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبداً لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا وتدعوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وانتم الاعلون اي الاغلبون الاقهرون والله معكم اي ناصركم وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب لاضمار ان ونحو قوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى ولن يتركم اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلاً من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلاً ونهباً انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم اي ولا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال ان يسألكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئاً من الالحاح واحفى شاربه استأصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالتاء والياء مع فتحهما ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم

كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة
كأنه قيل الدليل عليه انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر
فمنكم من يبخل ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فانما يبخل عن
نفسه فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت
عليه وعنه والله الغني وانتم الفقراء ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته
هو الغني الذي يستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب وان تتولوا معطوف
على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم يخلق قوما سواكم على
خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويأت بخلق جديد وقيل
هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة
فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب
على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال
من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا هو فتح مكة وقد نزلت
مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ
الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة
وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا
فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما
عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز
كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل
ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد
عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح
وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن
عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح فان قلت
كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها
وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية
راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله
عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم
بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت
بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب
ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي
محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها

قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من
كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم
وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس
الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك
قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي
الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل جميع
ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد نصرا
عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم السكينة السكون كالبهيتة للبهتان
اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن
بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم وانزل فيها السكون الى ما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم فلما آمنوا بالله وحده انزل
الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وانزل فيها الوقار والعظمة لله
ورسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم
ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب
الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله
عزيزا حكيما ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن
قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف
المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما
غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته و
صلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى
ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها
عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء
الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة
سوء وعند المؤمنين دائرة صدق فان قلت هل من فرق بين السوء والسوء قلت هما
كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه
من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به الخير و
لذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف
اليه الا على التأويل الذي ذكرنا واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فصح
ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة انا ارسلناك شاهدا

ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا شاهدا تشهد على امتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضماير لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضماير فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعززوه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس صلوة الفجر وصلوة الظهر والعصر ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو يدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد فسنؤتيه بالنون والياء يقال وفيت بالعهد واوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والدئل وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم الاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشية الله وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا الاهلون جمع اهل وبقال اهلات على تقدير تاء التانيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان او الله عز وجل وكلاهما جاء في القران وزين لهم الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم

قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا للكافرين قائم مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله هو كافر وتنكير سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيته ومشيته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم يعني مغانم خيبر لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله اي ان يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم وقرئ بضم السين وكسرها بل كانوا لا يفقهون الا قليلا لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما هم الذين تخلفوا عن الحديبية الى قوم اولي باس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم كما توليتم من قبل يريد في غزوة الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وفي قراءة ابي او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه

عذابا أليما وقرئ ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت
الشجرة هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل
الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع
دعا بعمر رضي الله عنه ليبعثه فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي إياهم وما بمكة عدوي
يمنعني ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم أنه لم
يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت
فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم
فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا
الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لأريتكم
مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن
من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدي غصن من الشجرة أذب عنه
فرفعت الغصن عن ظهره بايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنتم اليوم خير أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا و
أربعمائة وقيل ألفا وثلثمائة فعلم ما في قلوبهم من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه
فأنزل السكينة أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح عليهم على قلوبهم وأثابهم فتحا قريبا وقرئ
وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا
ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما هي مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال
فقسمها عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق وعدكم الله
مغانم كثيرة تأخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيمة فعجل لكم هذه هذه المغانم يعني
مغانم خيبر وكف أيدي الناس عنكم يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤوا
لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة
آية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها أنهم من الله بمكان وأنه تعالى ضامن نصرهم والفتح عليهم
وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء عليهم السلام
وحي فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم
صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله وأخرى معطوفة على هذه أي
فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين و
قال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا
أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره
قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى
والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط بها خبر المبتدأ والجر بإضمار رب
فإن قلت قوله ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه قلت هو كلام معترض ومعناه
ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون المعنى وعدكم الله المغانم فعجل هذه الغنيمة
وكف الأعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الأخبار

عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وإيقانا ولو قاتلكم الذين كفروا من أهل
مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لولوا الأدبار لغلبوا وانهزموا ثم لا يجدون
وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا سنة
الله في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا
ورسلي وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم
وكان الله بما تعملون بصيرا أيديهم أيدي أهل مكة أي قضى بينهم وبينكم المكافة و
المحاجزة بعدما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله
على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن
أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة
وعن ابن عباس رضي الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت و
قرئ يعملون بالتاء والياء هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي وقرئ
والهدي والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى إلى الكعبة بالنصب عطفا على
الضمير المنصوب في صدوكم أي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام
بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي معكوفا أن يبلغ محله محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على و
صد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا دليل لأبي حنيفة على أن المحصر
محل هديه الحرم فإن قلت فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وإنما
نحر هديهم بالحديبية قلت بعض الحديبية من الحرم وروي أن مضارب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم فإن قلت فإذ قد نحر في الحرم
فلم قيل معكوفا أن يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم لم تعلموهم صفة للرجال
والنساء جميعا وأن تطؤوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة
من عره بمعنى عراه إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بأن تطؤوهم يعني أن تطؤوهم
غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة قال ووطئتنا وطأ على حنق وطء
المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى
أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطين بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن فقيل
ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فتصيبكم
بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز
أن يكون لو تزيلوا كالتكرار للولا رجال مؤمنون لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون لعذبنا هو
الجواب فإن قلت أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت يصيبهم وجوب
الدية والكفارة وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم
إذا جرى منهم بعض التقصير فإن قلت قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا
قلت لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا
لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في

توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم او ليدخل الله في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميزوا بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما اذ يجوز فيه ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم او صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاخيف على ان يعرضوا على النبي ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه اهل الخير ومستحقيه ومن هو اولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وفي مصحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج

لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلعم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه **فان قلت** بم تعلق بالحق **قلت** اما بصدق اي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف **فان قلت** ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار الله عز وجل **قلت** فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل

ذلك متأدبين بادب الله ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله او هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بامنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون ذلك من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق بدين الاسلام ليظهره ليعليه على الدين كله على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين واهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والايات وفي هذه الاية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن عن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك

محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود محمد اما مبتدأ خبر محذوف اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله واما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر انه قرأ رسول الله بالنصب على المدح والذين معه اصحابه اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرأ اشداء ورحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر سيماهم علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة الساجد من كثرة السجود وقوله من اثر السجود يفسرها اي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس ابي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وقرئ من اثر السجود ومن اثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه **فان قلت** فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا قد اثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك **قلت** ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين اعيننا شيء

وترى احدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري أثقلت الأرؤس أم خشنت الأرض
وانما اراد بذلك من تعمّد ذلك للنفاق وقيل هي صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس
بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الأرض وعن عطاء استنارت
وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك مثلهم
في التورية ومثلهم في الانجيل ذلك الوصف مثلهم اي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعا
ثم ابتدأ فقال كزرع اخرج شطأه يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التورية
ثم ابتدئ ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع
اخرج شطأه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الانجيل
بفتح الهمزة شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف
الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا
فآزره من المؤازرة وهي المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد اي
فشد أزره وقواه ومن جعل آزر افعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة الى
الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الانجيل
سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه
بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله لبدء امر
الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده
ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى
يعجب الزراع فان قلت قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا قلت لما دل عليه تشبيههم
بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم
به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة ٥

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه
ونظائرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه وفي قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان احدهما ان يحذف
ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم والثاني ان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي
الى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي
يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته
وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تائي تتقدموا الا ان
الاول املأ بالحسن واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا
من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست
بين يدي فلان ان يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين

لكونهما

لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير
موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان
تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا
عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا
امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وعن مجاهد لا تفتاتوا
على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله
واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي
هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه
الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال
ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلعم الى تهامة سرية
سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل
الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم اعز من سليم
فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اي لا تعملوا شيئا من
ذات انفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلعم وعن مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها
في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان اناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل
الصلوة فنزلت وامرهم رسول الله ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب ابي حنيفة الا اذا زالت الشمس
وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلوة وعن الحسن ايضا لما استقر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اتته الوفود من الآفاق فاكثروا عليه المسائل فنهوا ان يبتدئوه
بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون لو انزل في كذا لكان
كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها انه اذا جرت مسألة في مجلس
رسول الله صلعم لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشي بين يديه الا للحاجة وان يستأني في الافتتاح
بالطعام واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما يقتضي
مراقبة الله تجنبه فان المتقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في ان
لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار
فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة
وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون وحق مثله
ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار
عند كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن
تأملهم وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذي المحافظة
عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك ان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به

ومستعظم الحق لا يدعو استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصدّ عنه
وانتهاء إلى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي أنه إذا نطق ونطقتم
فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه
غاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه
عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم
وبقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم و
العدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا
في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم
عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية
قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله
وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كأخي السرار لا يسمعه حتى
يستفهمه وكان أبو بكر إذا قدم على رسول الله وفد أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون و
يأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلعم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد
به الاستخفاف والاستهانة لأن ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في
نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض
منه ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين به المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي
أيضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب
أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو وما أشبه ذلك ففي الحديث أنه قال عليه السلام للعباس بن
عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس أجهر الناس صوتا يروى
أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فأسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول
نابغة بني جعدة زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يختلطن بالغنم زعمت الرواة أنه كان
يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا بأصواتكم
والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الأعلم الهذلي رفعت عيني بالحجاز إلى أناس
بالمناقب وليس المعنى في هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا أن يكون ما دون
الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون
وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان
إذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن أنس أن هذه الآية لما نزلت
فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال
يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي
قد حبط فقال له رسول الله لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة
وأما ما يروى عن الحسن أنها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول
الله صلعم فمحمله والخطاب للمؤمنين على أن ينهى المؤمنون ليندرج المؤمنون تحت النهي

الأمر أغلظ عليهم وأشق وقيل كان المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدي
بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض
وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافتة
وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه
فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وإن
جلت عن رتبتها أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون أن تحبط أعمالكم منصوب الموضع على أنه
مفعول له وفي متعلقه وجهان أحدهما أن يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه
لحبوط أعمالكم أي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا
والثاني أن يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى أنهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لأجل الحبوط لأنه
لما كان بصدد الأداء إلى الحبوط جعل كأنه فعل لأجله وكأنه العلة والسبب في إيجاده على سبيل
التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا فإن قلت لخص الفرق بين الوجهين قلت
تلخيصه أن يقدر الفعل في الثاني مضموما إليه المفعول له كأنهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما
جميعا صبا وفي الأول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه فإن قلت
بأي النهيين تعلق المفعول قلت بالثاني عند البصريين مقدرا إضماره عند الأول كقوله
آتوني أفرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وأيهما كان فمرجع المعنى إلى أن الرفع والجهر كلاهما
منصوص أداؤه إلى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط أعمالكم أظهر نصا بذلك لأن ما بعد
الفاء لا يكون إلا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل
عليكم والحبوط من حبطت الإبل إذا أكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام
وإن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم ومن أخواته حبجت الإبل إذا أكلت العرفج فأصابها ذلك
وأحبط عمله مثل أحبطه وحبط الجرح وحبر إذا غفر وهو نكسه وتراميه إلى الفساد جعل العمل
السيئ في إضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به أعاذنا الله من حبط الأعمال وخيبة
الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله
والثاني أن في آثامه ما لا يدري أنه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي
في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله
أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم من قولك امتحن فلان لأمر
كذا وجرب ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى أنهم صبر على التقوى أقوياء
على احتمال مشاقها أو وضع الامتحان موضع المعرفة لأن تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر
موضعها فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى ويكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في
قولك أنت لهذا الأمر أي كائن له ومختص به قال أنت لها أحمد من بين البشر أعداء من لليعملات
على الوجى وهي مع معمولها منصوبة على الحال أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة
لأجل التقوى أي لتثبت فيظهر تقواها ويعلم أنهم متقون لأن حقيقة التقوى لا تعلم إلا عند المحن
والشدائد والاصطبار عليها وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه
فخلص إبريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال

من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد

اتت رذايا باديا كلالها قد محنت واضطربت اطلالها قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما

كان منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الاية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع

الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدا

اسم الاشارة واستيناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره

ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم

من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما

ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء ان الذين ينادونك من وراء

الحجرات اكثرهم لا يعقلون والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظلله من خلف او قدام ومن

لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان فان قلت افرق بين الكلامين بين ما

تثبت فيه من وما تسقط عنه قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان

يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء يصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع على الجهة

الواحدة ان يكون مبتدا ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد

وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص

والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر

عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون

جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة

بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها

وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة

ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه

وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء

الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلعم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا

الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر

الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون

يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي

ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم وروي ان وفد بني تميم اتوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وقد راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ

فخرج ونزلت وسئل رسول الله صلعم عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا

للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم وورود الاية على النمط الذي وردت عليه فيه

ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلعم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل

على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع

خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما

استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم واسترك

عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة

الى اخر هذه الاية فتامل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة

على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من

رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا

ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو اطم وهجنته

اتم من الصياح برسول الله صلعم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح

باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما اجروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره

عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء

من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله يقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن

الاداب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت

بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم انهم صبروا في

موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها

قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو

النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام

بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج قلت

ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها

لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم

غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليه فان قلت فاي

فائدة في قوله اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا

الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما

ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما

فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا

بعث رسول الله صلعم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد

ابن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم

مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له

فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم

وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو

عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل

بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع

وفي تنكير الفاسق والنبا شياع في الفساق والانباء كانه قال اي فاسق جاءكم باي نبا فتبينوا

فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى

جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال

فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فسقت البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا
فسقت الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانزاح
من الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا وقرا ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان
وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة
التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم
بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور
ان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم قوما بجهالة حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم
يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين والاصباح بمعنى الصيرورة
والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان
صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام
صحبته ومن مقلوبه ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون
الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه واعلموا ان فيكم رسول الله
لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم الجملة المصدرة بلو لا يكون كلاما مستأنفا لاداء الى تنافر
النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما
مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم
تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب
فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد
والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض بعد
الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق
وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصونون
ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم
الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اي الى بعضكم ولكنه اغنت
عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي
لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله اولئك
هم الراشدون والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما
قلته **فان قلت** ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها **قلت** القصد الى توبيخ بعض المؤمنين
على ما استهجن منهم من استتباع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه
لانصباب الغرض اليه **فان قلت** فلم قيل يطيعكم دون اطاعكم **قلت** للدلالة على انه
كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبون وانه كلما عن لهم رأي في امر كان معمولا عليه
بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه
مستمرا **فان قلت** كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا
واثباتا **قلت** هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم
الايمان قد غايرت صفتهم لصفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك

ومعنى

ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي
لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على
ظاهرها يؤدي الى ان يثني عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا **فان قلت** فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل
الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود **قلت** الذي سوغ ذلك لهم انهم رأوا
حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر رضي واخلاق محمودة ومن ثمة
قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره
على ان من محققة النقاد وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح
على النعت بامهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها
وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه
عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن
قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به الشارع
والعرق العاصي العائد واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع
تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال ابو الوزاع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد
وموشمات صلين الضوء من صم الرشاد فضلا من الله ونعمة وفضلا مفعول له او مصدر من
غير فعله **فان قلت** من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله و
الشرط ان يتحد الفاعل **قلت** لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة
الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون
ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل
مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع
موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين به والفضل والنعمة بمعنى الافضال
والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم
بالتوفيق على افاضلهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على
الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا
ان الله يحب المقسطين عن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال خل سبيل
حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروي
حماره افضل منك وبول حماره اطيب من مسكك ومضى رسول الله صلعم فطال الخوض بينهما حتى
استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال و
السعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم
فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان
الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي
بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطف على الراوي تلك الخلسة

فظنه قد طرحها **فان قلت** ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن ابى عبلة او اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين او النفرين **قلت** هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين فى معنى القوم والناس وفى قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله فان فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت فى نفسى من شئ ما وجدت من امر هذه الاية ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرنى الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كافت وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روى عن النبى صلعم انه قال يا ابن ام عبد هل تدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا يخلو الفئتان من المسلمين فى اقتتالهما اما ان تقتتلا على سبيل البغى منهما جميعا فالواجب فى ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغى صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان تكون احديهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغى الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغى عليها بالقسط والعدل وفى ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن فانه كان يفتى بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل فى قوله فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذى ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من اعمال العدل ومراعاة القسط **فان قلت** فلم قرن بالاصلاح الثانى العدل دون الاول **قلت** لان المراد بالاقتتال فى اول الاية ان يقتتلا باغيتين معا او راكبتى شبهة وايتهما كانت فالذى يجب على المسلمين ان يأخذوا به فى شأنهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفى الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احديهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به فى اصلاح ذات البين والقول فيه مثله فى الامر باتقاء الله على عقب النهى عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج فى الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اى ازال القسط وهو الجور انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون هذا تقرير لما الزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا فى رفعه وازاحته ويركبوا الصعب

والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة فى الدين احق بذلك وباشد منه وعن النبى صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل **فان قلت** فلم خص الاثنان بالذكر دون الجميع **قلت** لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد فى شقاق الجميع اكثر منه فى شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم فى التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو فى الاصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر وتسميته بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت قوما اى قياما واختصاص القوم بالرجال صريح فى الاية وفى قول زهير اقوم آل حصن ام نساء واما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان لا يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستعظاما للشأن الذى كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتى ما عليه من النهى والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه فى تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدى ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهى عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل واحد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذى يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغى ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن يقتحمه عينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة فى بدنه او غير لبيق فى محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم

منذ الان قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل
الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول
كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على هذه القراءة هي ذات
الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا
واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم
بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير
بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره
الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة فلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله
ثم جعل يطبطب شعيرات ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع
سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى يفوته الصلوة لا من الله
يتقي ولا من الناس يستحيي فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة
ايها الرجل الصلوة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب
بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل
معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة والتنابز بالالقاب
التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء
والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا واما
ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا بأس به روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على
اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه
اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله
وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب
الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير وروي عن
الضحاك ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى
حذيفة فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة
وعن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت
عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلعم هلا قلت ان
ابي هرون وان عمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون
له في مجلس رسول الله صلعم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلعم فقال
لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في
الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعد هذا ابدا الاسم ههنا بمعنى
الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من
ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب

ارتكاب

ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلاثة اوجه احدها استقباح
الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشان بعد الكبرة
الصبوة والثاني انه كان في شتايمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل
لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة
بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة
بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا
فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله
منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم
يقال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن و
ذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم فان قلت بين
الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية
وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن
الا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر
ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل
ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون
التي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما
واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه
الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة فيه محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب
والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه
وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في
زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق
اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب
وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب
ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذي
النوى بي فعلة اصاب النوى قبل الممات اثامها والهمزة فيه عن الواو كانه يثم الاعمال
اي يكسرها باحباطه وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس
الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في
اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف
من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع
عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر
ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلعم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في
خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات

المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته وعن زيد
ابن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط يقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود
انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من
الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن
عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب
على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما
هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من
الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا
ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة
ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب
عن الاخ وقرئ ميتا ولما قررهم عز وجل بان احدا لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك
بقوله فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره
لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره
من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على كراهته **فان قلت** هلا
عدي بالى كما عدي في قوله وكره اليكم الكفر وايهما القياس **قلت** القياس تعديه بنفسه لانه
ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما
تعديته بالى فتاول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه
كقولك حب اليه هو حبيب اليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من
عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ في قبول
التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم
باجتنابه والندم على ما وجد منكم فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين
التائبين وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام
عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله صلعم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلعم
فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها
فلما راحا الى رسول الله صلعم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما
فقال انكما قد اغتبتما ونزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء وقيل خلقنا
كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر
والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا وقبائل والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي
عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل و
القبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل خزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب
لان القبائل تشعبت منها لتعارفوا وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا

كيف تناسبون ولتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف
بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت
والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم
عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم
لا يتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية
وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله
ثم قرأ الآية وعنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم
الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلعم في سوق المدينة فرأى
غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط ان لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه
رجل وكان رسول الله صلعم يراه عند كل صلوة ففقده فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده
ثم سأل عنه بعد ثلاثة ايام فقيل هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على
المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
الايمان هو التصديق مع الثقة وطمانينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان
يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم
ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان
فهو ايمان **فان قلت** ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم
الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم **قلت**
افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا
النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو
نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين
اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح
واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ
مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة
على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك
ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به
فان قلت قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير
استقلال بفائدة متجددة **قلت** ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم
وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا
حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في
لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم
من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال الته السلطان
حقه اشد الألت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام

هشام السلولية أنها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ بالعين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه **فان قلت** ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمانينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب **قلت** الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب منه مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وان يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد او هم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم يقال ما علمت بقدومك اي ما شعرت به ولا احطت به ومنه قوله اتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون يقال من عليه بيد اسداها اليه كقولك انعم الله عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا تستثيب مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما وسياق هذه الاية فيه لطف ورشاقة وذلك ان الكائن من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله صلعم ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا على باسلامكم اي حدثكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا ثم

قال بل الله يعتد عليكم ان امدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم وقرئ إن هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود اذ هداكم وقرئ تعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني انه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك ان حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفقا عليهم خائفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وابداعه واقرارهم بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا ترابا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد ان نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد **فان قلت** فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع **قلت** ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا عن النبي عليه السلام كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو افظع من تعجبهم وهو

التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في
امر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة
كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في
قولهم لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا
حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها
بغير عمد وزيناها وما لها من فروج من فتوق يعني انها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها
ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى هل ترى من فطور والارض مددناها دحوناها والقينا
فيها رواسي جبالا ثوابت لولاها لتكفأت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج
يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لتبصر به وتذكر كل عبد منيب راجع الى ربه
مفكر في بدايع خلقه وقرئ تبصرة وذكر بالرفع اي خلقها تبصرة ونزلنا من السماء ماء مباركا
كثير النفع فانبتنا به جنات وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد وهو ما
يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات طوالا في السماء وفي قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف لها طلع نضيد منضود
بعضه فوق بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد على
انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له اي انبتناها لنرزقهم
فاحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد
موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود
وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع اراد بفرعون قومه كقوله من
فرعون وملائهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل كذب الرسل
يجوز ان يراد به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ
دون المعنى فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله
والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم
لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة
بل هم في لبس اي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه
يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء
الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان
على الاعادة اقدر من خلق جديد **فان قلت** لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف
الخلق الاول **قلت** قصد في تنكيره الى خلق جديد له شان عظيم وحال شديد حق من
سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس
ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا
وهمس به ويجوز ان تكون للتعدية والضمير للانسان اي ما يجعله موسوسا وما مصدرية

لانهم

لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال واكذب النفس اذا حدثتها
ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا
يخفى عليه شيء من خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة
من حبل الوريد وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار
قال ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال الا ترى الى قوله
كأن وريديه رشاء خلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان
بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده **فان قلت** ما وجه اضافة
الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه **قلت** فيه وجهان احدهما ان تكون الاضافة
للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق
لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا اذ يتلقى المتلقيان اذ منصوب باقرب
وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتأخرة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه
الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان
ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع
على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك و في كتبة الملكين وحفظهما وعرض
صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعمله من زيادة
لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان
مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي
من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون
على احواله مهيمنون عليه اذ حفيظانا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة عن
اليمين وعن الشمال قعيد والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد
وعن الشمال قعيد من المتلقين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريئا
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل
يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يؤجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله
عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على
كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب
الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه
وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر انكارهم البعث
واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم
وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة
الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت
سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال
من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت
ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر

أو بالحكمة والغرض الصحيح كقوله خلق السموات والأرض بالحق وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضي الله
سكرة الحق بالموت على إضافة السكرة إلى الحق والدلالة على أنها السكرة التي كتبت على الإنسان
وأوجبت له وأنها حكمة والباء للتعدية لأنها سبب زهوق الروح لشدتها أو لأن الموت
يعقبها فكأنها جاءت به ويجوز أن يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة
الله أضيفت إليه تفظيعا لشأنها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك إشارة إلى الموت
والخطاب للإنسان في قوله ولقد خلقنا الإنسان على طريق الالتفات أو إلى الحق والخطاب للفاجر
ما كنت منه تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول
الله صلعم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام
العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال أخالفهما جميعا
هو للبر والفاجر ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف أي وقت ذلك يوم
الوعيد والإشارة إلى المصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان أحدهما يسوقه
إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله أو ملك واحد جامع بين الأمرين كأنه قيل معها ملك يسوقه
ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقرئ لقد كنت عنك
فبصرك بالكسر على خطاب النفس أي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده
كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فإذا كان يوم القيمة تيقظ وزالت عنه
الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته حديدا
لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين
يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد
لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد أعتدته لجهنم
وهيأته لها بإغوائي وإضلالي فإن قلت كيف إعراب هذا الكلام قلت إن جعلت
ما موصوفة فعتيد صفة لها وإن جعلتها موصولة فهو بدل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ألقيا
خطاب من الله للملكين السائقين السائق والشهيد ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين أحدهما
قول المبرد أن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كأنه قيل ألق ألق للتأكيد
والثاني أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا خليلي وصاحبي
وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه
وقرأ الحسن ألقين بالنون الخفيفة ويجوز أن يكون الألف في ألقيا بدلا من النون إجراء للوصل
مجرى الوقف في جهنم كل كفار عنيد معاند مجانب للحق معاد لأهله مناع للخير كثير المنع للمال
عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط أو مناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله يحول بينه
وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني أخيه من الإسلام وكان يقول من دخل منكم فيه
لم أنفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع
الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد الذي جعل مبتدأ مضمن معنى الشرط ولذلك أجيب
بالفاء ويجوز أن يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فألقياه تكريرا للتوكيد

قال قرينه ربنا فإن قلت لم أخليت هذه الجملة من الواو وأدخلت على الأولى قلت
لأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين
موسى وفرعون فإن قلت فأين التقاول ههنا قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد
وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم أن ثم مقاولة من الكافر
لكنها طرحت لما يدل عليها كأنه قال رب هو أطغاني فقال قرينه ربنا ما أطغيته وأما الجملة
الأولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء
كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ما أطغيته ما جعلته طاغيا وما أوقعته في
الطغيان ولكن كان في ضلال بعيد ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله وما
كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي قال لا تختصموا لدي استئناف
مثل قوله قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا
في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد قدمت إليكم
بالوعيد وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجة علي
ثم قال ما يبدل القول لدي لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي فأعفيكم عما أوعدتكم
به وما أنا بظلام للعبيد فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها
في ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز أن يقع الفعل على جملة قوله
ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا أي قدمت إليكم هذا ملتبسا
بالوعيد مقترنا به أو قدمته إليكم موعدا لكم به فإن قلت إن قوله وقد قدمت واقع
موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما
في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد
وصحة ذلك عندهم في الآخرة فإن قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت
فيه وجهان أن يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وأن يراد لو عذبت من لا
يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك يوم نقول لجهنم قرئ يقول بالنون و
الياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب
اليوم بظلام أو بمضمر نحو اذكر وأنذر ويجوز أن ينتصب بنفخ كأنه قيل ونفخ في الصور يوم
نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك إلى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف هل امتلأت وتقول
هل من مزيد وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب
وتبيينه وفيه معنيان أحدهما أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء
ولا يزاد على امتلائها كقوله لأملأن جهنم والثاني أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها
وفيها موضع للمزيد ويجوز أن يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة
عليهم لفرط كثرتهم أو طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد إما مصدر كالمجيد والمميد و
إما اسم مفعول كالمبيع وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد غير بعيد نصب على الظرف أي مكانا
غير بعيد أو على الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في
الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول

هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن وقرئ يوعدون بالياء والتاء وهي جملة اعتراضية ولكل أواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت والأواب الرجاع إلى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدود الله من خشي بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز أن يكون بدلا عن موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز أن يكون في حكم أواب وحفيظ لأن من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من في معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا أحسن إلي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول أي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا إلا بطريق الاستدلال أو صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب أو خشيه بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه أحد **فإن قلت** كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة **قلت** للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشي عنه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات وجاء بقلب منيب وصف القلب بالإنابة وهي الرجوع إلى الله لأن الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام أي سالمين من العذاب و زوال النعم أو مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته ذلك يوم الخلود أي يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين أي مقدرين الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم حتى يشاؤه وقيل إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الأمر والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة: نقبوا في البلاد من حذر المو‍ت وجالوا في الأرض كل مجال ودخلت الفاء للتسبيب عن قولهم هم أشد منهم بطشا أي شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الأمر كقوله فسيحوا في الأرض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن ينتقب خف البعير قال: ما مسها من نقب ولا دبر. والمعنى فنقبت أخفاف إبلهم أو حفيت أقدامهم و نقبت كما تنقب أخفاف الإبل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله أو من الموت إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي قلب واع لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له أو ألقى السمع وألقاء السمع الإصغاء وهو شهيد أي حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وقد ملح الإمام عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلاباذ لسقي الزروع أو وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحي من الله أو وهو بعض الشهداء في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة ألقى السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن ألقي

غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل ألقى سمعه أو السمع منه ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب اللغوب الإعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا إن الذي وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ فاصبر على ما يقولون على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من إنكارهم البعث فإن من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن وقيل التهجد وأدبار السجود التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء والأدبار جمع دبر وقرئ وإدبار من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم واستمع يعني واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما روي عن النبي صلعم أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير **فإن قلت** بما انتصب اليوم **قلت** بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم يناد المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من يوم يناد والمنادي إسرافيل ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي أقرب الأرض من السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الأرض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء يوم تشقق الأرض عنهم وقرئ تشقق وتشقق بإدغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة نحن أعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلعم وما أنت عليهم بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على الإيمان إنما أنت داع وباعث وقيل أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز أن يكون من جبره على الأمر بمعنى أجبره أي ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم إذا كان واليهم ومالك أمرهم فذكر بالقرآن من يخاف وعيد كقوله إنما أنت منذر من يخشاها لأنه لا ينفع إلا فيه دون المصر على الكفر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا
فالمقسمات امرا الذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح و
قرئ بادغام التاء في الذال والحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو
على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا والجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا
يسر اي ذا سهولة والمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها
او تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة
وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا
تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال
السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس
وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز
ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار
بتصريف السحاب **فان قلت** ما معنى الفاء على التفسيرين **قلت** اما على الاول فمعنى
التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي
تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدئ
في الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون
جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث لصادق وان الدين لواقع ووعد صادق
كعيشة راضية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف
الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره
قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة لان حلقها
مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى انها تزينها
كما تزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم
اي محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل و
حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل
والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل لفي قول مختلف قولهم في الرسول
ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر واساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا
يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك
عنه من افك الضمير للقرآن او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد
منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي
علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم
بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم
شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو ان

يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن
بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن
القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك على البناء للفاعل اي من افك الناس
عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي يأفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه
من هو مأفوك في نفسه وعنه ايضا يأفك عنه من أفك اي يصرف الناس عنه من هو أفاك
كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا نهكه حلبا قتل
الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى
مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف و
اللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم
في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون فيقولون ايان يوم الدين
اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة **فان قلت** كيف وقع ايان ظرفا لليوم
وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان **قلت** معناه ايان وقوع يوم الدين **فان قلت**
فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب **قلت** بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على
النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة **فان قلت**
فما محله **قلت** يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على
النار يفتنون وقراءة ابن ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهي
الحرة لان حجارتها كانها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا
مبتدأ والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من
فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين
لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط
لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها انهم
كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ما مزيدة
والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك ان تجعله صفة
للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية او موصولة على كانوا
قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات
لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت البيضة رأسي فما اطعم نوما غير تهجاع وقوله
قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك ووصفهم بانهم
يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله
هم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين وكانهم المختصون
به لاستدامتهم له واطنابهم فيه **فان قلت** هلا يجوز ما نافية كما قال بعضهم وان يكون
المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله **قلت** لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها

مما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت السائل الذي يستجدي والمحروم
الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي
ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه
وقيل الذي لا ينمي له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الارض آيات تدل على الصانع
وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض
مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزاة فمن سهل وجبل
وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات
وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروايح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوايج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم
وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور
والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين للموحدين الذين سلكوا
الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما راوا
آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم افلا تبصرون في
حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجايب الفطر وبدايع الخلق ما
تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني
وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطايفها من الآيات الساطعة و
البينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وساير الجوارح وتأتيها
لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسي شيء منها
جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين وفي السماء رزقكم هو
المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن انه كان
اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون
الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه
في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان
يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما انك
ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الآيات والرزق وامر النبي
صلى الله عليه وسلم او الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على
قعود فقال ممن الرجل قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن
قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته
فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع
الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل
واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله

من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا و
خرجت معها نفسه هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين هل اتيك تفخيم للحديث وتنبيه
على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة
كالزور والصوم لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم
جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف
حيث اضافهم ابرهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابرهيم خدمهم بنفسه واخدمهم
امرأته وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون اذ دخلوا
عليه نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابرهيم لهم والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر
فقالوا سلاما قال سلام سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم
عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام
للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا
ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما
قال سلم قوم منكرون انكرهم للسلام الذي هو علم الاسلام او اراد انهم ليسوا من معارفه
او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او رأى لهم حالا واشكالا
خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من
انتم فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فراغ الى اهله فذهب
اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يباده بالقرى من غير ان يشعر
به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم عليه السلم
البقر فجاء بعجل والهمزة في الا تأكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل وحثهم عليه فاوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف فاوجس فاضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن
انهم يريدون به سوء وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعن
عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه وبشروه بغلام
عليم اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق وهو اكثر الاقاويل واصحها لان
الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة ابرهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل
فاقبلت امرأته في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على
الحال اي فجاءت صارة قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت
حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها
قولها اوه وقيل يا ويلتا وعن عكرمة رنتها فصكت وجهها فلطمت ببسط يديها وقيل
فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز انا عجوز عقيم فكيف الد
قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال
ربك اي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروي ان جبريل قال لها انظري
الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون
الا باذن الله رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم ايها المرسلون الخطب الشأن وما طلبكم

قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل
وهى طين طبخ كما يطبخ الاجر حتى صار فى صلابة الحجارة مسومة عند ربك معلمة من السومة
وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة
تدل انها ليست من حجارة الدنيا للمسرفين سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم
فى عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين الضمير فى فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام
واحد وانهما صفتا مدح وقيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر
وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله
وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم اية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية
قلوبهم قال ابن جريج هى صخر منضود فيها وقيل ماء اسود منتن وفى موسى اذ ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين معطوف على وفى الارض ايات او على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا فى موسى
اية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه وازور واعرض كقوله وناى بجانبه وقيل فتولى
بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اى هو ساحر او مجنون
فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم اتى بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع
الواو حال من الضمير فى فاخذناه **فان قلت** كيف وصف نبى الله يونس عليه السلم بما وصف
به فرعون فى قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم **قلت** موجبات اللوم تختلف وعلى حسب
اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة الا
ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى ادم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان
كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم التى لا خير فيها من
انشاء مطر او القاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها فعن على رضى الله عنه النكباء وعن
ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ما تذر من شىء اتت عليه الا جعلته كالرميم
والرميم كل ما رم اى بلى وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى
حين تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله
فاخذتهم الصاعقة وقرئ الصعقة وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة
نفسها وهم ينظرون كانت نهارا يعاينونها وروى ان العمالقة كانوا معهم فى الوادى ينظرون
اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم
ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم نوح من قبل انهم
كانوا قوما فاسقين وقوم قرئ بالجر على معنى وفى قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفى قوم نوح
وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح والسماء
بنيناها بايد بقوة والايد والاد القوة وقد اد يئيد وهو ايد وانا لموسعون لقادرون
من الوسع وهو الطاقة والموسع القوى على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر
وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة والارض فرشناها فنعم الماهدون نحن ومن كل شىء
من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس

والقمر

والقمر والبر والبحر والموت والحيوة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى
فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج
ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق فتعبدوه ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا
تجعلوا مع الله الها اخر انى لكم منه نذير مبين ففروا الى الله الى طاعته وثوابه من معصيته
وعقابه ووحدوه ولا تشركوا وكرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى
عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان
وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك و
ذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما
اجمل بقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون ولا يصح ان يكون
الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يات لكان صحيحا
على معنى مثل ذلك الاتيان لم يات من قبلهم من رسول الا قالوا اتواصوا به الضمير للقول
يعنى اتواصى الاولون والاخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم
قوم طاغون اى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة
وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فاعرض عن
الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك فى
اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير
والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين اى تؤثر فى الذين عرف الله منهم انهم
يدخلون فى الايمان او تزيد الداخلين فيه ايمانا وروى انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على اصحابه وراوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب
قد حضر فانزل الله وذكر وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين اى وما خلقت الجن والانس
الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها **فان قلت** لو كان مريدا للعبادة منهم
لكانوا كلهم عبادا **قلت** انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين
اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على
القسر والالجاء لوجدت من جميعهم يريد ان شانى مع عبادى ليس كشان السادة مع
عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما
مجهز فى تجارة ليفى ربحا او مرتب فى فلاحة ليغتل ارضا او مسلم فى حرفة لينتفع فى اجرته
او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التى
هى تصرف فى اسباب المعيشة وابواب الرزق فاما مالك ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا
بما يسعدكم فى انفسكم ولا اريد ان اصرفكم فى تحصيل رزقى ولا رزقكم وانا غنى عنكم
وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندى فما هو الا انا
وحدى المتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تاويل الاقتدار

والمعنى وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اني انا الرزاق ﴿فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون﴾ الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب ولما قال عمرو بن شاس وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب قال الملك نعم واذنبة والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله صلعم بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ من يوم القيمة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع﴾ الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلم وهو بمدين والكتاب المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا وقيل هو ما كتبه الله تعالى لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله تعالى ونفس وما سواها والبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملو وقيل الموقد من قوله واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه انه سأل يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال ما اراه الا صادقا لقوله والبحر المسجور لواقع لنازل قال جبير بن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فلقيته في صلوة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب ﴿يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا﴾ تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة ﴿فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون﴾ غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذي خاضوا ﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا﴾ الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرأ زيد بن علي يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين يقال لهم ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا﴾ يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد هذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ﴿ام انتم لا تبصرون﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم ﴿اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم﴾ سواء خبره محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه **فان قلت** لم علل استواء الصبر

الداغصة العظم المدور الذي يتحرك على رأس الركبة

وعدمه بقوله ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ **قلت** لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير واما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ﴿ان المتقين في جنات ونعيم﴾ في اية جنات واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة و﴿فاكهين﴾ وقرئ فكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا اي متلذذين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ **فان قلت** علام عطف قوله ﴿ووقاهم ربهم﴾ **قلت** على قوله في جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين باتيانهم ربهم ووقايتهم ﴿عذاب الجحيم﴾ ويجوز ان يكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم ﴿كلوا واشربوا﴾ اكلا وشربا ﴿هنيئا بما كنتم تعملون﴾ او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ههنا هنأكم الاكل والشرب او هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب ﴿متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين﴾ وقرئ بعيس عين ﴿والذين آمنوا﴾ معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين ﴿واتبعناهم ذرياتهم﴾ قال رسول الله صلى الله عليه ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال ﴿بايمان الحقنا بهم ذرياتهم﴾ اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم **فان قلت** ما معنى تنكير الايمان **قلت** معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم واتبعتهم ذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو ان يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض ﴿وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا بعطية الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل وقرئ ألتناهم وهو من بابين من ألت يألت ومن لات يليت كامات يميت وآلتناهم من آلت يولت كآمن يؤمن ولتناهم من لات يليت وولتناهم من ولت [illegible] ومعناهن واحد ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ اي مرهون كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها ﴿وامددناهم﴾ وزدناهم في وقت بعد وقت ﴿بفاكهة ولحم﴾

مما يشتهون يتنازعون يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم
فيها كاسا خمرا لا لغو فيها في شربها ولا تأثيم اي لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط
الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون
ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما
يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء
وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم كانهم
لؤلؤ مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي
القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه
عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك
لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله
وما استوجب به نيل ما عند الله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب من خشية
الله فمن الله علينا ووقانا وقرئ ووقانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها
ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة
انا كنا من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونسأله الوقاية
انه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه
بالفتح بمعنى لانه فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون فاثبت على تذكير الناس و
موعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن
يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه
عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس وتشخص
بها من حوادث الدهر قال امن المنون وريبه يتوجع وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول
من منه اذا قطعه لان الموت قطوع وكذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك
كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص
هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم احلامهم بهذا احلامهم عقولهم والبابهم ومنه
قولهم احلام عاد والمعنى تأمرهم احلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر
مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى ام هم قوم طاغون مجاوزون
الحد في العناد مع ظهور الحق لهم **فان قلت** ما معنى كون الاحلام امرة **قلت** هو
مجاز لادائها الى ذلك كقوله اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا وقرئ بل هم قوم
طاغون ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم
يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد
الا واحد من العرب فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقرئ بحديث مثله على الاضافة
والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه ان مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب

الغزبدة سوء الخلق والمعربد هو الذي ...

الوهج بالتحريك حر النار والوهيج ... وهج النار ... وكذا السموم

الريب ... الدهر ... وريب المنون حوادثه

الشعوب المنية ... سميت ...

زهير والنابغة عطف بيان ...

فان

فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل ام خلقوا ام
احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر ام هم الخالقون
الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون
اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون
وقيل اخلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل خلقوا من غير اب وام ام عندهم
خزائن ربك خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او عندهم خزائن علمه حتى يختاروا
لها من اختياره حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر
الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد ام لهم سلم
منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم
الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون
فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة يصدق استماع مستمعهم ام له البنات
ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون المغرم ان يلتزم الانسان ما ليس
عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك ام عندهم الغيب اي اللوح
المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون كيدا
وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين فالذين كفروا
اشارة اليهم او اريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال
كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته
فكدته ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء
ساقطا يقولوا سحاب مركوم الكسف القطعة وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما
زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا
سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم
يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا ويلقوا يومهم الذي فيه يصعقون
يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق
يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة
عذابا دون ذلك دون يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر
وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك
بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا مثل اي بحيث نراك
ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على
عيني وقرئ باعينا بالادغام وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت
وقيل من منامك ومن الليل فسبحه وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل
وقرئ وادبار بالفتح يعني في اعقاب النجوم واثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله
وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار
النجوم صلوة الفجر ، عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الطور

كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة والنجم مكية احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال
اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء او جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيرة يريد النجوم
اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة او النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القرآن
وقد نزل منجما في عشرين سنة اذا هوى اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن
عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد
الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى
وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلعم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلعم
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي
عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب
من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة
فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم
حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع ما ضل صاحبكم
وما غوى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى
والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وما اتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحي
من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بان الله تعالى اذا
سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى علمه شديد القوى ملك
شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبرئيل عليه السلم
ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها
وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اوحى من رجعة الطرف
ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلم على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه في
اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى وهو بالافق الاعلى
فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل
في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى
له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير
محمد صلعم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى
فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق قال تدلى
عليها بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلى ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى فكان قاب قوسين
مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي قاد
وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر
والفتر والاصبع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم

من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال
وقد جعلتني من حزيمة اصبعا فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت
تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي
في قوله وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى اي على تقديركم
كقوله او يزيدون فاوحى الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس
كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحى اليه قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على
الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد ما رأى ما كذب فؤاد
محمد ما رآه ببصره من صورة جبرئيل اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا
لانه عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقرئ ما كذب اي صدقه
ولم يشك انه جبرئيل بصورته افتمارونه على ما يرى من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه
من مري الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه افتغلبونه
في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل
افتمرونه افتجحدونه وانشدوا لئن هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا
وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين ولقد
رآه نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة
اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبرئيل نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه
عليها وذلك ليلة المعراج عند سدرة المنتهى قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء
السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي
ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء
او الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملائكة و
غيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء عندها جنة المأوى الجنة
التي يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل تأوي اليه ارواح الشهداء وقرأ علي وابن الزبير و
جماعة جنه المأوى اي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة رضي الله عنها انها انكرته وقالت
من قرأ به فاجنه الله اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة
ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط
بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلعم
رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من
طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ البصر وما طغى ما زاغ
بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طغى اي اثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير
ان يزيغ عنه او يتجاوزه وما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوز
ما امر برؤيته لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى الآيات التي هي كبراها وعظماها
يعني حين رقي به الى السماء فأري عجائب الملكوت افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل

كانت نخلة تعبدها قريش وهي فعله من لوى لانهم كانوا يلوون عنها ويعكفون للعبادة او
يلتوون عليها للطواف وقرئ اللات بالتشديد وزعموا انه سمي برجل كان يلت عند السمن
بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على
قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تانيث الاعز وبعث اليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة
شعرها داعية ويلها واضعة يديها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو
يقول عزاك كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله صلعم
فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن
عباس لثقيف وقرئ ومناءة وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها
اي تراق ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى
ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعفاؤهم
لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان يكون الاولية والتقدم للات والعزى كانوا يقولون
ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله
مع وأدهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى ويجوز ان يراد ان اللات والعزى ومناة
اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شانكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن
لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اندادا لله وتسمونهن آلهة تلك اذا قسمة
ضيزى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم
الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد ان هي الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان هي ضمير الاصنام اي ما هي الا اسماء ليس تحتها
في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشد منافاة لها
ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها او ضمير الاسماء وهي قولهم
اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسماء الآلهة يعني ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها
بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها
يقال سميته زيدا وسميته بزيد ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن وما تهوى الانفس ولقد
جاءهم من ربهم الهدى الا توهم ان ما هم عليه حق وان آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه
انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل ام للانسان ما تمنى
ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة
الآلهة وهو تمن على الله في غاية البعد وهو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل
هو قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله
الآخرة والاولى اي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء
منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء
ويرضى يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص
السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا

اذا شفعوا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه اهلا
لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليهم لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى ليسمون كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد
منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي بها اي
بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا يعني انما يدرك
الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم فاعرض عن
من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فاعرض عن دعوة
من رأيته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى يعني انما يعلم الله من يجيب ممن لا
يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتبعها فانك لا تهدي من احببت وما عليك الا البلاغ
وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو اعلم بالضال
والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين
اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقرئ ليجزي ويجزي بالياء والنون فيهما ومعناه
ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين
منهم والمسيء ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة
العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بالحسنى بالمثوبة الحسنى
وهي الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الا اللمم كبائر الاثم الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر و
الكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب
صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اي
النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة
منه والم بالمكان اذا قل لبثه فيه والم بالطعام قل منه اكله ومنه لقاء اخلاء الصفاء لمام
والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله
لو كان فيهما آلهة الا الله كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم
هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله
عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع المغفرة حيث
يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة
في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها الى زكاء العمل
وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم
الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم
وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان
على سبيل الرياء والاعجاب فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده
ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر

الذى تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب اكدى قطع عطيته وامسك واصله
اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر
ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم روى ان عثمان رضى الله عنه كان يعطى ماله فى
الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابى سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك
شئ فقال ان لى ذنوبا وخطايا وانى اطلب بما اصنع رضا الله وارجو عفوه فقال عبد الله
اعطنى ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن
العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل
فهو يرى هو تعلم ان ما قال له اخوه من احتمال الاوزار حق ام لم ينبأ بما فى صحف موسى
وابرهيم الذى وفى قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة فى الوفاء او بمعنى وفر
واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله
باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه
وانه كان يخرج كل يوم فيمشى فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن
الحسن ما امره الله بشئ الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابرهيم يؤخذ
الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فاول
من خالفهم ابرهيم عليه السلام وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف فى
النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكم فلا وعن النبى صلى الله عليه وسلم
وفى عمله كل يوم باربع ركعات فى صدر النهار وهى صلوة الضحى وروى الا اخبركم لم سمى الله
خليله الذى وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل
وفى سهام الاسلام وهى ثلثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة
فى المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ فى صحف بالتخفيف الا تزر وازرة وزر اخرى ان مخففة
من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما فى
صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كان قائلا قال وما فى صحف موسى وابرهيم فقيل ان لا
تزر وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه **فان قلت** اما صح فى الاخبار الصدقة
عن الميت والحج عنه وله الاضعاف **قلت** فيه جوابان احدهما ان سعى غيره لما لم ينفعه
الا مبنيا على سعى نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعى غيره كانه
سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثانى ان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه
ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه وان سعيه سوف
يرى ثم يجزيه ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار
وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه
كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى ان هذا كله
فى الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اى ينتهى اليه
الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير وانه هو اضحك وابكى خلق قوتى الضحك والبكاء
وانه هو امات واحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى اذا تدفق فى الرحم

يقال

يقال منى وامنى وعن الاخفش تخلق من منى الممنى اى قدر المقدر وان عليه النشاة الاخرى
قرئ النشأة والنشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه فى الحكمة ليجازى على الاحسان
والاساءة وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت ان لا تخرجه
من يدك وانه هو رب الشعرى الشعرى مرزم الجوزاء وهى التى تطلع وراءها وتسمى كلب
الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك
ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة
تشبيها له به لمخالفته اياهم فى دينهم يريد انه رب معبودهم هذا وانه اهلك عادا الاولى
عادا الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا
بعد قوم نوح او المتقدمون فى الدنيا الاشراف وقرئ عادا لولى وعاد لولى بادغام التنوين
فى اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف وثمودا وقرئ وثمود فما ابقى
وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون
به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاؤه
قريبا من الف سنة والمؤتفكة والقرى التى ائتفكت باهلها اى انقلبت وهم قوم لوط يقال
افكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات اهوى رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم اهواها الى
الارض اى اسقطها فغشاها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر
عليها من الصخر المنضود فباى آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
او للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما فى نقمه من
المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا هذا القرآن نذير من النذر الاولى اى انذار من جنس
الانذارات الاولى التى انذر بها من قبلكم او هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين
وقال الاولى على تأويل الجماعة ازفت الازفة قربت الموصوفة بالقرب فى قوله اقتربت
الساعة ليس لها من دون الله كاشفة نفس كاشفة اى مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها
لوقتها الا هو او ليس لها نفس كاشفة اى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه
لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف
كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهى على الظالمين ساءت
الغاشية افمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون
والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم ير ضاحكا بعد
نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو وانتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل
لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته اسمدى لنا اى غنى لنا فاسجدوا لله واعبدوا
واعبدوه ولا تعبدوا الالهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر انشقاق القمر من
آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن انس بن مالك ان الكفار سألوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود
قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت
حراء بين فلقتي القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيمة وقوله وان
يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا وفي قراءة حذيفة وقد
انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق
كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال
الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل
فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل
مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته
اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر على ان نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل
مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا وكذبوا
واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر مستقر
اي كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد سيصير الى غاية يتبين
عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امرهم وامره مستقر اي سيثبت
ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بفتح
القاف يعني كل امر ذو مستقر اي ذو استقرار او زمان استقرار وعن ابي جعفر مستقر بكسر
القاف والجر عطفا على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين
حاله ولقد جاءهم من الانباء من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما
وصف من عذاب الكفار ما فيه مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع للازدجار
ومظنة له كقوله لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال
زايا وادغام الزاي فيها حكمة بالغة بدل من ما او على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما فان قلت
ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر
قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي او انكار وما منصوبة
اي فاي غناء تغني النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب يوم يدع الداع
بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعي اسرافيل او جبرئيل
كقوله يوم ينادي المناد الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم
القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار
وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على تخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم
وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طي ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه
وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود
والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في
عيونهما يخرجون وقرئ تخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة

والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد وكالدباء منتشر في كل مكان
لكثرته مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم
قال تعبدني بنو سعد بن زيد وقد ارى وبنو سعد لي مطيع ومهطع يقول الكافرون هذا يوم
عسر كذبت قبلهم قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا يعني نوحا فان قلت ما معنى
قوله فكذبوا عبدنا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا
على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا
عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا
مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل
هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت
بقلبه فدعا ربه اني مغلوب وقرئ اني بمعنى فدعا باني مغلوب واني على ارادة القول فدعا فقال
اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من اجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم
بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روي ان الواحد
من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا ابواب السماء بماء منهمر منصب في
كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون
تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء
يعني مياه السماء والارض وقرئ الماآن اي النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك
عندي تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي قال لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرأ الحسن
الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على امر قد قدر على حال قدرها الله كيف شاء وقيل
على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء
بسواء وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على
ذات الواح ودسر اراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب
منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد
اراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون النازيات باكرع اراد ولو في عيون الجياد الا ترى
انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة وبين الدرع والجياد وهاتين الصفتين لم يصح
وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه
لانه يدسر به منفذه تجري باعيننا جزاء مفعول له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده
اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من
الله ورحمة قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة
مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام
قال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرأ
قتادة كفر اي جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء اي مجازاة ولقد تركناها آية فهل من مدكر
فكيف كان عذابي ونذر الضمير في تركناها للسفينة او للفعلة اي جعلناها آية يعتبر بها وعن

قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوايل هذه الامة
والمذكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام الذال فيها وهذا نحو فرح
والنذر جمع نذير وهو الانذار ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان
شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من مدكر متعظ وقيل ولقد
سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون المعنى
ولقد هيأناه للذكر من يسرنا قته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال
وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع ويروى ان كتب اهل الاديان نحو
التورية والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كما القرآن كذبت عاد
فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله في ايام
نحسات مستمر قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم او استمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم
حتى لم يبق منهم نسمة وكان في اربعاء في آخر الشهر لا يدور ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد
المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بايدي
بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون الارض موتا وهم جثث طوال عظام
كانهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل
لان الريح كانت تقطع رؤسهم فيبقى اجسادا بلا رؤس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها
على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر ابشرا
منا واحدا نصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول
اوجه للاستفهام كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير
فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب و
السعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال كان بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير
متعب فان قلت كيف انكروا ان تتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا انكارا
لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة و
قالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا
واحدا او ارادوا واحدا من افناءهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم االقي الذكر
عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة
بل هو كذاب اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك
سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر اصالح ام من كذبه
وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات
وقرئ الاشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر واخوات لهما وقرئ الاشر وهو
الابلغ في الشرارة والاخير والاشر اصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو اصل مرفوض
وقد حكى ابن الانباري يقول العرب هو اخير واشر وما اخيره واشره انا مرسلوا الناقة

باعثوها

باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم
وتبصر ما هم صانعون واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك امري ونبئهم ان الماء قسمة
بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب
محتضر محضور لهم او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها فنادوا صاحبهم
قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فعقر فاحدث
العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا
عليهم صيحة واحدة صيحة جبرئيل فكانوا كهشيم المحتظر والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر
والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطاه البهائم فيتحطم ويتهشم
وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اي الحظيرة ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا آل لوط
نجيناهم بسحر بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر
والاخر عند انصداعه وانشد مرت بأعلى السحرين تذأل وصرف لانه نكرة ويقال لقيته بسحر اذا
لقيته بسحر يومه نعمة من عندنا انعاما مفعول له كذلك نجزي من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته
ولقد انذرهم لوط عليه السلام بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق
روي انهم لما عالجوا باب لوط ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا
اليك فصفقهم جبرئيل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط
فذوقوا عذابي ونذر فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة ولقد صبحهم بكرة اول النهار وباكره
كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي بكرة غير منصرفة تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين
اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته فان قلت
ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت فائدته
ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تنبها و
استيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم
الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير لقوله فباي الاء ربكما
تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها
في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب
مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ولقد جاء آل فرعون النذر موسى
وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او جمع نذير وهو الانذار
كذبوا باياتنا كلها بالآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء
اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل
فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اولئك
بل شر منهم ام لكم براءة في الزبر ام انزلت عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان
من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة ام يقولون نحن جميع

جماعة أمرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر
فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت سيهزم الجمع عن عكرمة
لما نزلت هذه الآية قال عمر أي جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه يثب في الدرع
ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها ويولون الدبر أي الأدبار كما قال كلوا في بعض بطنكم وقرئ
الأدبار بل الساعة موعدهم والساعة أدهى أشد وأفظع والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى
لدوائه وأمر من الهزيمة والقتل والأسر وقرئ سيهزم الجمع إن المجرمين في ضلال وسعر
في هلاك ونيران أو في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على
وجوههم ذوقوا مس سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم
بحرها ولحقتهم بإيلامهم فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم
وذوقوا على إرادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته إذا لوحته قال ذو الرمة
إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ... بأفنان مربوع الصريمة معبل وعدم صرفها للتعريف والتأنيث
إنا كل شيء خلقناه بقدر كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع
والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته
الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وما أمرنا إلا واحدة
إلا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر أراد قوله كن يعني أنه إذا أراد تكوين شيء لم
يلبث كونه ولقد أهلكنا أشياعكم أشباهكم في الكفر من الأمم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه
في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الأعمال ومن كل ما هو كائن مستطر
مسطور في اللوح إن المتقين في جنات ونهر وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء
من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كأسد وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي
وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم أمره في الملك والاقتدار
فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها و
السعادة بأسرها عن رسول الله صلعم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان
عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب الآلاء و
أصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهي إنعامه
بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا
وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه
إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله وكان الغرض
في إنشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق
الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وأخلاؤها
عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة
هل بلغ ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه الشمس والقمر بحسبان بحساب معلوم وتقدير

سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب
والنجم النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق يسجدان وسجودهما
انقيادهما لله تعالى فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده فإن قلت
كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغني فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم
أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان
له فإن قلت كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد قلت بكت بتلك الجمل
الأول واردة على سنن التعديد الذين أنكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه
من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في
وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فإن قلت أي تناسب بين هاتين
الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت إن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان
فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين وأن
جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل
علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس الإنسان آدم وعنه محمد صلى الله عليه وسلم
وعن مجاهد النجم نجوم السماء والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ
أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي
على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله
وخفض الميزان وأراد به كل ما يوزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقسطاس و
مكيال ومقياس أي خلقه موضوعا مخفوظا على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما
تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم ألا تطغوا في الميزان لئلا تطغوا أو هي
أن المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن على إرادة القول وأقيموا الوزن بالقسط وقوموا
وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء
وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية
به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم
السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وأما الفتح فعلى أن الأصل
ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل والأرض وضعها خفضها مدحوة على
الماء للأنام للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة وعن الحسن الإنس والجن فهي كالمهاد
لهم يتصرفون فوقها فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الأكمام والأكمام كل
ما يكم أي يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره
وجذوعه وقيل الأكمام أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف والحب ذو العصف والريحان
والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه
والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان
بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام والريحان الذي هو مطعم الناس
وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقيل معناه وفيها

الريحان الذي يشم وفي مصاحف أهل الشام والحب ذا العصف والريحان أي وخلق الحب والريحان
أو وأخص الحب والريحان ويجوز أن يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه
فبأي آلاء ربكما تكذبان والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام وقوله سنفرغ
لكم أيها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي
آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان الصلصال الطين
اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف **فان قلت** قد اختلف
التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حمإ مسنون من طين لازب من تراب **قلت** هو
متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا والجان أبو الجن
قيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء
اذا اضطرب واختلط **فان قلت** فما معنى قوله من نار **قلت** هو بيان المارج كانه قيل من
صاف من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى قرئ رب المشرقين ورب المغربين
بالجر بدلا من ربكما أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين يلتقيان أرسل البحر
الملح والبحر العذب متجاورين متلاصقين لا فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ
حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة فبأي
آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان قرئ يخرج ويخرج
من أخرج وخرج ويخرج أي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر
والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره **فان قلت**
لم قال منهما وانما يخرجان من الملح **قلت** لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان
منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد
وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب
وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان الجواري السفن وقرئ الجوار
بحذف الياء ورفع الراء ونحوه لها ثنايا أربع حسان وأربع فكلها ثمان والمنشآت المرفوعات
الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام
جمع علم وهو الجبل الطويل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
فبأي آلاء ربكما تكذبان وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة
يقولون أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال والاكرام صفة الوجه وقرأ عبد الله
ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم أو الذي يقال
له ما أجلك وأكرمك أو من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم
صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه
عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك **فان قلت**
ما النعمة في ذلك **قلت** أعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك يسئله من في السموات
والارض كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم و
أهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شأن فبأي آلاء ربكما تكذبان أي كل وقت

وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل
له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن
عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي و
الاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيمة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت
في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله
الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل الله يسهل
لك على يدي فأخبره فقال أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله أنه يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما
ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير أحسنت
وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر
انه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فأصبح
من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح أن القلم جف بما هو كائن
الى يوم القيمة وقوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون
الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص
لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله وأن ليس
للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما قوله
كل يوم هو في شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ
خراجه سنفرغ لكم أيه الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل
لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل
سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها
وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى الا شأن واحد
وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم أي الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ
بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة
أبي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض
يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله أيها الثقلان ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات
والارض فانفذوا ان استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي
فافعلوا ثم قال لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وأنى
لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وروي أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع
الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة أحاطت به فبأي آلاء
ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ
اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا
وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر
وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان

نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا
فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فإذا انشقت السماء فكانت وردة حمراء
كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به
كالحزام والإدام قال كأنهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان وقيل الدهان الأديم
الأحمر وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي
يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لأرحلن بغزوة نحو الغنائم أو يموت كريم فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس بعض من الإنس ولا جان أريد ولا جن أي ولا بعض من الجن
فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وإنما وحد ضمير الإنس
في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون لأنهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد
الوجوه وزرقة العيون فإن قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم
إنهم مسئولون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال
قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون
وقيل لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا
جأن فرارا عن التقاء الساكنين وإن كان على حده يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي
والأقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء
ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالأقدام هذه جهنم التي يكذب بها
المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان حميم آن ماء حار قد
انتهى حره ونضجه أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل إذا استغاثوا
من النار جعل غياثهم الحميم وقيل إن واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار
فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم
خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون أي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله
هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان تطوفون بينها ونعمة الله
فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الإنذار به من اللطف ولمن
خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب
العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم عليه أي حافظ مهيمن
من قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو
مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وأنشد ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل
اللعين يريد ونفيت عنه الذئب فإن قلت لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين وكأنه
قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني ويجوز أن يقال جنة
لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لأن التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى
تضم إليها على وجه التفضل لقوله تعالى وزيادة فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان
فبأي آلاء ربكما تكذبان خص الأفنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة
لأنها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الأفنان ألوان النعم

ما تشتهي

ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قال ومن كل أفنان اللذاذة والصبي لهوت به والعيش
أخضر ناضر فيهما عينان تجريان حيث شاؤا في الأعالي والأسافل وقيل تجريان من جبل
من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل فبأي
آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب
فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف
في معنى الجمع على فرش بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن من
الإستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان
قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو في
الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن أبصارهن
على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما
تكذبان لم يطمث الإنسيات منهن أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن وهذا دليل
على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم كأنهن الياقوت والمرجان
فبأي آلاء ربكما تكذبان قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضا
قيل إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة
البيضاء هل جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة
للبر والفاجر أي مرسلة يعني أن كل من أحسن أحسن إليه وكل من أساء أسيء إليه فبأي آلاء
ربكما تكذبان ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم
من أصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة فبأي
آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح لأن
النضح غير معجمة مثل الرش فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما
تكذبان فإن قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما
وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله وجبريل وميكال أو لأن النخل
ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال أبو حنيفة رحمه الله إذا
حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه فيهن خيرات حسان فبأي
آلاء ربكما تكذبان خيرات خيرات فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون وأما خير الذي هو
بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الأصل والمعنى فاضلات الأخلاق
حسان الخلق حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان قصرن في خدورهن يقال
امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة لم يطمثهن
إنس قبلهم قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان
متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومتكئين نصب على الاختصاص
والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لأطراف
البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب

انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة
الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته
فان قلت كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما
قلت مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة
وكذلك صفة الحور والمتكأ تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وقرئ ذو الجلال
والاكرام صفة للاسم عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي ست وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة
والمراد القيمة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها و
وقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله فان قلت بم انتصب
اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت
او باضمار اذكر ليس لوقعتها كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله و
تكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم
كواذب مكذبات كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الاليم اوليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن
تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له
انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة و
ان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها
لانهم حينئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل في
الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما
جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال
زهير اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة
رافعة على هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات
العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما ان الاشقياء يحطون الى الدركات
والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا
وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر
السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا
حتى تنهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال بسا وفتت حتى تعود كالسويق او
سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال فكانت هباء منبثا متفرقا وقرئ
بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج
وصلاها راج وهي تمشي وتفاج فان قلت بم انتصب اذا رجت قلت هو بدل من اذا
وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال
لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض وكنتم ازواجا ثلاثة اصنافا

يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون في
جنات النعيم فاصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم واصحاب المشأمة الذين
يؤتونها بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني
باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن
وتشأمهم بالشمائل ولتعوقهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين من
اليمن وسموا الشمال الشومى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة اصحاب اليمن والشوم
لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل
يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال والسابقون المخلصون الذين
سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله تع وقيل الناس ثلاثة فرجل
ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل
ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر
في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة
وما اصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم
والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله
عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته
وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على
والسابقون وابتدأ السابقون اولئك المقربون والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة
وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة المقربون في جنات النعيم الذين قربت
درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم ثلة من الاولين والثلة
الامة من الناس الكثيرة قال وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد
وقوله وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان الامة من
الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير
من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى محمد صلى الله عليهما وسلم وقليل من الآخرين وهم
امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين
من متأخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتي فان قلت
كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين قلت هذا في السابقين وذاك في
اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا فان قلت فقد روي انه
لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلعم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من
الاولين وثلة من الآخرين قلت هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الآية واردة
في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى كيف عطف اصحاب
اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن
سابقو الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعو الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدأ محذوف

اي هم ثلة على سرر موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها
في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة ادني
بعضها من بعض متكئين عليها متقابلين متكئين حال من الضمير في على وهو العامل فيها
اي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في قفاء بعض وصفوا بحسن العشرة
وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم ولدان مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان
وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا
لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي رض وعن الحسن
وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب واباريق وكأس من معين الاكواب
اوان بلا عرى وخراطيم والاباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته
لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون
لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم
ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون يأخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون
ويشتهون يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون قرئ وحور عين
بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء ومشجج او للعطف
على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور او
على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب
على ويؤتون حورا جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء بما كانوا يعملون باعمالهم
لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما اما بدل من قيلا بدليل قوله
لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا
سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام و
قرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود و
طلح منضود السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له كانما خضد شوكه وعن
مجاهد الموقر الذي تنثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب
والطلح شجر الموز وقيل هو شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر
يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ وطلع وقال
وما شان الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل او نحوها قال آي القرآن لا تهاج اليوم
ولا تحول وعن ابن عباس نحوه والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست
له ساق بارزة وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع
الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية
لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود وفاكهة كثيرة لا مقطوعة هي
دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة لا يمنع عن متناولها بوجه
ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة
كقوله وحور عين وفرش جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت

او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال
الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله انا انشاناهن وعلى التفسير
الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهو المضاجع دل عليه انا انشاناهن انشاء فجعلناهن
ابكارا ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن او
اللاتي اعيد انشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ام سلمة سألته عن قول
الله تعالى انا انشاناهن فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا
جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا
فلما سمعت رسول الله ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك
وجع وقالت عجوز لرسول الله صلعم ادع الله ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها
العجائز فولت تبكي فقال عليه السلام اخبروها انها ليست حينئذ بعجوز وقرأ الآية عربا
وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات
في السن بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن ايضا كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين واللام في
لاصحاب اليمين من صلة انشانا وجعلنا ثلة من الاولين وثلة من الآخرين واصحاب الشمال
ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء حار متناهي الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد ولا كريم نفى لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن
لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي اليه من اذى الحر و
ذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في
نحو هذا شأنا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم
الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو كذلك انهم كانوا قبل
ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام
الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث اذا
تأثم وتحرج وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون
اوآباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف فان قلت كيف حسن العطف على المضمر
في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما
اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ اوآباؤنا قل ان الاولين والآخرين لمجموعون
وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من
كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها
من يريد دخول مكة الا محرما ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل
مكة ومن في مثل حالهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر
وتفسيره فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على
اللفظ في قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني
على تأويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه فشاربون شرب الهيم قرئ بالحركات الثلاث

فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق ايام اكل وشرب بفتح الشين واما المكسور
فبمعنى المشروب اى ما يشربه الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى
جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها
هيامها وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لا يتماسك
جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع
ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملاوا منها البطون سلط عليهم من العطش
ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم فان قلت كيف
صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا
للشئ على نفسه قلت ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه
من تناهى الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب
ايضا فكانتا صفتين مختلفتين هذا نزلهم يوم الدين النزل الرزق الذى يعد للنازل
تكرمة له وفيه تهكم كما فى قوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابى الشعر الضبى وكنا اذا الجبار
بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلو
لا تصدقون تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انهم لما
كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا
لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا افرايتم ما تمنون ما تمنونه اى تقذفونه فى الارحام من النطف
وقرأ ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى أانتم
تخلقونه تقدرونه وتصورونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه
عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل
ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشئ اذا اعجزته وغلبته عليه ولم تمكنه منه
فمعنى قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون انا قادرون
على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اى على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق
وعلى ان ننشئكم فى خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى انا نقدر على الامرين جميعا على خلق
ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اى على ان
نبدل ونغير صفاتكم التى انتم عليها فى خلقكم واخلاقكم وننشئكم فى صفات لا تعلمونها ولقد
علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون وقرئ النشأة والنشاءة وفى هذا دليل على صحة القياس
حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى افرايتم ما تحرثون تحرثونه من الطعام
اى تبذرون حبه وتعملون فى ارضه أانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمى
الى ان يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت وليقل
حرثت قال ابو هريرة ارايتم الى قوله افرايتم الاية ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما
والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم فظلتم وقرئ
بالكسر وفظلتم على الاصل تفكهون تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه
او على ما اقترفتم من المعاصى التى اصبتم بذلك من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم

كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقى قوم
يتفكنون اى يتندمون انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من
الغرام وهو الهلاك بل نحن قوم محرومون محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا
مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أانا افرايتم الماء الذى تشربون يريد الماء العذب الصالح
للشرب أانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون والمزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو
السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ماء لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون اجاجا
ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فان قلت لم ادخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما
ونزعت منه ههنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق
الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط
اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتيها ان الثانى امتنع لامتناع الاول افتقرت
فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا
حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشئ اذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا
ومأنوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن
رؤبة انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوى
حالى حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم
مطلوبا ولا طلبا وحذفه لم ارفاذن حذفها اختصار لفظى وهى ثابتة فى المعنى فاستوى
الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية
ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت فى اية
المطعوم دون اية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان
الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى
انك انما تسقى ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابى العلاء اذا سقيت
ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا وسقى بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على
ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب افرايتم النار التى تورون تقدحونها و
تستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون الاعلى الزند
والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة أانتم انشأتم شجرتها التى منها الزناد
ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعايش
كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا
به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم
هذه التى يوقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين
للذين ينزلون القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت
من ايام اى لم اكل شيئا فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك او اراد
بالاسم الذكر اى بذكر ربك والعظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل
على قدرته وانعامه على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان يقول سبحان الله اما تنزيها

عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط الآئه وأياديه الظاهرة واما شكرا لله تعالى على النعم التي عدها ونبه عليها فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلأنا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهما انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان يكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القرآن اي اوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون في كتاب مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلته صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر احب الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل من رب العالمين صفة رابعة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله صلعم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن سحر وشعر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير

في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله وآياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي والمميت المبدئ المعيد فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة في اول السورة فروح وريحان وجنت نعيم فله استراحة وروت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروح بالضم وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل البقاء اي هذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم وقرئ بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا الذي نزل في هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين فسبح باسم ربك العظيم عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الواقعة ابدا لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شان ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتأتى منه التسبيح ويصح له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فان قلت ما محل يحيي قلت يجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وان يكون مرفوعا على هو يحيي ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيمة ويميت الاحياء هو الاول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب

من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذا لـ مع العدول عن الظاهر المفهوم وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير مستخلفين فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا فيها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم وما لكم لا تؤمنون بالله لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقد اخذ ميثاقكم وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذ لم يبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون بالله ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ وقد اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور ليخرجكم الله باياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته وان الله بكم لرؤف رحيم وقرئ لرؤف وما لكم الا تنفقوا في ان لا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل لا يستوي منكم من انفق قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة وقرئ قبل الفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على

وكل وعده الله وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقرضه اياه فيضاعفه له اي يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض او على هو يضاعفه يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم يوم ترى ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم واية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحايفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم وقرئ ذلك الفوز يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تذف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتيادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف له لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه فيه الرحمة باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة وظاهره ما ظهر لاهل النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقرا زيد بن علي رضي الله عنه فضرب بينهم على البناء للفاعل ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وغرتكم الاماني طول الامال والطمع في امتداد الاعمار حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ما يفتدى به ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير قيل هي اولى بكم وانشد قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تولاكم

كما تولّيتم في الدنيا اعمال اهل النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من
الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم الم يأن من انى الامر
اذا جاء اناه اى وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى يأنى ولمّا يأن قيل كانوا مجدبين بمكة
فلمّا هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عمّا كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين
اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب
المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم وهم
يقرؤن من القرآن اقل مما تقرؤن فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر
رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر
اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزّل ونَزَل وانزل ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ
بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبّخوا
وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله
ورقّت قلوبهم فلمّا طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف
فان قلت ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق **قلت** يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق
القرآن لانه جامع للامرين الذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها اذا ذكر
الله واذا تلي القرآن كقوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا
اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامدّ اى الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون
خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قيل هذا تمثيل
لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض قد بيّنّا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان
المصّدّقين والمصّدّقات المتصدّقين وقرئ على الاصل والمصدّقين من صدّق وهم
الذين صدّقوا الله ورسوله يعني المؤمنين **فان قلت** علام عطف قوله واقرضوا **قلت**
على معنى الفعل في المصّدّقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى صدّقوا كانه قيل ان الذين
اصّدّقوا واقرضوا الله قرضا حسنا والقرض الحسن ان يتصدّق من الطيب عن طيبة النفس وصحّة
النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم ولهم اجر كريم وقرئ يضعّف ويضاعف بكسر العين
اي يضاعف الله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربهم يريد
ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصدّيقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق
واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا اولئك اصحاب
الجحيم اي مثل اجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم **فان قلت** كيف يسوّي بينهم في الاجر
ولا بدّ من التفاوت **قلت** المعنى ان الله يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي
اجرهم مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره اعلموا انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار
نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اراد ان الدنيا ليست الا محقّرات من الامور
وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب

الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبّه حال الدنيا وسرعة تقضّيها مع قلة جدواها بنبات
انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات
فبعث عليه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة
وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزرّاع وقرئ مصفارّا سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة
سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض اعدّت
للذين آمنوا بالله ورسله قال السدّي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض
دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة
عرف ان طوله ابسط وامدّ ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض لما حقّر
الدنيا وصغّر امرها وعظّم امر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي
المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة
فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون والله ذو الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة
في الارض ولا في انفسكم المصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الانفس نحو
الادواء والموت الا في كتاب في اللوح من قبل ان نبرأها يعني الانفس والمصائب ان ذلك ان
تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد ثم علّل ذلك وبيّن الحكمة
فيه فقال لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء
مقدّر مكتوب عند الله قلّ اساكم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده
مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطّن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض
الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال
فخور لان من فرح بحظّ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبّر على الناس قرئ
بما آتاكم وأتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود بما اوتيتم **فان قلت** فلا
احد يملك نفسه عند مضرّة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح **قلت**
المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله تعالى ورجاء ثواب الصابرين
والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام
والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال
فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من
الدنيا فلحبّهم له وعزّته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ويأمرون
الناس بالبخل ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغّبوهم في الامساك و
يزيّنوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته ومن يتولّ عن اوامر الله ونواهيه
ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فان الله هو الغني الحميد
فان الله غنيّ عنه وقرئ بالبخل وقرأ نافع فان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة
والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات
وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان ليقوم الناس بالقسط روي ان جبريل نزل بالميزان
فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة

ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي
معه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى
الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم
من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه فيه بأس شديد وهو القتال
به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنايعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها
اوما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وساير
السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب غايبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه
ان الله قوي عزيز غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد اهلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد
لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في
ذريتهما النبوة والكتاب والوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم
مهتد وكثير منهم فاسقون فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال
والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق ثم قفينا على
آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة
وامره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم
فيها حفظ ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وقرئ رآفة على
فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحماء بينهم ورهبانية والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين
انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه السلام ثلاث
مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية
ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي
ورهبانية بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها
بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من
عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله
استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما
يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم
يريد اهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام وكثير منهم فاسقون الذين
لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان يكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة
لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى
وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا
بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من
الفتن ويبتغوا بذلك رضاء الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا
المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من اهل

الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين
آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد يؤتكم الله كفلين اي نصيبين من رحمته لايمانكم
بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيمة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله
يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم لئلا يعلم
ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة الا يقدرون ان مخففة من الثقيلة
واصله انه لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا ينالون
شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم
ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا
على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك
يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد
من رسله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين
راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من
اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن
لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا
رسول الله صلعم فرجعوا وقدموا باموال لهم فآسوا بها المسلمين فانزل الله تعالى الذين
آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب
قوله يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجره
مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي ان مؤمني
اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل
عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وليعلم
بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه
قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم
ابدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما
انشد اريد لانسى ذكرها وقرئ ان لا يقدروا وان الفضل بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل
يؤتيه من يشاء ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه والله ذو الفضل العظيم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها و
تشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع
سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وانا عنده لا
اسمع وقد سمع لها وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها
وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام وتحاولك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن
الصامت اخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان

بن خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا
شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت
له ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في
امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي
واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها في شانه ومعناه
ان الله سميع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في
قوله قد سمع قلت معناه التوقع لان رسول الله صلعم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع
الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم من نسائهم في منكم
توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر
الامم ما هن امهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود
بامهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول لامرأته انت علي كظهر امي ملحق
في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا
اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن
الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن
دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين
لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من
الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا
من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان
الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم
يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن
لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا يعني

رحم محرم منه من نسب او رضاع او صهر نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع او عمتي من
النسب او امرأة ابني او ابي او ام امرأتي او بنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه
وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون
الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات
والاخوات والعمات والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون
المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فان قلت فاذا امتنع
المظاهر من الكفارة هل للمرأة ان ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر
وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر
بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان قلت فان مس
قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء
فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر فان قلت اي رقبة تجزئ
في كفارة الظهار قلت المسلمة والكافرة جميعا لانها في الاية مطلقة وعند الشافعي لا
تجزئ الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ ام الولد
والمدبر والمكاتب الذي ادى شيئا فان لم يؤد جاز وعند الشافعي لا يجوز فان قلت فان
اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس قلت عليه ان يستانف نهارا مس او
ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة وعند ابي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه
وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى فان قلت كم يعطي المسكين في الاطعام
قلت نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام
بلده الذي يقتات فيه فان قلت ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر
عند الكفارتين قلت اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلاث
في وجوب تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال

المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد احصيه الله احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور والله على كل شيء شهيد الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ما كان من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على ان النجوى تانيثها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى التناجي فلا يخلو اما ان تكون مضافة الى ثلثة اي من نجوى ثلثة نفر او موصوفة بها اي من اهل نجوى ثلثة فحذف الاهل او جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرا ابن ابي عبلة ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه او على تاويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه فان قلت ما الداعي الى تخصيص الثلثة والخمسة قلت فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالفين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل الرأي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر الا هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم وقرئ ولا اكبر بالباء ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وكانه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم وقرئ ثم ينبئهم بالتخفيف الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين يريدون ان

يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون يا ايها الذين امنوا خطاب للمنافقين الذين امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمؤمنين اي اذا تناجيتم فلا تشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروي دون الثالث وقرئ فلا تناجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا انما النجوى من الشيطان اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين امنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين امنوا ويحزنهم وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فان قلت كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله قلت كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن الموهم بذلك الا باذن الله اي بمشيته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله صلعم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم في الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك واذا قيل انشزوا فانشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تتثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات والله بما تعملون خبير وقرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلعم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلم فضل العالم على

العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلاثة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي الواسطة بين النبوة والشهادة بشهادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار
العلم فاعطي المال والملك معه وقال عليه السلام اوحى الله الى ابرهيم يا ابرهيم اني عليم احب
كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم
وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزبيري
العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجويكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم بين يدي نجويكم
استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجويكم كقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل
امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلك التقديم خير لكم في
دينكم واطهر لان الصدقة طهرة روي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلعم بما يريدون
حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته
صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه
قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما
الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من
نهار وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي
كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات
سالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن
كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر واية النجوى قال ابن عباس
هي منسوخة بالاية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكوة ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم
صدقات اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم و
رخص لكم في ان لا تفعلوه فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله فلا تفرطوا في
الصلوة والزكوة وساير الطاعات والله خبير بما تعملون قرئ بالتاء والياء الم تر الى الذين
تولوا قوما غضب الله عليهم كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله
من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون
ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على
الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون
ان المحلوف عليه كذب بحت فان قلت فما فائدة قوله وهم يعلمون قلت الكذب ان يكون
الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف
ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل
المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلعم
في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل ابن نبتل

وكان

وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل
فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم عذابا
شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان الماضي
مصرين على سوء العمل او هي حكاية ما يقال لهم في الاخرة اتخذوا ايمانهم وقرئ
ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها او ايمانهم الذي اظهروه جنة اي سترة يستترون
بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا
يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين
وانما وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من
عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا
واموالنا واولادنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له لله تعالى على انهم مسلمون في الاخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون انهم
على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر يخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا
في ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرارا فوايد دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها
الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار
الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم وتمرنهم عليه وان ذلك
بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف
العلماء في كذبهم في الاخرة والقران ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى هذه الاية وفي قوله
والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويحسبون
انهم على شيء من النفع اذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبان ان الايمان
الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعني انهم الغاية
التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والاخرة استحوذ عليهم
الشيطان استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان احوذيا
نسيج وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان لطاعتهم
له في كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانسيهم ذكر الله ان يذكروا اصلا لا بقلوبهم
ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون قال ابو عبيدة
حزب الشيطان جنده ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو اذل
خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او
باحدهما ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله و
رسوله لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوادون
المشركين والغرض انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه
والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من
مخالطتهم ومعاشرتهم وزاده ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او

اخوانهم او عشيرتهم وبقوله اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون فلا تجد شيئا ادخل فى الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه كتب فى قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وايدهم بروح منه بلطف من عنده حيت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اى بروح من الايمان على انه فى نفسه روح لحيوة القلوب به وعن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابى رواد انه لقيه وزير المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما وروى انها نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه وذلك ان ابى قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلعم او فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته وقيل فى ابى عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وفى ابى بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى اكن فى الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا ابا بكر ما تعلم انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وفى مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد ابن عمير يوم احد وفى عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفى على وحمزة وفى عبيدة ابن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية اربع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التورية لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة وامر عليه الصلوة والسلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلعم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابى المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله تعالى الرعب فى قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاء من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام فى لاول الحشر متعلق باخرج وهى اللام فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وقوله جئته لوقت كذا والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر

ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك ان المحشر ههنا يعنى الشام فليقرأ هذه الاية وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلعم ما ظننتم ان يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله وظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله فاتاهم امر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين وسلب قلوبهم الامن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان يوافقوا المؤمنين فى تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن فى حسبانهم ومنه اتاهم الهلاك فان قلت اى فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذى جاء عليه قلت فى تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم او يطمع فى معازتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم وقرئ فاتيهم الله اى فاتيهم الهلاك والرعب الخوف الذى يرعب الصدر اى يملاه وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الاسد مقذف كما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استئصال شافتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان فى ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم وممتنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب فان قلت ما معنى تخريبهم لها بايدى المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوه اياهم فاعتبروا يا اولى الابصار فاعتبروا بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال كما قال ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب يعنى ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المؤمنين من جوارهم وتوريثهم اموالهم فلولا انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم فى الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بنى قريظة ولهم سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار يعنى ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ما قطعتم من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قال اى شئ قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما فى قوله او تركتموها قائمة على اصولها لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من

الألوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخل وياؤها عن واو قلبت
لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة
كأن قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها وجمعها لين وقرئ قوما على أصلها
وفيه وجهان أنه جمع أصل كرهن ورهن واكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله
ذهابا إلى لفظ ما فبإذن الله فقطعها بإذن الله وأمره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود
ويغيظهم أذن في قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن تقطع نخلهم
وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في نفس
المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني أن الله أذن لكم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة
إذا رأيتموهم يتحكمون في أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها ما شاؤوا واتفق العلماء أن حصون
الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس
بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال فإن
قلت لم خصت اللينة بالقطع قلت إن كانت من الألوان فليستبقوا لأنفسهم العجوة و
البرنية وإن كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وروي أن رجلين كانا يقطعان
أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله
وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول
لأنهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب وما أفاء الله على رسوله منهم
جعله فيئا له خاصة والإيجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام في الإفاضة
من عرفات ليس البر بإيجاف الخيل ولا إيضاع الإبل على هينتكم ومعنى فما أوجفتم عليه من
خيل ولا ركاب فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه
وإنما مشيتم إليه على أرجلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه
بالقتال والغلبة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ولكن سلطه
عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث
يشاء يعني أنه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا
القسمة فنزلت ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها غير
أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه
حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة والدولة والدولة بالفتح والضم وقد
قرئ بهما ما يدول للإنسان أي يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله
كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم
بلغة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى
الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدولة
والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية ومنه قول الحسن
اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقيل الدولة

ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني لكيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه
فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول أي كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون
إمساكه تداولا بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله
وإن كان ذو عسرة يعني لكيلا تقع دولة جاهلية ولينقطع أثرها أو كيلا يكون تداول
له بينهم أو كيلا يكون شيء متعاورا بينهم غير مخرج إلى الفقراء وما آتاكم الرسول من قسمة
غنيمة أو فيء فخذوه وما نهاكم عنه عن أخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه أنفسكم
واتقوا الله أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه إن الله شديد العقاب لمن خالف
رسوله والأجود أن يكون عاما في كل ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر
الفيء داخل في عمومه وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال
له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه للفقراء
المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا للفقراء
بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الإبدال من لله وللرسول والمعطوف
عليهما وإن كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أخرج رسوله من
الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وأن
الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا أولئك هم الصادقون
في إيمانهم وجهادهم والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين تبوءوا معطوف على المهاجرين
وهم الأنصار فإن قلت ما معنى عطف الإيمان على الدار ولا يقال تبوءوا الإيمان
قلت معناه تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا أو وجعلوا
الإيمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك
أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف
من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه أو سمى المدينة لأنها دار الهجرة والإيمان وقيل
من قبلهم من قبل هجرتهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون ولا يعلمون في صدورهم في أنفسهم
حاجة مما أوتوا أي طلب محتاج إليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج إليه
يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته يعني أن نفوسهم لم تتبع ما
أعطوا ولم تطمح إلى شيء منه تحتاج إليه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
أي خلة وأصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في محل الحال أي مفروضة خصاصتهم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار
إلا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال
لهم إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وإن شئتم
كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا
وديارنا ونؤثرهم بالقسمة ولا نشاركهم فيها فنزلت ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر
وقد قرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال يمارس نفسا بين جنبيه
كزة إذا هم بالمعروف قالت له مهلا وقد أضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع

نفسه ومنه قوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما أمرته به منه وخالف
هواها بمعونة الله وتوفيقه فأولئك هم المفلحون الظافرون بما أرادوا وقرئ ومن يوق والذين
جاؤوا من بعدهم عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون بإحسان
يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا
وهما الحقد للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين
كفروا من أهل الكتاب للذين بينهم وبينهم أخوة الكفر ولأنهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم وكانوا
معهم على المؤمنين في السر لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم
لننصرنكم ولا نطيع فيكم في قتالكم أحدا من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه أو في خذلانكم
وإخلاف ما وعدناكم من النصرة والله يشهد إنهم لكاذبون أي في مواعيدهم لليهود وفيه دليل
على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم و
لئن نصروهم ليولن الأدبار **فإن قلت** كيف قيل ولئن نصروهم بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم
قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم
ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون
ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود
ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لأنتم أشد رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كأنه قيل أشد
مرهوبية وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله
وأنتم أهيب في صدورهم من الله **فإن قلت** كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى يكون رهبتهم
منهم أشد **قلت** معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم
وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد أن اليهود يخافونكم في صدورهم أشد
من خوفهم من الله لأنهم كانوا قوما أولي بأس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع إضمار الخيفة في
صدورهم ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لا
يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين إلا
كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب أو من وراء جدر دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم
لقذف الله الرعب في قلوبهم وأن تأييد الله ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر و
جدر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا
اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة
الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي ألفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا ألفة بينها
يعني أن بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير
للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ذلك بأنهم قوم لا يعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن
قواهم ويعين على أرواحهم كمثل الذين من قبلهم قريبا أي مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب **فإن
قلت** بم انتصب قريبا **قلت** بمثل على كوجود مثل أهل بدر قريبا ذاقوا وبال أمرهم سوء عاقبة
كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعني
ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار كمثل الشيطان إذ قال

للإنسان

للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين مثل المنافقين في إغرائهم اليهود
على القتال ووعدهم إياهم النصر ثم متاركتهم لهم وإخلافهم كمثل الشيطان إذا استغوى الإنسان
بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم
من الناس وإني جار لكم إلى قوله إني بريء منكم فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك
جزاء الظالمين وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة
الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ أنا بريء وعاقبتهما بالرفع يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون كرر الأمر بالتقوى تأكيدا
أو اتقوا الله في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لأنه قرن بما
يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل
يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله كأن لم تغن بالأمس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن
الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد **فإن قلت** ما معنى تنكير النفس والغد
قلت أما تنكير النفس فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس
واحدة في ذلك وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك
ابن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا ولا تكونوا كالذين
نسوا الله نسوا حقه فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان
حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم القيامة من الأهوال ما نسوا فيه أنفسهم كقوله
لا يرتد إليهم طرفهم لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون هذا
تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة
واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن
الفوز مع أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك
تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الأبوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل
أصحاب الشافعي بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين
بالقهر لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله هذا تمثيل وتخييل كما
في قوله إنا عرضنا الأمانة وقد دل عليه وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون والغرض
توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ
مصدعا على الإدغام وتلك الأمثال إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل
هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم الغيب المعدوم والشهادة
الموجود المدرك كأنه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية
وقيل الدنيا والآخرة هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء
الحسنى القدوس بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح
وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار
السلام وسلام عليك وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص أو في إعطائه السلامة

والمؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول فى قوم موسى
من قوله واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب على كل شئ الحافظ
له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار القاهر الذى جبر خلقه على ما اراد اى اجبر
والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده والخالق المقدر لما يوجد والبارئ
المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والمصور الممثل وعن حاطب بن ابى بلتعة انه قرأ البارئ
المصوَّر بفتح الواو ونصب الراء اى الذى يبرأ المصوَّر اى يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات
يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم وقرأ ابن مسعود وما فى الارض وعن ابى
هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر
فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد على فاعدت عليه فاعاد على عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهى ثلاث عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم روى ان مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها
سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت
لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالى والعشيرة وقد ذهبت الموالى
تعنى قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها
حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل
مكة نسخته من حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلعم يريدكم فخذوا حذركم
فخرجت سارة ونزل جبرئيل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة
والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة
معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت
وحلفت فهموا بالرجوع فقال على رضى الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسل سيفه وقال اخرجى الكتاب او تضعى رأسك فاخرجته من عقاص شعرها وروى ان رسول
الله صلعم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هى احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك
ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وروى عزيزا فيهم اى غريبا ولم اكن
من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيرى فخشيت
على اهلى فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابى لا يغنى عنهم
شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق
فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم
اولياء عدى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوى واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه
على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد فان قلت تلقون اليهم بالمودة بم يتعلق
قلت يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استينافا

فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك
تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذاك انما اشترطوه فى الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء
ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة
والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشى صدره والقى اليه بعقوره والباء فى بالمودة اما
زائدة مؤكدة للتعدى مثلها ولا تلقوا بايديكم واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه
تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التى بينكم وبينهم وكذلك
قوله تسرون اليهم بالمودة اى تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول و
اياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون
اليهم بالمودة فان قلت وقد كفروا حال مما ذا قلت اما من لا تتخذوا واما من
تلقون اى لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم ويخرجون استيناف كالتفسير لكفرهم
وعتوهم او حال من كفروا وان تؤمنوا تعليل ليخرجون اى يخرجونكم وان كنتم خرجتم متعلق
بلا تتخذوا يعنى لا تتولوا اعدائى ان كنتم اوليائى وقول النحويين فى مثله هو شرط جوابه
محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استيناف ومعناه اى طائل لكم فى اسراركم
وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان فى علمى لا تفاوت
بينهما وانا مطلع رسولى على ما تسرون ومن يفعله منكم ومن يفعل هذا الاسرار فقد ضل
سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدرى لما جاءكم اى كفروا لاجل ما
جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم ان يثقفوكم ان
يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصى العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا لو
ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم
ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم
قال وودوا بلفظ الماضى قلت الماضى وان كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع فى علم
الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعنى انهم يريدون ان
يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم
كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون
لها دونه والعدو اهم شئ عنده ان يقصد اعز شئ عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم
اى قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم
ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الاية
فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطأ رأيهم فى موالاة الكفار بما
يرجع اليه حال من والوه اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان
ما اقدموا عليه من اى جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول
ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون والله بما

تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا
برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا
حتى تؤمنوا بالله وحده قرئ اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اى كان فيهم مذهب حسن مرضى
بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا
لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم
بالله تعالى وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان ازالوه وآمنوا بالله وحده
انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى
كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان آلهتكم وما انتم عندنا
على شئ فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك قلت
من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذى حق عليهم ان يأتسوا به
ويتخذوه سنة يستنون بها فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من
القول الذى هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شئ وهو غير حقيق
بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك من الله شيئا قلت اراد استثناء جملة قوله
لابيه والقصد الى موعد الاستغفار وما بعده مبنى عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك
وما فى طاقتى الا الاستغفار فان قلت بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا
واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم
قلت بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا
من الله للمؤمنين بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم
وبين الكفار والايتساء بابرهيم وقومه فى البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة
به من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم وقرئ برءاء كشركاء وبراء كظراف وبراء
على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة
كالظماء والظماءة لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة ثم كرر الحث على الايتساء بابرهيم
وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية فى التأكيد وابدل
عن قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغنى
الحميد فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون فى عداوة
آبائهم وابنائهم وجميع اقاربهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله تعالى منهم الجد والصبر
على الوجد الشديد وطول التمنى للسبب الذى يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم
تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من
التحاب والتصافى ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة فلانت
عند ذلك عريكة ابى سفيان واسترخت شكيمته فى العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت
وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر واراده على النصرانية فابت
وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى فخطبها
عليه وساق عنه اليها اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه

عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وعسى وعد من الله تعالى مثل عادات
الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى ولعل فلا يبقى للمحتاج فى تمام ذلك او قصد به اطماع
المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور
رحيم لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم
ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين
واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ان
تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة
هؤلاء وانما ينهاكم عن تولى هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم فى العداوة متقدمة
لرحمته بتيسير اسلام قومهم رخص لهم فى صلة من لم يجاهرهم منهم بقتال المؤمنين واخراجهم
من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتلوه
ولا يعينوا عليه وعن مجاهد الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت
على اسماء بنت ابى بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهى مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول
فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها
وعن قتادة نسختها آية القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك
بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم
يجترئ على ظلم اخيه المسلم يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات سماهن مؤمنات
لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافى ذلك او لانهن مشارفات
لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر فى الامارات ليغلب على ظنونكم
صدق ايمانهن وكان رسول الله صلعم يقول للممتحنة بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض
زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا
لله ولرسوله الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان
استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذى
تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل
لهم ولا هم يحلون لهن فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك
وآتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية
كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا و
ختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل
زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت
لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان
فى الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلعم وبين المشركين عهد ان لا تأتيك
منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت فى دينك ولها زوج ان ترد على زوجها
الذى انفق عليها وللنبى صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم
وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلعم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر

فان قلت كيف سمى الظن علما فى قوله فان علمتموهن قلت ايذانا بان الظن الغالب وما يفضى اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل فى قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت ما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه قلت فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وان ما يؤدى اليه الامتحان من العلم كاف فى ذلك وان تكليفكم لا تعدوه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات اذا اتوهن اجورهن اى مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط فى اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس واما ان يبين لهم ان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقى الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعنى اياكم واياهن لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كان له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن واسألوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اى ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعنى جميع ما ذكر فى هذه الآية يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم روى انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شئ من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو فى قراءة ابن مسعود احد فان قلت هل لايقاع شئ فى هذا الموقع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شئ من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا فى هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة وهى النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة ومهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهرى يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فاعقبتم وعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم فى العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفى صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم والذى ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراآت فكانت العقبى لكم

اى كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة الى الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت ابى امية كانت تحت عمر بن الخطاب وهى اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابى جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله صلعم مهور نسائهم من الغنيمة يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ولا يعصينك فى معروف فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف فان قلت لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بمعروف قلت نبه بذلك على ان طاعة المخلوق فى معصية الخالق جديرة بغاية التوقى والاجتناب وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضى الله عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات فما ادرى ايحل لى ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت اوتزنى الحرة وفى رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلعم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ وقيل فى كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطرى وقيل كان عمر يصافحهن عنه يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم روى ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من الآخرة من ان يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت فى

التوراة كما يئس الكفار من أصحاب القبور من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة تم

سورة الصف مكية وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم • سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون لم هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قوله بم وفيم وممّ وعمّ والام وعلامَ وإنما حذفت الألف لأن ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالها كثيراً في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلاً والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثه اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد وروي أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم أحد فعيّرهم وقيل لما أخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنك قتلته فقال إنما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون هذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتاً على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابّة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيراً حتى جعل أشدّه وأفحشه وعند الله أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله في قوله إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن علي يقاتَلون بفتح التاء وقرئ يقتّلون صفاً صافين أنفسهم أو مصفوفين كأنهم في تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان مرصوص رصّ بعضه إلى بعض ورُصف وقيل يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلاً لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفاً كأنهم بنيان حالان متداخلان وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني إذ منصوب بإضمار اذكر أو وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا تؤذونني كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من تنقّصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم

البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله تعالى وحقه وقد تعلمون في موضع الحال أي تؤذونني عالمين علماً يقيناً أني رسول الله إليكم وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا أن تؤذوني وتستهينوا بي لأن من عرف الله وعظمته عظّم رسوله ولأن من آذاه كان وعيد الله لاحقاً به فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم بأن منع ألطافه والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف فإن قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كأنه قال وتعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين قيل إنما قال يا بني إسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي يعني أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعديْ بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل فإن قلت بم انتصب مصدقاً ومبشراً أبما في الرسول من معنى الإرسال أم بإليكم قلت بل بمعنى الإرسال لأن إليكم صلة للرسول فلا يجوز أن يعمل شيئاً لأن حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن لما فيها من معنى الفعل فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين وأي الناس أشد ظلماً ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر لأن السحر كذب وتمويه وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدّعى بمعنى يدعي دعاه وادّعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدّعي بمعنى يدعو وهو الله عز وجل يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم أصله يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيداً له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك لإكرامك كما زيدت اللام في لا أبا لك تأكيداً لمعنى الإضافة في لا أباك وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثّلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره ولو كره الكافرون أي متم الحق ومبلّغه غايته وقرئ بالإضافة هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين كله ولو كره المشركون على جميع الأديان المخالفة له ولعمري قد فعل فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام وعن مجاهد إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام وقرئ أرسل نبيه يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار

ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم تنجيكم قرئ مخففا ومثقلا وتؤمنون
استيناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الأمر ولهذا أجيب بقوله
يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا فإن قلت
لم جيء به على لفظ الخبر قلت للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان
وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله جعلت المغفرة لقوة الرجاء
كأنها كانت ووجدت فإن قلت هل لقول الفراء أنه جواب هل أدلكم وجه قلت
وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد فكأنه قيل هل
تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم فإن قلت فما وجه قراءة زيد بن علي تؤمنوا وتجاهدوا
قلت وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا خفت
من أمر تبالا وعن ابن عباس أنهم قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناها فنزلت هذه الآية
فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن
تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الأمر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها إليه أوقع
فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر من الإيمان والجهاد خير لكم من أموالكم
وأنفسكم فإن قلت ما معنى قوله إن كنتم تعلمون قلت معناه إن كنتم تعلمون أنه خير
لكم كان خيرا لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما
تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون وأخرى تحبونها ولكم إلى هذه النعمة المذكورة
من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله
وفتح قريب أي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ
على محبة العاجل فإن قلت علام عطف قوله وبشر المؤمنين قلت على تؤمنون لأنه
في معنى الأمر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك
فإن قلت لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا قلت يجوز أن ينتصب على الاختصاص
أو على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصرا وفتحا
يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله
قال الحواريون نحن أنصار الله قرئ كونوا أنصار الله وأنصارا لله وقرأ ابن مسعود كونوا
أنتم أنصار الله وفيه زيادة حث للنصرة عليهم فإن قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره
تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله قلت التشبيه محمول على
المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري
إلى الله فإن قلت ما معنى قوله من أنصاري إلى الله قلت يجب أن يكون معناه مطابقا
لجواب الحواريين نحن أنصار الله والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجها إلى نصرة الله
وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله فإن معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله
ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح أن
يكون معناه من ينصرني مع الله لأنه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله
والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه

من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتي
وحواريي من أمتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته
الحوالي وهو الكثير الحيل فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا
على عدوهم فأصبحوا ظاهرين فآمنت طائفة منهم بعيسى وكفرت به طائفة فأيدنا
مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلعم
من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس
العزيز الحكيم قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت
منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله أهل الحمد هو الذي بعث في الأميين رسولا
منهم الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم وقيل
بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار ومعنى بعث
في الأميين رسولا منهم بعث رجلا أميا في قوم أميين كما جاء في شعيا أني أبعث أعمى في
عميان وأميا في أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم تعلمون نسبه وأحواله وقرئ في الأمين
بحذف ياء النسبة يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم تعهد منه
قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية
ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين إن
هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه
وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وآخرين مجرور عطف على الأميين يعني أنه بعث في الأميين الذين
على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة
رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال
لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم
إلى يوم القيمة ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم أي يعلمهم ويعلم آخرين
لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذي تولى كل
ما وجد منه وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه
واختياره إياه من بين كافة البشر ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ذلك الفضل الذي أعطاه محمدا وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور
الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء إعطاءه وتقتضيه حكمته مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها
وحفاظ ما فيها ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول
الله صلعم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارا أي كتبا كبارا من كتب العلم
فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم
يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله

وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها
فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة أي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ
يحمل الأسفار فإن قلت يحمل ما محله قلت النصب على الحال أو الجر على الوصف
لأن الحمار كاللئيم في قوله، ولقد أمر على اللئيم يسبني، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا هاد يهود إذا تهود
إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ كانوا يقولون نحن
أبناء الله وأحباؤه أي إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا
إلى دار كرامته التي أعدها لأوليائه ثم قال وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ بسبب ما قدموا من الكفر ولقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتمنوا ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد أن يتمنى وهي
إحدى المعجزات وقرئ فتمنوِ الموت بكسر الواو تشبيها بلوِ استطعنا ولا فرق بين لا ولن في أن كل
واحد منهما نفي للمستقبل إلا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن
يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ثم قيل لهم إن الموت الذي تفرون منه ولا
تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون
إلى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب وقرأ زيد بن علي إنه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون
منه ملاقيكم وهي ظاهرة وأما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل إن الموت الذي
تفرون منه كلاما برأسه في قراءة زيد أي إن الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف
إنه ملاقيكم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ يوم الجمعة يوم الفوج المجموع
كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم
الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن جميعا فإن قلت من في قوله من يوم
الجمعة ما هي قلت هي بيان لإذا وتفسير له والنداء الأذان وقالوا المراد به الأذان عند
قعود الإمام على المنبر وقد كان لرسول الله صلعم مؤذن واحد وكان إذا جلس على المنبر أذن
على باب المسجد فإذا نزل أقام الصلوة ثم كان أبو بكر وعمر على ذلك حتى إذا كان عثمان وكثر الناس
وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الأول على داره التي تسمى زوراء فإذا جلس
على المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا نزل أقام الصلوة فلم يعب ذلك عليه وقيل أول من سماها
جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل إن الأنصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه
كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا
يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى
بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله تعالى آية الجمعة فهي
أول جمعة كانت في الإسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي أنه لما
قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء

والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلوة الجمعة في بني سالم
بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث افتخروا
بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب
والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله
لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم
وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه
عليه السلام أتاني جبرئيل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون
لك عيدا ولأمتك من بعدك وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه إلى الآخرة يوم المزيد
وعنه إن لله في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وعن كعب إن الله فضل من البلدان مكة
ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له
أجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد
بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم وكانت الطرقات
في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج وقيل أول بدعة
أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم
وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد ولا تقام الجمعة عند أبي حنيفة
إلا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع
والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الأحكام ومن شروطها الإمام ومن يقوم مقامه
لقوله عليه السلام فمن تركها وله إمام عادل أو جائر الحديث وقوله أربع إلى الولاة الفيء والصدقات
والحدود والجمعات فإن أم رجل بغير إذن الإمام أو من ولاه من قاض وصاحب شرطة لم يجز
فإن لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة سوى الإمام وعند
الشافعي بأربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الأعمى
عند أبي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي إلا بقائد فَاسْعَوْا وقرأ عمر وابن عباس وابن
مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من أقرأك
هذا قال أبي بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل
المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي
وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الأقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر
محمد بن الحسن في موطئه أن ابن عمر سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع المشي قال محمد وهذا
لا بأس به ما لم يجهد نفسه إِلَى ذِكْرِ اللهِ إلى الخطبة والصلوة ولتسمية الله الخطبة ذكرا له
قال أبو حنيفة إن اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن
عثمان رضي الله عنه أنه صعد المنبر فقال الحمد لله وأرتج عليه فقال إن أبا بكر وعمر كانا يعدان
لهذا المقام مقالا وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل
وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى
خطبة فإن قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر

رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب فان قلت فاذا كان البيع في هذا الوقت مامورا بتركه محرما هل هو فاسد قلت عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع لان البيع لم يحرم بعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وان تكون هممهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الاية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير فان قلت فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة الجمعة كيف يصنع قلت ان بقي وحده او مع اقل من ثلاثة فعند ابي حنيفة يستانف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرا انفضوا اليه وقراءة من قرا لهوا او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية

٦٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فان قلت اي فائدة في قوله والله يعلم انك لرسوله قلت لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة رح على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرا الحسن ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بالسنتهم ويعضده قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوء الناس اعمالا بسبب انهم امنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فان قلت المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله امنوا ثم كفروا قلت فيه ثلاثة اوجه احدها امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني امنوا اي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين امنوا الى قوله انما نحن مستهزؤن والثالث ان يراد اهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن علي فطبع الله واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم فان قلت ما معنى قوله كانهم خشب مسندة قلت شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير

بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف او جدار او غيرهما من مظان
الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع ويجوز
ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها فى حسن صورهم
وقلة جدواهم والخطاب فى رايتهم تعجبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يخاطب وقرئ
يسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم رفع على هم كانهم خشب كمدرة ومدر وهى فى قراءة ابن عباس
عن اليزيدى انه قال فى خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التى دعر جوفها شبهوا بها فى نفاقهم
وفساد بواطنهم يحسبون كل صيحة عليهم عليهم ثانى مفعولى يحسبون اى يحسبون كل صيحة
واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما فى قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد فى العسكر او
انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك
استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ومنه اخذ الاخطل ما زلت تحسب كل شئ بعدهم خيلا تكر عليهم
ورجالا لا يوقف على عليهم ويبتدأ هم العدو اى هم الكاملون فى العداوة لان اعدى الاعداء العدو
المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز ان يكون
هم العدو المفعول الثانى كما لو طرحت الضمير فان قلت حقه ان يقال هى العدو قلت منظور
فيه الى الخبر كما ذكر فى هذا ربى وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم الله
دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى
يؤفكون كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون لووا رؤسهم عطفوها واما لوها
اعراضا عن ذلك واستكبارا قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن
سعيد اجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن ابى واقتتلا فصرخ جهجاه يا
للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله
لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك
ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم
اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا
عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله
الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت
فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلعم فقال عمر دعنى اضرب عنق المنافق يا رسول الله
فقال اذن ترعد آنف كثيرة بيثرب فان كرهت ان يقتله مهاجرى فامر انصاريا فقال فكيف اذا
تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه السلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذى بلغنى
قال والله الذى انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا
ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون
قد وهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك

قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه فعرك
اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما اراد عبد الله ان
يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول
الله الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا فى يده حتى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته
وروى انه قال له لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال
نعم فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه
لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى
شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى راسه ثم قال امرتمونى ان اومن فامنت وامرتمونى
ان ازكى مالى فزكيت فما بقى الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما قلائل
حتى اشتكى ومات سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى
القوم الفاسقين سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم
او لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه
وقرا ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا
كما فى آلسحر وآلله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يتفرقوا و
قرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم
ولله خزائن السموات والارض وبيده الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان ابى اهل المدينة
ان ينفقوا عليهم ولكن المنافقين لا يفقهون ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك
فيهذون بما يزين لهم الشيطان يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقرئ
ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرا الحسن وابن ابى عبلة
لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل او اخراج الاذل او مثل الاذل
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ولله العزة والغلبة والقوة و
لمن اعزه الله وايده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان
للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت فى هيئة رثة الست على
الاسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لا فقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما
ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية
يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعى فى تدبير امرها والتهالك
على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها
ولا اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم
فى حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شئ وادونه فى
جنب ما عند الله عن ذكر الله وايثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاولئك
هم الخاسرون فى تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى وقيل ذكر الله الصلوات الخمس
وعن الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبى الجهاد مع رسول الله صلعم

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الإنفاق الواجب من قبل أن يأتي أحدكم الموت من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الإمهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه أنها نزلت في مانعي الزكوة ووالله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة وعن عكرمة نزلت في أهل القبلة فيقول رب لولا أخرتني وقرئ أخرتن يريد هلا أخرت موتي إلى أجل قريب إلى زمان قليل فأصدق وقرأ أبي فأتصدق على الأصل وقرئ وأكن من الصالحين عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا أكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي للحكمة والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله وقرئ يعملون بالياء والتاء عن رسول الله صلعم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير أي عالم بكفركم وإيمانكم اللذين

اهل القبلة اهل الاسلام

أو أهبا شد قلت قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة إلى خلقها خلق السموات والأرض بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فأحسن صوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا وإليه المصير مصيركم فيجازيكم على الشكر والتفريط فيه فإن قلت كيف أحسن صورهم قلت جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن يكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وعلا في أحسن تقويم فإن قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا وإضافتها إلى الموفى عليها لا تستملح وإلا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة من حده ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى في مراتب الحسن فينبو عن الأولى طرفك وتستثقل النظر إليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور نبه بعلمه ما في السموات والأرض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور أن شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد فكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق أعظم نعمة من الله على عباده والكفر أعظم كفران من العباد لربهم ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم الخطاب لكفار مكة ذلك وذلك إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة بأنه بأن الشأن والحديث كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا أنكروا أن يكون الرسول بشرا ولم ينكروا أن يكون الله حجرا واستغنى الله والله غني حميد أطلق ليتناول كل شيء ومن جملته إيمانهم وطاعتهم فإن قلت قوله

ويكفر ويدخله بالياء والنون فان قلت بما انتصب الظرف قلت بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره ومشيته كان اذن للمصيبة ان تصيبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم عفى وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يهتد ويهدأ قلبه يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو فان توليتم فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث للرسول صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد اولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوا بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم

ويردوا

ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه هم باذاهم فنزلت انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما فاتقوا الله ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم شكور مجاز اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب من كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق احدى عشرة واثنتا عشرة آية وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي صلى الله عليه وسلم امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه وكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلم من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلعم في قبل عدتهن واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابرهيم النخعي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة واصحابه

فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا امرك الله
انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروى انه قال
لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك
العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعي لا بأس بارسال الثلاث وقال
لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة
والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده فان قلت
هل يقع طلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو آثم لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال
يا رسول الله ارأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضي الله عنه
انه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب
وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلاث لم يقع وشبهوه بمن
وكل غيره بطلاق السنة فخالف فان قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر او كبر او حمل
وغير المدخول بها قلت الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف يفرق
عليهن الثلاث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة واما
غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت فان قلت هل يكره ان يطلق
المدخول بها واحدة بائنة قلت اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر الكراهة فان قلت
قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات
والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص
ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد
بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات
بالحيض واحصوا العدة واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان
فيهن واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن ولا يخرجن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن
التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى
ولا يخرجن فان قلت ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن قلت معنى الاخراج ان
لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا
لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان
اردن ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني الا ان
يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها في السكنى
وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة أبي الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها
قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا
تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها
ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن

لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعوهن فاذا بلغن اجلهن وهو آخر العدة
وشارفنه فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك
بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في آخر
عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها واشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعا
وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب
في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في
امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث ذوي عدل منكم قال الحسن من
المسلمين وعن قتادة من احراركم واقيموا الشهادة لله لوجهه خالصا وذلك ان يقيموها لا للمشهود
له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم ذلكم اي ذلكم الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل
القيام بالقسط يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر
الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة
ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج
من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطره
بباله ولا يحتسبه ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فقال
لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجاء بها على سبيل
الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من
غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات
الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ
الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك الاشجعي
اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكا اليه
الفاقة فقال له ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا
بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها
فنزلت هذه الآية ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته
مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ امره بالاضافة وبالغ امره بالرفع اي نافذ امره وقرأ المفضل
بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال لكل شيء قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا
بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه
لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت
فمعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم
في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض او

استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك
واللائي لم يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه
وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن اللفظ مطلق في أولات الأحمال فاشتمل على المطلقات
والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس عدة
الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى نزلت
بعد التي في البقرة يعني أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الأسلمية
ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت
فانكحي ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ييسر له من أمره ويحلله من عقده بسبب التقوى
ذلك أمر الله أنزله إليكم يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته
ويعظم له أجرا والمعنى ومن يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق
الواجبة عليه مما ذكر من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات
وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم أسكنوهن وما بعده بيان لما شرط
من التقوى في قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل
أسكنوهن فإن قلت من في من حيث سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية
مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم
كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم قال قتادة إن لم يكن إلا بيت
واحد فأسكنها في بعض جوانبه فإن قلت فقوله من وجدكم قلت عطف بيان
لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه
والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة
وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة إلا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة
لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها أبت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه
لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة
لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلعم يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن و
لا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الأسباب من إنزال من لا
يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج وقيل هو أن يراجعها
إذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها إلى أن تفتدي منه فإن
قلت فإذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وإن كن
أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن قلت فائدته أن مدة الحمل ربما
طالت فظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم فإن قلت
فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت مختلف فيها فأكثرهم على أنه لا نفقة لها لوقوع الإجماع
على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله
بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا نفقتها فإن أرضعن لكم
يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية

فآتوهن

فآتوهن أجورهن حكمهن في ذلك حكم الأظآر ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار
إذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وأتمروا بينكم الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار
بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب
للآباء والأمهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما
معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى فستوجد
ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه
حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم وقوله له أي للأب يعني سيجد
الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا لينفق كل واحد
من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أي شرعنا ذلك لينفق وقرأ ابن أبي
عبلة قدر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج
إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله أعرضت
عنه على وجه العتو والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها
عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد
حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي
كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك لأن المنتظر من وعد الله ووعيده
ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان وقوله أعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد
وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا أولي الألباب فليكن لكم ذلك
يا أولي الألباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء السيئات و
استقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل
وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين الذين آمنوا قد
أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا
الصالحات من الظلمات إلى النور رسولا هو جبرئيل عم أبدل من ذكرا لأنه وصف بتلاوة
آيات الله فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر فصح إبداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله
وإنه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه في نفسه شرف إما لأنه شرف للمنزل عليه وإما لأنه
ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه
ذكر أو أريد ذا ذكر أي ملكا مذكورا في السموات وفي الأمم كلها أو دل قوله أنزل الله إليكم
ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا وقرئ رسول على هو رسول أنزله ليخرج الذين آمنوا
بعد إنزاله أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح لأنهم كانوا وقت
إنزاله غير مؤمنين وإنما آمنوا بعد الإنزال والتبليغ أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا
قرئ ندخله بالياء والنون قد أحسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق

المؤمن من ثواب الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن الله الذي خلق مبتدأ و
خبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفاً على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الأرض
قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة
عام وغلظ كل سماء كذلك والأرضون مثل السموات يتنزل الأمر بينهن أي يجري أمر الله
وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من
أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الأمر وعن ابن
عباس أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة
أو جن لتعلموا قرئ بالتاء والياء أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبي

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات
أزواجك روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك
حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي
أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها
بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية
وروي أن عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال
راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة وروي أنه شرب عسلاً في بيت زينب
ابنة جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين
أو من العسل وتبتغي إما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لأنه ليس
لأحد أن يحرم ما أحل الله لأن الله عز وعلا إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في
إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه
رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم فيه معنيان أحدهما
قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها
ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن في يمينك إذا أطلقها وذلك أن يقول إن شاء الله
عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنها قوله عليه السلام
لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلاً كتحليل
الألى فإن قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فأبو حنيفة يراه يميناً
في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم طعاماً فقد حلف على أكله
أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار
فظهار وإن نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثاً فكما نوى
وإن قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء
وإن قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولا

يراه الشافعي يميناً ولكن سبباً في الكفارة في النساء وحدهن وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده
وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم أن الحرام يمين وعن عمر إذا
نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق
لا يراه شيئاً ويقول ما أبالي أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجاً
بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله تعالى لا تحرموا
طيبات ما أحل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لأحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراماً ولم يثبت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله الله هو حرام علي وإنما امتنع من مارية ليمين
تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما أحل الله لك أي لم تمتنع
منه بسبب اليمين يعني أقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع
أي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه كانت منه يمين فإن قلت
هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قلت عن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفوراً له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أن رسول الله صلعم أعتق رقبة
في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي أموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم
فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع
لكم من نصائحكم لأنفسكم وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً بعض أزواجه حفصة والحديث
الذي أسر إليها حديث مارية وإمامة الشيخين فلما نبأت به أفشته إلى عائشة وقرئ أنبأت
به وأظهره الله وأطلع النبي صلعم عليه على الحديث أي على إفشائه على لسان جبريل وقيل أظهر الله
الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور عرف بعضه وأعرض عن بعض أعلم ببعض الحديث
تكرماً قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه أي جازى عليه من قولك للمسيء
لأعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في
القرآن وكان جزاؤه تطليقه إياها وقيل المعرف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية
وروي أنه قال لها ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحاً بالكرامة
التي خص الله بها أباها فإن قلت هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه قلت
ليس الغرض بيان من المذاع إليه ومن المعرف وإنما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء و
إفشائه من قبلها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلا الإعلام
ببعضه وهو حديث الإمامة ألا ترى أنه لما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت من أنبأك
هذا ذكر المنبئ كيف أتى بضميره قال نبأني العليم الخبير إن تتوبا إلى الله خطاب لحفصة وعائشة
على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر
عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة فسكبت الماء على
يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجباً يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة و
عائشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت
وإن تظاهرا عليه وإن تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره فإن الله

هو مولیه فلن یعدم هو من یظاهره وکیف یعدم المظاهر من الله مولیه ای ولیه وناصره و
زیادة هو ایذان بان نصرته عزیمة من عزایمه وانه یتولی ذلك بذاته وجبریل رأس الکروبیین وقرن
ذکره بذکره مفردا له من الملائکة تعظیما له واظهارا لمکانته عنده وصالح المؤمنین ومن صلح من
المؤمنین یعنی کل من آمن وعمل صالحا وعن سعید بن جبیر من بری منهم من النفاق وقیل الانبیاء
علیهم السلام وقیل الصحابة وقیل الخلفاء منهم فان قلت صالح المؤمنین واحد ام جمع قلت
هو واحد ارید به الجمع کقولك لا یفعل هذا الصالح من الناس ترید الجنس کقولك لا یفعله من صلح
منهم ومثله قولك کنت فی السامر والحاضر ویجوز ان یکون اصله صالحوا المؤمنین بالواو فکتب بغیر
واو علی اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فیه کما جاءت اشیاء فی المصحف متبوع فیها حکم اللفظ
دون وضع الخط والملائکة علی تکاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة
الله وناموسه وصالحی المؤمنین ظهیر فوج مظاهر له کانهم ید واحدة علی من یعادیه فما یبلغ
تظاهر امرأتین علی من هؤلاء ظهراؤه فان قلت قوله بعد ذلك تعظیم للملائکة ومظاهرتهم
وقد تقدمت نصرة الله وجبریل وصالح المؤمنین ونصرة الله اعظم واعظم قلت مظاهرة
الملائکة من جملة نصرة الله فکانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم علی غیرها من وجوه نصرته
لفضلهم علی جمیع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا عسی ربه ان طلقکن ان یبدله ازواجا
خیرا منکن وقرئ یبدله بالتخفیف والتشدید للکثرة مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات
قانتات تائبات عابدات سائحات صائمات وقرئ سیحات وهی ابلغ وقیل للصائم سائح لان
السائح لا زاد معه فلا یزال ممسکا الی ان یجد ما یطعمه فشبه به الصائم فی امساکه الی ان یجیء وقت
افطاره وقیل سائحات مهاجرات وعن زید بن اسلم لم تکن فی هذه الامة سیاحة الا الهجرة فان
قلت کیف یکون المبدلات خیرا منهن ولم یکن علی وجه الارض نساء خیر من امهات المؤمنین
قلت اذا طلقهن رسول الله صلی الله علیه وسلم لعصیانهن له وایذائهن ایاه لم یبقین علی
تلك الصفة وکان غیرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله صلی الله علیه
والنزول علی هواه ورضاه خیرا منهن وقد عرض بذلك فی قوله قانتات لان القنوت هو القیام
بطاعة الله وطاعة الله فی طاعة رسوله ثیبات وابکارا فان قلت لم اخلیت الصفات کلها
عن العاطف ووسط بین الثیبات والابکار قلت لانهما صفتان متنافیتان لا یجتمعن فیهما
اجتماعهن فی سایر الصفات فلم یکن بد من الواو یا ایها الذین آمنوا قوا انفسکم بترك المعاصی
وفعل الطاعات واهلیکم بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسکم وفی الحدیث رحم الله رجلا
قال یا اهلاه صلوتکم صیامکم زکوتکم مسکینکم یتیمکم جیرانکم لعل الله یجمعهم معه فی الجنة وقیل
ان اشد الناس عذابا یوم القیمة من جهل اهله وقرئ واهلوکم عطفا علی واو قوا وحسن العطف للفاصل
فان قلت الیس التقدیر قوا انفسکم ولیق اهلوکم انفسهم قلت لا ولکن المعطوف مقارن
فی التقدیر للواو وانفسکم واقع بعده فکانه قیل قوا انتم واهلوکم انفسکم لما جمعت مع المخاطب
الغایب غلبته علیه فجعلت ضمیرهما معا علی لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا
من النار لا یتقد الا بالناس والحجارة کما یتقد غیرها من النیران بالحطب وعن ابن عباس هی حجارة
الکبریت وهی اشد الاشیاء حرا اذا اوقد علیها وقرئ وقودها بالضم ای ذو وقودها علیها یلی

امرها وتعذیب اهلها ملائکة یعنی الزبانیة التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد فی اجرامهم
غلظة وشدة ای جفاء وقوة او فی افعالهم جفاء وخشونة لا یعصون الله ما امرهم ویفعلون ما
یؤمرون لا تأخذهم رأفة فی تنفیذ اوامر الله والغضب له والانتقام من اعدائه ما امرهم فی محل
النصب علی البدل ای لا یعصون ما امر الله ای امره کقوله تعالی افعصیت امری او لا یعصونه فیما
امرهم فان قلت الیست الجملتان فی معنی واحد قلت لا فان معنی الاولی انهم یتقبلون اوامره
ویلتزمونها ولا یأبونها ولا ینکرونها ومعنی الثانیة انهم یؤدون ما یؤمرون به لا یتثاقلون
عنه ولا یتوانون فیه فان قلت قد خاطب الله المشرکین المکذبین بالوحی بهذا بعینه فی قوله
تعالی فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التی وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للکافرین
فجعلها معدة للکافرین فما معنی مخاطبته به المؤمنین قلت الفساق وان کانت درکاتهم
فوق درکات الکفار فانهم مساکنون الکفار فی دار واحدة فقیل للذین آمنوا قوا انفسکم باجتناب
الفسوق مساکنة الذین اعدت لهم هذه النار الموصوفة ویجوز ان یأمرهم بالتوقی من الارتداد
والندم علی الدخول فی الاسلام وان یکون خطابا للذین آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون ویعضد
ذلك قوله یا ایها الذین کفروا لا تعتذروا الیوم انما تجزون ما کنتم تعملون ای یقال لهم ذلك
عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لکم او لانه لا ینفعکم الاعتذار یا ایها الذین آمنوا
توبوا الی الله توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح علی الاسناد المجازی والنصح صفة التائبین
وهو ان ینصحوا بالتوبة انفسهم فیأتوا بها علی طریقها متدارکة للفرطات ماحیة للسیئات
وذلك ان یتوبوا عن القبایح لقبحها نادمین علیها مغتمین اشد الاغتمام لارتکابها عازمین
علی انهم لا یعودون فی قبیح من القبایح الی ان یعود اللبن فی الضرع موطنین انفسهم علی ذلك وعن
علی رضی الله عنه انه سمع اعرابیا یقول اللهم انی استغفرك واتوب الیك فقال یا هذا ان سرعة
اللسان بالتوبة توبة الکذابین قال وما التوبة قال یجمعها ستة اشیاء علی الماضی من الذنوب
الندامة وللفرایض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم علی ان لا تعود و
ان تذیب نفسك فی طاعة الله کما ربیتها فی المعصیة وان تذیقها مرارة الطاعات کما اذقتها
حلاوة المعاصی وعن حذیفة بحسب الرجل من الشر ان یتوب عن الذنب ثم یعود فیه وعن
شهر بن حوشب ان لا یعود ولو حز بالسیف واحرق بالنار وعن ابن السماك ان تنصب
الذنب الذی اقللت فیه الحیاء من الله امام عینك وتستعد لمنتظرك وقیل توبة لا یتابع بها وعن
السدی لا تصح التوبة الا بنصیحة النفس والمؤمنین لان من صحت توبته احب ان یکون
الناس مثله وقیل نصوحا من نصاحة الثوب ای توبة ترفو خروقك فی دینك وترم خللك وقیل
خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ویجوز ان یراد توبة تنصح الناس ای تدعوهم
الی مثلها لظهور اثرها فی صاحبها واستعماله الجد والعزیمة فی العمل علی مقتضیاتها وقرأ زید بن
علی توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح کالشکر والشکور و
الکفر والکفور ای ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا لنصح انفسکم علی انه مفعول له عسی
ربکم ان یکفر عنکم سیئاتکم ویدخلکم جنات تجری من تحتها الانهار اطماع من الله لعباده
وفیه وجهان احدهما ان یکون علی ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسی ولعل ووقوع ذلك

منهم موقع القطع والبت والثانى ان يجىء به تعليماً للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذى
يدل على المعنى الاول وانه فى معنى البت قراءة ابن ابى عبلة ويدخلكم بالجزم عطفاً على محل عسى
ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا
معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يوم لا يخزى نصب بيدخلكم ولا يخزى تعريض بمن اخزاهم
الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على
الصراط يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير قال ابن عباس يقولون
ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقاً وعن الحسن الله متمه لهم ولكنهم يدعون تقرباً الى الله تعالى
كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما
يبصرون مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلاً وقيل السابقون
الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبواً وزحفاً فاولئك الذين
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا **فان قلت** كيف يشفقون والمؤمنون آمنون امن يأتى آمناً يوم
القيمة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر وكيف يتقربون وليست الدار دار تقرب **قلت**
اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب فلما كانت
حالهم كحال المتقرب حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقرباً يا ايها النبى جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير واستعمل الغلظة
والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين باقامة
الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت
نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله
شيئاً مثل الله عز وجل حال الكفار فى انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم
من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او
وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من
الاجانب وابعد وان كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبياً من انبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة
لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزوج
اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع الداخلين مع
سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح و
قوم لوط ومثل حال المؤمنين فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئاً من ثوابهم وزلفاهم
عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة
العظمى ومريم بنت عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع
ان قومها كانوا كفاراً وفى طى هذين التمثيلين تعريض بامى المؤمنين المذكورتين فى اول السورة و
ما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه
واشده لما فى التمثيل من ذكر الكفر ونحوه فى التغليظ قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين
واشارة الى ان من حقهما ان تكونا فى الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا
تتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما

مخلصتين

مخلصتين والتعريض لحفصة ارجح لان امرأة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه فى كل باب بالغة من اللطف والخفاء حداً يدق
عن تفطن العالم ويزل عن تبصره **فان قلت** ما فائدة قوله من عبادنا **قلت** لما كان مبنى التمثيل
على وجود الصلاح فى الانسان كائناً من كان وانه وحده هو الذى يبلغ به الفوز وينال ما عند
الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا
الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهاراً وابانة لان
عبداً من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس
ليس بسبب للرجحان عنده **فان قلت** ما كانت خيانتهما **قلت** نفاقهما وابطانهما الكفر
وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه
ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج فى الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان
الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقاً وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبى قط وضرب
الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة وامرأت فرعون
آسية بنت مزاحم وقيل هى عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك
فعذبها فرعون عن ابى هريرة ان فرعون وتد امرأته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها
على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقى بروحها
فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله تعالى اكرم نجاة فرفعها الى الجنة
فهى تأكل وتشرب وتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لى اريت بيتها فى الجنة يبنى وقيل انه من درة
وقيل كانت تعذب بالشمس فتظلها الملائكة **فان قلت** ما معنى الجمع بين عندك وفى الجنة
قلت طلبت القرب من رحمة الله تعالى والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها
فى الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة فى الجنة وان تكون جنتها من الجنان التى هى اقرب الى العرش
وهى جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك ونجنى من فرعون وعمله من عمل
فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصاً من عمله وهو الكفر وعبادة
الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجنى من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل
على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير
الصالحين وسنن الانبياء فافتح بينى وبينهم فتحاً ونجنى ومن معى من المؤمنين ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت
بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين فيه فى الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ فى سورة الانبياء
والضمير للجملة وقد مر لى فى هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع
ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع فى التمثيل بين التى لها زوج والتى لا زوج لها
تسلية للارامل وتطييباً لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد والتخفيف على انها جعلت الكلمات
والكتب صادقة يعنى وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه **فان قلت** فما كلمات
الله وكتبه **قلت** يجوز ان يراد بكلماته صحفه التى انزلها على ادريس وغيره سماها كلمات
لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه

الجزء التاسع والعشرون

فى اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليهما السلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روى ان عائشة رض سألت رسول الله صلعم كيف سمى الله المسلمة تعنى مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم فى التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم واسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذى بيده الملك على كل موجود وهو على كل شئ ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه الذى خلق الموت والحيوة والحيوة ما يصحح وجود الاحساس وقيل ما يوجب كون الشئ حيا وهو الذى يصح فيه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهى الخبرة استعارة من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثانى من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمى هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا فى قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبى صلعم انه تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع من محارم الله واسرع فى طاعة الله يعنى ايكم اتم عقلا وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحيوة التى تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذى لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض

المسوق له الآية اهم وهو العزيز الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة الذى خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البنائين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته اى من اختلاف واضطراب فى الخلقة ولا تناقض انما هى مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشئ تفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفى نقيضه متناصف فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هى صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب فى ما ترى للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى التسبب اخبره بانه لا تفاوت فى خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا يبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم وطلع ثم ارجع البصر كرتين وامره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اى ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اى بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها فى اثر بعض وقولهم فى المثل دهدر بن سعد القين من ذلك اى باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شئ من فطور ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها بمصابيح اى باى مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها فى ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد كلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض فى السماء نجم ولكنهم يتبغون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التى تنقض لرمى المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة فى الفلك على حالها وما

ذلك الا كقبس يوخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من
يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس
وهم المنجمون واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا
بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين
المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي
طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما
لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها
المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تكاد تميز من الغيظ تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت
كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت
منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية
كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة
الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما
نزل الله من شيء اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله عز وعلا ازاح عللهم ببعثة
الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل
انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم الا
في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان
النذير بمعنى الانذار والمعنى الم يأتكم اهل نذير او وصف منذر وهم لغلوهم في الانذار كانهم
ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته
ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم او
ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا
لنا هذا فلم نقبله وقالوا لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
او نعقله عقل متأملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل
ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأي كان هذه
الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم
وكان من كان من هؤلاء من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم
حادي عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين فاعترفوا بذنبهم
بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا لاصحاب السعير فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل اي فبعدا
لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر
كبير واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في علم
الله بهما ثم علله بانه عليم بذات الصدور اي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما
تكلم به ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير
المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه

وهذه حاله وروي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله رسوله عليها
فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم فان قلت قدرت في الا
يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته
مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا
مع العلم قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما
من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشيء
لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء هو الذي
جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته
الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب
بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها
قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل
وقيل جوانبها وكلوا من رزقه واليه النشور والمعنى واليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما
انعم به عليكم ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته في السماء لانها مسكن
ملائكته وثمة عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه
والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه
وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم من تزعمون انه في السماء
وهو متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف
من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا رأيته يركب بعض المعاصي فستعلمون قرئ بالتاء
والياء كيف نذير اي اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب
الذين من قبلهم فكيف كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن
في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن
بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان اصل الطيران
هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف
وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل
بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح
ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل
وخصائص قد تأتى منها الجري في الجو انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر
العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في
غرور امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه امن يشار اليه من الجموع ويقال
هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه ام من يشار اليه
ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقرير ويجوز ان يكون اشارة
الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة الهتهم

فكأنهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم يجعل أكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن هذا إلا حملة كتاب سيبويه وانما أكب من باب انفض وألام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فان قلت ما معنى قوله يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي متعسفا في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا أي قائما سالما من العثور والخرور أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المتعسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يريد الأعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكب على معاصي الله فحشره الله يوم القيمة على وجهه وعن الكلبي عني به أبو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين فلما رأوه الضمير للوعد زلفة والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أي رأوه ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا أي ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل أو يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية هذا الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أي كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد انه تلاها في أول الليل في صلوته فبقي يكررها وهو يبكي الى أن نودي لصلوة الفجر ولعمري انها لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها قل أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما أن نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فأنتم ما تصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وأنتم في أمر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه أو ان أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم

فان المقتول على أيدينا هالك أو ان أهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له فان قلت لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين غورا غائرا ذاهبا في الأرض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

سورة القلم مكية وهي ثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم قرئ نون والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما فان كان جنسا فأين الاعراب والتنوين وان كان علما فأين الاعراب وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به قلت وجب ان كان جنسا أن تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وان كان علما أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت اما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك وأقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل وما يسطره الحفظة وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر أو الحفظة ما أنت بنعمة ربك بمجنون فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك أنت بنعمة ربك عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قال ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي تقتضيها التأهيل للنبوة بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لأجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك لأنه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الأجور على الأعمال وانك لعلى خلق عظيم استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي أمره الله به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة ان سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان

خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون
المفتون المجنون لأنه فتن أي محن بالجنون أو لأن العرب يزعمون أنه من تخييل الجن وهم الفتان
للفتاك منهم والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أي بأيكم الجنون أو بأي الفريقين
منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو
تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غداً من الكذاب
الأشر إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله
وهو أعلم بالمهتدين بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيداً ووعداً وأنه أعلم بجزاء الفريقين
فلا تطع المكذبين تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله
مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم ودوا لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون فإن قلت
لم رفع فيدهنون ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني قلت قد عدل به إلى طريق آخر وهو
أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا
لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في إدهانك قال
سيبويه وزعم هارون أنها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا ولا تطع كل حلاف كثير
الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة
لأيمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الرأي والتمييز أو أراد الكذاب
لأنه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في أقفية الناس مشاء
بنميم مضرب نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم والنميم والنميمة
السعاية وأنشد في بعض العرب تشببي تشبب النميمة تمشي بها زهراً إلى النميمة مناع للخير بخيل
والخير المال أو مناع أهله الخير وهو الإسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كأنه قال مناع من
الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسراً وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم
ولحمته من أسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه أنه أبو جهل وعن مجاهد الأسود بن
عبد يغوث وعن السدي الأخنس بن شريق أصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم
معتد مجاوز في الظلم حده أثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله إذا قاده بعنف
وغلظة بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان وأنت زنيم نيط
في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعياً في قريش ليس من سنخهم ادعاه
أبوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه
ودعوته أشد معايبه لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولأن الغالب
أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرأ
الحسن عتل رفعاً على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي
الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لأنه زيادة معلقة بغير أهله أن كان ذا مال
وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين أن كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني
ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما

بعده على معنى لكونه متمولاً مستظهراً بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب
إذا لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ
أأن كان على الاستفهام على لأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال وروى الزبيري
عن نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطاً يساره لأنه إذا
أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط إلى المخاطب صرف الترجي
إليه في قوله لعله يتذكر سنسمه على الخرطوم الوجه أكرم موضع في الجسد والأنف أكرم
موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية فاشتقوا منه الأنفة و
قالوا الأنف في الأنف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم
أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة لأن السمة على الوجه شين و
إذالة فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس أباعره في وجوهها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف واستهانة
وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله
عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه
الشتيمة في الدارين جميعاً فلا يخفى كما لا يخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل
أن الخرطوم الخمر وأن معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل
لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب ولأنها تطير في الخياشيم إنا بلوناهم كما
بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون إنا بلونا أهل مكة
بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا أصحاب الجنة وهم قوم من
أهل صنعاء كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته
ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما
أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت وكان
يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر
ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا
في يمينهم فأحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني إسرائيل مصبحين داخلين في الصبح
مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون إن شاء الله فإن قلت لم سمي استثناء وإنما هو شرط
قلت لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث أن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله
ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد فطاف عليها طائف بلاء أو هلاك طائف كقوله و
أحيط بثمره وقرئ طيف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم كالمصرومة لهلاك
ثمرها وقيل الصريم الليل أي احترقت فاسودت وقيل النهار أي يبست وذهبت خضرتها
أو لم يبق فيها شيء من قولهم بيض الإناء إذا فرغ وقيل الصريم الرمال فتنادوا مصبحين
أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين حاصدين فإن قلت هلا قيل اغدوا على
حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدواً عليه كما
تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة

ويراح اى فاقبلوا على حرثكم باكرين فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفى و
خفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
ان مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها باضمار القول اى يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهى
عن الدخول للمسكين نهى لهم عن تمكينه منه اى لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك
ههنا وغدوا على حرد قادرين الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا
منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد غير عاجزين عن النفع يعنى انهم عزموا ان يتنكدوا
على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا
على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على
محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا
حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله
بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس
الكلام للتهكم اى قادرين على ما عزموا من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اى لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله
يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال اقبل سيل جاء من امر الله
يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حراد سراع يعنى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين
عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزى منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة اى
غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام
والحرمان فلما راوها قالوا فى بديهة وصولهم انا لضالون اى ضللنا جنتنا وما هى بها لما
راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هى قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على
انفسنا قال اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطنى من سطات مالك ومنه
قوله تعالى امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين لولا تسبحون
لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا
الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها
قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان
يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح
الاستثناء لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له
وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون عن
الصلوة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا فى ان يستثنوا ولا يحرموا سبحان
ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم فى منع المعروف وترك الاستثناء
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين يتلاومون يلوم بعضهم بعضا
لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من
سكت وهو راض عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ان يبدلنا قرئ بالتخفيف والتشديد
انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب ولعذاب الاخرة

اكبر لو كانوا يعلمون مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا
ولعذاب الاخرة اشد واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من
اهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروى عن ابن مسعود
بلغنى انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب
يحمل البغل منه عنقودا ان للمتقين عند ربهم اى فى الاخرة جنات النعيم جنات ليس
فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا افنجعل المسلمين كالمجرمين
كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا
بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالهم
وحالنا الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا
فقيل انحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف
تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم
كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم كتاب من السماء تدرسون فى ذلك
الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم والاصل
تدرسون ان لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان
يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح فى العالمين
وتخير الشئ واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله ام لكم ايمان علينا
بالغة لفلان على يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعنى ام ضمنا منكم و
اقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية فى التوكيد فان قلت بم يتعلق الى يوم القيمة
قلت بالمقدر فى الظرف اى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها الا
يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلكم
اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن
بالغة بالنصب على الحال من الضمير فى الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم
ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك الحكم زعيم اى قائم به وبالاحتجاج لصحته
كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ام لهم
شركاء اى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا
بهم ان كانوا صادقين فى دعواهم يعنى ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما
انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به يوم يكشف عن ساق
الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل فى شدة الامر وصعوبة الخطب واصله فى الروع
والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ۞ وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا ۞ وقال ابن الرقيات
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى ۞ عن خدام العقيلة العذراء ۞ فمعنى يوم يكشف عن ساق فى معنى
يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة و
لا يد ثم ولا غل وانما هو مثل بالبخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان

والذى غره منه حديث ابن مسعود رضى الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون
سجدا واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم
هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها
ساق مخصوصة معهودة عنده وهى ساق الرحمن فان قلت فلم جاءت منكرة فى التمثيل قلت
للدلالة على انه امر مبهم فى الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله تعالى يوم يدع الداع الى شىء نكر كانه
قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويحكى هذا التمثيل عن مقاتل وعن ابى عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما
شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار
فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول
جميعا والفعل للساعة او للحال اى يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز
وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل فى الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف
اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت
وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون عن ابن مسعود رضى الله عنه
تعقم اصلابهم اى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى اصلابهم طبقا
واحدا اى فقارة واحدة فان قلت لم يدعون الى السجود ولا تكليف قلت لا يدعون اليه
تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود فى الدنيا مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم
وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالموا الاصلاب
والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا به فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث يقال ذرنى واياه
يريدون كله الى فانى اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم
بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد حسبى مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل
على فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين سنستدرجهم
استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة
ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصى من حيث
لا يعلمون اى من الجهة التى لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم
وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم واملى لهم وامهلهم كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا
اثما والصحة والرزق والمد فى العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم
يجعلونه سببا فى الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من
مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر ان كيدى متين
وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للتورط فى
الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه فى التسبب للهلاك ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
المغرم الغرامة اى لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى اموالهم
فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب اى اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به فاصبر لحكم
ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعنى يونس عليه السلم اذ نادى

فى بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد
منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم
حسن تذكير الفعل لفصل الضمير فى تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن
تداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد
سيقوم فمنعه فلان اى كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان
انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد فى جواب لولا على الحال اعنى قوله وهو مذموم
يعنى ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم وروى
انها نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا
وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة
عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين اى من الانبياء وعن ابن
عباس رد الله اليه الوحى وشفعه فى نفسه وقومه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
ان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى
ويقال زلق الرأس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعنى انهم من
شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلقون قدمك او
يهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى ويكاد يأكلنى اى لو امكنه بنظره الصرع او الاكل
لفعله قال يتقارضون اذا التقوا فى موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام وقيل كانت العين فى بنى
اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شىء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه
فاريد بعض العيانين على ان يقول فى رسول الله صلعم مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه
الله تعالى وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية لما سمعوا الذكر اى القرآن لم
يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة فى امره وتنفيرا ولا
فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القرآن وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين
فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة
القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وهى خمسون [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة
المجئ التى هى آتية لا ريب فيها او التى فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او التى
تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اى لا اعرف حقيقته جعل الفعل
لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هى اى اى
شىء هى تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك
واى شىء اعلمك ما الحاقة يعنى انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة
بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهى اعظم من ذلك وما فى موضع
الرفع على الابتداء وادريك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام كذبت ثمود وعاد بالقارعة
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية القارعة التى تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق

والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير
ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر
من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم
بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة
وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم
وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر واما عاد فاهلكوا بريح صرصر
والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد
وكثر فهي تحرق لشدة بردها عاتية شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على عاد فما
قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت
تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا
بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا
انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل
ثم قرا بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود
وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت
كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل
الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب
بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم
او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلبي ففرق
بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها
عليهم مستاصلة وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح
في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر
والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها
عليهم كما شاء فيها في مهابها او في الليالي والايام كانهم اعجاز نخل خاوية وقرئ اعجاز نخيل
فهل ترى لهم من باقية من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان
وجاء فرعون ومن قبله يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله اي ومن تقدمه وقيل
الاول قراءة عبد الله وابي ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات قرى
قوم لوط بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او بالافعال ذوات الخطأ العظيم فعصوا رسول ربهم
فاخذهم اخذة رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء
يربو اذا زاد ليربوا في اموال الناس انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية في
سفينة نوح عليه السلم لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم
وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها لكم الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين

واغراق الكفرة تذكرة عظة وعبرة وتعيها اذن واعية من شانها ان تعي وتحفظ ما سمع
به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك
فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رض
عند نزول هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما نسيت شيئا
بعد وما كان لي ان انسى فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت
للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن
الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي
بهم بالة وان ملؤوا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكبد
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة اسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرا ابو
السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان
فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي النفختين هي قلت
الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه انها الثانية
فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت
جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب
فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته
وحملت الارض والجبال ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض
والجبال او بخلق من الملائكة او بقدرة الله تعالى من غير سبب وقرئ وحملت بحذف المحمل
وهو احد الثلاثة فدكتا دكة واحدة فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال
فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منثورا والدك ابلغ من الدق
وقيل بسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام
اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت
النازلة وهي القيمة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية مسترخية ساقطة القوة جدا
بعد ما كانت محكمة مستمسكة والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في قوله فوقهم على المعنى فان قلت
ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى
ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها على جوانبها
الواحد رجا مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها
من حافاتها ثمانية اي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه هم اليوم اربعة فاذا
كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم
في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم
على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على
صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين
عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك

بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن
الحسن الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم
إلا الله ويجوز أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي
خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون يومئذ تعرضون العرض
عبارة عن المحاسبة والمسائلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله وروي أن
في يوم القيمة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها
تنتشر الكتب فيأخذ كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله لا تخفى منكم خافية سريرة وحال كانت
تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فأما من أوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول هاؤم اقرؤا
كتابيه ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما أشبه ذلك وكتابيه
منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لأنه أقرب العاملين وأصله هاؤم
كتابي اقرؤا كتابي فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني أفرغ عليه قطرا قالوا
ولو كان العامل الأول لقيل اقرؤه وأفرغه والهاء في كتابيه للسكت وكذلك في حسابيه و
ماليه وسلطانيه وحق هذه الهاءات أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب
إثبات الوقف إيثارا لثباتها في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والإسقاط وقرأ
ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا
لاتباع المصحف إني ظننت أني ملاق حسابيه ظننت علمت وإنما أجري الظن مجرى العلم
لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام ويقال أظن ظنا كاليقين أن
كيت وكيت فهو في عيشة راضية منسوبة إلى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان
نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها في جنة عالية مرتفعة
المكان في السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور والأشجار قطوفها دانية
ينالها القاعد والنائم يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا أكلا وشربا هنيئا أو هنئتم هنيئا
أو هنيتم هنيئا على المصدر بما أسلفتم بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية
الماضية من أيام الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن
الأكل والشرب لوجه الله تع وروي يقول الله تعالى يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا
وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم
وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول
يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية الضمير في يا ليتها
للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية أي القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها
ولم ألق ما لقيت أو للحالة أي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لأنه رأى تلك
الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما أغنى عني ماليه
نفي أو استفهام على وجه الإنكار أي أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني
سلطانيه سلطاني وملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس أنها
نزلت في الأسود بن عبد الأشد وعن فناخسرو الملقب بالعضد أنه لما قال عضد الدولة

وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه إلا بهذه
الآية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا
خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى لأنه كان سلطانا
يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
فاسلكوه سلكه في السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها
مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا إرادة الوصف بالطول كما
قال إن تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد
والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية أي لا تسلكوه
إلا في هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة
على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي
المدة إنه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ما له
يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان
قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني
ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن
قول القائل إذا نزل الأضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى
واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين
وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم
أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم
قريب يدفع عنه ويحزن عليه لأنهم يتحامونه ويفرون منه كقوله تعالى ولا يسأل حميم حميما
ولا طعام إلا من غسلين والغسلين غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد
والدم فعلين من الغسل لا يأكله إلا الخاطئون الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل
إذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بإبدال الهمزة ياء والخاطون
بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه أبو الأسود الدؤلي ما الخاطون
إنما هو الخاطئون ما الصابون إنما هو الصابئون ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق إلى
الباطل ويتعدون حدود الله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون هو إقسام بالأشياء
كلها على الشمول والإحاطة لأنها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا
والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة
إنه إن هذا القرآن لقول رسول كريم أي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله
وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون وما هو بقول
شاعر ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم أي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة
والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم تنزيل هو تنزيل بيانا لأنه قول رسول نزل عليه من رب
العالمين وقرأ أبو السمال تنزيلا أي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبرئيل وقوله
وما هو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه وسلم لأن المعنى على إثبات أنه رسول

لا شاعر ولا كاهن ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا بها و
تحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا
لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك من يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل
الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان
القتال اذا اراد ان يوقع الضرب فى قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه فى جيده وان يكفحه
بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا
بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو
حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول فما منكم من احد عنه
حاجزين وانه لتذكرة للمتقين قيل حاجزين فى وصف احد لانه فى معنى الجماعة وهو اسم يقع
فى النفى العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من
رسله لستن كاحد من النساء والضمير فى عنه للقتل اى لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك
ويدفعه عنه او لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا
بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك فى قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب
وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه الضمير للقرآن لحسرة على
الكافرين به المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وانه لحق اليقين وان القرآن
لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين
فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له
من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهى اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع ضمن سال
معنى دعا فعدى تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه
قوله يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه
استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سايل وهو على وجهين ان يكون من السؤال وهى لغة قريش يقولون
سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر
فى معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادى عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة
سال سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عنى واهتم
فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الاول بعذاب صفة له اى بعذاب
واقع كائن للكافرين او بالفعل اى دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اى بعذاب نازل لاجلهم
وعلى الثانى هو كلام مبتدا جواب للسائل اى هو للكافرين فان قلت فقوله من الله قلت
يتصل بواقع اى واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة
وقوعه ذى المعارج ذى المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العلو والارتفاع

فقال تعرج الملائكة والروح اليه الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره فى يوم كان مقداره
كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبرئيل عليه السلم افرده لتميزه بفضله
وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس فان قلت بم
تعلق قوله فاصبر صبرا جميلا قلت بسال سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان
على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق
التعنت وكان من كفار مكة ومن قرا سال سائل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه
فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل فى يوم من صلة واقع اى يقع فى يوم طويل مقداره
خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيمة اما ان يكون استطالة لشدته على الكفار واما
لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن
الا كما بين الظهر والعصر انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا الضمير فى يرونه للعذاب الواقع او
ليوم القيمة فيمن علق فى يوم بواقع اى يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نريه قريبا هينا
فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه
يوم تكون السماء كالمهل نصب يوم تكون بقريبا اى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم او باضمار
يقع لدلالة واقع عليه او يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت او هو بدل عن فى يوم
فيمن علقه بواقع كالمهل كدردى الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها وتكون
الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها و
غرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال
حميم حميما اى لا يساله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المساءلة
يبصرونهم اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المساءلة ان بعضهم
لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسال على البناء للمفعول
اى لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال و
الطلب فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستانف كانه لما قال ولا يسال
حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم فان
قلت لم جمع الضميران فى يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا
لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اى حميما مبصرين معرفين اياهم يود المجرم
لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا
ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى وقرئ يومئذ بالجر
والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ
وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم تؤويه
تضمه انتماء اليها او لياذا بها فى النوائب ينجيه عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه
الافتداء او من فى الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء تحت يده وبذلهم
فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا

ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب
دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من
اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير
القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه في معنى النار او رفع على التهويل اي هي نزاعة
وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل
والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد وتدعو مجاز
عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله ليالي اللهو
يطبيني فاتبعه وقول ابي النجم تقول للرائد اعشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق
وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله فيها
كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء الزبانية
وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك قال دعاك الله من رجل بافعى من
ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكوة والحقوق الواجبة
فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون اريد بالانسان الناس فلذلك
استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم
ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت
قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا
ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا صح الغني
منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع
وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري
كقوله تعالى خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه
ذم والله تعالى لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها
على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم
شر ما اعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع **فان قلت** كيف قال على صلوتهم دائمون ثم على صلوتهم
يحافظون **قلت** معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء
من الشواغل كما روي عن النبي صلعم افضل العمل ادومه وان قل وقول عائشة وكان عمله ديمة و
محافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها و
آدابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة
الى احوالها والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم حق معلوم هو الزكوة لانها مقدرة
معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة السائل الذي يسأل والمحروم
الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم
واستعدادهم له والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله
ان عذاب ربهم غير مأمون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد ان يأمنه وينبغي

ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما
ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون
اولئك في جنات مكرمون وقرئ بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات
وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها
تضييعها وابطالها فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع
كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم
حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة
كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين
بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من
تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل
شتى عزينا وقيل كان المستهزؤن خمسة ارهط كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب
المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم
يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم
الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا خلقناهم مما يعلمون الى آخر
السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكانه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء فمن اين
يطمعون في دخولهم الجنة **فان قلت** من اي وجه دل هذا الكلام على انكار البعث
قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشاة الاولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع
من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون اي من النطف وبالقدرة على ان نهلكهم ونبدل
ناسا خيرا منهم وانه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض ان من قدر على
ذلك لم يعجزه الاعادة ويجوز ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة المذرة وهي
وهو منصبهم الذي لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا بانه منصب يستحيى
من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه
انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمتنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا
بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع ان يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق
والمغرب ويخرجون ويخرجون ومن الاجداث سراعا بالاظهار والادغام ونصب ونصب
وهو كل ما نصب فعبد من دون الله يوفضون يسرعون الى الداعي مستبقين كما كانوا
يستبقون الى انصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل
سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية تسع او ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك
من قبل ان يأتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه

وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر
لو كنتم تعلمون أن أنذر أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهي أن الناصبة للفعل
والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون مفسرة لأن
الإرسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على إرادة القول وأن اعبدوا
نحو أن أنذر في الوجهين فإن قلت كيف قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع تأخير الأجل
وهل هذا إلا تناقض قلت قضى الله مثلا أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن
بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى وقت
سماه الله وضربه أمدا تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم
أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لكم حيلة فبادروا
في أوقات الإمهال والتأخير قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا دائبا من غير فتور
مستغرقا به الأوقات كلها فلم يزدهم دعائي إلا فرارا جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار
والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا لأنه سببا للزيادة ونحوه فزادتهم رجسا إلى رجسهم
فزادتهم إيمانا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي
هو حظهم خالصا ليكون أقبح لإعراضهم عنه جعلوا أصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم
عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم
أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم
وتعضده قوله ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم
وأصروا وأكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير
للإقبال على المعاصي والإكباب عليها واستكبروا استكبارا وأخذتهم العزة من اتباع نوح عليه السلام
وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم ثم إني دعوتهم جهارا ثم
إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا فإن قلت ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا
ثم دعاهم في السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت قد
فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي في الأ
فالأشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار
والإعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين
أغلظ من إفراد أحدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لأن الدعاء أحد نوعيه الجهار
فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم
ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أي مجاهرا به أو مصدرا في موضع الحال
أي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم
إليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم وأحب إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في
الإيمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله وقوله ولو أن
أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم

من ربهم لأكلوا من فوقهم وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير
الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروي سبعين فوعدهم أنهم
إن آمنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه أنه خرج يستسقي
فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي
يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطئ وعن الحسن أن رجلا شكا
إليه الجدب فقال استغفر الله وشكا إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم
كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم
كلهم بالاستغفار فتلا له الآية والسماء المظلة لأن المطر منها ينزل إلى السحاب ويجوز أن يراد
السحاب أو المطر من قوله إذا نزل السماء بأرض قوم والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي
فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ومتفال جنات بساتين ما لكم لا ترجون
لله وقارا لا تأملون له توقيرا أي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم
الله إياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار وقوله وقد خلقكم أطوارا
في موضع الحال كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان به لأنه خلقهم
أطوارا أي تارات خلقكم أولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم
عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر أو لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا
وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لأن العاقبة حال
استقرار الأمور وثبات الثواب والعقاب من وقر إذا ثبت واستقر ألم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقا نبههم على النظر في أنفسهم أولا لأنها أقرب منظور فيه منهم ثم على النظر
في العالم وما سوي فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات
والأرض والشمس وجعل القمر فيهن نورا فيهن في السموات وهو في السماء الدنيا لأن بين
السموات ملابسة من حيث أنها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن في جميعهن كما يقال
في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم أن الشمس والقمر وجوههما
مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الأرض وجعل الشمس سراجا يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر
أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره والقمر ليس كذلك إنما هو نور لم يبلغ قوة
ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أقوى من النور
والله أنبتكم من الأرض نباتا استعير الإنبات للإنشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت
هذه الاستعارة أدل على الحدوث لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات
ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الإسلام من غير أولية لهم فيه ومنه
قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم
ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم إخراجا ثم يخرجكم يوم القيامة وأكده بالمصدر كأنه قال
يخرجكم حقا ولا محالة والله جعل لكم الأرض بساطا جعلها مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب
الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة منفجة قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا
من لم يزده ماله وولده إلا خسارا واتبعوا رؤساءهم المقدمين أصحاب الأموال والأولاد

وان نسوا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التى لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة فى الدنيا زائدة خسارا فى الاخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرئ وولده وولده بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح مكرا كبارا وقرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا كان هذه المسميات كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هى اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو وقرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من اضلوهم او وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعنى ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس فان قلت علام عطف قوله ولا تزد الظالمين الا ضلالا قلت على قوله رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصونى وقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا اى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودى للصلوة وصل فى المسجد تحكى قوليه معطوفا احدهما على صاحبه فان قلت كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته قلت المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا تقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وفى قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعى عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن فى استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على سلامة ونعلم ان معه ما يستوجب به العذاب

وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمز وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار فى الاخرة كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة وكانه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات فى ماء او فى نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ديار من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فان قلت بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة قلت لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد اخبره الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى لا يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه رب اغفر لى ولوالدى ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخاء بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرأ الحسن بن على ولولدى يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا فان قلت ما فعل صبيانهم حين اغرقوا قلت غرقوا لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة فى عذاب الاباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين اغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحى الى وقرئ احى واصله وحى يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال اعد وازن واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه فى كل واو مضمومة وقد اطلقه المازنى فى المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء وقرأ ابن ابى عبلة وحى على الاصل انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحى وانا سمعنا بالكسر

لانه مبتداء محكى بعد القول ثم تحمل عليهما البواقى فما كان من الوحى فتح وما كان من
قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخيرتين وان المساجد لله وانه لما قام
عبد الله ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور فى امنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا
انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقى نفر من الجن جماعة منهم ما بين
الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس
منهم فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا اى قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضى
ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا قرانا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب فى
حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب
وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره يهدى الى الرشد يدعوا الى الصواب
وقيل الى التوحيد والايمان فامنا به الضمير فى به للقران ولما كان الايمان به ايمانا
بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا اى ولن نعود
الى ما كنا عليه من الاشراك به فى طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وجل لان
قوله بربنا يفسره وانه تعالى جد ربنا عظمته من قولك جد فلان فى عينى اى عظم وفى
حديث عمر رض كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وال عمران جد فينا اى عظم وروى جدا على
او ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد الذى هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء
هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته
او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التميز
وجد ربنا بالكسر اى صدق ربوبيته وحق الالهية عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك
انهم لما سمعوا القران ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطاء فيما اعتقد كفرة
الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه
وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا سفيههم ابليس لعنه الله او غيره من مردة الجن
والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره ومنه اشط فى السوم اذا ابعد فيه اى يقول
قولا هو فى نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وكان فى ظننا ان احدا من الثقلين
لن يكذب على الله ولن يفترى عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى
تبين لنا بالقران كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اى مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر
لان الكذب نوع من القول ومن قرأ ان لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة
لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم
رهقا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا
وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى فى واد قفر فى بعض مسايره وخاف على نفسه قال
اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا
وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم
لاستعاذتهم بهم وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وهو

من كلام الجن بعضهم لبعض وقيل الايتان من جملة الوحى والضمير فى وانهم ظنوا للجن
والخطاب فى ظننتم لكفار قريش وانا لمسنا السماء اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس
طالب متعرف قال مسسنا من الاباء شيأ وكلنا الى نسب من قومه غير واضع يقال لمسه
والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى
طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا والحرس اسم
مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا
ونحوه اخشى رجيلا او ركيبا غاديا لان الرجل والركب مفردان فى معنى الرجال والركاب وانا
كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وانا لا ندرى اشر اريد
بمن فى الارض ام اراد بهم ربهم رشدا والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوى
شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز
ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جياعا يعنى يجد شهابا راصدا له ولاجله
فان قلت كان الرجم لم يكن فى الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين فى خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين
قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى اياته والصحيح
انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره فى شعر الجاهلية قال بشر بن ابى خازم والعير يرهقها الغبار
وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكواكب وقال اوس بن حجر وانقض كالدرى يتبعه نقع يثور
تخاله طنبا وقال عوف بن الخرع يرد علينا العير من دون الفه او الثور كالدرى يتبعه
الدم ولكن الشياطين كانت تسترق فى بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن
معمر قلت للزهرى اكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم ارأيت قوله وانا كنا نقعد قال
غلظت وشدد امرها حين بعث النبى صلى الله ور وى الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال
ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفى قوله ملئت
دليل على ان الحادث هو الملاء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد اى كنا نجد فيها بعض
المقاعد خالية من الحرس والشهب والان ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب
فى البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما
حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل
الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اى خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او
توفيق وانا منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف
الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه
او اراد والطالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اى كنا ذوى مذاهب متفرقة
مختلفة او كنا فى اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا فى طرائق مختلفة كقوله كما
عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذى هو الطرائق

وأقامة الضمير المضاف إليه مقامه والقدد من قدّ كالقطعة من قطع ووصف الطرائق
بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه
هربا وفي الأرض وهربا حالان أي لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها ولن نعجزه
هاربين منها إلى السماء وقيل لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا إن طلبنا
والظن بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أخيار
وأشرار ومقتصدون وأنهم يعتقدون أن الله تعالى عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي
عنه مهرب وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا
لما سمعنا الهدى هو سماعهم القرآن وإيمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف أي فهو غير خائف
ولأن الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف فإن قلت أي
فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب إدخال الفاء وكان ذلك
كله مستغنى عنه بأن يقال لا يخف قلت الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو
لا يخاف فكان دالا على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره
وقرأ الأعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا أي جزاء بخس ولا رهق لأنه لم يبخس أحدا
حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب
المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ويجوز أن يراد فلا
يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى ولا أن ترهقه ذلة من قوله عز وجل ترهقهم ذلة وأنا
منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير أن الحجاج قال له حين أراد قتله
ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال
الحجاج يا جهلة إنه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله وأما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا أن الله عز وعلا أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا أن قال
فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد
وأن لو استقاموا أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى وأوحي إلي أن الشأن
الحديث أن لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله
والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأسقيناهم ماء غدقا لأنعمنا
عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لأنه أصل المعاش
وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز أن يكون معناه و
أن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام
لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم
في الفتنة وازديادهم إثما أو لنعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته أو عن
موعظته أو عن وحيه يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة أي ندخله عذابا صعدا
والأصل يسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدي إلى مفعولين إما بحذف الجار وإيصال الفعل
كقوله واختار موسى قومه وإما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه وأسلكه قال حتى إذا أسلكوهم

فيه إشارة إلى الجواب عن الزعم

في قتائدة والصعد مصدر صعد صعودا وصعدا فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه
ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رض ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق
علي ولا غلبني وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا من جملة الموحى وقيل معناه ولأن
المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة بلا تدعوا أي فلا تدعوا مع الله أحدا في المساجد لأنها
لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الأرض كلها لأنها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا
وقيل المراد بها المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله
أن يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله
فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد وقيل المساجد أعضاء السجود السبعة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والأنف واليدان والركبتان
والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو السجود وأنه لما قام عبد الله يدعوه عبد الله النبي صلى الله
فإن قلت هلا قيل رسول الله أو النبي قلت لأن تقديره وأوحي إلي أنه لما قام عبد الله
فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلعم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل
أو لأن المعنى أن عبادة عبد الله لله تعالى ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا
عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلوة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا
لقراءته كادوا يكونون عليه لبدا أي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء
أصحابه به قائما وراكعا وساجدا وإعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما
لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة
من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع
لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة
ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الإنس
والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وأنه بالكسر
جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم حاكين ما رأوا من صلوته وازدحام أصحابه عليه
في ائتمامهم به قل للمتظاهرين عليه إنما أدعوا ربي يريد ما أتيتكم بأمر منكر إنما أعبد ربي
وحده ولا أشرك به أحدا وليس ذاك مما يوجب إطباقكم على مقتي وعداوتي أو قال للجن عند
ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله تعالى ورفضي الإشراك به بأمر يتعجب منه إنما
يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلعم
قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا
إلا بلاغا من الله ولا رشدا ولا نفعا أو أراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة أبي غيا ولا رشدا
والمعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم إنما الضار والنافع الله تعالى أو لا أستطيع أن
أقسركم على الغي والرشد إنما القادر على ذلك الله عز وجل وإلا بلاغا استثناء منه أي لا أملك
إلا بلاغا من الله وقل إني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن
نفسه وبيان عجزه على معنى أن الله إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره
منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوي إليه والملتحد الملتجأ وأصله المدخل من اللحد وقيل محيصا

بعد لا وقرئ قال انى لا املك اى قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان يكون من حكاية
الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اى لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى
به وقيل الا هى ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا ورسالاته عطف
على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله
كذا ناسبا لقوله تعالى اليه وان ابلغ رسالاته التى ارسلنى بها من غير زيادة ولا نقصان فان
قلت الا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه السلم بلغوا عنى بلغوا عنى قلت من ليست بصلة
للتبليغ انما هى بمنزلة من فى قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم وقرئ فأن له نار جهنم على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله فان لله خمسه اى
فحكمه ان لله خمسه وقال خالدين فيها ابدا حملا على معنى الجمع فى من حتى اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قل ان ادرى اقريب ما توعدون فان قلت بم تعلق
حتى وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة
ويستضعفون عليه انصاره ويستقلون عددهم حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار
الله له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ انهم اضعف ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق
بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانه قال لا يزالون على
ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه
كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فلا ادرى
متى يكون لان الله لم يبينه لما راى فى اخفاء وقته من المصلحة فان قلت ما معنى قوله
ام يجعل له ربى امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تعالى تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادرى
اهو حال متوقع فى كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية عالم الغيب اى هو عالم الغيب فلا يظهر
فلا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ومن رسول تبيين لمن ارتضى يعنى انه لا يطلع
على الغيب الا المرتضى الذى هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفى هذا ابطال للكرامات
لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين
المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شئ من الارتضاء
وادخله فى السخط فانه يسلك من بين يديه يدى من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة
من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى
يبلغ ما اوحى به اليه وعن الضحاك ما بعث نبى الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان
يتشبهوا بصورة الملك ليعلم ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعنى الانبياء وحد اولا
على اللفظ فى قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى
ليبلغوا رسالات ربهم كما هى محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره فى قوله تعالى
حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم و
الشرائع لا يفوته منها شئ لا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شئ عددا
من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه

وعددا حال اى وضبط كل شئ معدودا محصورا او مصدر فى معنى احصاء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهى تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل قم الليل المزمل المتزمل وهو الذى
تزمل فى ثيابه اى تلفف بها بادغام التاء فى الزاى ونحوه المدثر فى المتدثر وقرئ المتزمل على
الاصل والمزمل بتخفيف الزاى وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذى زمله
غيره او زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا فى
قطيفة فنبه ونودى بما يهجن اليه الحالة التى كان عليها من التزمل فى قطيفة واستعداده
للاستثقال فى النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذى الرمة
وكائن تخطت ناقتى من مفازة ومن نائم عن ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذى
لا ينهض فى معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه
سهدا اذا ما نام ليل الهوجل وفى امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد
الا بل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار من الهجود التهجد
وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة فى الله لا جرم ان رسول الله قد تشمر
لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة و
تجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما فى وجوههم وترامى
امرهم على حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا فى مرط لعائشة يصلى فهو على
هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين للحالة التى كان عليها وامر بان يدوم على ذلك و
يواظب عليه وعن عائشة رضى الله انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع
عشرة ذراعا نصفه على وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلى فسئلت ما كان قالت والله
ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا
وقيل دخل على خديجة وهو جئث فرقا اول ما اتاه جبرئيل وبوادره ترعد فقال زملونى
وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبرئيل يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى
يا ايها الذى زمل امرا عظيما اى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم
الميم وفتحها قال عثمان بن جنى الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباى
الحركات تحرك فقد وقع الغرض الا قليلا نصفه نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء
من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل او انقص منه قليلا او زد عليه والضمير فى منه
وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان
يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا
من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين
قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى
قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل رجع الضمير فى منه
وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او

أن يزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل القليل الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعني الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع فإن قلت أكان القيام فرضا أم نفلا قلت عن عائشة رضي الله عنها أن الله جعله تطوعا بعد أن كان فريضة وقيل كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وإنما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ورتل القرآن ترتيلا ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الألص وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها وترتيلا تأكيد في إيجاب الأمر به وأنه ما لا بد منه للقارئ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلعم لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته فهي أثقل عليه وأبهظ له وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لأن الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنه كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف إن ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأت السحابة إذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز إذا نهض قال نشأنا إلى خوص برى نيها السرى وألصق منها مشرفات القماحد أو قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من أول الليل تقولين له قام ناشئة قالت لا إنما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لأنها تحدث واحدة بعد أخرى وقيل الساعات الأول منه وعن علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى إن ناشئة الليل هذه ناشئة الليل هي أشد وطأ هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها إن أردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وعن الحسن أشد موافقة

بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطاء بالفتح والكسر والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر وأقوم قيلا وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدو الأصوات وعن أنس أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له إنما هي يا أبا حمزة وأقوم فقال إن أقوم وأصوب وأهيأ واحد وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ فحاسوا بحاء غير معجمة فقيل له إنما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد إن لك في النهار سبحا طويلا تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأشد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره وتبتل إليه وانقطع إليه فإن قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم بإضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لأنه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن توكل إليه الأمور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والإظهار واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا الهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والإغضاء وترك المكافاة وعن أبي الدرداء رض إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وذرني والمكذبين إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهي أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني وإياه أي لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاك إلا أن تخلي بيني وبينه بأن تكل أمره إلي وتستكفينيه فإن في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم مانع حتى تطلب إليه أن يذره وإياه إلا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه إذا لم يكل إليه أمره فكأنه منعه منه وإذا وكله إليه فقد أزال المنع وتركه وإياه وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما يدور في خلده أمنية المخاطب وبما يزيد عليه أولي النعمة النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الإنعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه ومهلهم قليلا إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما إن لدينا ما يضاد تنعمهم من أنكال وهي القيود الثقال عن الشعبي إذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل

ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق
فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا إليه أمرهم
موذورا بينه وبينهم ينتقم منهم بذلك الانتقام وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه
ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت
البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم ترجف
الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة
الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى
مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب كثبا عجالا
أي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل إنا أرسلنا إليكم رسولا الخطاب
لأهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم كما أرسلنا إلى فرعون
رسولا فعصى فرعون الرسول فإن قلت لم نكر الرسول ثم عرف قلت لأنه أراد أرسلنا
إلى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور
بعينه فأخذناه أخذا وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل
العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا
يوما مفعول به أي فكيف تتقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا
صالحا ويجوز أن يكون ظرفا أي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ويجوز أن ينتصب
بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن
تقوى الله خوف عقابه ويجعل الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب
نواصي الأطفال والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب
قال أبو الطيب: والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض الكتب
أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت
القيامة والجنة والنار في المنام ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت
كما ترون ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب
السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة أيضا وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه فما
ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار أو على تأويل السماء بالسقف
أو السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني أنها
تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالا
يؤدي إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والأرض كان
وعده مفعولا وعده من إضافة المصدر إلى المفعول والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا إلى
الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه
سبيلا إن هذه الآيات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتعظ بها واتخذ
سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل إليه التقرب والتوسل بالطاعة

إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه أدنى من ثلثي الليل أقل منهما وإنما
استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز
وإذا بعدت كثر ذلك وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف
والثلث وهو مطابق لما مر في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام
الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه
بالجر أي تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو
أدنى من الثلثين والثلث وهو أدنى من النصف والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الأخير
وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من أصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا
يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل
مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى أنكم لا تقدرون عليه
علم أن لن تحصوه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر أي علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات
ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم
بالغ منكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا
عنكم فالآن باشروهن والمعنى أنه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب فاقرؤوا
ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل
الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
وعبر عن الصلوة بالقراءة لأنها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد
فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للأول ثم نسخا جميعا بالصلوات
الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن
وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر
القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله
بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود أيما رجل جلب شيئا إلى
مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن
عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أموت
بين شعبتي رحل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله وعلم استينا فعلى تقدير السؤال عن وجه
النسخ وأقيموا الصلوة يعني المفروضة والزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لأنه لم يكن بمكة
زكوة وإنما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا ٥
وأقرضوا الله قرضا حسنا يجوز أن يريد سائر الصدقات وأن يريد أداء الزكوة على
أحسن وجه من إخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله
والصرف إلى المستحق وأن يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال وما تقدموا
لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور
رحيم خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأن أفعل من أشبه
في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجرا بالرفع على

قوله من سائر العذاب يشير به إلى أن التنكير في عذابا أليما للدلالة على التنوع أي آخر التنوع من أنواع العذاب

قوله قالت الضائنة أولد رخالا وأجز جفالا أي أجز مرة واحدة وذلك أن صوفها لا يسقط إلى الأرض شيء منه حتى يجز كله

فإذا لم يعتقدوا القيمة وجحدوها وأنكروها فلا يعتقدون العقاب فكيف تكون لكم خشية العقاب

قوله وأن عطف على وصف من حيث المعنى أي وبيان أن السماء أو هو عطف على الشدة أي وصف اليوم بأن السماء

فكذلك لم يقل منفطرة مع أن السماء مؤنث

وهو الوجه الثاني من الوجوه المذكورة

فيكون طائفة عطفا على الضمير المستتر وجاز ذلك للفصل

أي الأخذ بالأوسع كما روي عن الكلبي أن الرجل كان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين

قوله ثم نسخا أي نسخ القيام المقدر ونسخ ما تيسر

أراد علم أن سيكون

أي لفظ أفعل من أشبه المعرفة بتعذر أن أفعل التفضيل إذا استعمل بمن شابه المعرفة في امتناع دخول حرف التعريف

الابتداء والخبر عن رسول الله صلعم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الأنصار شعار والناس دثار وقيل هي أول سورة نزلت روى عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً فنظرت فوقي فرأيت شيئاً وفي رواية عائشة فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهري أول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك إلى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل إنك نبي الله فرجع إلى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء بارداً فنزل يا أيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكراً كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الأمر وعصب بك كما قال في المزمل قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم فأنذر فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا والصحيح أن المعنى فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال الله أكبر ويروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر أمر بأن يكون ثيابه طاهرة من النجاسات لأن طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها وهي الأولى والأحب في غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثاً وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه إصابة النجاسة وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والأردان إذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لأن الثوب يلابس الإنسان ويشتمل عليه فكني به عنه ألا ترى إلى قولهم أعجبني زيد ثوبه كما يقولون أعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى إلا اجتناب الخبث وإيثار الطهر في كل شيء والرجز فاهجر والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لأنه كان بريئاً منه ولا تمنن تستكثر قرأ الحسن ولا تمن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال أي ولا تعط مستكثراً رائياً لما تعطيه كثيراً أو طالباً للكثير نهي عن الاستغزار وهو أن يهب شيئاً وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهياً خاصاً برسول الله صلى الله عليه لأن الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق والثاني أن يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولأمته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الإبدال من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا

تستكثر

تستكثر على أنه من المن في قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لأن من شأن المنان بما يعطي أن يستكثره أي يراه كثيراً ويعتد به وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفاً وأن يعتبر حال الوقف وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر ويجوز في الرفع أن يحذف أن ويبطل عملها كما روي أحضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعله صبراً على العطاء من غير استكثار والوجه أن يكون أمراً بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لأنه أحد ما يتناوله العام فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير والفاء في قوله فإذا نقر للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في فذلك للجزاء فإن قلت بم انتصب إذا وكيف صح أن يقع يومئذ ظرفاً ليوم عسير قلت انتصب إذا بما دل عليه الجزاء لأن المعنى فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين والذي أجاز وقوع يومئذ ظرفاً ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في أنها النفخة الأولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مبنياً مرفوع المحل بدلاً من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير فإن قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيراً كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا ذرني ومن خلقت وحيداً حال من الله عز وجل على معنيين أحدهما ذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فإن كان ملقباً به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا إلى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق وحيداً لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه وجعلت له مالاً ممدوداً مبسوطاً كثيراً أو ممداً بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفاً وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهوداً حضوراً معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لأنهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل

أو تسمع شبها ذاتهم فيما يحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل
سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم
منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة
في قومه فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ومنه قول الناس
أدام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش و
صناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع أن أزيد استبعاد واستنكار لطمعه
وحرصه يعني أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت
الجنة إلا لي كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه إنه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه
الاستيناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا
يستحق المزيد ويروى أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سأرهقه
صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا
يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت
فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من
نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر
ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر
إنه فكر تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده
ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره وتسميته
القرآن سحرا ويجوز أن يكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه أن الجنة
لم تخلق إلا له وإخبارا بأنه من أشد أهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله إنه فكر بدلا
من قوله إنه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه
ما يقوله وهيأه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان
ينتحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء أو هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر
تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما أشجعه و
أخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده
بذلك روي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس
ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه
يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله ليصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا
أكفيكموه فقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل
رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه
يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم
لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده و
مواليه وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا و
تفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا

وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بأن يرمي بها وصف أشكاله التي تشكل
بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل
ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أدبر عن الحق واستكبر
عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض فإن قلت ما معنى ثم الداخلة
في تكرير الدعاء قلت الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قوله ألا يا اسلمي
ثم اسلمي ثمت اسلمي فإن قلت فما معنى ثم المتوسطة بين الأفعال التي بعدها قلت الدلالة
على أنه قد تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد فإن قلت فلم
قيل فقال إن هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب
لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث فإن قلت فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين قلت
لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا
وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لا تبقي شيئا يلقى فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذره هالكا
حتى يعاد أو لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر
من لوح الهجير قال تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه
أشد سوادا من الليل والبشر أعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين
وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها
تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين
لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن جعلهم ملائكة
لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا
يستروحون إليهم ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولأنهم أشد
الخلق بأسا وأقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم
أكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي
يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في
النار ويرمي بالجبل عليهم وروي أنه لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم
أسمع ابن كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا
برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر
فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي ما جعلناهم رجالا من
جنسكم يطاقون وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد
الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض
والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا فإن قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية
سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه
صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا
وذلك أن المراد بقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر
فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين

أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفي عليه
وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين
وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في
القرآن أيقنوا أنه منزل من الله تعالى وازدياد المؤمنين إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر
ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك **فإن قلت** لم قال ولا يرتاب
الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الإيمان دلا على انتفاء الارتياب **قلت**
لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان أبلغ وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر
ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق
والكفر **فإن قلت** كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة
نفاق وإنما نجم بالمدينة **قلت** معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان
بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا أراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون
كسائر الإخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك و
الارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب **فإن قلت** قد علل
جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب
أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين
غرضا **قلت** أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة أن تكون غرضا ألا ترى إلى قولك
خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هو بغرضك مثلا تمييز لهذا أو
حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية **فإن قلت** لم سموه مثلا **قلت** هو استعارة من المثل
المضروب لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى أي
شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء
ومرادهم إنكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد
الناقص كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء الكاف في كذلك نصب وذلك إشارة
إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين
ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة
ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله تعالى كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيمانا وينكره
الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند

إلا تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها كلا والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا
أسفر إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر كلا إنكار بعد أن جعلها ذكرى أي تكون لهم ذكرى
لأنهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى
أقبل ومنه صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه وقرئ إذا أدبر
إنها لإحدى الكبر جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى
جعلت ألف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي
في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة أي لإحدى البلايا أو الدواهي
الكبر ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد
الرجال وهي إحدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول السورة يعني قم نذيرا
وهو من بدع التفاسير وفي قراءة أبي نذير بالرفع خبر بعد خبر لأن أو بحذف المبتدأ
لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر أن يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء
خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن
يتقدم أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها منذرة
للمكلفين الذين إن شاؤوا تقدموا ففازوا وإن شاؤوا تأخروا فهلكوا كل نفس بما كسبت
رهينة رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لأنه
لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وإنما
هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة
أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ● رهينة رمس ذي تراب وجندل ● كأنه قال رهن رمس
والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا عنه
رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق وعن علي رضي الله عنه
أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال لأنه لا أعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رض هم الملائكة
في جنات أي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا
عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه ما سلككم في سقر قالوا لم نك
من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى
أتانا اليقين **فإن قلت** كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون
عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم

ولذلك لا يعرفون موجب دخول النار فان قلت ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه
الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت
لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما
للتكذيب كقوله ثم كان من الذين امنوا واليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين
اى لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة
لمن ارتضاه الله تعالى وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في
درجات المرتضين فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة عن التذكرة عن التذكير وهو
العظة يريد القران او غيره من المواعظ ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما والمستنفرة
الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة
على النفار فرت من قسورة والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال
ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن
ابن عباس ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القران واستماع الذكر
والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين
لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار
حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة
سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها او كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت
منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن
نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر
فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس فلمسوه بايديهم الاية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة
فيها براءته وامنته من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على
رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة
الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها
واحد كانزله ونزله ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الايات ثم قال بل لا
يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ثم ردعهم عن اعراضهم
عن التذكرة وقال انه تذكرة يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية فمن شاء ذكره فمن
شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينيه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره
للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر او القران وما يذكرون
الا ان يشاء الله يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم
لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه
فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا امنوا واطاعوا وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله

٦٧٧

صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل
القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم
اني افر وقال غوية بن سلمى الا نادت امامة باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي وفائدتها توكيد
القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر
واعترضوا عليه بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القران في حكم سورة واحدة
متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير
سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في
ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم
لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستأهل
فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اى ليس الامر على
ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات
التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده
ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون
سدى قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا
ترى كيف لقي لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله
انه لقران كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدأ محذوف معناه لانا اقسم
قالوا ويعضده انه في الامام بغير الف ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم
النفوس فيه اى في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت
في الاحسان وعن الحسن ان المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه
وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة
وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله
ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرأ قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء
للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها
الرياح وطيرتها في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما
اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع
الله العظام فنزلت بلى قادرين على ان نسوي بنانه بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه
قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع اى نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها و
اعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اى اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه
او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من

غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن
نسوي أصابع يديه ورجليه أي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق
بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئا مما يعمل بأصابعه المتفرقة ذات المفاصل والأنامل من
فنون الأعمال والبسط والقبض والتأتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون أي نحن قادرون
بل يريد الإنسان عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون إيجابا على أن يضرب
عن مستفهم عنه إلى آخر أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب ليفجر أمامه ليدوم على فجوره فيما
بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب
ويؤخر التوبة يقول سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوإ أعماله
يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله أيان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا
الوعد فإذا برق البصر تحير فزعا وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره وقرئ
برق من البريق أي لمع من شدة شخوصه وقرأ أبو السمال بلق إذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب
وأبلقته وبلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوءه أو ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء
للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل
يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر
فيكون نار الله الكبرى يقول الإنسان يومئذ أين المفر المفر بالفتح المصدر وبالكسر المكان
ويجوز أن يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وكل ما التجأت
إليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك إلى ربك خاصة يومئذ المستقر مستقر العباد
أي استقرارهم يعني أنهم لا يقدرون أن يستقروا إلى غيره وينصبوا إليه أو إلى حكمه ترجع أمور
العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم أو إلى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة
أو نار أي مفوض ذلك إلى مشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أن يدخله النار ينبؤ
الإنسان يومئذ بما قدم من عمل عمله وأخر وبما أخر منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق
به وبما أخره فخلفه أو بما قدم من عمل الخير والشر وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل
بها بعده وعن مجاهد بأول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصيه الله ونسوه بل الإنسان
على نفسه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله
تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ ففيه ما
يجزئ عن الإنباء لأنه شاهد عليها بما عملت لأن جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم
وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ولو ألقى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه
ويجادل عنها وعن الضحاك ولو أرخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فإن صح فلأنه
يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب فإن قلت أليس قياس المعذرة أن تجمع
معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة إنما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر
لا تحرك به لسانك الضمير في به للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي
نازع جبرئيل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه
فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضى إليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة

إلى أن يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبرئيل يقرأ لتعجل به لتأخذه
على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله إن علينا جمعه في صدرك وقرآنه
وإثبات قراءته في لسانك فإذا قرأناه جعل قراءة جبرئيل قراءته والقرآن القراءة فاتبع قرآنه
فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه
ثم إن علينا بيانه إذا أشكل عليك شيء من معانيه كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى
جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه كلا
ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وإنكار لها عليه وحث على الأناة والتؤدة
وقد بالغ في ذلك بإتباعه قوله بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة كأنه قال بل أنتم يا بني آدم
لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة
وقرئ بالياء وهو أبلغ فإن قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك إلى آخره بذكر القيمة قلت
اتصاله به من جهة هذا التخلص منه إلى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة وجوه
يومئذ ناضرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم إلى ربها ناظرة تنظر إلى
ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله إلى ربك يومئذ المستقر
إلى ربك يومئذ المساق إلى الله تصير الأمور وإلى الله المصير وإليه ترجعون عليه توكلت وإليه
أنيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها
الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم
لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا
إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قول الناس
أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل وإذا نظرت إليك
من ملك والبحر دونك زدتني نعما وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس
أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم تقول عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة
والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه ووجوه يومئذ باسرة
والباسرة الشديد العبوس والباسل أشد منه ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه تظن
تتوقع أن يفعل بها فاقرة فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما
توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير كلا ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل
ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون
إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين إذا بلغت التراقي الضمير في بلغت للنفس وإن لم يجر لها ذكر
لأن الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت
يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون
السماء التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول
مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقيل وقال حاضروا صاحبها وهو
المحتضر بعضهم لبعض من راق أيكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى
بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب وظن المحتضر أنه الفراق أن هذا الذي نزل به هو

فراق دنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والموت عليهما عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملان وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه الى ربك يومئذ المساق اي يساق الى الله والى حكمه فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسئل ايان يوم القيمة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز اذ يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في ابي جهل ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعني كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه من الانسان الزوجين الصنفين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى اليس ذلك الذي انشأ هذا الانشاء بقادر على الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبرئيل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة صدق

سورة الانسان مكية وهي احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا تجزي والد عن ولده وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفة للافراد ويقال ايضا نطفة مشيج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن

ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه الى الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا وقرأ ابو السمال بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر والكأس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق آخرا قلت لان الكأس مبدأ شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون بالنذر جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا على حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله واسيرا عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة الخلق

وأن يكون قولهم لهم لطفاً وتفقيهاً وتنبيهاً على ما ينبغي عليه أن يكون من أخلص لله تعالى وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله ويجوز أن يكون ذلك بياناً وكشفاً عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئاً وعن مجاهد أما إنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم الله شر ذلك اليوم يحتمل إن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولك نهارك صائم روي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبه في شدته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال أسد بن ناعصة واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح ولقاهم نضرة وسروراً أي أعطاهم بدل عبوس الكفار وحزنهم نضرة في الوجوه وسروراً في القلوب وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله وجزاهم بما صبروا بصبرهم على الإيثار وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلعم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة جنة وحريراً **فإن قلت** ما معنى ذكر الحرير مع الجنة **قلت** المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستاناً فيه مأكل هنيء وحريراً فيه ملبس بهي متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً يعني أن هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه في لغة طيء وأنشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر **فإن قلت** ودانية عليهم ظلالها علام عطفت **قلت** على الجملة التي قبلها لأنها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها إليهم في عليهم إلا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين

مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان لأنهم وصفوا بالخوف إنا نخاف من ربنا **فإن قلت** فعلام عطف وذللت قطوفها تذليلاً **قلت** هي إذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية وإذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وإذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحاً وتذليل القطوف أن تجعل ذللاً لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا أو تجعل ذليلة خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل إذا كان قصيراً ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديراً قوارير قوارير قرئا غير منونين وبتنوين الأول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الأول ومعنى قوارير من فضة أنها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها **فإن قلت** ما معنى كانت **قلت** هو من يكون في قوله كن فيكون أي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيماً لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافوراً وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولاً من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان إذا جعلك قادراً له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عيناً فيها تسمى سلسبيلاً سميت العين زنجبيلاً لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الأعشى كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأرياً مشوراً وقال المسيب بن علس وكأن طعم الزنجبيل به إذ ذقته وسلافة الخمر وسلسبيلاً لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا إلى علي بن أبي طالب رض أن معناه سل سبيلاً إليها وهذا غير مستقيم على ظاهره إلا أن يراد أن جملة قول القائل سل سبيلاً جعلت علماً للعين كما قيل تأبط شراً وذرى حباً وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه إلى

مثل على رضي الله عنه أبدع وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة النفس
براح كأنها سلسبيل وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق
الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين
أو منصوبة على الاختصاص ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور
وعن المأمون أنه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من
ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن
المنظر قال لله در أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء
در على أرض من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء
واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا رأيت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم
كأنه قيل واذا أوجدت الرؤية ثم ومعناه أن بصرك أينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم
كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد
أخطأ لأن ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا روي
أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل
لا زوال له وقيل اذا أرادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم عاليهم
ثياب سندس خضر واستبرق قرئ عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره ثياب سندس
أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير في يطوف
عليهم أو في حسبتهم أي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤا
عاليا لهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك
عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم وخضر واستبرق بالرفع حملا
على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي
وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا أن يزعم ابن محيصن أنه قد
يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل
من البريق وليس بصحيح أيضا لأنه معرب مشهور وأن أصله استبره وحلوا أساور من
فضة عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكر ههنا أن أساورهم من فضة وفي موضع
آخر أنها من ذهب قلت هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا
اشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا
بين أنواع الحلي وتجمع بينها وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار
من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لأن كونها رجسا بالشرع
لا بالعقل وليست الدار دار تكليف أو لأنه لا يعصر فتمسه الأيدي الوضرة وتدوسه
الأقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان والأباريق التي لم يعن بتنظيفها أو لأنه لا يؤول
الى النجاسة لأنه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك ان هذا كان لكم جزاء وكان
سعيكم مشكورا أي يقال لأهل الجنة ان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم

ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا تكرير
الضمير بعد ايقاعه اسما لأن تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله تعالى بالتنزيل ليتقرر في نفس
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل الا حكمة
وصوابا كأنه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا
لكل ما أفعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة الى أن أنزل عليك الأمر بالمكافة والمصابرة
وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا
فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه الأمور بالمصالح وتأخيره نصرتك على أعدائك من أهل
مكة ولا تطع منهم أحدا قلة صبر منك على أذاهم وضجرا من تأخر الظفر وكانوا مع افراطهم في
العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم
بناتهم ان أجابهم فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما أو كفورا قلت
معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه أو فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لأنهم
اما أن يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهي أن يساعدهم على الاثنين
دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لأن عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لأنواع
الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو فان قلت معنى أو ولا تطع
أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قيل ولا تطعهما لجاز أن يطيع
أحدهما واذا قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى كما اذا
نهي أن يقول لأبويه أف علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الأولى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا
ودم على صلاة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء
وأدخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا
وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه ان هؤلاء ان هؤلاء الكفرة يحبون
العاجلة يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا ويذرون وراءهم قدامهم أو
خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ
لحامله ونحوه ثقلت في السموات والأرض نحن خلقناهم وشددنا أسرهم الأسر الربط والتوثيق
ومنه أسر الرجل اذا أوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب والعصب
شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة
الخلق ومجدولته واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا واذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم
في شدة الأسر يعني النشأة الأخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه أن يجيء بان
لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم ان هذه تذكرة هذه اشارة الى
السورة أو الى الآيات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة اتخذ الى ربه سبيلا
واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤن الا أن يشاء الله
وما تشاؤن الطاعة الا أن يشاء الله بقسرهم عليها ان الله كان عليما بأحوالهم وما يكون منهم
حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء فان قلت ما محل أن يشاء الله قلت
النصب على الظرف وأصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لأن ما

ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء في رحمته هم المؤمنون والظالمين ونصب الظالمين بفعل يفسره
اعد لهم عذابا اليما نحو اوعد وكافأ وما اشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على واعد للظالمين
وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف
عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلعم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره
فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح في امتثال امره وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند
انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين
ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم
برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا
او السحاب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله تعالى لاسقيناهم ماء غدقا
لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم اذا
رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى
الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت فان قلت
ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا
عليه او يكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان
والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر فان قلت قد فسرت
المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا قلت ان لم يكن معروفا للكفار فانه
معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم فان قلت ما العذر والنذر وبم
انتصبا قلت هما مصدران من عذر اذا محى الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر
والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر
والمنذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما
على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرئا مخففين ومثقلين انما توعدون
لواقع ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيمة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم
ان المعنى ورب المرسلات فاذا النجوم طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها
موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور واذا السماء
فرجت فتحت فكانت ابوابا قال الفارجي باب الامير المبهم واذا الجبال نسفت كالحب اذا نسف
بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها
من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئت طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت
قرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها
الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم لاي يوم اجلت والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت
لاي يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي

يفصل

يفصل فيه الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم
القيمة واجلت اخرت وما ادريك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين فان قلت كيف
وقع النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد
فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام
عليك ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا الم نهلك الاولين قرأ قتادة
نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم الاخرين
بالرفع على الاستيناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الاخرين مثل ما فعلنا
بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قرأة ابن مسعود ثم سنتبعهم
وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم
الاخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بالمجرمين بكل من
اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين
فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة
اشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له
نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى بقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد
ولقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا الكفات من
كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا
الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل
عليه وهو يكفت والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي
على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق
من الحرز فان قلت لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا
قلت هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان احياء
الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا
فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس وجعلنا فيها رواسي شامخات و
اسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين فان قلت فالتنكير في رواسي شامخات وماء
فراتا قلت يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد
وفيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على
لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا
منه الى ظل يعني دخان جهنم كقوله تعالى من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب
وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق
ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش لا
ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن عنهم
من اللهب من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر وقرئ بشرار كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور

فى عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهى اعناق الابل واعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر فى جمع قصرة كحاجة وحوج كانه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهى قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحد جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهى القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب وفى شعر عمران بن حطان الخارجى دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلاء حمراء ساطعة الذوائب فى الدجى ترمى بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت الادم فى العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء فى صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمى جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان فى التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول فى الهواء وفى التشبيه بالجمالات وهى القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه فى طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيمة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت ولا ينطقون فى وقت ولذلك ورد الامران فى القرآن او جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد من جمع الاولين والاخرين حتى تقع ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين كلوا واشربوا فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال وعيون اى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا **فان قلت** كيف يصح ان يقال لهم ذلك فى الآخرة **قلت** يقال لهم ذلك فى الآخرة ايذانا بانهم كانوا فى الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفى طريقته قوله اخوتى لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم احقاء فى حيوتكم بان يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء فى الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين فى الدنيا واذا قيل لهم اركعوا اخشعوا لله تعالى

وتواضعوا بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون و لا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت فى ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا لا نجبى فانها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود ويل يومئذ للمكذبين فباى حديث بعده يؤمنون بعد القرآن يعنى ان القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباى كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة عم يتساءلون مكية [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية و هو فى قراءة عكرمة وعيسى بن عمر وقال حسان على ما قام يشتمنى لئيم كخنزير تمرغ فى رماد والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اى شان يتساءلون ونحوه ما فى قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شئ خفى عليك جنسه فانت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اى شئ هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع فى كلام من لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسأل بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم عن رسول الله والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبإ العظيم بيان للشان المفخم وعن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجرى الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشئ يبهم ثم يفسر **فان قلت** قد زعمت ان الضمير فى يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون **قلت** كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد فى ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثانى ابلغ من الاول واشد **فان قلت** كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا **قلت** لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث فى كل ما فعل ومهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد والجبال اوتادا اى ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه

مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا اى حيوة فى قوله وجعلنا النهار معاشا اى وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب وبنينا فوقكم سبعا سبع سموات شدادا جمع شديدة يعنى محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا يعنى الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها وانزلنا من المعصرات المعصرات السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان يراد الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هى السموات وتأويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن اى يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هى التى تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتى اعصرن اى حان لها ان تعصر اى تغيث ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعنى يثج الكلام ثجا فى خطبته وقرأ الاعرج ثجاجا ومثاجج الماء مصابه والماء ينثجج فى الوادى لنخرج به حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان وجنات الفافا ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدنى الحسن بن على الطوسى جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا حسنا ان يوم الفصل كان ميقاتا كان فى تقدير الله تعالى وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ فى الصور بدل من يوم الفصل او عطف بيان فتأتون افواجا من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم

العيش الحيوة وقد عاش الرجل معاشا ومعيشا

الاعاصير جمع الاعصار وهى الريح التى تستدير فى الارض ثم ترتفع نحو السماء كالعمود

اى ارسل دمع عينيه

ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العمى فالذين يجورون فى الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله فى اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ فكانت سرابا كقوله فكانت هباء منبثا يعنى انها تصير شيئا كلا شئ لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هى حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم او هى مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهى مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرأ ابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا قرئ لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شأنه اللبث كالذى يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه احقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذى وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم يعنى لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعنى لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد فلو شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ وغساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اى يسيل من صديدهم وفاقا وصف بالمصدر او ذا وفاق وقرأ ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال فى باب فعل كله فاش فى كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعنى بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا

يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب
بالحق كاذب وان جعلت بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها
مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة
او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وقرئ
كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ
في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا
كذابا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقرأ ابو
السمال وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء كتابا في موضع احصاء او احصينا في
معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون حالا في معنى مكتوبا
في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله احصيه الله ونسوه وهو اعتراض
وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك
بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على
طريقة الالتفات شاهدا على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية
اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا
دهاقا مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة
وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر والاعناب بالكروم والكواعب
اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد والاتراب اللدات والدهاق المترعة وادهق الحوض ملأه
حتى قال قطني لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا
يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرأ بتخفيف الاثنين
جزاء من ربك عطاء حسابا جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا
كانه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء وحسابا
صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرئ
حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا وقرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو
رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر
على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدأ خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون
والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله ويأمر به
في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون
منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك
ويأذن لهم فيه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن و
قال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم
يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم
واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك

بمن

بمن عداهم من اهل السموات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب
من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة
وهم يأكلون وقيل جبرئيل وهما شرطان ان يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وان
يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه ويقول الكافر هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا و
الكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك
بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان يكون استفهامية منصوبة بقدمت
اي ينظر اي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه
والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن
يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث
وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر
حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين
قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ عم يتساءلون سقاه برد الشراب يوم القيمة

سورة والنازعات مكية وهي خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة اقسم سبحانه بطوائف الملائكة
التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا
اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد
مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد
من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول
اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد
الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من
اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى
تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا
من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط
الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة ويوم ترجف
منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى
وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية
ويجوز ان يكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي [illegible] اي القيمة التي
يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة [illegible] الجبال من قوله
تعالى يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر

ذلك فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اى ترجف تابعتها الرادفة فان قلت كيف
جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذى هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى
لتبعثن فى الوقت الواسع الذى يقع فيه النفختان وهم يبعثون فى ذلك الوقت الواسع وهو وقت
النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب
يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب
والوجيف والوجيب اخوان ابصارها خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة
قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله تعالى
ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه
ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة فى الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت
فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان فى حافرته اى فى طريقته التى جاء فيها
فحفرها اى اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الآكال فى
اسنانها والخط المحفور فى الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اى منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم
نهارك صائم ثم قيل لمن كان فى امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اى الى طريقته وحالته الاولى
قال احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد ارجوعا الى الحافرة وقيل النقد
عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهى الصفقة وقرأ ابو حيوة فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال
حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة وهذه القراءة دليل على ان الحافرة فى اصل الكلمة بمعنى المحفورة
ائذا كنا عظاما نخرة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من
فاعل وقد قرئ بهما وهو البالى الاجوف الذى تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب بمحذوف
تقديره ائذا كنا عظاما نرد ونبعث قالوا تلك اذا كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر
اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بهذا وهذا استهزاء منهم فان قلت
بم تعلق قوله فانما هى زجرة واحدة قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هى زجرة
واحدة يعنى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة فى قدرته ما هى الا صيحة
واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا
فى جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك
لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس
وساهرة يضحى السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن
قتادة فاذا هم فى جهنم هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون
انه طغى اذهب على ارادة القول وفى قراءة عبد الله ان اذهب لان فى النداء معنى القول فقل
هل لك هل لك فى كذا وهل لك الى كذا كما يقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان تزكى الى ان تتطهر
من الشرك وقرأ اهل المدينة تزكى بالادغام واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله وانبهك عليه
فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
اى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشى الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر
ومنه قوله عليه السلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه

واما جعله ... بما دل عليه ولم ينصبه بقوله واجفة لان خبره ... ظرف واجفة ولا يكون للشى ظرفا زمان

اى يريدون بالرد فى الحافرة الحيوة بعد الموت

قوله احافرة اى ارجع الى ... عليه ... الذل والسفه بعد ان شبت وسليت

قوله بعد ما كانوا امواتا فى جوفها ... فاذا الفاجأة ... دلت على انهم ... دلت على انهم كالذين بخلافه

قوله مجللا اى مغطيا ... لاقطارها ... يقول رب ساهرة ... قطعتها متلثما ... وهو النقاب

العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف فى القول
ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك فى قوله فقولا له قولا لينا فاريه الآية الكبرى قلب العصا
حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك
فى جيبك او اراد هما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة
لها فكذب بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا وعصى وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الامر
وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر يسعى اى لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع فى مشيته
قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا او تولى عن موسى يسعى ويجتهد فى مكايدته او اريد ثم اقبل
يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال
فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل فرعون فى المدائن حاشرين فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله
نكال الآخرة والاولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى فنادى فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه وامر
مناديا فنادى فى الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس رضى الله عنهما
كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيرى والآخرة انا ربكم الاعلى وهو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة
الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعنى
الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهى قوله انا ربكم الاعلى
والاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون
ءانتم اشد خلقا الخطاب لمنكرى البعث يعنى اانتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف
خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اى جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو مديدا
رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسويها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما
علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان واغطش ليلها غطش الليل واغطشه الله
كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها يدل
عليه قوله تعالى والشمس وضحيها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى وقت الذى تشرق فيه الشمس
وتقوم سلطانها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل هو ظلها والشمس هى السراج المثقب
فى جوها والارض بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعيها ورعيها
وهو فى الاصل موضع الرعى والجبال ارسيها ونصب الارض والجبال باضمار دحا وارسى وهو الاضمار
على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف
العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى
ثم فسر التمهيد بما لا بد منه فى تأتى سكناها من تسوية امر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها
والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها
والثانى ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما يأكل
الناس والانعام واستعير الرعى للانسان كما استعير الرتع فى قوله تعالى نرتع ونلعب وقرئ
نرتع من الرعى ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما
يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة
ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم فاذا جاءت الطامة الكبرى الطامة الداهية التى

نكل به تنكيلا اذا جعله نكالا وعبرة لغيره

اى عاقبه عقوبة الكلمة الاولى والآخرة

اغطش ليلها جعله مظلما والغطش الظلمة

قوله ضوء شمسها اشارة الى ان المضاف محذوف لان تقدير قوله ضحيها ضحى شمسها فالشمس المضاف اليه حذف الى ... السماء المحذوف

الرعى بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر

يعنى الوجه الاول لكون ترك العطف لانه كالبيان

تطم الدواهى اى تعلو وتغلب وفى امثالهم جرى الوادى فطم على القرى وهى القيمة لطمومها على كل
هائلة وقيل هى النفخة الثانية وقيل الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار
الى النار يوم يتذكر الانسان بدل من اذا جاءت يعنى اذا رأى اعماله مدونة فى كتابه تذكرها
وكان قد نسيها كقوله تعالى احصيه الله ونسوه وما فى ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت
الجحيم واظهرت وقرأ ابو نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعا اى لكل احد يعنى انها تظهر
اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقولهم قد بين الصبح لذى عينين يريدون
لكل من له بصر وهو مثل فى الامر المنكشف الذى لا يخفى على احد وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرأ
عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما من
طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى فاما جواب فاذا اى فاذا جاءت الطامة فان الامر
كذلك والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا
من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغى هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة
ودخول حرف التعريف فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهى فصل او مبتدأ واما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ونهى النفس الامارة بالسوء عن
الهوى المردى وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير
وقيل الآيتان نزلتا فى ابى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد
ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص فى جوفه يسئلونك عن الساعة
ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها ارادوا متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل
ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهى اليه فيم انت من ذكريها
فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعنى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها
فى شئ وعن عائشة رضى الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة و
يسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من ذكره لها كانه قيل فى اى شغل واهتمام انت من ذكرها
والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم
قال الى ربك منتهيها اى منتهى علمها لم يؤت علمها احدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اى فيم
هذا السؤال ثم قيل انت من ذكريها اى ارسالك وانت خاتم الانبياء واخر الرسل المبعوث
فى نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها
ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشيها اى لم تبعث لتعلمهم
بوقت الساعة الذى لا فائدة لهم فى علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له
فى الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال
والاستقبال فاذا اريد الماضى فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس كانهم يوم
يرونها لم يلبثوا اى كانهم لم يلبثوا فى الدنيا وقيل فى القبور الا عشية او ضحيها فان قلت
كيف صحت اضافة الضحى الى العشية قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما فى نهار
واحد فان قلت هلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلت الدلالة على
ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه

الى عشيته هو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلعم من قرأ سورة النازعات
كان ممن حبسه الله فى القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة المكتوبة

سورة عبس اثنتان واربعون آية وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن
ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لوى وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل
ابن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام
رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك
وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس و
اعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلعم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول
له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رأيته يوم القادسية وعليه
درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح فى كلح ان جاءه منصوب
بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ
ءان جاءه بهمزتين وبالف بينهما ووقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى الان جاءه الاعمى
فعل ذلك انكارا عليه وروى انه ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وفى
الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس
جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى اذا حمى فى الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفى
ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عندك العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده
لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بادب الله تعالى فى هذا تأدبا حسنا فقد روى
عن سفين الثورى ان الفقراء كانوا فى مجلسه امراء وما يدريك واى شئ يجعلك داريا بحال هذا
الاعمى لعله يزكى اى يتطهر بما يتلقن من الشرايع من بعض اوضار الاثم او يذكر فتنفعه الذكرى
او يتعظ فتنفعه ذكراك اى موعظتك وتكون له لطفا فى بعض الطاعات والمعنى انك لا تدرى ما هو
مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير فى لعله للكافر يعنى انك
طمعت فى ان يتزكى بالاسلام او يذكر فيقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه
كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى اما
من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصّدى بالتشديد
بادغام التاء فى الصاد وقرأ ابو جعفر تُصدى بضم التاء اى تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدى
له من الحرص والتهالك على اسلامه واما من جاءك يسعى يسرع فى طلب الخير وهو يخشى وهو يخشى الله
او يخشى الكفار واذاهم فى اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة فانت عنه تلهى
تتشاغل من لهى عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تُلهى اى يلهيك شأن
الصناديد فان قلت فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلت نعم
ومعناه انكار التصدى والتلهى عليه اى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للغنى ويتلهى عن
الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اى موعظة يجب الاتعاظ بها

والعمل بموجبها فمن شاء ذكره أي كان حافظا له غير ناس وذكّر الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر
والوعظ في صحف صفة لتذكرة يعني أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله تعالى
مرفوعة في السماء أو مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن أيدي الشياطين لا يمسها إلا أيدي ملائكة
مطهرين بأيدي سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح كرام بررة أتقياء وقيل هي صحف الأنبياء
كقوله إن هذا لفي الصحف الأولى وقيل السفرة القراء وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتل الإنسان ما أكفره قتل الإنسان دعاء عليه وهي من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى
شدائد الدنيا وفظائعها وما أكفره تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله تع ولا ترى أسلوبا أغلظ
منه ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع
للأئمة على قصر متنه ثم أخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه إلى أن انتهى وما هو مغمور فيه من
أصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات إلى ما يتقلب
فيه وإلى ما يجب عليه من القيام بالشكر من أي شيء خلقه من أي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك
الشيء بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره
تقديرا ثم السبيل يسره نصب السبيل بإضمار يسر وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه
من بطن أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر بإقداره وتمكينه كقوله تعالى
إنا هديناه السبيل وعن ابن عباس بين له سبيل الخير والشر ثم أماته فأقبره فجعله ذا قبر يوارى
فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر
الميت إذا دفنه وأقبره الميت إذا أمره أن يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج أقبرنا صالحا
ثم إذا شاء أنشره أنشأه النشأة الأخرى وقرئ نشره كلا ردع للإنسان عما هو عليه لما يقض
ما أمره لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله حتى
يخرج عن جميع أوامره يعني أن إنسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه أتبعه ذكر
النعم فيما يحتاج إليه فقال فلينظر الإنسان إلى طعامه مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره
أنا صببنا الماء صبا يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستيناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ
الحسين بن علي رضي الله عنهما أنى صببنا بالإمالة على معنى فلينظر الإنسان كيف صببنا الماء
ثم شققنا الأرض شقا من شق الأرض بالنبات ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على البقر
وأسند الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا والحب كل ما حصد
من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب أرضه سمي بمصدر قضبه إذا قطعه
لأنه يقضب مرة بعد مرة وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا يحتمل أن يجعل كل حديقة غلبا فيريد
تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وأن يجعل شجرها غلبا أي عظاما
غلاظا والأصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معديكرب يمشي بها غلب
الرقاب كأنهم بزل كسين من الكحيل جلالا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم والأب المرعى
لأنه يؤب أي يؤم وينتجع والأب والأم أخوان قال جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الأب
به والمكرع وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني
إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد

عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن
لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فإن قلت هذا يشبه
النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب إلى ذلك ولكن القوم كانت أكبر
همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا فأراد أن الآية مسوقة في
الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته
الله تعالى للإنسان متاعا له أو لأنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين
لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي
هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بأن يجروا
على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه
وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مج
مجازا لأن الناس يصخون لها يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ولعلمه أنهم لا يغنون
عنه شيئا وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب
كأنه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم
بالتبعات يقول الأخ لم تواسني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت
وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم
ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يكفيه في الاهتمام
به وقرئ يعنيه أي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن
ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك
من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها
غبرة غبار يعلوها ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة قترة سواد كالدخان ولا ترى
أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج إذا اغبرت وكأن الله عز وعلا
يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا الشمس كورت في التكوير وجهان أن يكون
من كورت العمامة إذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق
وهي عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف
أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لأن الثوب إذا أريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله
تعالى يوم نطوي السماء وأن يكون من طعنه فجوره وكوره إذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها
كما وصفت النجوم بالانكدار فإن قلت ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية قلت
بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط
وإذا النجوم انكدرت انقضت قال أبصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم
أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب

جهنم وإذا الجبال سيرت أي عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله
تعالى وهي تمر مر السحاب وإذا العشار عطلت والعشار جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي
التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما تكون عند
أهلها وأعزها عليهم عطلت تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم
بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف وإذا الوحوش حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء
حتى الذباب للقصاص وقيل إذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم و
إعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس
وأموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد وإذا البحار سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من
سجر التنور إذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت
نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة وإذا النفوس
زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الأرواح بالأجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن
هو كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وإذا
الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت وأد يئد مقلوب من آد يؤود إذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤوده
حفظهما لأنه إثقال بالتراب كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من
صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية
فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر
فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي البئر بالأرض وقيل
كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة
وإن ولدت ابنا حبسته **فإن قلت** ما حملهم على وأد البنات **قلت** الخوف من لحوق العار
بهم من أجلهن أو الخوف من الإملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وكانوا
يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع
الوأد فبه افتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم توأد **فإن قلت**
فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها
قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت
للناس إلى قوله سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها
وسألت الله أو قاتلها وإنما قيل قتلت بناء على أن الكلام إخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين
سئلت لقيل قتلت أو كلامها حين سألت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس قتلت على الحكاية وقرئ قتلت
بالتشديد وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا
بالذنب وإذا بكت الله تعالى الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما أقبح به وهو الذي لا يظلم
مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد
وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية وإذا الصحف نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد
يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب عن قتادة صحيفتك
يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه

أنه كان إذا قرأها قال إليك يا رب الأمر يا ابن آدم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت
وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها
أي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع
صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي مكتوب فيها
ذلك وهي صحف غير صحف الأعمال وإذا السماء كشطت كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن
الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال
لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور وإذا الجحيم سعرت أوقدت إيقادا شديدا وقرئ
سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم وإذا الجنة أزلفت أدنيت
من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست
منها في الدنيا وست في الآخرة علمت نفس ما أحضرت وعلمت هو عامل النصب في إذا الشمس كورت
وفيما عطف عليه **فإن قلت** كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس **قلت** هو من عكس كلامهم الذي
يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل قد أترك القرن مصفرا أنامله وتقول لبعض قواد
العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي ولا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب
وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل
كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن
ابن مسعود أن قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وانقطاع ظهرياه فلا أقسم بالخنس
الجوار الكنس الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كر راجعا إلى أوله والجواري السيارة
والكنس الغيب من كنس الوحشي إذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد
والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها
وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون
وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها والليل إذا عسعس عسعس الليل وسعسع
إذا أدبر قال العجاج حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس
إذا أقبل ظلامه والصبح إذا تنفس **فإن قلت** ما معنى تنفس الصبح **قلت** إذا أقبل
الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح إنه الضمير
للقرآن لقول رسول كريم هو جبريل عليه السلام ذي قوة كقوله تعالى شديد القوى ذو مرة لما
كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش مكين ليدل على عظم منزلته ومكانته
مطاع ثم أمين ثم إشارة إلى الظرف المذكور أعني عند ذي العرش على أنه عند الله مطاع
في ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه وقرئ ثم تعظيما للأمانة وبيانا
لأنها أفضل صفاته المعدودة وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة
وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل

الانس محمد عليه السلام اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه
ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل عليه السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى
وما هو على الغيب وما محمد صلعم على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبرئيل عليه السلام والوحي
اليه وغير ذلك بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي
لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه او يسئل تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء
وفي مصحف ابي بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد
والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين
وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها
من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا يديه وكان
يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها
من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهي احد الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى
الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة
ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب **فان قلت** فان وضع المصلي احد الحرفين مكان
صاحبه **قلت** هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد
والظاء كالتفاوت بين اخواتهما وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة
للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة
اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى
الباطل لمن شاء منكم ان يستقيم لمن شاء منكم بدل من للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين
شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا
موعوظين جميعا وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق
الله ولطفه او وما تشاؤنها انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه رب العالمين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت
واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت
البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير
عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت
لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور اخوان واذا القبور بعثرت علمت
نفس ما قدمت واخرت بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما
والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم **فان قلت** ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق
الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله انه صاح بغلام له

كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك
فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه **قلت** ان حق الانسان ان لا
يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه
فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول
فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله
وقال عمر رض غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي
وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك
آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم
ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر
وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك
الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما
اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم
العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا الذي خلقك فسواك فعدلك سويا سالم الاعضاء
فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه
فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها
اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم
وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك
ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك
وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات ما في ما
شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن
والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه **فان قلت**
هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها **قلت** لانها بيان لعدلك **فان قلت** بم يتعلق
الجار **قلت** يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف
اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك
ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما
شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب
الشكر والطاعة الى عكسها الذي هو الكفر والمعصية ثم قال كلا بل تكذبون بالدين اصلا وهو
الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء و
الكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء
وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة
الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل
انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي

بجحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين
منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل
اخبر الله في هذه السورة ان لابن ادم ثلاث حالات حال الحيوة التي يحفظ فيها عمله وحال
الاخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين وما ادريك ما يوم
الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في
الهول والشدة وكيف ما تصورته هو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم
اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله اي لا تستطيع
دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله ومن رفع فعلى البدل من يوم الدين او
على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان
يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس
شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس
كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما
ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة
والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول
الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله
الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات
واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن
الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية
اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك
من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين
في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبايع فيقول
اتق الله فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة
اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار
وعن ابي لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس
اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون
وتقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون
لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال
اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في كالوهم او وزنوهم
ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل

الفعل كما قال ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والحريص يصيدك
لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج
به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان
جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن
هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في
ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف
لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رأيت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة
المتقدمين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها
معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا
وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا
يرتكبان ذلك اي يجعلان الضمير للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا
فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم **قلت** كان المطففين كانوا لا يأخذون
ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم
يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا
يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
يوم يقوم الناس لرب العالمين الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف
كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة
والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك
وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا
قال له سمعت ما قال الله تعالى في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد
العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي
هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين
ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في
مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل
في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم يقوم بمبعوثون وقرئ
بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس
لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك
ما سجين كتاب مرقوم ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب
ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب
الفجار ما يكتب من اعمالهم **فان قلت** قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر
سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه **قلت** سجين كتاب
جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن

والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فالمعنى ان
ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق
لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما روى تحت الارض السابعة في مكان
وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد
ديوان الخير الملائكة المقربون فان قلت ما سجين اصفة هو ام اسم قلت بل هو اسم
علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف ويل يومئذ
للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا ردع للمعتدى الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها
كما يركب الصداء وغلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل
الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى تسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان
عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت وقرئ
بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود وأميلت الالف وفخمت كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا ردع عن الكسب الرائن
على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا
للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب ذي
عبية رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب عن ابن عباس وقتاده وابن ابي مليكة محجوبين
عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب
مرقوم يشهده المقربون كلا ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان
الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين
من السجن سمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات واما لانه مرفوع في السماء السابعة
حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروى ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا
انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه
وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا
به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله
فاجعلوه في سجين ان الابرار لفي نعيم على الارائك الارائك الاسرة في الحجال ينظرون الى
ما شاؤا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى
اعدائهم يعذبون في النار وما يحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم
بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ تعرف على البناء
للمفعول ونضرة النعيم بالرفع يسقون من رحيق الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه
مختوم ختامه مسك مختوم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه
مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه
بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون

ومزاجه

ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون تسنيم علم لعين سميت بالتسنيم الذي هو مصدر
سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق على ما روى انها تجرى
في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم وعينا نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل
هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا
يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين هم مشركوا مكة ابو جهل
والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال
وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء علي بن ابي طالب رضى الله عنه في نفر
من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم
الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون
يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم واذا رأوهم
قالوا ان هؤلاء لضالون اي ينسبون المسلمين الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المسلمين
حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم و
ضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء
لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام
وجدهم في ذلك فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون على الارائك
ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار
بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح
للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا
فيضحك المؤمنون منهم هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ثوبه واثابه بمعنى اذا جازاه قال
اوس ساجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي وقرئ بادغام اللام
في الثاء عن رسول الله صلعم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت حذف جواب اذا ليذهب المقدر
كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه
اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق
السماء بالغمام وعن علي رضى الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها اذن له استمع له ومنه
قوله عليه السلام ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم اذنت لكم
لما سمعت هريركم والمعنى انها فعلت في انقيادها لله حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا
اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت له واذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله اتينا طائعين
وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ومعناه الايذان
بان القادر الذات يجب ان يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك واذا الارض مدت من مد الشيء
فامتد وهو ان تزال جبالها واكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوى ظهرها كما قال
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم

اذا مد زال كل انثناء فيه وامت واستوى او من مده بمعنى امده اى زيدت سعة وبسطة
والقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو
حتى لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم
اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت لربها في القاء ما في بطنها
وتخليها وحقت يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا الكدح جهد النفس في العمل والكد
فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح الى ربك جاهد الى لقاء ربك وهو الموت
وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه
للكدح فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه ولا
يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو ان يعرف
ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول
الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب وينقلب الى
اهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور العين
مسرورا واما من اوتي كتابه وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره
فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا
يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك ويصلى سعيرا وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى
بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم انه كان في اهله مسرورا فيما بين ظهرانيهم او معهم
على انهم كانوا جميعا مسرورين بمعنى انه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين
لا يهمهم امر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين
وحكاية الله عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تكذيبا
بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اى لا يرجع ولا يتغير قال لبيد يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اى ارجعي
بلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اى بلى ليحورن ان ربه كان به بصيرا وباعماله لا ينساها و
لا يخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاسد و
اخيه الاسود بن عبد الاسد فلا اقسم بالشفق والليل الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد
سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما
روي عن ابي حنيفة رح في احدى الروايتين انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي
لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه وما وسق وما جمع وضم والقمر اذا اتسق
يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لم يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل
واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب
وغيرها اذا اتسق اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا
يؤمنون وقرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس
لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الانسان
والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اى لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق واطباق

الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا طبقا عن
طبق اى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة
وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى
لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده
من مواطن القيمة واهوالها **فان قلت** ما محل عن طبق **قلت** النصب على انه صفة
لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق
او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا
عليه واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش
تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس
ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان
فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون الذين كفروا اشارة الى
المذكورين والله اعلم بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد
والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب
فبشرهم بعذاب اليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون الا الذين آمنوا استثناء
منقطع عن رسول الله صلعم من قرأ سورة انشقت اعاذه ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج واليوم الموعود
وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود هي البروج
الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل
عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء واليوم الموعود يوم القيمة و
شاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه
من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما ذكرته
في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما
الابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل
المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد ويوم القيمة وقيل عيسى وامته لقوله وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة
وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم
وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت
شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم السلام
فان قلت اين جواب القسم **قلت** محذوف يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود
كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود

وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى
على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأتسوا بهم و
يصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين
بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود وقيل دعاء عليهم كقوله
قتل الانسان ما اكفره وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى
الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه في اخاقيق جرذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه
ورأى في طريقه ذات يوم قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من
الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس
للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام
فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل
ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه
فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد و
تصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه
فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك
ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه
فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري
فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل ما هي الا غميضة فصبرت
وعن علي رضي الله عنه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين
بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم
وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله قد احل
نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط
فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من
ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على
دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير
فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين
الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال من
الاخدود ذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان
الناس وقرئ الوقود بالضم اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى
على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول
مررت عليه تريد مستعليا لمكان يدنو منه وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ومعنى
شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض

عند

عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم
شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم السنتهم و
ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي
له ملك السموات والارض وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير
ان سيوفهم قال ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرأ
ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد
وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه
له ملك السموات والارض فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا
منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم
بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم
عليه ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير يجوز
ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الاخدود ومعنى
فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي
نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين او ولهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم
عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا
المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة
لكفرهم ولفتنتهم ان بطش ربك لشديد البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد
تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ
ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا والآخرة او دل باقتداره على الابداء
والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما بدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا
نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد الودود
الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا وقرئ ذي العرش صفة لربك
وقرئ المجيد صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمته فعال لما يريد
خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة هل اتاك حديث الجنود
فرعون وثمود فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون
وملئهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا
من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب للعذاب والله من ورائهم محيط والله عالم باحوالهم
وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت
الشيء المحيط به ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى
عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به
قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي
قرآن رب مجيد في لوح وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة

الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله
صلى الله من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم
الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درّي لانه يدرؤه اي يدفعه ووصف
بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس
النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادريك ما الطارق
النجم الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد عز من قائل ان
يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك
فجاء بما هو صفة مشترك بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادريك ما الطارق
ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهارا لفخامة شأنه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه
لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم
فامتلأ ما ثم نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو
آية من آيات الله فعجب ابو طالب فنزلت فان قلت اين جواب القسم قلت ان كل
نفس لما عليها حافظ لان ان لا يخلو فيمن قرأ لمّا مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن
قرأها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم
حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء
مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه
وكّل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد
طرفة عين لاختطفته الشياطين فان قلت فما وجه اتصال قوله فلينظر الانسان مم خلق
بما قبله قلت وجه اتصاله انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر
في اول امره ونشأته الاولى حتى يعلم ان من انشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة
والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته مم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق
والدفق صبّ فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او
الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين
ابتدئ في خلقه يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر
حيث تكون القلادة وقرئ الصلَب بفتحتين والصُلُب بضمتين وفيه اربع لغات صُلب وصَلب
وصَلَب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم
والدم من المرأة انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان
ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبيّن القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز
عنه كقوله انني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسّره برجعه
الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل او الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما اسرّ
في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز

بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد سيبقى لها في مضمر القلب والحشا
سريرة ود يوم تبلى السرائر فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق فما له فما للانسان من
قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه والسماء ذات الرجع والارض
ذات الصدع سمي المطر رجعا كما سمي اوبا قال ربّاء شمّاء لا يأوي لقلتها الا السحاب
والا الاوب والسبل تسمية بمصدر رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب
يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع
ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء كالرجع في المدجنة السارية
والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات انه الضمير للقرآن لقول فصل فاصل بين الحق
والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه
الله تعالى بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان
يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده
ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم يتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل
فقد نعى الله على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغوا فيه انهم
يكيدون كيدا واكيد كيدا يعني اهل مكة يعملون المكائد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق
وانا اقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم
فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا اي امهالا يسيرا و
كرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه
عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى
بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان
يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب
والاسم وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال
اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت
الذي خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على
احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم والذي قدر فهدى قدر
لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف
سنة عميت وقد الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما
كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم
في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله
تع وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته

وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى وقوي قدر بالتخفيف والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى دريناً اسود ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته سنقرئك فلا تنسى بشره الله باعطاء اية بينة وهي ان يقرأ عليه جبرئيل ما يقرأ عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله او ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبرئيل فقيل لا تعجل فان جبرئيل مأمور بان يقرأه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه اسقط اية في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان رأسا كما تقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر وما يخفى يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبرئيل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا نكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة فذكر ان نفعت الذكرى

فان قلت كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون سيذكر من يخشى سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثم لا يموت فيها ولا يحيى وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلي هو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل من الزكوة كتصدق من الصدقة وذكر اسم ربه فصلى الصلوات الخمس نحو قوله تعالى واقام الصلوة وآتى الزكوة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس رض ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود بل انتم تؤثرون والاخرة خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الاخرة الا كنفجة ارنب ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على ادم وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحايف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس رض يقولان ذلك وكان يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدايدها وتلبسهم اهوالها يعني القيمة من قوله تعالى يوم يغشيهم العذاب وقيل النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وجوه يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الاخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة من قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم

وقرئ تَصلَى نارًا حامية بفتح التاء وتُصلَى بضمها وتُصَلَّى بالتشديد وقيل المصلّى عند العرب أن يحفروا حفيرًا فيجمعوا فيه جمرًا كثيرًا ثم يعمدوا الى شاة فيدسّوها وسطه فأما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليًّا تُسقَى من عين آنية متناهية في الحرّ كقوله تعالى وبين حميم آنٍ ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبًا فاذا يبس تحامته وهو سمّ قاتل قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريّان حتى اذا ذوى وعاد ضريعًا بان عنه النحائص وقال وحُبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود **فان قلت** كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين **قلت** العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلًا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلًا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظلّ الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيردّ قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب في جنة عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه فيها لاغية اي لغوًا او كلمة ذات لغو او نفسًا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرئ لا تُسمَع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونًا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس فيها سرر مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوّله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه واكواب موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله تعالى قدروها تقديرًا ونمارق مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكّر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقًا عجيبًا دالًّا على تقدير مقدر شاهدًا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرّها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من قادها بازمّتها لا تعاز ضعيفًا ولا تمانع صغيرًا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدّث

البيس نو انبات ما يبس منه ... يبس ... بيبس ... سليم

قوله والوجوه عطف على قوله يا مخاطب يعني يجوز ان يكون التاء في لا تسمع للخطاب والغيبة

قوله لغوا يعني يجوز ان يكون مصدرا او صفة فان كان صفة فاما صفة كلمة فالمعنى ذات لغوا وصفة نفس ...

المسورة الوسادة التي يجلس عليها

لا تعاز ... اي ...

عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان يكون طوال الاعناق وحين اراد ان تكون سفاين البر صبّرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر فصاعدًا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحًا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت **فان قلت** كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة **قلت** قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلبًا للمناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبهًا بالابل كثيرًا في اشعارهم فجوّز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعًا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد وكيف نصبت نصبًا ثابتًا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحًا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرأ علي رضي الله عنه خلقتُ ورفعتُ ونصبتُ وسطحتُ على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هارون الرشيد انه قرأ سُطِّحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكّرهم ولا تلحّ عليهم ولا يهمّنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله تعالى ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمسلط كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعدّ عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم الا من تولى استثناء منقطع اي لست بمسئول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكّر اي فذكّر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا مَن تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه وقرأ ابو جعفر المدني ايّابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالًا مصدر ايّب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوّابًا فعّالًا من اوّب ثم قيل ايوابًا كديوان في دوّان ثم فعل به ما فعل باصل سيّد **فان قلت** ما معنى تقديم الظرف **قلت** معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابًا يسيرًا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر واراد بليال عشر عشر ذي الحجة **فان قلت** فما بالها منكّرة من بين ما اقسم به **قلت** لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها

قوله يعني ان ابل ... السحاب ...

قوله اي لا ينظرون ... فذكرهم ...

يعني ان ... الا من تولى وكفر ...

قوله وقيل عطف على قوله بالفجر ...

فان قلت هلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم
تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام
ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه
الليالي ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذاك
عاشرها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر
حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعد ما
اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر
والليل اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة
الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر
والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حروف الاطلاق وعن ابن عباس
وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة
واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت
به من هذه الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او
هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل
لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من
الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا
لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك
سوط عذاب قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم
ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال
ابن الرقيات: مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله تعالى بعاد ارم عطف
بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل
عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف
قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم
بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات
العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد
ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة
للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه
قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلد
فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات
شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا وكانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى
ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها
من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار
المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله

عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها
فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال
هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال
وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل
لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان
يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع
بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها وثمود الذين جابوا الصخر
بالواد قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول
من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة
وفرعون ذي الاوتاد قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها
اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية الذين طغوا في البلاد
احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او
مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط
عذاب يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في
الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب
به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الآية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فأخذهم
بسوط منها ان ربك لبالمرصاد المرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده
كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب
انه قيل له اين ربك فقال لبالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة
حتى بلغ هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا فلان عرض له في هذا النداء بانه بعض من
توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره و
يقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه
فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن فان قلت
بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يريد
من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان فلا يريد
ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فان قلت كيف توازن قوله فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه وقوله واما اذا ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما
تقول اما الانسان فكفور واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا
اسأت اليه فهو مسيء اليك قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه
ربه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمن خبر المبتدأ الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من
معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل
ربي اكرمن وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبرا لمبتدأ واجب تقديره فان قلت
كيف سمي كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لان كل واحد منهما اختبار

للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة **فان قلت** هلا قال فأهانه وقدر رزقه كما قال فأكرمه ونعمه **قلت** لأن البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لأن الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك **فان قلت** فقد قال فأكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه كما انكر قوله اهانن وذمه عليه **قلت** فيه جوابان احدهما انه انما انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه لأنه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده الى ان الله تعالى اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من اجلها والثاني ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربي اهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله تعالى واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فأكرمه وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المسكين ويأكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به وقرئ تكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون أي يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة "اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا" يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه ويأكله اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة ويومئذ بدل من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا دكا بعد دك كقولك حسبته بابا بابا اي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا **فان قلت** ما معنى اسناد المجيء الى الله والحركة والانتقال انما يجوز على من كان في جهة **قلت** هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال

الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وروي انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال له علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت اهل الجمع اي يتذكر ما فرط فيه او يتعظ وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يوم يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف وتناقض يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة او وقت حياتي في الدنيا كقولك لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابي عمرو انه رجع اليها في آخر عمره والضمير للانسان الموصوف وقيل هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله تعالى وحده في ذلك اليوم او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك على ارادة القول اي يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى صلوات الله وسلامه عليه او على لسان ملك والمطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة **فان قلت** متى يقال لها ذلك **قلت** اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك راضية بما اوتيت مرضية عند الله تعالى فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي وقرأ ابن عباس فادخلي في عبدي وقرأ ابن مسعود في جسد عبدي وقرأ ابي ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق

مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا
البلد يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير
الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك
وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب
من حالهم في عداوته او سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة
الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد يعني
وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة
واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل
وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله
حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد
بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل
لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال
صلى الله عليه وسلم الا الاذخر **فان قلت** اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال
قلت قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده
الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة
المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق
مكية واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح **فان قلت** ما المراد بوالد وما ولد **قلت**
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه
ابرهيم ومنشا ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه **فان قلت** لم نكر **قلت** للابهام المستقل
بالمدح والتعجب **فان قلت** هلا قيل ومن ولد **قلت** فيه ما في قوله والله اعلم بما
وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وقيل هما ادم وولده وقيل كل
والد وولد والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع
فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله
كبده اذا اصاب كبده قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد اي
في شدة الامر وصعوبة الخطب ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا
والضمير في يحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد
منهم ما يكابد والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن
يقوم قيامته ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك
اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم
ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا
بينهم يعني ان الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان
يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترف اهله من المآثم
متحرج برئ فهو حقيق بان اعظمه بقسمي به لقد خلقنا الانسان في كبد اي في مرض وهو مرض القلب

وفساد

وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات
وقيل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد بن كلدة وكان قويا يبسط له
الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع
قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وما هو تلبد
يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد الم نجعل له عينين
يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين
بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر
وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي
مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين امنوا يعني فلم يشكر
تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب او اطعام اليتامى والمساكين
ثم بالايمان الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى
ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في
الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الاية **فان قلت** قلما
تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله فاي امر سيئ لا فعله لا تكاد تقع فما لها
لم تكرر في الكلام الافصح **قلت** هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة
فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله
ثم كان من الذين امنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا امن والاقتحام الدخول والمجاوزة
بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الاعمال الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما
في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان
نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سواء
قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من
افاضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية
ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي
قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله
بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال
من اقتحم العقبة وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس
وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب
يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى
اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى اي صار ذا ثروة عن النبي صلى الله عليه وسلم في
قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم
ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا
مسغبة ثم كان من الذين امنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق

والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة والمرحمة الرحمة اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدى الى رحمة الله اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اى الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن عليهم نار مؤصدة وقرئ موصدة بالواو والهمزة من اوصدت الباب واصدته اذا اطبقته واغلقته وعن ابى بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهى ان اسد اذنى اذا سمعته عن رسول الله صلعم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وهى خمس عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها ضحيها ضوءها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف والقمر اذا تليها طالعا عند غروبها اخذا من نورها وذلك فى النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها فى الضياء والنور والنهار اذا جليها عند انفساخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء والليل اذا يغشيها فتغيب وتظلم الافاق فان قلت الامر فى نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب وتجر فتقع فى العطف على عاملين وفى نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن ان يكن عوامل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما والسماء وما بنيها والارض وما طحيها ونفس وما سويها جعلت ما مصدرية فى قوله وما بنيها وما طحيها وما سويها وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدى اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سويها وفى كلامهم سبحان ما سخركن لنا فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس ادم كانه قال وواحدة من النفوس والثانى ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة فى قوله علمت نفس فالهمها فجورها وتقويها ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس كما قيل تقضى وتقضض وسئل ابن عباس عنه فقال لا تقرأ قد افلح

من تزكى وقد خاب من حمل ظلما واما قول من زعم ان الضمير فى دسى وزكى لله تعالى وان تأنيث الراجع الى من لانه فى معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو برئ منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم فى تمحل فاحشة ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اى على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكيها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقويها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ كذبت ثمود بطغويها الباء فى بطغويها مثلها فى كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعنى فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغويها بضم الطاء كالحسنى والرجعى فى المصادر اذ انبعث اشقيها منصوب بكذبت او بالطغوى واشقيها قدار ابن سالف ويجوز ان يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك فى افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم فقال لهم رسول الله ناقة الله والضمير فى لهم يجوز ان يكون للاشقين والتفضيل فى الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ وناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبى الصبى باضمار ذروا او احذروا عقرها وسقيها فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر فسويها الضمير للدمدمة اى فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقبيها اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض او فى الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفى مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وهى احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشيها واما النهار من قوله يغشى الليل النهار واما كل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل وتبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل ادم وحواء وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذى خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله اى ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله تعالى

غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى و
قد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا ان
سعيكم لشتى شتى جمع شتيت اي ان مساعيكم اشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل
على اثره فاما من اعطى يعني حقوق ماله واتقى واتقى الله فلم يعصه وصدق بالحسنى
بالخصلة الحسنى وهو الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي
الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه قوله
عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور
عليه واهونها من قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فاما من بخل واستغنى
وزهد فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه
في مقابلة واتقى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة
اعسر شيء واشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء او سمى طريقة
الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما
طريقي الجنة والنار اي نهديهما في الاخرة للطريقين وقيل نزلتا في ابي بكر رضي الله عنه
وفي ابي سفيان بن حرب وما يغني عنه ماله استفهام في معنى الانكار او نفي اذا تردى
تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم
ان علينا للهدى ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا
للاخرة والاولى اي ثواب الدارين للمهتدي كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين فانذرتكم نارا تلظى وقرأ ابو الزبير تتلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب
وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله فان قلت كيف قال لا يصليها الا الاشقى
وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصليها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء
ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما
تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة
لا الاتقى منهم خاصة قلت الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم
من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي
كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له
وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء اي يطلب ان
يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة فان قلت ما محل
يتزكى قلت هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة
والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب وما لاحد عنده من
نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة
اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمارا وقرأ يحيى بن
وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار وانشد في اللغتين
قول بشر بن ابي خازم * اضحت خلاء قفارا لا انيس بها * الا الجآذر والظلمان تختلف *

وقول القائل * وبلدة ليس بها انيس * الا اليعافير والا العيس * ويجوز ان يكون ابتغاء
وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة
نعمة ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه * عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار
حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها
موسى والقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد بالضحى النهار بيانه قوله
ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية
ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجى البحر سكنت امواجه وطرف ساج
ساكن فاتر ما ودعك ربك وما قلى جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف
يعني ما تركك قال * وثم ودعنا آل عمرو وعامر * فرائس اطراف المثقفة السمر * والتوديع مبالغة
في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تأخر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل امرأة
ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت حذف الضمير من قلى كحذفه من
الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فهدى فآوى فاغنى
وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فان قلت كيف اتصل قوله وللاخرة خير لك من الاولى
بما قبله قلت لما كان في نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله
ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الاخرة اعظم من ذلك واجل
وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات
المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك
فترضى موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول
الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب
وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة
وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام
وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال
ابن عباس له في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك فان قلت ما هذه اللام
الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره
ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون
لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التأكيد فبقي ان تكون لام ابتداء
ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وان يكون
اصله ولانت سوف يعطيك فان قلت ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير قلت
معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لما في التأخير من المصلحة الم يجدك يتيما فآوى

عدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيه وابتداء نشئه ترشيحاً لما أراد به
ليقيس المترقب من فضل الله تعالى على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة
ولا يضيق صدره ولا يقل صبره وألم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد
والمعنى ألم تكن يتيماً وذلك أن أباه مات وهو جنين وقد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو
ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله تعالى عليه فأحسن تربيته ومن بدع التفاسير
من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك وقرئ فأوى
وهو على معنيين إما من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول أين آوي هذه الموقسة وإما من أوى له إذا
رحمه ووجدك ضالاً معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري
ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة
عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به
أبو طالب فهداك فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان
على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان
على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر
والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي
نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر ووجدك عائلاً فقيراً وقرئ عيلاً كما قرئ سيحات وعديماً
فأغنى فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي
وقيل قنعك وأغنى قلبك فأما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود
فلا تكهر وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كرهة عابس الوجه ومنه الحديث فبأبي وأمي هو
ما كهرني وأما السائل فلا تنهر النهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا رددت السائل
ثلاثاً فلم يرجع فلا عليك أن تزبره وقيل أما إنه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم إذا جاءك
فلا تنهره وأما بنعمة ربك فحدث التحديث بنعمة الله تعالى شكرها وإشاعتها يريد ما ذكره من نعمة
الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث أقرئه وبلغ ما أرسلت به
وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث
وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدي به غيره
وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به وفي
قراءة علي رض فخبر والمعنى أنك كنت يتيماً وضالاً فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء
وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت
اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله تعالى بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك
كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه
الشرائع والقرآن مقتدياً بالله تعالى في أن هداه من الضلال عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الضحى
جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي

أنقض ظهرك استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه
فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتباراً للمعنى ومعنى شرحنا صدرك
فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعاً أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها
كفار قومك وغيرهم أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي
يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلماً وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ ألم نشرح بفتح
الحاء وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها والوزر الذي أنقض ظهره
أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من جهله بالأحكام والشرائع أو من تهالكه
على إسلام أولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه أن غفر له أو علم الشرائع أو مهد
عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ أنس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك
ورفعنا لك ذكرك ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد
والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الأولين
والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به فإن قلت أي فائدة في زيادة لك والمعنى
مستقل بدونه قلت في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح كأنه قيل ألم نشرح لك
ففهم أن ثم مشروحاً ثم قيل صدرك فأوضح ما علم مبهماً وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك
فإن قلت كيف تعلق قوله فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً بما قبله قلت كان
المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق إلى
وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم
ثم قال فإن مع العسر يسراً كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر
الذي أنتم عليه يسراً فإن قلت إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت
أراد أن الله تعالى يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب
حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب فإن قلت ما معنى قول ابن
عباس وابن مسعود رض لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعاً أنه خرج صلى الله عليه وسلم
ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على
قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه
يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها
في النفوس وتمكينها في القلوب وكما تكرر المفرد في قولك جاء زيد زيد وأن تكون الأولى عدة
بأن العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما
يسران على تقدير الاستئناف وإنما كان العسر واحداً لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد
وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك إن مع زيد مالاً إن مع زيد
مالاً وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضاً وأما اليسر فمنكر متناول لبعض
الجنس فإذا كان الكلام الثاني مستأنفاً غير مكرر فقد تناول بعضاً غير البعض الأول بغير

اشكال فان قلت فما المراد باليسرين قلت يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في ايام الخلفاء وان يراد يسر الدنيا و يسر الاخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسن الظفر وحسن الثواب فان قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما و اى يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة فان قلت فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قلت كانه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة فان قلت فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الانفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك وعن الشعبي انه راى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه الراى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الاخرة وقرا ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرا فانصب بكسر الصاد اي فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرا هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب اي فرغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلعم من قرا الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وطور سينين واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب وهذا البلد الامين والبلد مكة حماها الله والامين من امن الرجل امانة فهو امين وقيل

امان كما قيل كرام في كريم وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابرهيم عليه الصلوة والسلام ومولد عيسى ومنشاه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرا عبد الله اسفل السافلين فان قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فان قلت فما يكذبك بعد بالدين بالدين من المخاطب به قلت هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرا فان قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان قلت هو على وجهين

اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه
واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى
بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق
لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن
علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق
الانسان ودلالة على عجيب فطرته فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة
كقوله تعالى من نطفة ثم من علقة قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان
لفي خسر اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الاكرم الذي له الكمال
في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة
مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد
اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم
حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده
ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع
العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار
الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين
والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به
ولبعضهم في صفة القلم ورواقم رقش كمثل اراقم قطف الخطى نيالة اقصى المدى سود القوائم
ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم كلا ان
الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارأيت
ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا ردع
لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان رآه ان رأى نفسه يقال
في افعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت
بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني ان الى
ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان
والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارأيت الذي ينهى
وروي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال
مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال
ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وروي عنه انه قال هل يعفر محمد وجهه بين
اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه
فقالوا له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت
ارأيت الذي ينهى ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي
على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به

من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح
كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب
ذلك وهذا وعيد فان قلت ما متعلق ارأيت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية
وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره
ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب
الشرط الثاني فان قلت كيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك
ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه فان قلت فما ارأيت الثانية
وتوسطها بين مفعولي ارأيت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن انه امية بن
خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع لابي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله
وامره بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته
ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب
قوم اذا نقع الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره او سافع وقرئ لنسفعن بالنون المشددة
وقرأ ابن مسعود لاسفعن وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها ناصية
المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة ناصية كاذبة خاطئة ناصية بدل من الناصية
وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي
ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد
المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب
خاطئ فليدع ناديه والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي
كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم
والمقامة المجلس وروي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني
وانا اكثر الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية وقرأ ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية
على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو
الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية
على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته
الزبانية عيانا كلا ردع لابي جهل لا تطعه اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله
ولا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد الصلوة واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث
اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله اي من الحجرات الى آخر القرآن

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر عظم القرآن من
ثلاثة اوجه احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء
بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث
الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح

المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبرئيل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبى المعنى انا ابتدأنا انزاله فى ليلة القدر واختلفوا فى وقتها فاكثرهم على انها فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى اوتارها واكثر القول انها السابعة منها ولعل الداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وان لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا فى غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على ساير الليالى وما ادريك ما ليلة القدر يعنى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم ثم بين له ذلك بانه خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التى ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد تنزل الى السماء الدنيا وقيل الى الارض والروح جبرئيل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة من كل امر اى تتنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ اى من اجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه فى تلك الليلة سلام هى ما هى الا سلامة اى لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة او ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين حتى مطلع الفجر وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلعم من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يعنى انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الحق ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره فى الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقنى الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك فى الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة والبينة الحجة ورسول الله بدل من البينة وفى قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم

عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب فى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت لانهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل فى هذا الوصف وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وما امروا يعنى فى التورية والانجيل الا بالدين الحنيفى ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة اى دين الملة القيمة وقرئ ذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت معناه وما امروا بما فى الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب فى جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها قرئ بكسر الزاء وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف فان قلت ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه زلزالها الذى تستوجبه فى الحكمة ومشية الله وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقى اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما تستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن فيه واخرجت الارض اثقالها الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما فى جوفها من الدفاين اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها فان قلت ما معنى تحديث الارض والايحاء لها قلت هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا تحدث قلت قد حذف اولهما والثانى اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها فان قلت بم تعلقت الباء فى قوله بان ربك قلت بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك

لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان يقول له كن قال اوحى لها القرار فاستقرت وقرأ ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف يومئذ يصدر الناس يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقرأ ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن مغفورة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة والعاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال اح اح قال عنترة والخيل يكدح حين تضبح من حياض الموت ضبحا وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اي ضابحات فالموريات قدحا فالتي توري النار والايراء اخراج النار تقول قدح فاصلد واورى قدح فالموريات تورى نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها فالقادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فاصلد واورى وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح فاثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به بذلك الوقت او بالنقع جمعا احد وسطن النقع الجمع او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فمتى ينقع صراخ صادق اي فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به او هما لغة في وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة

الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثفر للثورة وما اشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة فان قلت علام عطف فاثرن قلت على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن ان الانسان لربه لكنود لكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان عظماها في جنب ادنى نعمة الله تعالى قليلة ضئيلة وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقيل ان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد وانه لحب الخير لشديد لحب المال من قوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد يعني وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوي وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور بعث وقرئ بحثر وبحث وبعثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع في الصحف اي اظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ان ربهم بهم يومئذ لخبير ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبره بهم وقرأ ابو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهي عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه لعمر في وصيته له وانما

ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا وحق لميزان
لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل
وخفتها في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف فامه هاوية من قولهم اذا
دعوا بالرجل على الهلكة هوت امه لانه اذا هوى اى سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا
قال هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يرد الليل حين يؤوب فكانه قيل واما من خفت
موازينه فقد هلك وقيل هاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة لهوى اهل النار فيها
مهوى بعيدا كما روى يهوى فيها سبعين خريفا اى فماويه النار وقيل للماوى ام على التشبيه
لان الام ماوى الولد ومفزعه وعن قتادة فامه هاوية فام راسه هاوية في قعر جهنم
لانه يطرح فيها منكوسا هيه ضمير الداهية التى دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير
الاول او ضمير هاوية والهاء للسكت واذا وصل القارى حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا
يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر الهاه
عن كذا فالهاه اذا شغله والتكاثر التبارى في الكثرة والتباهى بها وان يقول هؤلاء نحن
اكثر وهؤلاء نحن اكثر روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم
بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغى اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات
فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم
بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون
هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهيكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدى عليكم
في دنياكم واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذى هو اهم واعنى من كل مهم او اراد الهيكم التكاثر
بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك
عليها الى ان اتيكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعى لعاقبتكم والعمل لاخرتكم وزيارة
القبر عبارة عن الموت قال لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد او يزور القبرا وقرا ابن عباس
االهيكم على الاستفهام الذى معناه التقرير كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم
اليقين لترون الجحيم ثم لترونها كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغى للناظر لنفسه ان يكون الدنيا
جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع
والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثانى ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك
ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله
وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعنى لو
تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التى وكلتم بعلمها هممكم
لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال وجهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه
واوعدهم به وقد مر ما في ايضاح الشىء بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف

والقسم

والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في
التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهى مستكرهة فان قلت لم استكرهت
والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد قلت ذاك في الواو التى ضمتها لازمة وهى
عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول عين اليقين اى الرؤية
التى هى نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار ثم لتسئلن يومئذ
عن النعيم عن اللهو والتنعم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان قلت
ما النعيم الذى يسال عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم قلت هو
نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع
اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله
وارزاقه التى لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا
بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى انه اكل هو
واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا الهيكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم
الذى انعم به عليه في دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرا الف آية

سورة والعصر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله
تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته صلوة
العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم و
مكاسبهم اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشى كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من
دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب ان الانسان لفى خسر
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات والانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران
والمعنى ان الناس في خسران من تجارتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الاخرة بالدنيا
فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا
بالحق بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته وعلى ما يبلو
الله به عباده عن رسول الله صلعم من قرا سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن
يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم
وبناء فعلة تدل على ان ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال فانت
اغيب فانت الهامز اللمزة وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم
وهو المسخرة الذى ياتى بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس
ابن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة
واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا

والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان
ذلك ازجر له وانكى فيه الذي جمع مالا وعدده الذي بدل من كل او نصب على الذم وقرئ جمع
بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده اي جمع
المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد
وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل عدده معناه وعده على فك الادغام
يحسب ان ماله اخلده اخلده وخلده بمعنى اي طول المال امله ومناه الاماني
البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت
او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والاجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن
ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال
فما اخلد احدا فيه روي انه كان للاخنس اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف وعن الحسن انه
عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال
لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد
على من لا يعذرك كلا ردع له عن حسبانه لينبذن وقرئ لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم
الذال اي هو وانصاره لينبذن في الحطمة وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة التي
تطلع على الافئدة في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول
انه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم
وهي اوساط القلوب ولا شئ في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تالما منه بادنى
اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز ان يخص الافئدة لانها
مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها
وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها انها عليهم مؤصدة مطبقة قال
تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب مكة موصدة في عمد ممددة وقرئ في عمد بضمتين
وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد ياسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتوصد
عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم
موصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا من النار يا خير
مستجار عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل روي ان ابرهة
ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس و
اراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة
من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود
وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وكان معه الف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ
المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل
وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول

فارسل طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة
واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راى منها عند ام هاني نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري
فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق
ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله واراببه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت
وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر
فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
باربعين سنة وقيل بثلث وعشرين سنة وعن عائشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه
اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها
فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل
والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو
دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب
الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول لاهم ان المرء يمنع
رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما
بدا لك يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير
من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا
على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن ابي سعيد الخدري
انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته
جدرته وهو اول جدري ظهر وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى انك رايت
اثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في موضع نصب
بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وابطال
يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضايعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل
لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه وارسل عليهم طيرا يعني انهم كادوا
البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع
الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل حزائق الواحد ابالة
وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة
وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها ترميهم وقرأ ابو حنيفة يرميهم اي الله تعالى
او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى بحجارة من سجيل وسجيل كانه علم للديوان
الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب
المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم
طيرا وارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل هو معرب
من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا
وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه فجعلهم كعصف مأكول وشبههم بورق الزرع
اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء

على ما عليه اذاب القرآن كقوله كانا يأكلان الطعام اراد يد كل حبة فيها صفر منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين **فان قلت** فلم دخلت الفاء **قلت** لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى عجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر انه قرأهما في الثانية من صلوة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك آلفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا مؤلف قال من المؤلفات الرمل غير الاوارك وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة قريش وقيل الفته الفا والافا وقرأ ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معوية انه سأل ابن عباس رضي الله عنهما بم سميت قريش قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف وافرد لامن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابرهيم عليه السلام ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان يكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة ارايت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم

قرئ ارايت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه صاح هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرأ ابن مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله تعالى ارايتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع اي يترك ويجفو ولا يحض على طعام المسكين ولا يبعث اهله على طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية وكثرة التثاوب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلوة اكثر من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلوة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكوة التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم **فان قلت** كيف جعلت المصلين قائما مقام الضمير الذي يكذب وهو واحد **قلت** معناه الجمع لان المراد به الجنس **فان قلت** اي فرق بين قوله عن صلوتهم وبين قولك في صلوتهم **قلت** معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلوته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن انس رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون **فان قلت** ما معنى المراءاة **قلت** هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان

فريضة من حق الفرايض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرايض الله لانها اعلام الاسلام وشعاير الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم انه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود الماعون الزكوة قال الراعي قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عايشة رضي الله عنها الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلعم من قرأ سورة ارأيت غفر الله له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم انا انطيناك بالنون وفي حديثه صلى الله عليه وسلم وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقايل كوثرا وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها حين انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروى في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسوا الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير فصل لربك وانحر وانحر نحر البدن وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لا يعطه احد غيرك ومعطى ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان ان شانئك ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الابتر لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله تعالى ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص ابن وائل وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا لا اعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تأكيد فيما ينفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته **فان قلت** هلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم **قلت** لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله في ذلك الوقت **فان قلت** فلم جاء على ما دون من **قلت** لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذ لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة روى انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع **فان قلت** ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه **قلت** النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض اغاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوايف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمى اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ورأيت الناس يدخلون في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف

اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين واثنين وعن جابر بن عبد الله انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة رضي الله عنه لما نزلت قال رسول الله صلعم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس لنا به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم وكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان رأيت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اى فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه او فصل له روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة رضي الله عنها كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك واستغفره والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وروى انه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلعم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلعم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان عمر رض يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا اراه سألهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع انه كان توابا اى كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلعم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت خمس آيات وهي مكية

قوله احد نفس ربكم اراد به الفرج

اجارهم اى انقذهم يعنى اهل الحرم

قوله ما لم يخطر مفعول للتيسير وفي بيانه

اى يقدمه ويسويه مع الشيوخ

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اى هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك اوجعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة وقد تب روى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت فان قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك يجرى الكنية على الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ومعوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب وكان بمكة رجل يقال له عبد الله مجرورا لذا لا يعرف الا هكذا والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كنى بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم ما اغنى عنه ماله استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي وما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى ومكسوبه او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكى ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام له يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسب ابيه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي سيصلى نارا ذات لهب قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد اى هو كائن لا محالة وان تراخى وقته وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد وامرأته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم

تبت اراد اراد اصابت بعضه

قوله لانه متعلق بقوله والمعنى كانه قيل عنى واريد بهذا المعنى

اى جزاني جزاء الكلاب العاويات جزاه الله شر جزائه وقد فعل والاستشهاد في وقد فعل

فهر ابو قبيلة من قريش وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة

وكان بمكة رجل يقال له عبد الله مجرورا لذا لا يعرف الا هكذا

الوجنة ما ارتفع من الخدين وفيها اربع لغات وجنة ووجنة واجنة واجنة

اذا اكثر نتاج السائمة يقال لها سابياء والسابياء الجلدة التي يخرج منها الولد

قوله ما اغنى

المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اى يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال من البيض لم تصطد على ظهر لامة ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب جعله رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر ورفعت عطفا على الضمير فى سيصلى اى سيصلى هو وامرأته وفى جيدها فى موضع الحال او على الابتداء وفى جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئة بالتصغير المسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال ومسد أمر من اينق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس ابن عتبة بن ابى لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا اردت الى شتمى ومنقصتى ام ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة فى المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون فى نار جهنم على الصورة التى كانت عليه حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم او من الضريع وفى جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله فى جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهى اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد هو ضمير الشأن والله احد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشأن هذا وهو ان الله واحد لا ثانى له فان قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدأ فاين الراجع قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى انه هو المبتدأ فى المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشأن الذى هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت يعنى الذى سألتمونى وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله وابى هو الله احد بغير قل وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله احد كان بعدل القرآن وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد التنوين وكسره لالتقاء الساكنين الله الصمد والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه فى الحوائج والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذى يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالد وقد دل على هذا المعنى بقوله

انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكن له كفوا احد ولم يكافئه احد اى لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوى على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفى طى ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفى ذلك وصفه بانه حى سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفى الشركة وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غنى وفى كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به فان قلت الكلام العربى الفصيح ان يؤخر الظرف الذى هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك فى كتابه فما باله مقدما فى افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفى المكافأة عن ذات البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شئ واعناه واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى ابى وانس عن النبى صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون على قل هو الله احد يعنى ما خلقت الا لتكون دليلا على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال فى المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد فى جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالى أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت

في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشره ما
يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل
وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض
كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم
ومن شر غاسق اذا وقب الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه
غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء
ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلوة
المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف
واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب
ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه
قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه
لملابسته له من حدوثه فيه ومن شر النفاثات في العقد النفاثات النساء او النفوس او
الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع
ريق ولا تأثير لذلك اللهم الا اذا كان ثمة اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة
المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان
الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن
والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبأون به فان قلت ما معنى
الاستعاذة من شرهن قلت فيها ثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة
السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به
من باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد
بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد
او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك ومن شر حاسد
اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما
اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسروره وعن عمر بن
عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة
حاله في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ
منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص شر
هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانما يغتال به وقالوا شر
العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه
ونكر بعضه قلت عرف النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق
لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود
وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد في ثنتين وقال ابو التمام

وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال ان العلى حسن في مثلها الحسد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ قرئ قل عوذ بحذف الهمزة ونقل
حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة
قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من
شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث
بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم فان قلت ملك الناس
اله الناس ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر
الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس
فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت فهلا اكتفي باظهار المضاف اليه
الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار
دون الاضمار من شر الوسواس الخناس الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى
الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر
كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس
والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته ان يخنس منسوب
الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان
ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه الذي يوسوس في صدور الناس
يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان
يقف القاري على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على احد هذين الوجهين من الجنة
والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس
والجن وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس ويجوز
ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة
الجن ومن جهة الانس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس مطلق على الجنة
واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس
ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين
وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع واجود منه ان يراد
بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم يبين بالجنة
والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ
سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما

قال جار الله العلامة استاد الدنيا شيخ العرب والعجم
ابو القسم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله وتجاوز عنه وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات
الله الكاملة التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين
او يعود في العاقبة بالندم او يقدح في الايمان المسوط باللحم والدم واسأله بخضوع
العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذي
هو الشيبة في الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للاثام وبما عنيت به من مهاجرتي اليه
ومجاورتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي على تواكل من القوى وتخاذل من الخطى ثم اسأله بحق
صراطه المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين في عمل
الكشاف عن حقائقه الملخص عن مضائقه المطلع على غوامضه المثبت في مداحضه الملخص لنكته
ولطائف نظمه المنقر عن فقره وجواهر علمه المكتنز بالفوائد المفتنة التي لا توجد الا فيه
المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنب المستكره
المملول ولو لم يكن في مضمونه الا ايراد كل شيء على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الاحبار
وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار وبما شرفني به ومجدني واختصني بكرامته
وتوحدني من ارتفاعه على يدي في مهبط بشاراته ونذره ومتنزل اياته وسوره من البلد الامين
بين ظهراني الحرم وبين يدي البيت المحرم حتى وقع التاويل حيث وجد التنزيل ان يهب لي
خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد ولا يفضحني بها على رؤس
الاشهاد ويحلني دار المقامة من فضله بواسع طوله وسابغ نوله انه هو الجواد الكريم
الرؤف الرحيم قال المصنف في آخر نسخته وهذه
النسخة هي نسخة الاصل الاولى التي نقلت من السواد وهي ام الكشاف الحرمية المباركة
المتمسح بها المحقوق بان تستنزل بها بركات السماء وتستمطر بها في السنة الشهباء
فرغت بها يد المصنف تجاه الكعبة في جناح دار السليمانية التي على باب اجياد الموسومة
بمدرسة العلامة ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمان
وعشرين وخمسمائة وهو حامد لله على ما هو اهله ومصلي على محمد عبده ورسوله
وعلى آله واصحابه اجمعين